

## كتاب جماعي دولي محكم تاريخ البحرية العسكرية

أعمال مهداة للأستاذ الفاضل: الأستاذ الدكتور عبد العزيز شهري



### الجزء الثالث: البحرية العسكرية في التاريخ الحديث والمعاصر

تقديم:

أ. د البشير بوقاعدة  
المدرسة العليا للأساتذة  
بوزريعة- الجزائر

إشراف وتنسيق:

د. أحمد حمدي أبو ضيف (مصر)  
جامعة العلوم والتكنولوجيا  
الصومال

د. سمية شهري  
المدرسة العليا للأساتذة  
بوزريعة- الجزائر



المدرسة العليا للأساتذة- بوزريعة  
العلامة الشيخ مبارك بن محمد إبراهيم الميلي- الجزائري  
منشورات مخبر التاريخ والحضارة والجغرافيا التطبيقية



## كتاب جماعي دولي محكم تاريخ البحرية العسكرية

أعمال مهداة للأستاذ الفاضل: الأستاذ الدكتور عبد العزيز شهري

الجزء الثالث: البحرية العسكرية في التاريخ الحديث والمعاصر

تقديم:

أ.د. البشير بوقاعدة  
المدرسة العليا للأساتذة  
بوزريعة- الجزائر

إشراف وتنسيق:

د. سمية شهري  
المدرسة العليا للأساتذة  
بوزريعة- الجزائر

د. أحمد حمدي أبو ضيف (مصر)  
جامعة العلوم والتكنولوجيا  
الصومال

ديسمبر 2024



كتاب جماعي دولي محكم  
تاريخ البحرية العسكرية

أعمال مهداة للأستاذ الفاضل: الأستاذ الدكتور عبد العزيز شهبي



الجزء الثالث: البحرية العسكرية في التاريخ الحديث والمعاصر

رقم ISBN: 978-9969-9872-0-1

منشوات مخبر التاريخ والحضارة والجغرافيا التطبيقية

البريد الإلكتروني للمخبر: Labo.hg.ca@ensb.dz

عنوان المخبر: 93 شارع علي رملي بوزريعة، الجزائر

ديسمبر 2024

## رئيس اللجنة العلمية: أ.د/ أحمد مريوش

### أعضاء اللجنة العلمية الوطنيين

أ.د. عمار بن خروف	جامعة الجزائر 2	أ.د. لزهريدة	جامعة الوادي
أ.د. جمال يحيوي	جامعة الجزائر 2	أ.د. نعيمة رحماني	جامعة تلمسان
أ.د. بن يوسف تلمساني	جامعة البليدة-2	د. عبد الحكيم بن تركية	م ع للأساتذة بوزريعة
أ.د. عبد المجيد بن عدة	م ع للأساتذة بوزريعة	د. أحمد رنيمة	جامعة وهران-1
أ.د. أحمد بن جابو	م ع للأساتذة بوزريعة	د. فاطمة خريس	جامعة وهران-1
أ.د. نجات بية	م ع للأساتذة بوزريعة	د. ليلى غويبي	جامعة البليدة-2
أ.د. عبد القادر دحدوح	م ج تيبازة	د. غانم بون	م ج تيبازة
أ.د. وهيبة قطوش	جامعة الجزائر 2	د. زهيرة حمدوش	م ج تيبازة
أ.د. رشيد مياد	جامعة المدية	د. عثمان مفتاح	جامعة الجزائر 2
أ.د. نعيمة رحماني	جامعة تلمسان	د. سامية بن قويدر	جامعة الجزائر 2
أ.د. أسمي مهيبيل	جامعة الجزائر 2	د. رشيد مقدم	جامعة الجزائر 2
أ.د. غربي الغالي	جامعة المدية	د. فضيلة علاوي	جامعة الجزائر 2

### أعضاء اللجنة العلمية الدوليين

أ.د. أسامة محمد أبو نحل	فلسطين
أ.د. طارق أحمد شمس	لبنان
أ.م.د. حسين نهاد عبد الحميد حسين	العراق
د. أحمد حمدي أبو ضيف زيد	مصر
د. إسلام إسماعيل عبد الفتاح محمد أبو زيد	مصر
د. بهاء الدين عبد ربه خلف الله	فلسطين
د. محمد عبد الجواد محمد البطة	فلسطين
د. محمود خليل يوسف القدرة	فلسطين
م.د. كوثر عبد الحسن عبد الله	العراق

## فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوعات
07	تقديم أ.د. البشير بوقاعدة (المدرسة ع أ، بوزريعة).....
09	مقدمة د. أحمد رنيمة (جامعة وهران-1).....
<b>المحور الأول: الدراسات الاستراتيجية للبحرية العسكرية والدبلوماسية</b>	
18	أساليب الغزو البحري المغاربي ووسائله خلال القرنين (10-11هـ / 16-17م) د. وحيد دانيال بن عروس / د. رحيمة بيثي..... (جامعة Nice) / (جامعة غرداية)
67	البحار والدبلوماسية المسلم الذي قاد الصين إلى العالمية د. أحمد رنيمة (جامعة وهران-1).....
<b>المحور الثاني: الدراسات الأثرية للبحرية العسكرية</b>	
91	تأثير العامل العسكري على العمارة المدنية بمدينة الجزائر في العهد العثماني د. سامية بن قويدر / أ. صخرية بن قويدر..... (جامعة الجزائر-2) / (م. ج، تيبازة).
112	المعارك البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية" د. أسماء شوقي أحمد دنيا/ د. إيمان محمد العابد ياسين..... (مصر العربية) / (مصر العربية)
<b>المحور الثالث: البحرية العسكرية العثمانية</b>	
222	تطور صلاحيات منصب قائد البحرية العثمانية على ضوء كتاب "تحفة الكبار" لحاجي خليفة (1167هـ/1754م) د. ليلي غويني (جامعة البليدة-2).....

257	التراث التسموي للمنشآت الدفاعية لمدينة الجزائر بين التأثير والتأثير-دراسة وصفية تحليلية د. صالح مليكة (مركز Crasc وهران).....
278	المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي(1526م-1559م) د. جبري عمر (جامعة برج بوعرييج).....
344	الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعية قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهد أ.د. نعيمة رحمانى (جامعة تلمسان).....
422	الحروب البحرية بين الجزائر العثمانية ومملكة الإنجليز "حملة روبرت مانسيل وألسير هاري نيل أنموذجا" "دراسة مقارنة " ط.د. حدو حمزة / ط.د. بن عراج رياض ..... (جامعة تلمسان) / (جامعة تلمسان)
<b>المحور الرابع: البحرية العسكرية الفترة المعاصرة</b>	
454	المعارك البحرية في الحرب العالمية الأولى "معركة جوتلاند 1916 أنموذجا" د. سعاد زواوي (المدرسة ع أ، بوزريعة).....
476	الحرب البحرية اليابانية على القواعد الأمريكية بالمحيط الهادي خلال الحرب العالمية الثانية أ.د. نعيمة بوكريدي (جامعة عين تموشنت).....
491	أسرى الحروب البحرية في اتفاقية جنيف الثانية د. بن زيد فتحي (جامعة سطيف -2).....

## تقديم:

بداية نحمد كثيرا للقائمين على هذا المنجز العلمي الموسوم بتاريخ البحرية العسكرية التفاتتهم الطيبة حين خصّوا الأستاذ الدكتور عبد العزيز شهري بهذه الهدية العلمية التكريمية لشخصه؛ باعتباره من الأساتذة الذين صرفوا نصيبا وافرا من أعمارهم في خدمة العلم وطلابه، وبذلوا ما في وسعهم لتطعيم ساحة المعرفة التاريخية تدريسا وتأليفا.

وإنّها لمبادرة طيبة والتفاتة جميلة من أهل البحث لأصحاب السبق والفضل شأن أستاذي الكريم عبد العزيز شهري، والتي نأمل أن تغدو سنة حميدة يُقتدي بها؛ كلون من ألوان الاعتراف بفضل الآخرين وتقدير جهودهم العلمية، حتى وإن كنتنا نعلم علم اليقين بأنّ الجزاء الأوفى والتكريم الحقيقي هو رضى الله سبحانه وتعالى عنهم وإكرامه لهم وإنعامه عليهم بفضله ومنّه وإحسانه.

ونحن وقد تكرّم علينا من يشرف على هذا المنجز العلمي بتصدير الجزء الثالث المتعلق بإشكاليات البحرية العسكرية في التاريخ الحديث والمعاصر (ولهم على ذلك كل الشكر والتقدير)، نستغل هذه السانحة بعد إذن المشرفين على الاكتتاب طبعا، لتقديم الشكر الجزيل أيضا للقائمين على الاكتتاب الجماعي المهداة أعماله إلى الأستاذ الدكتور بوطارن مبارك رحمه الله وأسكنه فسيح جناته. ومع أنّ مثل هذه المبادرات تكتسي أهمية بالغة في منحى الاعتراف بفضل أساتذتنا ومعلمينا وكبار الباحثين الذين رحلوا عن دنيانا إلى دار القرار، إلّا أنّنا نعتقد بأنّ المبادرات التي تخصّ فئة الذين هم على قيد الحياة تكتسي بُعدا أعمق ولها صدى أكبر، كيف لا ونحن نُقدّم للمعني بشخصه وفي حياته هذه الهدية البسيطة عرفانا وتكريما، أسأل الله أن يحفظ أستاذنا

## كتاب جماعي دولي محكم: تاريخ البحرية العسكرية

الغالي عبد العزيز شهبي وأن يرعاه بمنه وفضله وكرمه ويطيل في عمره ويمدّه بالصحة والعافية.

كما أستغل هذه السانحة لتقديم جزيل الشكر للقائمين على هذا المنجز؛ ذلك أنّهم أتاحوا الفرصة بين يدي أهل البحث من داخل وطننا الجزائر ومن خارجه لإثراء اشكالية هامة في مسار الكتابة التاريخية ويتعلق الأمر بتاريخ البحرية العسكرية عبر العصور. وقد لمسنا من خلال الاطلاع على فهارس موضوعات هذا الاككتاب بأجزائه الثلاثة بأنّها متنوعة، ولامست عمق الإشكالية وأحاطت بمحاورها الكبرى والدقيقة.

ونأمل أن يكون هذا المنجز الذي زاوج بين فائدة التكريم لأستاذ فاضل عزيز علينا والعرفان لجهوده في مسيرته العلمية والمهنية وبين اثناء إشكالية بحثية عميقة في ساحة البحث، إضافة علمية كبيرة إلى المكتبة التاريخية الوطنية والدولية، ومادة مرجعية يستفيد منها أهل البحث والمهتمين بالكتابة التاريخية ومشكلاتها في منحها العسكري.

بقلم الأستاذ الدكتور / البشير بوقاعدة  
مدير مساعد مكلف بالتكوين في الدكتوراه والبحث العلمي  
والتطوير التكنولوجي والابتكار وترقية المقالاتية

### مقدمة:

منذ أن نزل الرجال إلى البحر في سفنهم، ابتكروا أيضًا طرقًا جديدة ومثيرة للاهتمام لقتل بعضهم البعض من هذه السفن. ففي البدايات كانت السفن صغيرة وهشة وتتحرك بالجهد البشري بشكل أساسي. كان الشراع احتياطيًا مفيدًا ووسيلة للذهاب لمسافات أطول ولكنه لم يكن موثوقًا جدًا أو جيدًا للمناورة عن قرب. لهذا السبب، كانت الطريقتان الرئيسيتان لتحقيق النصر في المعركة البحرية خلال هذا الوقت هما صدم العدو لتحطيم سفينته الهشة، أو الصعود على متن سفينته بالجنود وإنهاء نشاط المجدفين، وبما أن السفن كانت مصنوعة من الخشب، فقد كانت النار أيضًا سلاحًا فعالًا، ولكن استخدامها دون إشعال النار في السفن المهاجمة أيضًا كان أمرًا صعبًا في أفضل الأحوال. كان الرماة يوسعون نطاق المعركة قليلًا لكنهم لم يلحقوا ضررًا كافيًا ليكونوا حاسمين؛ فكان بالإمكان دائمًا الاحتماء خلف جوانب السفينة، وفي السفن الأكبر حجمًا كان المجدفون عادةً على سطح داخلي منفصل.

مع إدارة المعارك بالقرب من الشاطئ ومع وجود الكثير من السفن الصغيرة والبطيئة عمومًا التي لم تكن مفيدة إلا من مسافة قريبة، كانت التكتيكات في البحر في هذه الفترة تحاكي التكتيكات على اليابسة. كانت السفن تتشكل في صفوف، وتحاول المناورة وتطويق العدو من الجانب، ثم مهاجمه، وتتحول المعركة إلى اشتباك عام بعد هذه المرحلة.

ونظرًا للاعتماد على الصعود على متن السفن، فغالبًا ما كانت الصفوف الأمامية من سفن الصدم مدعومة بأسطول من أي شيء آخر متاح، لأن أي سفينة يمكنها حمل رجال إضافيين إلى المعركة كانت سفينة حربية محتملة. في هذه

المرحلة من التاريخ، كان التمييز بين السفن الحربية والسفن التجارية قد يكون غامضًا بالتأكيد. وسيظل هذا الأمر صحيحًا حتى منتصف القرن التاسع عشر، عندما بدأ تصنيع السفن بمزيد من العناصر الفولاذية (مما أدى في النهاية إلى سفن مصنوعة بالكامل من الفولاذ بحلول عام 1900) وبدأت التصميمات الداخلية المطلوبة لتكيب أسلحة بحرية فعالة تختلف اختلافًا كبيرًا عن تلك اللازمة لنقل البضائع بكفاءة.

كانت قدرة السفينة التجارية على العمل كسفينة حربية خفيفة (أو التنكر كسفينة حربية خفيفة) والعكس صحيح، كان ذلك جزءًا مهمًا من تكتيكات الخداع والحيل الحربية خلال هذه الفترة وعصر الإبحار اللاحق. كان هذا أيضًا أحد الأسباب الرئيسية التي جعلت من السهل جدًا أن يصبح البحار قرصانًا حتى منتصف أواخر القرن التاسع عشر؛ كل ما كان عليك فعله هو جمع مجموعة من البحارة سيئي السمعة، والحصول على سفينة (والتي ربما كانت مزودة بأسلحة، حيث أنه من المفارقات أن التجار كانوا يتسلحون في حالة وجود قرصنة)، ويطوفون في الممرات التجارية المعتادة. والواقع أن بعض السفن التجارية كانت تقوم ببعض أعمال القرصنة الانتهازية على الجانب، حيث كانت سفن المهربين البريطانية العاملة في منطقة البحر الكاريبي القشتالية سيئة السمعة في هذا النوع من الأعمال في الفترة ما بين 1650-1750.

هناك شيء من الصورة النمطية بأن السفن الشراعية كانت تُدار إلى حد كبير بواسطة العبيد الذين يعملون على المجاديف، ولكن في الواقع لم يكن هذا صحيحًا إلا لفترة قصيرة نسبيًا من القرن الخامس عشر إلى منتصف القرن الثامن عشر في البحر الأبيض المتوسط والبحار المجاورة. إن التجديف بسفينة حربية والمناورة من أجل الصعود على متن سفينة معادية أو صدمها بفعالية أمر صعب للغاية في الواقع، ولا يكون العبيد عمومًا متحمسين بشكل

كبير لمحاربة أعداء من استعبدوهم، لذلك اعتمدت الأساطيل القديمة على البحارة الأحرار المهرة، كل واحد منهم يمسك بمجداف واحد ويشتركون في الدفاع عن السفينة إذا ما تم الصعود على متنها، وربما كان يتم دعمهم بعدد متواضع (وبالتالي يمكن السيطرة عليهم من قبل الطاقم الحر) من العبيد أو الأحرار الذين لديهم ما يكفي من الولاء للدولة والثقافة (مع وعود بالحرية في كثير من الأحيان) ليكونوا على استعداد للمضي قدمًا في القتال، لاحظ أنه فقط مع ظهور المدافع البحرية أصبح جعل أجزاء كبيرة من طاقمك من العبيد في السفن الشراعية أمرًا ممكنًا، حيث لم تعد المناورة الصعبة ضرورية؛ إذ لم يكن عليك سوى توجيه السفينة بشكل عام نحو العدو وترك المدفعية تقوم بعملها. ولكن بالطبع، أصبحت السفن الشراعية مهيمنة في نفس الوقت تقريبًا، لذا سرعان ما اختفت سفن العبيد الشراعية، رغم هيمنة مفهوم وجود سفن الرقيق في المخيلة الشعبية لأنها كانت ببساطة تستخدم في وقت قريب جدًا ولا يزال هناك الكثير من السجلات والقصص عن استخدامها.

كانت المعارك البحرية في هذه الفترة ملحمية في نطاقها بشكل عام، لأن السفن الصغيرة كانت رخيصة نسبيًا ولم يكن معظم أفراد الطاقم بحاجة إلى أي مهارات سوى القدرة على سحب المجداف. فمعركة سلاميس التي وقعت عام 480 قبل الميلاد بين التحالف اليوناني بقيادة أثينا والإمبراطورية الفارسية ضمت ما يصل إلى ألف سفينة ومن يعرف عدد الرجال، ومعركة ليبانتو عام 1571 بين التحالف الإسباني البندقي والخلافة العثمانية ضمت 451 سفينة وستين ألف رجل. والدليل على سهولة الاستبدال في هذه الأمور هو أنه على الرغم من خسارة العثمانيين ما يقرب من 4 أخماس أسطولهم بالكامل في المعركة، إلا أنهم تمكنوا من استبداله خلال عام، أما البحارة والقادة ذوو الخبرة القتالية فكانوا مسألة أخرى بالطبع.

تفاقت الخسائر في هذه المعارك بسبب حقيقة أن معظم البحارة لم يكونوا يعرفون السباحة، وهو أمر استمر بشكل غريب حتى أوائل القرن العشرين: كانت إحدى النظريات ترى أن تعليم البحارة السباحة شجعهم فقط على ترك السفينة قبل الأوان. وكانت هناك نظرية أخرى مفادها أن البحارة كانوا يعتقدون أنه أثناء غرق السفينة في البحر، كان مصيرهم الهلاك على أي حال، وكان من الأفضل أن يموتوا موتاً سريعاً غرقاً بدلاً من الموت المطول بسبب الجفاف الجوع.

واستمرت هذه الفترة حتى منتصف عصر النهضة الأوروبية، عندما أدت التحسينات في تصميم السفن واختراع الأسلحة النارية إلى تحول في الاستراتيجية. كانت آخر معركة كبيرة على متن السفن الشراعية هي معركة ليبانتو في عام 1571، وهي انتصار بابوي-بندقي-إسباني على قوات الاساطيل العثمانية والتي أعطت اسمها لاستراتيجية شائعة في الدبلوماسية لدى الأوروبيين. كانت المعارك في هذه الحقبة تخوضها السفن الشراعية الكبيرة ذات الصواري الطويلة المعبأة بالمدافع التي تطلق طلقات حديدية نارية. وبفضل الهياكل الأقوى والأشعة الأكثر كفاءة، صارت السفن تستخدم قوة الشراع وحدها للدفع، وكان بإمكانها الابحار لمسافات طويلة جداً، وإن لم يكن ذلك بدون مخاطر.

إن التاريخ المناسب لتحديد نقطة البداية لهذه المرحلة في التاريخ البحري هو معركة الأرمادا الإسبانية عام 1588، التي أسفرت عن انتصار مملكة إنجلترا على إمبراطورية إسبانيا: فبينما كانت السفن الشراعية المسلحة بالمدافع موجودة منذ قرن تقريباً بحلول تلك المرحلة، فإن المدفعية غير الموثوقة ومقاومة التغيير كانت تعني أن جميع المعارك السابقة كانت لا تزال تعتمد على عمليات الصعود على متن السفن والمناوشات المباشرة شديدة الخطورة.

كانت المدافع والمناورة هما السلاحان الحاسمان في المعركة - يمكن للسفينة أو الأسطول الذي يمتلك مدافع أطول مدى وقدرة أفضل على المناورة أن يرقص حول عدوه، بعيداً عن مدى النيران المتبادلة ويقصفه في فوضى دموية متناثرة. وهذا بالضبط ما فعله الإنجليز بالإسبان في عام 1588، دارت المعارك على مدى أطول، بسفن أقل ولكن أكثر قوة، وبدأت التكتيكات تخرج عن مصطلحات المعارك البرية وتصبح فريدة من نوعها في بيئة المحيط، نظراً لأن الغالبية العظمى من القوة النارية لكل سفينة كانت مثبتة على جانب السفينة، كانت الممارسة المعتادة لمعارك الأسطول هي جعل كل سفينة في الأسطول تتبع الواحدة تلو الأخرى في "خط المعركة"، بحيث يكون لكل سفينة مجال نيران واضح. كان تنظيم العديد من السفن في صف متماسك تحت قوة الشرع يتطلب جهداً ومهارة كبيرين، وكانت المناورة صعبة في أفضل الأحوال، لذلك بمجرد أن يشكل كل جانب صفًا، عادةً ما يثبتون فيه حتى لحظة التصادم مع العدو. كان لهذا الأمر أثره في جعل العديد من معارك الأساطيل "مملة"، بمعنى أنه لم يكن هناك الكثير من المناورة بمجرد دخول المعركة، بل كانت كل سفينة تقصف خصمها في الخط المقابل حتى تغرق إحداها أو يتم الصعود على متنها وأسرها، أو تستسلم، وتكرر ذلك صعوداً ونزولاً على الخط حتى يختفي أحد الأسطولين. وفي المقابل، كان أمراء البحر الذين تمكنوا من استخدام المناورة لصالحهم يعتبرون إلى حد كبير عباقرة تكتيكيين بارعين.

تمثلت المرحلة التالية في تطور الحرب البحرية في إدخال التصفيح المعدني على طول جوانب بدن السفينة. وقد تطلبت الكتلة المتزايدة محركات تعمل بالبخار، مما أدى إلى سباق تسلح بين الدروع وسماكة الأسلحة والقوة النارية. جعلت أولى السفن المدرعة، وهي السفينة الفرنسية Gloire والبريطانية HMS Warrior، حدث تحسن كبير آخر مع اختراع الأبراج الدوارة التي سمحت

بتوجيه المدافع بشكل مستقل عن حركة السفينة. وغالباً ما يُشار إلى المعركة التي دارت بين السفينة CSS Virginia والسفينة USS Monitor خلال الحرب الأهلية الأمريكية (1861-1865) على أنها بداية عصر الصراع البحري بهذا الشكل.

كانت البحرية الروسية تُعتبر ثالث أقوى قوة بحرية في العالم عشية الحرب الروسية اليابانية، التي تحولت إلى كارثة على الجيش الروسي بشكل عام والبحرية الروسية بشكل خاص. وعلى الرغم من عدم افتقار أي من الطرفين للشجاعة، إلا أن الروس هُزموا أمام اليابانيين في معركة بورت آرثر، التي كانت المرة الأولى في الحروب التي تُستخدم فيها الألغام لأغراض هجومية. وقد فُقدت السفن الحربية التابعة لأسطول البلطيق التي أُرسلت إلى الشرق الأقصى في معركة تسوشيما. حدث تغيير آخر في القوة النارية البحرية عندما أطلقت المملكة المتحدة الغواصة المدرعة البحرية HMS Dreadnought في عام 1906، لكن التكتيكات البحرية كانت لا تزال تركز على خط المعركة.

تم تطوير أول غواصات عسكرية عملية في أواخر القرن التاسع عشر، وبحلول نهاية الحرب العالمية الأولى أثبتت أنها ذراع قوي للحرب البحرية. خلال الحرب العالمية الثانية، كاد أسطول غواصات ألمانية النازية المكون من غواصات يو-باوت U-boats أن يجبر المملكة المتحدة حتى الاستسلام، وألحق خسائر فادحة بالشحن الساحلي الأمريكي. كادت البارجة الحربية الألمانية تيربيتز Tirpitz، وهي سفينة شقيقة لسفينة بسمارك، أن تتوقف عن العمل بواسطة غواصات مصغرة تُعرف باسم X-Craft. ألحقت غواصات إكس-كرافت أضراراً بالغة بالسفينة وأبقتها في الميناء لبضعة أشهر.

حدثت نقلة نوعية كبيرة في الحرب البحرية مع إدخال حاملة الطائرات. أولاً في تارانتو عام 1940 ثم في بيرل هاربور عام 1941، أثبتت حاملة الطائرات

قدرتها على توجيه ضربات حاسمة لسفن العدو بعيداً عن أنظار السفن السطحية ومداها. يمكن القول إن معركة خليج ليتي (1944) كانت أكبر معركة بحرية في التاريخ؛ وكانت أيضاً آخر معركة لعبت فيها السفن الحربية دوراً هاماً. وبحلول نهاية الحرب العالمية الثانية، أصبحت حاملات الطائرات هي القوة المهيمنة في الحرب البحرية.

كما شهدت الحرب العالمية الثانية أيضاً تحول الولايات المتحدة إلى أكبر قوة بحرية في العالم. في أواخر القرن العشرين وأوائل القرن الحادي والعشرين، امتلكت بحرية الولايات المتحدة أكثر من 70% من إجمالي عدد السفن البحرية في العالم وإجمالي حمولة السفن البحرية التي تبلغ حمولتها 1000 طن أو أكثر، وطوال الفترة المتبقية من القرن العشرين، حافظت بحرية الولايات المتحدة على حمولة أكبر من حمولة أكبر من حمولة أكبر 17 قوة بحرية تالية مجتمعة. خلال الحرب الباردة، أصبحت البحرية السوفيتية قوة مسلحة كبيرة، مع أعداد كبيرة من الغواصات الكبيرة المدججة بالصواريخ الباليستية المدججة بالأسلحة، والاستخدام المكثف للصواريخ الثقيلة بعيدة المدى المضادة للأسطول لمواجهة مجموعات حاملات الطائرات الحربية الأمريكية العديدة. هناك دولتان فقط هما الولايات المتحدة وفرنسا تشغلان حالياً حاملات كاتوبار من أي حجم، بينما تشغل روسيا والصين والهند حاملات صواريخ ضخمة من طراز ستوبار على الرغم من أن الثلاث حاملات هي في الأصل من تصميم روسي.

تعمل البحرية عادةً من قاعدة بحرية واحدة أو أكثر، والقاعدة عبارة عن ميناء متخصص في العمليات البحرية، وغالباً ما تتضمن مساكن ومستودع ذخائر وأرصفتة للسفن ومرافق إصلاح مختلفة. في أوقات الحرب قد يتم تشييد قواعد مؤقتة في أوقات الحرب على مقربة من المواقع الاستراتيجية، حيث تكون مفيدة من حيث الدوريات والمرابطة. وقد وجدت الدول ذات القوات

البحرية القوية تاريخياً أنه من المفيد الحصول على حقوق التمركز في دول أخرى في مناطق ذات أهمية استراتيجية.

يمكن للسفن البحرية أن تعمل بشكل مستقل أو مع مجموعة، قد تكون سرياً صغيراً من السفن المتشابهة، أو أسطولاً بحرياً أكبر من سفن متخصصة مختلفة. ينتقل قائد الأسطول في سفينة القيادة، التي عادة ما تكون أقوى سفينة في المجموعة. قبل اختراع الراديو، كانت الأوامر من سفينة القيادة تُنقل عن طريق الأعلام. وفي الليل كان بالإمكان استخدام مصابيح الإشارة لغرض مماثل، وقد استُبدلت هذه فيما بعد بجهاز الإرسال اللاسلكي، أو الضوء الوامض عند الحاجة إلى الصمت اللاسلكي.

صارت البحرية اليوم من أكثر الأسلحة ضرورة من حيث التكوين والمناهج والتدريب والتجهيز والصناعة والتطوير، وعلى كل أمة بحرية في العالم الإسلامي إعادة النظر في خياراتها الاستراتيجية، بسبب مواقعها المطلّة على المسطحات المائية الكبرى المفتوحة على كل المخاطر الوجودية المترتبة بالشعوب والمجتمعات في البلدان المسلمة.

بقلم الدكتور / أحمد رنيمة

الدراسات الاستراتيجية للبحرية العسكرية  
والدبلوماسية

1. أساليب الغزو البحري المغاربي ووسائله خلال القرنين  
(10-11هـ/16-17م)

2. البحار والدبلوماسي المسلم الذي قاد الصين إلى العالمية

أساليب الغزو البحري المغاربي ووسائله  
خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

أساليب الغزو البحري المغاربي ووسائله  
خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

Methods and Means of Maghreb Maritime Invasion during the  
(16-17th) Centuries

د. وحيد دانيال بن عروس / د. رحيمة بيثي

جامعة Sofia Antipolis(Nice) / جامعة غرداية

bichi-rahima@univ.ghardaia.dz / d.benarous@outlook.com

ملخص:

يعتبر القرنان (10-11هـ/16-17م) بمثابة العصر الذهبي للبحرية بصفة عامة وللجهاد البحري بصفة خاصة بالمنطقة المغاربية، كما يعتبر الجهاد البحري مصدر إشعاع اقتصادي طيلة العصر الحديث، باعتبار أن جل عائداته تعد الممول الرئيسي لخزينة الدولة، لذا فإن هذه الأخيرة سهرت على تمويل الحملات الجهادية وسفنها، لما لها من فضل كبير يعود بالنفع عليها، وقد تعددت المراكز الجهادية في بلاد المغرب خلال القرنين السالفين، وبرزت من خلال قوتها وتسيرها للجانب الملاحي وقد تجلى هذا بتنفيذ عديد الخطط والاستراتيجيات قصد إنجاح العمليات الجهادية والحربية ضد الأساطيل الأورومسيحية. من خلال هذا السياق جاءت ورتتنا البحثية موسومة بـ "أساليب الغزو البحري المغاربي ووسائله"، بغية التعرف على عملية تجهيز الحملات البحرية المغاربية، والمواصفات التقنية للسفانة والأوراش، وكذا أبرز الخطط والاستراتيجيات المتبعة في العمليات الجهادية.

## أساليب الغزو البحري المغاربي ووسائله خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

---

الكلمات المفتاحية: الجهاد البحري؛ بلاد المغرب؛ أساليب الغزو البحري؛ وسائل الغزو البحري؛ القرنان (10-11هـ/16-17م).

### **Abstract:**

The two centuries (10-11 AH ∨ 16-17 AD) are considered as the golden age of the navy in general and for naval jihad in particular in the Maghreb region, and maritime jihad is considered a source of economic radiation throughout the modern era, considering that most of its revenues are the main financier of the state treasury, so the latter has been keen to finance jihadist campaigns and ships, because of their great credit for their benefit, and jihadist centers in the Maghreb have multiplied during the previous two centuries, and emerged through their strength and management of the navigational side, and this was manifested by the implementation of many Plans and strategies for the success of jihadist and war operations against European Christian fleets.

In this context, our research paper was titled 'Methods and Means of Maghreb Naval Invasion', in order to identify the process of preparing Maghreb naval campaigns, the technical specifications of ships and workshops, as well as the most prominent plans and strategies used in jihadist operations.

**Keywords:** naval jihad; Maghreb countries ; methods of naval invasion ; means of naval invasion ; the two centuries (10-11 AH / 16-17 AD).

## أساليب الغزو البحري المغاربي ووسائله خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

### الهدف من الدراسة:

يتمثل هدفنا الأساسي من دراسة أساليب الغزو البحري ووسائله خلال قرني الدراسة في محاولة الكشف عن جانب من جوانب تاريخ المغرب المجيد الذي لم يحظ بالدراسة الكافية، والمتمثل في دراسة مؤسسة الجهاد البحري من ناحية القرارات التقنية والتنظيمية من سفن ومعدات ورجال وموارد، وكذا كيفية الأساليب والاستراتيجيات المتبعة في الهجوم والدفاع .

### المنهج:

استعملنا المنهج الوصفي لأنه قاعدة وأساس لكل بحث تاريخي، لا يمكن الاستغناء عنه وهو ضروري لمراعاة التسلسل الزمني ووصف الأحداث والوقائع كما وردت في مصادرها.

كما استخدمنا المنهج التحليلي عند الانتقال لتحليل تلك الأحداث وإعادة تركيبها وقراءتها على ضوء مختلف الدراسات التي تناولتها.

### مقدمة:

لما كانت دول المغرب في موقع متقدم مع دول الضفة الأورومسيحية، وما عانتها من الصراع الحضاري، خاصة بعد ما انضوت معظم بلاد المغرب تحت الراية العثمانية ، فقد كان لزاما على بلاد المغرب ضرورة الأخذ بأسباب القوة والتمكين وقد تجلّى ذلك خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)، مما جعلها تولي اهتماما كبيرا بالأسطول البحري خاصة تجهيزاته ووسائله وأفراده، وبالأخص إتقان أساليب واستراتيجيات الدفاع والهجوم، كما أنها رأت في الاهتمام بهذا المجال نفعا كبيرا على جميع الأصعدة ، وبالأخص استقرار الأوضاع ، مما جعلها تولي اهتماما كبيرا لمؤسسة الغزو والجهاد البحري.

## أساليب الغزو البحري المغربي ووسائله خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

وقد ارتأينا التعريف من خلال هذه الورقة بالجهود الجبارة التي بذلتها دول المغرب في الاهتمام بمواصفات الإطار البشري العامل في هذا المجال، وكذا السفانة المحلية المعتمدة ومواصفاتها التقنية، وكذا أنواع السفن المعتمدة، ومدى فعاليتها، وأساليب واستراتيجيات الدفاع والهجوم. وعليه نطرح التساؤل التالي: كيف كانت تتم عملية تجهيز الحملات الجهادية؟ وما أبرز الخطط والاستراتيجيات المتبعة لإنجاحها وإتمامها على أكمل وجه؟ وللإجابة عن الإشكالية، واستفصال الموضوع فإننا نقسم الورقة إلى الآتي:

أولاً: تجهيز الحملات الجهادية، رجالها ووسائلها

ثانياً: استراتيجيات العمل الجهادي

موضوع البحث:

أولاً- تجهيز الحملات الجهادية، رجالها ووسائلها:

1. تجهيز الحملات الجهادية

كان تجهيز الحملات الجهادية يشمل التجهيزات البشرية والحربية والتموينية وكذا تجهيزات الصيانة، وكان رجال الجهاد البحري يشتركون في مؤن التغذية لإطعام جميع من على متن السفينة، وتتمثل هذه المؤن في: البسكويت، والزيت والخل، والخضروات، التي يمنحون منها نصيباً يومياً لكل فرد<sup>(1)</sup>.

وعندما يتعلق الأمر بخروج المجاهدين للبحر، فإنهم لا ينسون شيئاً ضرورياً مما يحتاجونه لطاقتهم أو لتجهيز السفينة، حيث يقوم الرياس بتجهيزها من خلال تحمّل المصاريف والنفقات، إذا كانت لهم إمكانية بذلك،

(1) - حاجي خليفة، تحفة الكبار في أسفار البحار، تحقيق: محمد حرب وتسليم حرب، دار البشير: (د. م. ن)، (2017م)، ص 268.

## أساليب الغزو البحري المغاربي ووسائله خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

وفي حال لم يتمكنوا من ذلك، يشتركون مع آخرين يُدعون الممولين، حيث يشترك الأخيرون في النفقات لقاء نصف الربح أو الربع حسبما اتفقوا عليه، ويشتركون في توفير كل الذخائر الضرورية كالبارود وكرات المدافع والفتيل والرصاص<sup>(1)</sup>.

أما عن توقيت الخروج للغزو، فكان بعد انتهاء فصل الشتاء، عندما يهدأ البحر وتسكن أمواجه، وأحسن وقت للغزو يقع ما بين شهر أفريل وسبتمبر، فتسحن السفن بالزاد اللازم لإقامة طويلة في البحر تستغرق أحيانا شهرين أو أزيد، فيحمل المجاهدون معهم كمية من المؤن، ثم تنطلق الحملة بعد إصلاح أدوات السفن واختبار آلاتها<sup>(2)</sup>.

تستدعي عمليات الجهاد البحري استعدادات جمة كترتيب الجنود وتصنيفهم وحصرهم وتحديد قوادهم وعرفائهم، فضلا عن صنع السفن وتجهيزها بالمؤن والسلاح، فالجميع يشارك بقدر استطاعته في هذه العملية حتى النساء بعن حلين للمساهمة في الجهاد، ويُعين مجلس الرياس من له دراية في شؤون الملاحة، ومن له مهارة وشجاعة وتجارب، فيُنتخب لقيادة الحملة، حيث كان يرافق الرايس مجموعة من الفنيين، فيأتي منهم التدبير والأمر ومنهم السمع والطاعة<sup>(3)</sup>.

(1) - ببيردان: تاريخ بربريا وقراصنتها، ترجمة: حسن أميلي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية: المغرب، (2019م)، ص 267.

(2) - عبد الحلیم سرحان، تطور صناعة السفن الحربية على عهد العثمانيين، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، إشراف: صالح بن قرية، غير منشورة، جامعة الجزائر: الجزائر، (2007-2008م)، ص 186.  
مولاي بلحميسي، الجزائر والغزو البحري في القرن 16، مجلة وتاريخ وحضارة المغرب، كلية الآداب: الجزائر، ع. 4، (1986)، ص 14.

(3) - عبد الحلیم سرحان، المرجع السابق، ص 187؛ ابن العنابي، السعي المحمود في نظام الجنود، تحقيق: محمد بن عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب: الجزائر، (1983م)، ص ص 11 - 14؛ مولاي بلحميسي، الجزائر والغزو البحري في ق 16....، المرجع السابق، ص 14.

## أساليب الغزو البحري المغاربي ووسائله خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

ويطلعنا حمدان بن عثمان خوجة على أن تجهيز السفن بغرض الجهاد، كان لأبد أن يتسم بالعنف والضراوة، حتى أنه كان يُفرض مغادرة السفن الأجنبية التجارية للميناء، ويُحبس العبيد منعا لمحاولة هروبهم، فكانت الاستعدادات تجري على قدم وساق، من بشرية وحرية قبيل الخروج للجهاد والغزو، وحتى تؤدي السفن دورها على أكمل وجه<sup>(1)</sup>.

وكان على الذين سبق لهم ركوب البحر في شبابهم ولهم مؤهلات بدنية أن يستجيبوا إذا ما دعاهم أحد الرياس للإبحار قصد الغزو والجهاد، فعادة ما كان الراضون للخروج يدفعون للرياس بعض المال بدافع التخلف والبقاء للتكفل بالعائلة، أو بسبب كبر السن، وقد ينجح البعض بأن لديهم محلات فلا يستطيعون إلا البقاء مع الخوالم، فإذا ما أصر الرياس على رأيه فما على المجند إلا الإذعان، وإن سولت لأحد نفسه الهرب بعد ما جاءه الأمر بركوب البحر فإنه سوف يتعرض للموت، وعندما تنتهي تدابير النفير والتجنيد يُغلق الميناء بإذن من الديوان قصد تسليح البحارة، ويدوم هذا الأمر عادة من ثلاثين إلى أربعين يوما قصد تجهيز السفن لخروجها للجهاد<sup>(2)</sup>.

تتشابه المراكز الجهادية المغاربية سواء كانت في مرسى سلا، الجزائر، تونس وطرابلس، بظروف العمل التي كانت تفرض على رجالها الامتناع عن الاستعمال الكبير للسفن المتسمة بالثقل والصعوبة في الانقياد، وهو ما لا يتماشى مع عمليات المطاردة والانسحاب، وفرض عليهم بالمقابل التقيد بالسفن الخفيفة

(1) - حمدان بن عثمان خوجة: المرأة، تحقيق: محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع: الجزائر، ط2، ص 79.

(2) - Venteur de Paratis (J M), Alger au 18 siècle (1788 – 1790), Imprimerie libraire Editeur: Alger, (1898), p 67.

Klein (H), les feuillets d'el Djazair, hors-série : (volume récapitulatif) : Alger, (1937), p 112.

De voulux(A), Tachrifat, recueil de notes historique sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger, imprimerie du gouvernement : Alger, 1852, p 29.

## أساليب الغزو البحري المغربي ووسائله خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

والسريعة والمجهزة بالمعدات القتالية الضاربة، مثل: الدعومة، والطريدة، والكرافيل التي لا تتعدى حمولتها المائة وخمسين طنا المسلحة بدزينة من المدافع وعدد أكبر من المجانيق، وبطاقم يصل إلى مائة رجل، أو سفنا متوسطة ذات حمولة تتراوح ما بين المائتي طن والثلاثمائة مثل: السنك والبينك والبولاكر<sup>(1)</sup>.

ومع تصاعد وتيرة العمليات الجهادية منذ سنة (1029هـ/1620م) تمكن مجاهدو المغرب من تحسين هياكل ومقومات السفن المؤهلة للاستعمال الجهادي مثل: الغليوطة، بتقليص حجمها وحمولتها من أجل تخفيض أشرعة غاطسها، وتمكينها من الانسياب بسهولة، كما أهلوها بشكل أنسب للاستفادة من الأشرعة الطارئة عليها<sup>(2)</sup>.

كانت الأعراف والتقاليد المعمول بها في تنظيم العمليات الجهادية تقتضي إعطاء الحق للرايس في اختيار مساعديه والمتطوعين من الرجال وتحديد عدد من أسرى التجديف، وذلك حتى يضمن الخضوع التلقائي لمجموع طاقم السفينة لأوامره وتوجيهاته، كما كان من بين التقاليد المتبعة أن يقوم الرايس بمنح أولية لأفراد السفينة وألبسة مخصصة لكل مهمة، أملا في أن يشكل ذلك حافزا لهم لبذل مزيد من الجهد من أجل العودة بغنائم وافرة<sup>(3)</sup>.

إن السفن أيضا تشبه الكائنات الحية، وهي تفتقد بعض قدراتها على الملاحة بعد كل رحلة في البحار فالرياح تمزق القلوع، وتلوي الحبال وتقطعها، ومياه البحر تأكل الخشب، وتفسد الحديد، والشمس تفسد الدهان، والظلام

(1) - حسن أميلي، الجهاد البحري في مصب أبي رقراق خلال القرن السابع عشر، دار أبي رقراق، الرباط: المغرب،

ط1، (2006م)، ص 101.

(2) - حسن أميلي، المرجع السابق، ص 109.

(3) - محمد الحراري، المرجع السابق، ص 177.

## أساليب الغزو البحري المغاربي ووسائله خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

يستهلك قدرا من الزيت والشمع، ولهذا لا بد من قطع غيار كالمراسي، والحبال والحديد والرصاص، وجذوع الأشجار المشذبة، والقماش حتى يتسنى للبحارة عند الضرورة إصلاح كل عطل وضرر، ولا بد أيضا من شحن كميات معتبرة من القطران والشمع والقطن لسد كل ثغرة تحدثها الزوابع البحرية، ولا بد من أدوات النجارة كاملة فضلا عن الشباك والصنابير لاصطياد السمك، ما لم يكن في ذلك حرج في الطريق أو مانع لأنه سيكون مع الخبز المجفف الذي يُعد أساس الغذاء في الرحلة، هذا بالإضافة إلى الصواري والهوائيات، وبعض البراميل أو سلال المسامير، وجلود الغنم المعدة لتنظيف المدافع من البارود المحترق ثم العدد الكثير من الفنارات، وغير ذلك مما يحتاج إليه من أمور السفن<sup>(1)</sup>.

### 2. رجال وقادة الأسطول:

#### أ. عناصر الأسطول الجهادي:

1. العنصر المحلي: لم يكن للعنصر المحلي حضور فعال بالقدر الذي كانت فيه العناصر الأوروبية والأجنبية وهذا ما تشير إليه جل المصادر الخاصة بالفترة، وتؤكد أنهم اكتسبوا خبرتهم من الأوروبيين، ولعل هذا العزوف إنما كان نتيجة طبيعة العيش الخاصة بهم وبعدهم عن المجال البحري وفنونه إلا في حالات الجهاد<sup>(2)</sup>، وحتى بعد ظهور البحرية العثمانية وقوتها، لم يكن ذلك حافزا لهم للمشاركة في النشاط البحري كما أشرنا سابقا بسبب عدم اهتمامهم به، ليصدر بعد ذلك قانون استبعاد المغاربة من الأسطول ومهامه

(1) - عبد الحليم سرحان، المرجع السابق، ص 213 : الغزال بن المهدي، نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد، تحقيق: إسماعيل العربي، (د. م. ن): الجزائر، (1984)، ص 190: زفليج ستيفان، ماجلان قاهر البحار، ترجمة: حبيب باماتي، دار الهلال: مصر، (1951م)، ص 75.

(2) - محمد عبد السلام الحراري، المرجع السابق، ص 105.

## أساليب الغزو البحري المغربي ووسائله خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

وعدم إشراكهم إلا في الحالات الضرورية وتحت إشراف الانكشارية وهذا ما صرح به الراهب دان<sup>(1)</sup>، والملاحظ أن غياب العنصر المحلي جاء من طبيعة العيش والاهتمامات الخاصة بهم، ثم القوانين التي سنتها السلطة العثمانية في تقييد عناصر الأسطول في الأتراك العثمانيين وإبعاد العنصر المحلي.

2. العناصر التركية العثمانية: اختلفت المصادر في نشاط العناصر التركية العثمانية في الأسطول المغربي فبعضها تذكرها أنها المؤسس الأول للأسطول المغربي وآخرون يستبعدونها عن ذلك ويذكرون استخدامهم للعلوج وغيرهم من رجال البحر، وتوجه إلى هذا الرأي خاصة المؤرخ الفرنسي ركفيل، ومن هنا نرى أن وظائف الأتراك العثمانيين في الأسطول كانت مرتكزة في السيطرة على السفينة، وطاقتها وهذا كجانب أمني فيها، ودورهم كان عسكريا فقد كانوا مجهزين بمختلف أنواع الأسلحة وفي استعداد دائم للجهاد البحري<sup>(2)</sup>.

3. العناصر الأندلسية: كان تواجههم في المغرب الإسلامي قديما، وقد كانوا يشكلون قوة بحرية منذ العصور الوسطى وبذلك اكتسبوا خبرة في هذا المجال، وبعد هروبهم من هجمات الإسبان وجدوا في البحرية المغربية سبيل الخلاص والانتقام من الإسبان<sup>(3)</sup>، وكان لهم استقبال خاص من ولاية الجزائر وتونس وطرابلس بعد إصدار السلطان العثماني قرارا لأساطيل الولايات الثلاث بمساعدتهم ونقلهم إلى أراضي الإسلام وكان بالاتفاق مع ملك فرنسا بتوفير السفن لهم ومساعدتهم في الانتقال إلى المغرب، واستقروا في المناطق الشرقية وشكلوا فيها قوة بحرية ونشطوا بها الجهاد البحري ودخلوا في التنظيم

(1) - الراهب دان، المصدر السابق، ص146.

(2) - محمد عبد السلام الحراري، المرجع السابق، ص108.

(3) - نفسه، ص109.

## أساليب الغزو البحري المغاربي ووسائله خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

البحري العثماني خلافا لما تشير إليه بعض المصادر أنهم لم يكن لهم دور فعال<sup>(1)</sup>.

4. الأعلّاج: يتكون الأعلّاج من صنفين: منهم من قدم مع الأتراك العثمانيين، ومنهم من الأسرى الذين كانوا نتيجة العمليات الجهادية، وأغلبهم من إيطاليا وإسبانيا<sup>(2)</sup>، وكانوا يشكلون القوى الفاعلة في الأسطول المغاربي نظرا لأنهم كانوا يتمتعون بالخبرة وكان غالبيتهم ملاحين، أو أسرى صغار تربوا على أساليب الجهاد وفن قيادة السفن منذ الصغر، وشكلوا بذلك العمود الفقري للعمليات الجهادية خاصة في القرن (10هـ/16م)، وهذا بفضل ما اكتسبوه من تقنيات حديثة متطورة، والطاقت البشرية المختلفة المتمرسّة على مختلف آلات الحرب والملاحة، وكان لهم تأثير خاص على العمليات الجهادية، وبالأخص الذين اعتنقوا الإسلام طواعية وأحبوا العمل الجهادي البحري وأمدوه بالتقنيات الأوروبية المتطورة، وبذلك استعاد الأسطول المغاربي مكانته بفضل التحسينات التي عرفها على المستوى التقني والأداء<sup>(3)</sup>.

5-الأسرى: يمثل الأسرى قاعدة العنصر البشري للجهاد البحري على اختلاف أجناسهم، وقد كانوا يشكلون نخبة من الكفاءات التي لها علم بالملاحة وتقنياتها، ولذلك تم تكليفهم بصناعة السفن وتجهيزها وتسليحها وتنظيفها وكذا تطويرها<sup>(4)</sup>، وكان الاحتراز واجب من هروب الأسرى ومحاولات التمرد التي كانوا يقومون بها من أجل الفرار.

(1) - عبد السلام الحراري، المرجع السابق، ص111.

(2) - Bennassar B. et Bennassar L, les chrétiens d'Allah, l'histoire extraordinaire des renégats. 16<sup>e</sup> et 17<sup>e</sup> siècles, derrin : Paris, 1989, p106.

(3) - عبد السلام الحراري، المرجع السابق، ص 113-115.

(4) - Bennassar B. et Bennassar L, op.cit, p389.

## أساليب الغزو البحري المغاربي ووسائله خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

### ب. الطواقم التقنية:

اعتمد المسؤولون عن البحرية المغاربية في صنع سفن بحرية مختلفة عن البلدان الغربية تعتمد على عاملين أساسيين هما: السرعة في البحر والقدرة على الكر والفر، وعامل الخفة الذي هو العامل الرئيسي في سرعة المراكب، لهذا كانت الأسبكية للغليظة والغاليرة والشباك<sup>(1)</sup>، وتكون الطاقم التقني للبحرية من عدة طوائف نذكرها في ما يلي:

1. طائفة الرياس: يتم اختيار طائفة الرياس وفق مقاييس ومعايير التجربة والشجاعة والإخلاص في إنجاز المهام المنوطة إليهم، إضافة إلى الخبرة التقنية وتنظيم الرجال وتوجيههم، وكانت تقدم لهم عائدات في شكل منح وهدايا كعامل تحفيزي لهم لتحقيق أفضل ما لديهم والانتصار في المعارك التي يخوضونها، وقلت هذه العوائد في القرن (11هـ/ 17 م) بسبب الظروف الاقتصادية السيئة، وبسبب كثرة رجال البحر وقلة السفن<sup>(2)</sup>، إضافة للعائدات التي كان يأخذها الرياس، فقد حظي هؤلاء بمكانة مرموقة في أوساط المجتمع نظرا لشجاعتهم وإقدامهم على خوض الحروب داخل البحر في سبيل الجهاد، مما جعل الكثير من الرجال يرغبون الانخراط ضمن البحرية<sup>(3)</sup>، وكانت عمليات الأسطول تسير تحت إشراف الباشا أو الداوي وهو المسؤول الأول عن تجهيزاته ورجاله، إضافة لتقديمه نصائح وتوجيهات لهم قبل خروجهم<sup>(4)</sup>.

(1) - مولاي بلحميسي، صناعة السفن في الجزائر أيام الأتراك، مجلة الدراسات الأثرية، معهد الآثار جامعة الجزائر: الجزائر، ع. 3، (1995م)، ص 48-49.

(2) - حسن الفقيه حسن، اليوميات الليبية، تحقيق: محمد الأسطي وعمار جحيدر، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية سلسلة نصوص وثائق: ليبيا، (2001م)، ج 1، ص 292.

(3) - محمد عبد السلام الحراري، المرجع السابق، ص 124.

(4) - جورج كابوفين، طرابلس والبندقية في القرن 18، تعريب: عبد السلام مصطفى باش إمام-منشورات مركز دراسات جهاد الليبيين: طرابلس، (1988)، ص 260.

## أساليب الغزو البحري المغاربي ووسائله خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

2. قيادة السفينة: يتأأس السفينة رايس يشرف على طاقهما البحري والعسكري، وتعتمد على عدد كبير من باش رايس، ويتم اختيار خليفة رايس منهم والبقية مخصصون للمهام القيادية والتقنية ولهم في ذلك مساعدون مثل: نائب الخليفة، كبير البحرية، قائد طاقم التجديف وآغا الانكشارية<sup>(1)</sup>.

3. الطاقم الملاحي: وهم المكلفون بالمهام التقنية والملاحية، وهذا قبل وفي أثناء الموسم الجهادي وأغلبهم من العلوج ذي التجربة والخبرة إضافة إلى الأسرى<sup>(2)</sup>.

### 4. الطاقم العسكري: يتكون من مجموعتين:

-مجموعة صغيرة: مسؤولة عن إعداد المدافع وصيانتها وترتيب ذخائرها، والمهمة الأساسية لهم هي في المواجهة من حيث الدقة في التصويب والإصابة.

-مجموعة كبيرة: تتشكل في أساسها من عناصر الانكشارية وبعض العناصر الأهلية، ومهمتهم الانقضاض والمهاجمة<sup>(3)</sup>.

5. طاقم التجديف: يعتبر طاقم التجديف من العناصر والمكونات البشرية الأساسية في طاقم السفن الجهادية نظرا لما في مهمتهم من صعاب لا سيما مع التيارات والاضطرابات البحرية، وقد كان غالبية طاقم التجديف من الأسرى، وكانت عليهم مراقبة شديدة بسبب العدد الكبير لهم وظروف العمل القاسية لهم، فقد كان الاحتراز كبير من طرفهم خاصة من الانقلابات والتمردات، ومن التدابير المتخذة هو تكبيل الأسرى في أيديهم وأرجلهم ولا يفكون إلا بعد انتهاء

(1) - محمد عبد السلام الحراري، المرجع السابق، ص 127.

(2) - نفسه، ص 128.

(3) - حسن الفقيه حسن، المرجع السابق، ج 1، ص 382.

## أساليب الغزو البحري المغاربي ووسائله خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

المعارك، وكانت تتم حراستهم باستمرار منذ انطلاق الحملة إلى غاية عودة السفينة إلى الميناء<sup>(1)</sup>.

### 3. وسائل العمل الجهادي:

تكونت البحرية المغاربية من وحدات عديدة وأصناف مختلفة، منها ما كان من غنائم الحروب والبعض الآخر اشتراه أصحابه من خارج البلاد، أو كان عبارة عن هبة من ملوك وسلاطين المسلمين لدعم الجهاد، إلا أن أغلبية السفن كانت بصناعة محلية، ونظرا لاشتداد الضغط الحربي فقد أنجبت البحرية مجموعة متنوعة ذات طابع تقني رفيع، وأهم هذه العناصر وأبرزها سنتطرق إليها في ما يلي:

أ. أنواع السفن: عرفت منطقة المغرب أنواعا متعددة من السفن، حيث يذكر منور مروش أن أهم السفن التي انتشرت، والتي أولاها الرياس اهتماما كبيرا تتمثل في الفرقاطات والكوربيطات والسفن من نوع البريك<sup>(2)</sup>. فخلال القرن (10هـ/16م)، كانت السفن المفضلة هي سفن الشيني، واعتمدت طائفة الرياس إضافة إلى الشينيات على سفن أخرى صغيرة وخفيفة منها<sup>(3)</sup>:

- الغاليرة (Galère): أو القادرغة هي نوع من السفن ذات المجاديف، مستديرة الشكل طولها 120 على 140 قدم وعرضها 14 على 20، تعد من السفن الصغيرة ذات صفين من المجاديف الطويلة والمنبسطة الشكل ذات مستوى غطس قليل، تحتوي على صاريتين وهي خالية من الجسر، استعملت

(1) - محمد عبد السلام الحراري، المرجع السابق، ص 129.

(2) - المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني (القرصنة الأساطير والواقع)، ج2، دار القصبه للنشر: الجزائر، (2009)، ج2، ص 403.

(3) - عائشة غطاس، العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر (1619-1694م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، إشراف: مولاي بلحميسي، غير منشورة، جامعة الجزائر: الجزائر، (1984)، ص 98.

## أساليب الغزو البحري المغاربي ووسائله خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

خلال القرون (10-11-12هـ/16-17-18م)، بها مجاديف بدون أشرعة استعملها رياس البحر لمباغطة السفن المعادية<sup>(1)</sup>.

- الشيني: تتميز بكونها طويلة وسريعة الحركة سهلة التوجيه، ذات الصاري الواحد، تسير بالأشرعة والمجاديف ويتراوح عدد مقاعدها ما بين 24 و28 لكل مقعد مجدافان، ويقوم على كل مجداف أربعة أو خمسة رجال، ونظرا لاستوائها وعدم ارتفاعها فإنها كانت عرضة للتبلل والأمواج بمجرد اضطراب البحر، وينزع منها غالبا طرف المؤخرة، أما من الأمام فلم يكن هناك سوى مدفع المقدمة وبها فتحات نشرت في هيكل السفينة لتميرير المجداف التي تمنح سرعة إضافية عند المتابعة أو الانسحاب، وقد جعلتها خفتها تنزلق فوق الماء حتى شبيهها البعض بالعصافير لحركتها السريعة واندفاعها المفاجئ نحو أهدافها<sup>(2)</sup>.

- الجفن (Vaisseau): وهي سفينة حربية بطيئة الحركة لكبر حجمها وكانت تستعمل في بحار الهند وأنها، دائرية الشكل، بها صار ذو قلع مربع، ثم أضيف لها آخر ذو قلع مربع في المؤخرة، ثم أضيف الأردمون وكان يعلو قلاع لاتيني، وقد قدرت حمولتها بمائتي طن، يصل عدد بحارتها مائة بحار<sup>(3)</sup>، ويخبرنا مؤلف كتاب غزوات عروج، أن بربروس قبل مجيئه للجزائر صنع جفنا، وبذلك كان الأخوان عروج وخير الدين هما أول من صنعا هذا النوع من السفن بتونس أولا ثم الجزائر لاحقا. كما ساهم القرصان سيمون دانسا في

(1) - Moulay Belhamissi : Marine et marins d'Alger, bibliothèque nationale d'Alger : Alger, 1996, T 1, pp 100-101.

(2) - نعيمة بوحمشوش، مساهمة البحرية الجزائرية في الحروب العثمانية خلال القرن السادس عشر، مجموعة دراسات تحت إشراف: ناصر الدين سعيدوني، 5، القايلة للنشر والتوزيع: الجزائر، (2016م)، ص 112.

(3) - ابن بطوطة، تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج2، موقف للنشر وحدة رعاية للطباعة والنشر: الجزائر، (1990)، ص 14؛ عبد الحليم سرحان، نظرات حول السفن الحربية الجزائرية في العهد العثماني دراسة هستوريوغرافية، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية: الجزائر، ع. 09، (جويلية 2015م)، ص 182.

## أساليب الغزو البحري المغاربي ووسائله خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

تطوير هذا النوع من السفن، حيث جعل الأجناف أكثر استدارة ومتانة عن ذي قبل، الأمر الذي ساعد على ازدهار البحرية<sup>(1)</sup>.

- الشباك (Chébec): تحتوي على ثلاثة صواري و30 مجدافا وتحمل على الأقل 200 طن، محملة بطاقم من 30 إلى 200 رجل مجهزة من 4 إلى 24 مدفعا، تتميز بسهولة الاستعمال والسرعة الكبيرة التي تفوق عدة سفن أخرى، تميزت في الملاحة مما جعل الجزائريون يخصصونها للحرب الخاطفة، يصفها القنصل الإنكليزي دي كوسي في مذكراته سنة 1791م بأنها جد خفيفة، ولا تستطيع أية فرقاطة أوروبية اللحاق بها، قبل أن تجد مأوى لها في مكان آمن، شكلها الرشيق وأشرعتها الضخمة جعلها منها سفينة رهيبة تتلاعب بالسفن التجارية الأوروبية الضخمة، كما يمكنها الإفلات من السفن الحربية دون عناء<sup>(2)</sup>.

- الشختورة (Polacre): وهي من السفن الشراعية، صغيرة الحجم تحمل ثلاثة صوار ذات قلوب مربعة الشكل، تحمل أربع مائة طن، صنعت ترسانة الجزائر هذا النوع من السفن على عهد عل باشا بوصباع بداية سنة 1760م، كما استطاعت الجزائر سنة 1798م صنع أربع شخاتير تحمل على ظهرها ما بين ستة مدافع واثنين وعشرين مدفعا<sup>(3)</sup>.

- الفرقاطة (Fregata): وهي سفينة صغيرة، ذات مجداف، كان لها دور القارب في القرن (10هـ/16م)، وحتى القرن (11هـ/17م)، وأحيانا تسمى بالزورق الخاص بالسفينة، هناك فرقاطان: كبيرة لها 12 مقعدا ومجدافا، أما الصغيرة

(1) - مجهول، غزوات عروج وخير الدين، تعليق: نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعلبية والمكتبة الأدبية: الجزائر 1930م، ص14؛ عبد الحليم سرحان، نظرات.....، المرجع السابق، ص 182.

(2) - ميمم داود، الجيش الجزائري خلال الفترة العثمانية تنظيمه وعدته (1518م-1830م)، أطروحة دكتوراه العلوم في الآثار الإسلامية، إشراف. بويحيوي عز الدين، جامعة الجزائر 2: الجزائر، (2015-2016م)، ص 364.

(3) - عبد الحليم سرحان، نظرات.... المرجع السابق، ص 186.

## أساليب الغزو البحري المغاربي ووسائله خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

فلها مقاعد ومجدفين أي 12 مجدافا، ففي القرن (11هـ/17م)، نصب عليها مدافع، وزاد حجمها لتصل طاقتها إلى 40 رجلا. أما في القرن (13هـ/19م) فقد أصبحت الفرقاطة سفينة حربية كبيرة تحمل من 40 إلى 60 فوهة-أي مدفع- من العيار الكبير<sup>(1)</sup>.

- الشطية (Saëtte): وهي سفينة ذات صوار مجهز بمنجنيقين للأغراض الحربية أو التجارية أو للصيد والنقل وهي قوية كانت تستخدم في البحر الأبيض المتوسط في القرون الوسطى، وهي سفينة صغيرة وسريعة في السفر والمناورة، وعليها ثمانون مجدافا ومن مهامها التعرف على الموانئ وجلب الأخبار إلى السفن، وهي من أهم الشرايعيات ذات الصاريتين، في البحر المتوسط خلال القرن (11هـ/17م)، ثم تطورت وأصبحت طويلة قليلا، استعملها الإسبان لنقل الأسلحة وتزويد السفن الضخمة، تتراوح حمولتها بين 100 و150 طن ويبلغ طولها أكثر من 22.50م وعرضها 8.50م وعمقها 1.50م ويمكنها أن تحمل أربعة وثلاثين مدفعا، أما بحارتها فلا يتجاوز عددهم 130 على اعتبار عدد المجاديف والطاقم العامل على ظهرها، ومن خلال البحث الذي قدمه دوفوليكس عن البحرية الجزائرية في العهد العثماني، أن الأسطول الحربي استعمل أعداد معتبرة من الشطيات لحماية الشواطئ بداية من سنة 1674م<sup>(2)</sup>.

(1) - محمد الأمين عطالي ، نشاط البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر وأثره في العلاقات الجزائرية الفرنسية، رسالة ماجستير في تخصص التاريخ الحديث، إشراف. عمار بن خروف، غير منشورة ، جامعة غرداية: الجزائر، (2011)، ص76.

(2) - نقلا عن عبد الحليم سرحان، نظرات...، المرجع السابق، ص ص 186-187.

## أساليب الغزو البحري المغاربي ووسائله خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

- الدانكيز (Dantzik): وهي سفن تحتوي على ثمانية وخمسين مدفعا كانت تحصلت الجزائر على هذا النوع من السفن إما عن طريق الجهاد أو على شكل الهدايا كانت تقدم لها من طرف الدول الأوروبية<sup>(1)</sup>.

- البولاكلر (Polacre): سفينة متكونة من ثلاثة صواري وشرع واحد مربع الشكل<sup>(2)</sup>.

- البرغانتى (Brigantin): وهي سفينة كبيرة استعملت بكثرة من قبل الأسطول الجزائري في عملية الجهاد البحري خلال القرن السادس عشر ميلادي<sup>(3)</sup>. وهي أصغر حجما من الغليون، لكنها تشبهها في الشكل والحجم، تحمل شرعا واحدا<sup>(4)</sup>، ولها من ثمانية إلى ستة عشر مقعدا للمجدفين، وقد تميزت مجاديفها بالطول والدقة الأمر الذي يساعد على سرعة حركتها<sup>(5)</sup>.

- اللنجور: وهي عبارة عن زورق حربي حامل للمدافع، لعبت دورا كبيرا في تاريخ البحرية<sup>(6)</sup>. وكان الداى محمد عثمان أول من صنع هذا النوع من السفن بالجزائر سنة 1783م، وقاتل به الإسبانيين<sup>(7)</sup>.

(1) - جون وولف، الجزائر وأوروبا 1500م 1830، ترجمة وتعليق: أبو القاسم سعد الله، الجزائر، دار الرائد: (2009)، ص 183-184.

(2) - جودي إسماعيل، الصناعة العسكرية في العهد العثماني 1518-1830، رسالة مكملة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث: الجزائر، (2009)، ص 185.

(3) - جون وولف، المرجع السابق، ص 183.

(4) - محجوبي زهرة، أهم مراكز الصناعة البحرية الجزائرية خلال العهد العثماني (1529-1830م) و تفاعلها مع جوانب الحياة"، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية: ع 1، (جانفي 2019م)، ص 50.

(5) - عبد الحلیم سرحان، تطور... المرجع السابق، ص 123.

(6) - محمد الأمين عطلي، المرجع السابق، ص 78.

(7) - عبد الحلیم سرحان، تطور...، المرجع السابق، ص 149.

## أساليب الغزو البحري المغاربي ووسائله خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

- الفلوكة (Felouque): وهو مركب صغير، يحمل شراع واحد مثلث الشكل، لا تصلح للإبحار في المسافات البعيدة، وهي سفينة مجدافية عددها من 6 إلى 10<sup>(1)</sup>.

- تارتان (Tartan): سفينة صغيرة تشبه شبك، لها صاري واحد، وشراع وأحبال على شكل أعمدة، لها شراع مثلث الزوايا في الأمام مربوط في القاطعة، وانتهت لتكون باخرة نقل وصيد<sup>(2)</sup>. وهي من المراكب الجزائرية الصغيرة المتوسطة المصنعة في ترسانة الجزائر، وقد ظهر هذا النوع بداية القرن (11هـ/17م)، في البحر المتوسط<sup>(3)</sup>.

- الغليوطة (Galiote): سفينة صغيرة تمتلك خصائص الغاليرة، تتميز بشكلها الدائري من الأمام والخلف، صنع العديد منها في مرفئ الجزائر وهذا بمادة الخشب التي يتم إحضارها من مدينة شرشال، تتسع ل 12 إلى 24 مقعدا في الجهتين يركبها من 40 إلى 130 رجلا، كما كانت تتسلح ب 20 إلى 10 قطع من المدفعية، تمتاز بسرعتها الكبيرة لأنها مدفوعة بقوة المجاديف<sup>(4)</sup>.

- البريق (Brick) وهي قطعة ذات حمولة صغيرة، له صاريان يعلوهما شراعان مربعان<sup>(5)</sup>. وتسمى البريجة وقد استعمل هذا اللفظ في القرن 19 للدلالة على نوع من السفن الحربية الخفيفة العاملة في البحر الأبيض المتوسط، والإبريق أحد قطع الأسطول الحربي الجزائري الأقل حمولة من

(1) جودي، المرجع السابق، ص 185.

(1) محمد الأمين عطلي، المرجع السابق، ص 79.

(3) عبد الحليم سرحان: تطور... المرجع السابق، ص 141.

(4) - De Haedo Fray Diego, Topographie et Histoire générale d'Alger, traduit de l'Espagnol par MM. le Dr. Monneret et A. Berbrigger, in R.A : Alger, (1870), n14, pp 76-88.

(5) - ميمون داود، المرجع السابق، ص 367.

## أساليب الغزو البحري المغاربي ووسائله خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

الفرقاطة، وقد تراوحت حمولته ما بين 150 و300 طن في السفن الكبيرة و70 طن في السفن الصغيرة وبلغ طولها حتى 24.12م وعرضها 9م وعمقها 4.60م في الأباريق ذات العشرين مدفعا و29.28م طولاً و8.74م وعمقاً 4.35م عمقا في السفن ذات الستة عشر مدفعا و30.11م طولاً و8م عرضاً و3.85م عمقا في الأباريق ذات العشر مدافع، وتأتي هذه السفينة في المرتبة الثالثة من حيث الأهمية بعد الفرقاط والفراويط<sup>(1)</sup>.

- الغراب: هي قطعة بحرية ذات 24 مجدافا، كل واحد عليه 4 مجداف، وهو من الحجم الكبير<sup>(2)</sup>.

- بومبارد (Bombard): وهي سفينة صغيرة حربية، لها صواري تشبه الغليون، مزودة بالقنابل، والتي تدل على اسمها "مقنبلة"، لها صاري كبير ذي أشعة مربعة، وصاري بالمؤخرة يعمل شرعا واحدا، وفي المقدمة شرع واحد كبير مثلث الزوايا<sup>(3)</sup>.

- الحارقة (Brulot): وتدعى سفينة النار، وهي السفن الخفيفة التي تحمل أدوات القتال وبالخصوص المنجنيقات، وحارقة مصطلح يستخدم للدلالة على السفن الحربية التي تملأ بالمواد الحارقة لإطلاقها على سفن العدو، وهي تلي الشواني من حيث الأهمية، وقد قامت ترسانة الجزائر بصناعة هذا النوع من السفن.

(1) - عبد الحليم سرحان، تطور... المرجع السابق، ص 125.

(2) - يحي بوعزير، الموجز في تاريخ الجزائر، دار الطليعة للطباعة والنشر: الجزائر، (1965م)، ج 1، ص 149.

(3) - Pierre Grand champ, Documents relatifs à la révolution de 1864 en Tunisie. Edité par Impr. J. Aloccio : Tunis, 1935, p86.

## أساليب الغزو البحري المغاربي ووسائله خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

- السكونة (Goélette): سفينة شراعية ذات شراعين وأكثر استخدامها كان حربيا وتجاريا وتحوي 24 مدفعا، وتتميز بالخفة والسرعة فحمولتها تتراوح بين 300 إلى 250 طن وهي أنسب للغزو والحملات الحربية<sup>(1)</sup>.

- القرقور (Caraque): من السفن الحربية الكبيرة وهو بطيء الحركة بسبب حجمه، وأهم ما يميزه أنه يتكيف مع كل الظروف، وتم تطويره في القرن (10هـ/16م)، ليصبح من السفن التجارية، ولم تكن هناك اشارات كثيرة حوله في الكتب إلا بعض ما ذكره الشريف الزهاري في مذكراته<sup>(2)</sup>.

- القادس (Galère): ويطلق عليه أيضا لفظة القادرغة، يعد إحدى السفن النموذجية التي كان استعمالها شائعا في الملاحة المتوسطية منذ القرون الوسطى، وتطورت في القرنين السادس عشر والسابع عشر فصارت نموذجا عالي الكفاءة وأكثر ملاءمة للاستعمال الحربي، يتراوح طوله بين 40 و50 متر وعرضه 6 أمتار، وجسرها قليل الارتفاع على سطح الماء، وتحتوي على صاريين رئيسي في الوسط والثاني عند الجؤجؤ مجهزان بشراعين كبيرين، تتركز قوة دفعها في الوسط بين جناحي الكوثل والجؤجؤ بها صفان يضمنان من 50 إلى 70 مجذاف، وقد قلص المجاهدون حجمها وعدد مجاذيفها من أجل زيادة سرعتها وخصصوا حمولتها للعتاد العسكري والطاقم التقني للإنكشارية<sup>(3)</sup>.

- الغليون (Golion): شاع استعماله كثيرا وهو عبارة عن سفينة مجدافية مدعمة بالشراع استخدمت لنقل حمولات البضائع الثقيلة والقوات العسكرية، وعرف بسرعته وصغر حجمه .

(1) - زهرة محجوبي، المرجع السابق، ص 52.

(2) - نفسه، ص 56.

(3) - عبد السلام محمد الحراري، المرجع السابق، ص 66.

## أساليب الغزو البحري المغاربي ووسائله خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

- الغليوطة (Galioia): تعتبر من فئة القوادس إلا أنها أكثر خفة وبالتالي أكثر سرعة وهي مجهزة بصار واحد ولا تحتوي على برج على الجؤجؤ وقد استخدمت في القرن السادس عشر كسفن هجومية وتم تدعيمها بقوة مجذافية فيها حوالي 18 و24 مقعد، وطاقمها القتالي يصل إلى 200 رجل مجهزة بالبنادق والأقواس والسيوف إضافة إلى المدفعية<sup>(1)</sup>.

- الدعومة (بريغانتين) (Brigantin): وتسمى أيضا البركنتي<sup>(2)</sup> تندرج ضمن نوع القادس رغم صغر حجمها وكان اعتمادها على الشراع والمجداف وبها صاربان في المقدمة والوسط ومدافعها تتراوح بين 12 و20 قطعة، وطاقمها لا يتجاوز 100 رجل<sup>(3)</sup>.

- الغلاسة (Galeasse): سفينة من الحجم الكبير، مجهزة بثلاث صواري قوتها على الأشرعة أكثر من المجاذيف، وبرجها العالي جعلها حصن عائم على البحر.

- الطريدة أو الترتانة (Tartane): ظهرت في القرنين (10-11هـ/16-17م) وهي سفينة صغيرة الحجم سريعة الحركة وهي مشكلة على شكل براميل بدون سطح وهي مجهزة بصاري واحد يحمل شراعا لاتينيا، مجهزة بمدفعية تصل إلى 20 قطعة وطاقم تقني مكون من 60 مقاتل<sup>(4)</sup>.

(1) - عبد السلام محمد الحراري، المرجع السابق، ص 68.

(2) - زهرة محجوبي، المرجع السابق، ص50.

(3) - عبد السلام محمد الحراري، المرجع السابق، ص68.

(4) - عبد السلام محمد الحراري، المرجع السابق، ص 69-71.

## أساليب الغزو البحري المغاربي ووسائله خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

- القربيطة (Corvette): سفينة حربية متكونة من أشرعة ومجاذيف وثلاثة صواري، أما طولها فيتراوح بين 22 و25 متر وعرضها 8 متر، وتحمل من 20 إلى 40 مدفعا<sup>(1)</sup>.

- الزورق (Canonnière): سفينة ذات حجم صغير وهي من صنع محلي، وليس بها أشرعة ومفتوحة، وهي معدة للدفاع دائما وخاصة في حالات الطوارئ، فهي على أهبة الاستعداد دائما وكانت منتشرة بكثرة في البحرية الجزائرية<sup>(2)</sup>.

- الخفاف (Pinasse): سفينة متوسطة الحجم وسريعة الحركة تستعمل للصيد، بها جؤجؤ مربع الشكل بها 3 صواري مما جعلها تجمع بين قوة التجذيف والشرع، ومجهزة بمدفعية تفوق 10 قطع<sup>(3)</sup>.

- السنبوق (Sambouk): هو زورق صغير مفتوح تماما، ضيق ودقيق المقدمة وعريض جدا بالمؤخرة، له صاري واحد يستعمل عليه شرع لاتيني كبير جدا، وقدرة استيعابه تتراوح ما بين 80 إلى 180 طن.

- فلوكة (Felouque): سفينة صغيرة لها شرع واحد وبها عشرة مقاعد، ومجهزة بـ 6 مدافع، وتحوي من 6 إلى 10 مجذفين.

- الصندل (Sandale): وهو نوع من السفن ذات تصنيع محلي، بطول يصل إلى 12م وعرض 2.85م وعمقه 1م، يتسع لأكثر من ثمانية أفراد، مجهزة بمدفع واحد فقط، وتصل قدرة حمولته إلى 15 طن.

- القارب (Carèbe): زورق صغير يعتبر مساعد للبحرية وهو من ملحقات الأسطول الحربي استعمل في جميع أعمال البحرية وهذا لأنه سريع الدوران والمناورة، رغم صغر حجمه إذ لا يتعدى طوله 10 أمتار وعرضه 2م<sup>(4)</sup>.

(1) - زهرة محجوبي، المرجع السابق، ص56.

(2) - نفسه، ص58.

(3) - عبد السلام محمد الحراري، المرجع السابق، ص71.

(4) - زهرة محجوبي، المرجع السابق، ص59.

## أساليب الغزو البحري المغاربي ووسائله خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

أما عن تسليح السفن فإن النصوص المعاصرة للقرن السادس عشر تفيد بأن نوع الفرقاطات والشبيكات والغليوطات والبركنتي التي استعملت في هذا القرن كانت مجهزة بستة إلى عشرة مقاعد للتجديف حسب قول وولف،<sup>(1)</sup> وثمانية إلى ثلاثة عشر حسب هايدو<sup>(2)</sup>، وكان يجذف بها نفس الأشخاص المحاربين الذين ركزوا غاراتهم على السواحل الإسبانية، وهو ما دفع هايدو إلى اعتبارهم من المهاجرين الأندلسيين الذين رفضوا اعتناق المسيحية والراغبين في الثأر لأنفسهم، لكننا نعتقد أن نسبة هذه الأعمال للأندلسيين وحدهم أمر غير منصف للمغاربة خاصة وكما هو معروف أن مدينة بجاية والجزائر ووهران كانت تقوم بتسليح مثل هذه السفن منذ القرن الخامس ميلادي، ويمكن القول أن عدد السفن تزايد ووصل في أواخر الثلاثينيات من هذا القرن إلى خمسة وأربعين سفينة، لكن لم يتم معرفة تسليحها ماعدا النوع المعروف والمصنوع بشرشال فقد تراوحت مدافعه ما بين الواحد والثلاثة مدافع<sup>(3)</sup>.

اعتمد المسؤولون عن البحرية الجزائرية في صنع سفن بحرية مختلفة عن البلدان الغربية تعتمد على عاملين أساسيين هما: السرعة في البحر والقدرة على الكرواوفر، وعامل الخفة الذي هو العامل الرئيسي في سرعة المراكب، لهذا كانت الأسبقية للغليوطة والغاليرة والشباك<sup>(4)</sup>، ومن أهم مراكز الصناعة البحرية هو المتواجد بمدينة الجزائر والذي يضم ورشتان<sup>(5)</sup>، ورشة باب الوادي

(1) - جون وولف، المرجع السابق، ص 185.

(2) - Haedo, Topgraphie..., op.cit, p 51.

(3) - حسن الوزان، المصدر السابق، ص 38.

(4) - مولاي بلحميسي، صناعة السفن ...، المرجع السابق، ص ص 48-49.

(5) - محجوبي زهرة، المرجع السابق، ص 48.

## أساليب الغزو البحري المغاربي ووسائله خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

لإنجاز الوحدات الكبيرة وورشة باب عزون للقطع الصغيرة<sup>(1)</sup>، ويوجد أيضا مراكز الصناعة بشرشال وبيجاية<sup>(2)</sup>.

وبعد التطور الذي طرأ على البحرية الجزائرية في بداية القرن (11هـ/17م) أدى إلى رفع قوتها النارية حيث أصبحت أسلحة الشبيكات تصل إلى الأربع وعشرين مدفعا<sup>(3)</sup>. كما يمكن القول بأن نوعية السفن التي كانت تصنع في الجزائر، تميزت بعدة خصائص، كصغر حجمها وسرعتها الفائقة<sup>(4)</sup>، التي مكنتها من القيام بالهجوم على سفن الأعداء، وسهولة الانسحاب<sup>(5)</sup>، حتى في الظروف المناخية غير المواتية مما ساعدها ذلك في الحركة المستمرة وعدم الارتهاق للعامل الطبيعي<sup>(6)</sup>.

من خلال دراستنا لأنواع سفن الأسطول المغاربي يمكن القول أن الحكام استطاعوا بناء بحرية على النمط الحديث، مستفيدين قدر الإمكان من التحسينات التي طرأت على قطع الأسطول الحربي على الصعيد العالمي، حيث اهتم الأسطول بإدخال مثلث الصواري ذي القلوع المربعة المركبة التي توفر مجالا أوسع في أحكام ضبط نسبة القلوع إلى قوة الريح، و يلاحظ سيطرة السفن ذات الصاريين مثل البريك والقربطة والغليوطة ذات الأشرعة المفتوحة

(1) - مولاي بلحميسي، صناعة السفن...، المرجع السابق، ص51.

(2) - محجوبي زهرة، المرجع السابق، ص ص49-50.

(3) - درياس لخضر، المرجع السابق، ص 195.

(4) - حسن ايميلي، المرجع السابق، ص 101.

(5) - أرزقي شويتام، دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي 1519-1830م، دار الكتب العربي

للطباعة: الجزائر، ط1، (2007م)، ص 46.

(6) - حسن ايميلي، المرجع السابق، ص104.

## أساليب الغزو البحري المغاربي ووسائله خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

على البحرية الجزائرية، وهي نفس السفن المستخدمة في الأساطيل الحربية الأوروبية<sup>(1)</sup>.

ب. السفانة: لإنشاء أسطول توجد العديد من المستلزمات التي يجب توفيرها، منها:

- جسم السفينة: إذا لزم الأمر لصناعة سفينة قاردغة، تنفق الحكومة خمسين أو ستين ألفا من الدراهم الفضية (أقجة) وذلك من أجل شراء الخشب اللازم من الأعمدة والمجاديف، وجسم السفينة، ولصناعة قاردغة يستلزم أربعمائة لوحة خشبية، وطول كل لوحة خشبية اثنا عشر ذراعا مصنوعة من جذوع شجرة الصفصاف أو الزان، وكلما كانت اللوحات جافة وسليمة كان ذلك أفضل<sup>(2)</sup>.

- الهيكل: يمثل الجزء الخارجي من السفن، وهو يصنع من خشب أشجار الصنوبر، لاسيما في البحر المتوسط وكانت السفن التجارية الكبيرة يُختار لها خشب الصنوبر بطبقة من خشب البلوط حتى تحتل السفن عملية الشد والجذب إلى الشواطئ والموانئ<sup>(3)</sup>.

- مقدمة السفن ومؤخرتها: تحمل المقدمة فتحة المرساة التي تغير موقعها وتطور شكلها، وتغط في كثير من الأحيان بمعدن الحديد لمنع احتكاكها بالحبيل، وهي تقع في العادة خلف العيون الرمزية، بينما تمثل المؤخرة الجزء الخلفي

(1) - أحمد الشريف الزهار، مذكرات، تحقيق: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع: الجزائر، (1974م)، ص 29؛ عبد الحليم سرحان، نظرات... المرجع السابق، ص 188.

(2) - حاجي خليفة، المصدر السابق، ص 214.

(3) - عبد الحليم سرحان، صناعة السفن... المرجع السابق، ص 106؛ سعاد ماهر، البحرية في مصر الإسلامية وأثارها الباقية، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر: القاهرة، مصر، (د.ت.ن)، ص 168.

## أساليب الغزو البحري المغاربي ووسائله خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

من السفن الذي ينتهي بشكل رمزي بأنه حاد لتسهيل حركة السفن، والمؤخرة أقل قوة وثقلا من المقدمة<sup>(1)</sup>.

أما في العهد العثماني فأصبحت المقدمة أقل ارتفاعا من المؤخرة التي بنيت بأعلامها ظلة لجلوس المقاتلين وهي رواق خشبي أسطواني مسقوف، فتحت على كل جانب منه عشر فتحات للتهوية، كما فتحت أسفل هذا الرواق ثلاث فتحات مربعة الشكل على كل جانب من جانبي السفن للمدفعية الخلفية، كما توج السقف بسراج للإنارة في الليل على الرغم من خطورة استعماله لجلب انتباه العدو، وقد كان مستخدما على السفن بأمر من خير الدين (بن يعقوب (بربروس))<sup>(2)</sup>.

- المسامير: تستهلك سفينة القارذغة حوالي مائة قنطار من المسامير، وإذا اقتصد في الاستعمال يمكن الاكتفاء بثمانين قنطار، كما أن السفينة التي يطلق عليها (باشتارده) تستهلك حوالي خمسمائة قنطار مسامير، وتساوي الأوقية من المسامير 14 درهما فضيا، والقنطار يساوي 616 درهما فضيا<sup>(3)</sup>.

- تجديد حدائد مرساة السفينة: تحتاج سفينة قارذغة عدة مراسي، تصنع كل مرساة من سبعة أو ثمانية أو تسعة قناطير من الحديد، وتحتاج السفينة المسماة (ماووفنا) إلى مرساة ذات خطافين، وكل مرساة تزن ستة عشر قنطارا، وتحتاج أيضا إلى مراسي ذات أربع خطاطيف، وكل واحدة منها تزيد عن اثني

(1) - عبد الحليم سرحان، صناعة السفن... المرجع السابق، ص106؛ حسن الباشا، موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، أوراق شرقية: بيروت، ج2، ص ص 331-332.

(2) - عبد الحليم سرحان، صناعة السفن... المرجع السابق، ص107؛ مؤلف مجهول، غزوات... المصدر السابق، ص 24.

(3) - حاجي خليفة، المصدر السابق، ص 242.

## أساليب الغزو البحري المغاربي ووسائله خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

عشر قنطارا، وتشترى هذه المراسي بنقود الدولة، والمرساة لا تبلى إلا إذا انقطعت الحبال وظلت في قعر البحار<sup>(1)</sup>.

- الحبال: يعطى للسفينة الواحدة حبال مختلفة الأنواع الغليظة والرفيعة، فالحبال التي تربط بها المراسي غليظة، وكل حبل مربوط بها طوله ثمانون ذراعا، وتزن من سبعة إلى تسعة قناطير، ويلزم حبال لحام لربط الحبل الغليظ بالمراسي الأربع، وكل واحد منها يزن ثلاثة قناطير، وتلزم أربعة حبال غليظة لربط السفينة بالبر، ولكل واحد منها سبعون ذراعا، إلى جانب الحبال الحديدية التي توجد في كل سفينة قاردغة، عددها خمسة يغير ثلاثة منها، ويظل اثنان في كل سنة، والحبال الأربعة التي تربط بها المراسي أو الحبال الغليظة التي تربط السفينة إلى البر، تغير اثنان منها، ويظل اثنان كل عام، ولكن الحبال الرفيعة تغير كل سنة، وأما الحبال القصيرة التي تربط الأشرعة تغير كل سنتين مرة<sup>(2)</sup>.

- السُكَّان: نسبة إلى أنها تسكن به الحركة والاضطراب وهو الكوثل والخيسفوجة<sup>(3)</sup>، وهو ذنب السفينة<sup>(4)</sup>، أو الدفة موجه السفينة، والسكان كلمة هندية الأصل وأصلها سكانجي وهو قطعة خشبية توضع بمقاييس خاصة فنية، ومكان السكان يقع في مؤخرة السفينة من الخارج، ومكانه معروف وشكله عريض، من أسفل ومستطيل من أعلى لهذا يسمى الجانب الأعلى منه برقية السكان<sup>(5)</sup>.

(1) - حاجي خليفة، المصدر السابق، ص 242.

(2) - نفسه، ص 243.

(3) - ابن سيده، المخصص، تحقيق: لجنة التراث العربي، دار الآفاق، بيروت، (د. ت)، ج 3، ص 24؛ سعاد ماهر، المرجع السابق، ص 167.

(4) - الرازي، مختار الصحاح، رتبته. محمود خاطر، المطبعة الأميرية: القاهرة، ط 5، (1916م)، ص 307.

(5) - بدر بن أحمد الكسادي، القاموس البحري، مراجعة: حسن صالح شهاب، المجمع الثقافي: أبوظبي، (2004م)، ص ص 78-79.

## أساليب الغزو البحري المغاربي ووسائله خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

- الأشرعة المختلفة: لسفينة قادرعة ثلاثة أشرعة، الشراع الكبير ويطلق عليه (منجي الأرواح) يفتحونه لرفع السفينة الجامحة على الرمل حتى لا يدخل الرمل أسفل السفينة، يتكون من إحدى وسبعين قطعة، ويصنع من قماش يساوي 1400 ذراعاً، والشراع الأوسط يصنع من قماش يساوي 1200 ذراعاً، كما يطلق عليه شراع العواصف لأنه يستخدم عند هبوب العواصف، وهذا الشراع مستدير الشكل، ويبدو كأنه مثلث، هذا الشراع في العمود الأمامي في السفينة، وشكله مربع، وكل شراع كذلك، ويصنع من 600 ذراع قماش وهو دائم الاستخدام<sup>(1)</sup>.

- الشراع الكبير: يطلق على أكبر شراع من أشرعة السفينة، كيفما كان شكله ونوعه مربعاً أو مثلثاً، وأكثر استعماله عندما تهب الرياح من الجهة الخلفية للسفن وهي في طريق سيرها، هذا الشراع يساعد على سرعة الحركة، وقطع المسافات<sup>(2)</sup>.

- الشراع الوسطي: أصغر من الشراع الأول في طوله وعرضه، ويستعمل عندما تزداد شدة الرياح والسفن مشحونة بالمقاتلين والعتاد وهو لا يختلف عن سابقه إلا من حيث صغره في عدد قطع القماش، وأحياناً قد يسمى الوسطي بالشراع الكبير، وهذا عندما لا يكون هناك شراع أكبر منه وهذا نادر<sup>(3)</sup>.

- الشراع الصغير: أصغر شراع في السفن، ويستعمل عندما تزداد حدة الرياح وتتلاطم أمواج البحر ببعضها البعض، وعندما يكون الريح معاكساً لخط السير، وهذا هو الشراع الثالث، وتختلف الأشرعة في طولها وعرضها،

(1) - حاجي خليفة، المصدر السابق، ص 243.

(2) - عبد الحليم سرحان، صناعة السفن... المرجع السابق، ص 113؛ بدر بن أحمد الكسادي، المصدر السابق، ص 112؛

Brunot (L), La mer dans les traditions et indigènes Arabat et Salè : Paris, p 258.

(3) - بدر بن أحمد الكسادي، المصدر السابق، ص 112-113.

## أساليب الغزو البحري المغاربي ووسائله خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

وهي جميعا مكملة لبعضها البعض، كما تعتبر العناصر الرئيسية في تحريك السفن الشراعية<sup>(1)</sup>.

- المظلة: تحتاج كل سفينة من نوع قاردغة إلى مظلتين، وكل مظلة تصنع من قماش غليظ، وكل مظلة تحتاج إلى خمس وستين قطعة تصنع من قماش غليظ، وكل قطعة تساوي خمسة عشر ذراعا، وإذا احتاج الأمر في وقت نزول المطر، فيبسطون مظلة فوق مظلة، وأشربة ومظلات السفن المسماة (باشتارده) و(ماوونا) من نفس النوع<sup>(2)</sup>.

- جوف السفينة: يقع الجوف في الأسفل<sup>(3)</sup> ونجد به الجمرة وهي الموضع الذي يجتمع فيه الماء الراشح<sup>(4)</sup>، والسلوفية مقعد الريان من السفينة، وكانت التجهيزات التموينية تخزن هناك فضلا عن التجهيزات الحربية من ذخائر وقنابل وما إليها، وكانت بعض السفن مزودة بالقمرات، وهي غرف خشبية مخصصة للطاقم ينزل إليها بواسطة السلالم، يراعى في بنائها الطول والعرض العام، كما يطلق على بطن السفينة من الداخل بصورة عامة، ويقال أيضا خن قدام، وخن وراء، وخن تعني المكان الذي توضع فيه الحمولة فالأول يقع في الثلث الأول من السفن والثاني في الوسط وأحيانا في المؤخرة<sup>(5)</sup>.

- قانون التجديد: يجدد الشراع كل ثلاث أو أربع سنوات، كما أن المظلتين تجدد إحدهما في كل سنة، وتظل الأخرى من غير تجديد<sup>(6)</sup>.

(1) - بدرين أحمد الكسادي، المصدر السابق، ص 113-114؛ Brunot (L), op, cit, p 259.

(2) - حاجي خليفة، المصدر السابق، ص 243.

(3) - عبد الحليم سرحان، صناعة السفن... المرجع السابق، ص 108؛ سعاد ماهر، المرجع السابق، ص 168؛

الباشا حسن، المرجع السابق، ج 2، ص 331.

(4) - ابن سيده، المصدر السابق، ص 26.

(5) - الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ضبط. يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر: سوريا، 1995م، ص 476؛ بدر

بن أحمد الكسادي، المرجع السابق، ص 41 51.

(6) - حاجي خليفة، المصدر السابق، ص 243.

## أساليب الغزو البحري المغاربي ووسائله خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

- الصاري: يسميه أرباب السفن في بحر الصين وغيره من البحر الحبيشي، ويسميه الرجال في البحر المتوسط الصاري، وكان في أول الأمر يصنع من جذوع النخل ومن هنا سمي بالدقل<sup>(1)</sup>، ويعتبر الجهاز الرئيسي في السفن استعمل في القوارب البدائية، وكان يتشكل من أغصان أشجار الصنوبر لخفته ويكون في بعض الأحيان مزدوجا أي يتكون من جزئين يلتقيان عند القمة، ثم عوض في الفترات اللاحقة، فأصبح يتكون من جزء واحد فقط، حيث يوضع الجزء السميكة منه على سطح السفن، ويثبت بدعائم على جانبيه، وينتهي الصاري في القمة ويكون حجمه حسب حجم السفن، وكلما كان الصاري كبيرا كلما تعددت الحبال التي تثبته، ويوضع على الصاري لوح خشبي يعرف بالقرية، ويتم وضعه عادة في وسط السفن، ويثبت بواسطة حبال تثبت بدورها عند المؤخرة لحماية الصاري من الرياح الخلفية ويوضع أيضا صاري صغير في مقدمة السفن وآخر في مؤخرتها، والصاري مهم للسفن الحربية والتجارية معا<sup>(2)</sup>.

كانت السفن الحربية في العالم القديم تحمل صاريا واحد فقط، ثم أصبحت تستعمل صاريتين أو أكثر، ويرجع الفضل في اختيار أحسن مكان للصاري على ظهر السفن للفينيقيين فكيفوا بحريتهم بنظام الرياح السائد في البحر المتوسط<sup>(3)</sup>، والواقع أن الصواري كانت محددة بحسب موقعها على ظهر السفن، ذلك أنه إذا كان هناك صاريتين فالأول يدعى صاري المقدمة، وعادة ما يكون مائلا، والثاني صاري المؤخرة أو الأردمون، أما إذا كانوا فوق ثلاثة، فالصاري الكبير يدعى صاري الوسط، وتنتهي قمته بأسطوانة وعادة ما يكون

(1) - المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تج. أسعد داغر، دار الأندلس: بيروت، (1965م)، ج. 1، ص 205؛

Brunot (L), op. cit., pp 258 452.

(2) - Jal (A), Archéologie navale, Arthus Bertrand, éditeur: Paris, (1840), T 1, p 332

ينظر

(3) - Brudel (F), les méditerranée et le monde méditerranée à l'époque de philippe2, éd. Armand colin: Paris, (1987), T1, p271.

## أساليب الغزو البحري المغاربي ووسائله خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

بها بكرة أو طارة من حديد أو خشب لحصن الجبل الذي يربط الشراع<sup>(1)</sup>، وقد كانت الصواري تصنع محليا غير أن الطلب المتزايد والحاجة دفعت السلطان إلى التماسها من خلال المعاهدات والاتفاقيات مع الدول فضلا عن تلقيها كهدايا من طرف الباب العالي<sup>(2)</sup>.

- منشآت الأقمشة: تنسج أغلب أقمشة الأشرعة في ليغاديا، ويصنع قماش المظلة في سهول (إيجة)، وإذا احتاج الأمر يصنع (بالدميجيلار) في اسطنبول، وأقمشة مصر للأشرعة جيدة ومختلفة الألوان، وبطانة غطاء المؤخرة تأتي من مصر دائما<sup>(3)</sup>.

- الخيمة: تطلق على غطاء المؤخرة، ويوضع بكل سفينة من أنواع (قارذغة)، تغير كل سنتين مرة، وكانت خيمة باشتارده في عهد (جفلا أوغلو) من قماش منقوش ومزين، ثم جعل قماشها من المخمل الأخضر والأحمر، ويكلف صنعه حملا من الدراهم الفضية وتغير الخيمة كل سنة، أما الخيمة القديمة فمن نصيب الخدم<sup>(4)</sup>.

- القنديل: للباشتارده وسفينة السلطان ثلاثة قناديل فوق مؤخرتها، حتى تخالف قناديل الأوروبيين ويعلق على العمود الأمامي إما علم أو قنديل وتقدم الدولة للسفن كل عام صناديق من شمع العسل، كما يعطى للربان القناديل الأخرى من الدولة كل عام خمس وعشرون شمعة من شمع العسل الأصفر،

(1) - Brunot (L), op, cit, pp 258.

(2) - أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766. 1791م) سيرته، حروبه، أعماله نظام الدولة والحياة العامة في عهده، (م.ك.و): الجزائر، (د.س.ن)، ص ص 151-152:  
Belhamissi (M), Marine et marins d'Alger, Bibliothèque nationale, 3<sup>ème</sup> Edition, 2003), T 1, pp 115 - 116.

وينظر: ابن سيدة، المصدر السابق، ص 24.

(3) - حاجي خليفة، المصدر السابق، ص 244.

(4) - نفسه.

## أساليب الغزو البحري المغاربي ووسائله خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

وكل شمعتين تزنان أوقية واحدة، وتوقد هذه الشموع في سفينة الربان ليلا، وتتقدم السفن الأخرى ويعطى لكل قارذغة قنطاران من زيت الكتان كل سنة لتوقد في العنابر التي تكون في ثلاثة أماكن<sup>(1)</sup>.

- المدفع: يعطى لكل سفينة قارذغة ثلاثة مدافع: واحد منها مدفع المقدمة طوله أربعة عشر شبرا أو خمسة عشر، ويطلق قبلة تزن اثني عشر أوقية، ولا ينقص وزن المدفع عن أربعين قنطار، ومدفعان للجانبين، ويجب ألا يقل طول ماسورة كل واحدة منهما عن عشرة أشبار، وإذا كانت أطول كان ذلك أفضل، أما مدافع السفينة المسماة ماوونا فمدفعان في العنبر، وأربع مدافع بجوانب الأعمدة، ومدفعان في المؤخرة من الداخل وفوق الدفة، ومدفعان فوق المؤخرة، وستة مدافع من التي تطلق (الخردق)، وبعض هذه المدافع بجانب الأعمدة، وبعضها بين المجاديف وستة على الجانبين، ومجموع مدافعها أربعة وعشرون مدفعا<sup>(2)</sup>.

- الدوقل: خشبة طويلة تشد في وسط السفن يمد عليها الشراع، وهي قرية الصاري المعروف بالأردمون<sup>(3)</sup>، يختار من أشجار الصنوبر الخفيف يتميز بالطول والسمك والالتواء والرقّة عند الأطراف فتتخذ هذه القطعة موضع أفقي في السفن التي تحمل الشراع وتوضع على الصاري، كما أنه يقطع الصاري

(1) - حاجي خليفة، المصدر السابق، ص 244.

(2) - حاجي خليفة، المصدر السابق، ص 245.

(3) - ابن جبير أبو الحسن محمد بن أحمد البلنسي، رحلة بن جبير، تقديم: سليم بابا عمر، موفم للنشر:

الجزائر، (1988م)، ص 286؛ ابن سيدة، المصدر السابق، ص 24؛

Jezegou (M.P), Le grément des navires catalans aux 14<sup>ème</sup> et 15<sup>ème</sup> siecle actes du 3<sup>ème</sup> congrès, (i. e m. o) : Tunis, (1981), p 115.

## أساليب الغزو البحري المغاربي ووسائله خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

على شكل حرف T وتحمل السفن غالبا دوقلا واحدا بالنسبة للسفن الحربية، والدقل أكثر تعرضا للأخطار من الأجزاء الأخرى<sup>(1)</sup>.

- البارود: تمد كل سفينة قاردغة بعشرين قنطار من البارود، أو حسب ما تحتاجه، وتأتي أكبر كمية من البارود من مصر، وبما أنه غير مجلو، لا يدفع القنبلة بقوة ويضعف الدفع<sup>(2)</sup>.

- الأعلام: تمد السفينة السفن من نوع باشتارده القيادية، وسفن نواب القائد بأعلام خاصة مختلفة من الدولة، وكانت في مؤخرة السفينة ومقدمتها، وكانت هناك رايات خاصة لبيان توجه الريح ذات ألوان صفراء وحمراء، أما الأعلام الأخرى، فكان الريان يشريها من ماله الخاص، تصنع هذه الأعلام المختلفة من الحرير، ويساوي مائة قرش، ويأخذ الربانة كل ما يلزمهم من الإبرة إلى الخيط من مخزن الحكومة.

- الجلفطة والزيت: بعدما يصنع جسم السفينة يجلفطونه أولا بحرق بعض النباتات، وكان يستهلك في الجلفطة الأولى اثنا عشر قنطار من الاسبيداج، وخمسة وعشرون قنطارا من الزفت، وقد أنقصت إلى خمسة قناطير، وأصبحوا يزيثونه بعشرين قنطارا، ويستهلك في كل تزيطة أربعة قناطير من الشحم، وتزيث السفينة كلما احتاجت إلى ذلك، وعادة ما تزيث السفينة في كل سفر ثلاث مرات، وأول مرة في الترسانة ومرتان في الطريق، ويقوم بتزيثها ستة أشخاص، يقومون بسد شقوقها، وفي كل سفينة مارجل للزفت.

- الرصاص: يوضع في أول كل رأس من رؤوس المجاديف أوقيتان من الرصاص، ويعطى لكل سفينة لوحان من الرصاص، لسد الثقوب والتشققات.

<sup>(1)</sup> - Jal (A), op. cit, pp 232-234.

<sup>(2)</sup> - حاجي خليفة، المصدر السابق، ص 245.

## أساليب الغزو البحري المغاربي ووسائله خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

- الأسكانديل (مقياس عمق البحر): يوضع في كل سفينة مقياس لعمق البحر، ويتكون من سبعين أو ثمانين ذراعا من الحبال، ويربط في نهايته رصاصة مسطحة وزن ثلاث أوقيات، وعند اللزوم يمسح سطح الرصاص بالشحم، ويربطون طرف الحبل في مؤخرة السفينة ويلقونها في البحر، ويقيس رجل بالذراع واقفا في المؤخرة، ولما تصل الرصاصة إلى قعر البحر يخرجونها وينظرون إلى مكانها، فإذا كان المكان ذا حجارة يرى في شحم مسطح الرصاصة، فإذا كان القعر رمليا يلتصق الرمل بالشحم، وأما إذا كان القعر فيه نباتات يعرف كذلك، ولكل مكان علامة معينة يعرف بها<sup>(1)</sup>.

- المجداف: هي خشبة في رأسها لوح عريض يدفع السفن بها، ومجداف السفن مشتق من قولهم جدف الطائر إذا كان مقصوفا فرأيته إذا طار كأنه يرفرف بجناحيه إلى الخلف<sup>(2)</sup>، وهو الآلة المميزة للملاحة في البحر المتوسط نظرا لهدوئه النسبي<sup>(3)</sup>، كما أنه يعتبر من القطع الهامة في السفن<sup>(4)</sup>.

- الخريطة والبوصلة: ترسم الخريطة على الجلد وترسم فيها صورة البحر، وتبين البوصلة اتجاه القبلة، وتوضع فوق الخريطة، وظيفتها العثور على النجوم ومعرفة اتجاه الطرق ومهب الريح، وبها يوجهون دفة السفينة، ويستخدمون الرياح المناسبة، وإذا كان السير ليلا يقدون القناديل ليطلعوا على الساعة، وإذا كان في الطريق أماكن صخرية يتحاشونها<sup>(5)</sup>.

(1) - حاجي خليفة، المصدر السابق، ص 245.

(2) - ابن سيده، المصدر السابق، ص 28؛ الفيروز أبادي، المصدر السابق، ص 716؛ الرازي، المصدر السابق، ص 97.

(3) - الباشا حسن، المرجع السابق، ص 331.

(4) - ماهر سعاد، المرجع السابق، ص 207.

(5) - حاجي خليفة، المصدر السابق، ص 247.

## أساليب الغزو البحري المغاربي ووسائله خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

- الصابورة وسعة الاختزان: توضع في السفينة صابورة من الحصى، وعند اللزوم تفرغ من الحصى، وتوضع البضاعة بدلا منها لأن بعض السفن تسير وهي مستوية، والبعض الآخر إذا كانت مؤخرتها منخفضة إلى الأسفل لا تسير، وفقا لهذا يحافظون على اتزان السفينة<sup>(1)</sup>.

ثانيا- استراتيجيات العمل الجهادي:

### 1. الترصد والهجوم:

استوجب على بحارة الأساطيل المغاربية أن يخوضوا غزوات بحرية ضارية ومستمرة ضد الأعداء، ولتحقيق ذلك كان لابد من اتباع أساليب حربية، حيث تمثلت المهمة الرئيسية للرايس في التعرف على السواحل وخلجانها وصخورها والرياح وسرعتها والأمواج وقوتها، والتأقلم معها، وكانت السفن تبحر نحو أهدافها أحيانا في مجموعات وأحيانا بشكل منفصل.

في البداية استعان الرايس بالكتاب الخاص بالعلامات، حيث مكنه ذلك من تحقيق الاتصال المستمر بين الوحدات البحرية للأسطول والقيام بمناورات جماعية، ويتم إرسال الإشارات ليلا باستخدام الفوانيس، وفي النهار يتم استخدام رايات بأشكال وألوان مختلفة، وعادة ما يبحر الأسطول خفية عن الأنظار، وفي حالة التنقل بدون هذه الإشارات والعلامات، يتم استخدام حجر المغناطيس، كانت المعارك بين الأجنحة نادرة والمعارك الأكثر شيوعا هي الهجمات المعزولة، عندما يتم لمح سفينة شرعية معزولة أو تحتوي على عدد قليل من الأسلحة، حيث يقوم الرايس بمعابقتها أولا للتعرف عليها، إلا أن الأمور لم تكن سهلة، لأن السفن متشابهة والرايات مهمة، وبالتالي يبدأ الترصد، ومناورات الاقتراب، ويتم اتخاذ جميع الاحتياطات اللازمة، ليس فقط بهدف

(1) - حاجي خليفة، المصدر السابق، ص247.

## أساليب الغزو البحري المغاربي ووسائله خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

الهجوم، وإنما كذلك لتجنب مباغطة العدو والأسطول، وتبدأ المطاردة ويؤكد كل فرد من أفراد الطاقم مكانه في انتظار الأوامر، ويتلو كاتب السفينة آيات القرآن بصوت مرتفع<sup>(1)</sup>.

كانت الأولوية للوحدات السريعة القادرة على الكر والفر، وحدات هجومية تفاجئ العدو وتباغته، فلا يمكنه الإفلات وهذه الميزة خاضعة لشرط آخر هو التغلب على مقاومة الماء بزيادة الدهن، فكان هيكل المركب الخارجي يطلى بالشحم، والقطران حتى يصير الغلاف أملسا ومصقولا ويسهل الاختراق<sup>(2)</sup>.

حيث كان يعتمد رياس طرابلس في عمليات الجهاد البحري على تجنب المعارك غير المتكافئة مع الخصوم، والاختيار الدقيق للسفن المستهدفة للمطاردة بناء على حجمها وقوتها العسكرية والبرية، وكان تنظيم العمليات الجهادية يعتمد على الاشتراك الجماعي بين أكثر من سفينتين في مجال واحد، حيث لم يكن الرياس يجازفون بأنفسهم بسفن منفردة على عكس القراصنة الأوروبيين<sup>(3)</sup>.

أما رياس مصب أبي الرقراق فقد اعتمدوا في تسيير موانئهم الجهادية على مجموعة من القواعد والأعراف التي تلعب فيها المناورات والخدع دورا أساسيا في إطار نظام مقبول ومتداول، من مظاهره: استخدام الأشرعة السوداء ليلا، والرايات المزيفة والكمائن الغربية، كانت هذه المظاهر من الركائز الأساسية في الجهاد البحري، وقد استفاد عناصره منذ البداية من اطلاعها على أنماط الحياة الأوروبية باعتبارها متألفة من مسلمي الأندلس، أو العلوج من جنسيات أوروبية مختلفة، وهو ما مكّنهم من التحكم في لغات وطبائع البلد الذي تنتهي إليه السفن المعرضة للملاحقة ومفاجأتهم لها وهم متنكرون

(1) - Moulay Belhamissi, op. cit, pp 178 -179.

(2) - مولاي بلحميسي، صناعة السفن في الجزائر...، المرجع السابق، ص 48.

(3) - عبد السلام محمد الحراري، المرجع السابق، ص ص 200-201.

## أساليب الغزو البحري المغاربي ووسائله خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

على منوال أفرادها، كما أنهم تمكنوا من الحصول على نظام مخابرات فعال وفر لهم شروطا إيجابية لإنجاح عملياتهم استنادا للمعلومات المستقاة من الأسرى الأوروبيين أنفسهم، وأيضا من تنظيم حلقات التجسس المنظمة بين مصب أبي الرقراق وأوروبا خصوصا مع بقايا الأندلسيين بشبه جزيرة إيبيريا<sup>(1)</sup>.

لقد كان يراعى في العمل الجهادي أسلوب الكر والفر حسب الحاجة، لاسيما فإن مجال العمل الجهادي كان فسيحا، ويصعب على الراس التكهّن بالمصادفات المحتملة نتيجة طول الطريق، والبعد عن الساحل مع ما كانت تشكله قوادس مالطا من تحديات كبيرة للعمليات البحرية الإسلامية عموما، والطرابلسية خصوصا، باستفادتها من تمركزها على مقربة من طرابلس<sup>(2)</sup>.

أما بالنسبة للاستراتيجية الجهادية لسفن الجزائر فإنهم كانوا يقومون بخلع راية المركب قبل أن يتوارى عن الأنظار ويضعونه في الأسفل بنفس الطريقة وكل ما يمكن من فضح هيئتهم، فبدل الراية التي خلعوها يرفعون بيق فرنسا أو اسبانيا أو غيرها من التي يرتؤونها، حتى يعتقد فيهم أنهم مسيحيون بواسطة شعار سفينتهم، وبهذه الوسيلة لا يفرعون أحدا، لكنهم يلمسون بعض الصعوبات في التنكر، إذ يتم افتضاحهم، وبمجرد أن يتفحص التجار المسيحيون ملامح تلك السفينة حتى يلاحظوا في الختام شيئا ما يتعرفون بواسطته على أنها سفينة جهادية<sup>(3)</sup>.

(1) - حسن أميلي: المرجع السابق، ص ص 138-139.

(2) - عبد السلام محمد الحراري، المرجع السابق، ص 209

(3) - بيير دان، المصدر السابق، ص 268.

## أساليب الغزو البحري المغربي ووسائله خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

### 2. استخدام الرايات المزيفة:

تم استخدام الرايات المزيفة لمخادعة العدو وعادة ما يتم عرض الراية المحايدة، وكانت الأساطيل التوسكانية والإسبانية لافتات فلوردي لين للهروب من الجزائريين، وأثناء خوض الفرنسيين لمعركة بحرية ضد الإيالة كانوا يبشرون حاملين راية أخرى تسمى السافوري التي اختارها فليب بوليوبرماك تحت إشراف هنري الرابع<sup>(1)</sup>.

ساهم الأندلسيون بتمركزهم على بعد فراسخ قليلة من الأندلس وسارعوا إلى تضيق الخناق على أعدائهم والاقتصاص منهم، امتد مسرح خناقهم في عرض الشواطئ المغربية، وأحيانا في أعالي البحار، مشكلين درعا بحريا ضد الضغوط الأوروبية المباشرة على السواحل المغربية المشابهة لضغوط القرن (10هـ/16م)، وقد عمد هؤلاء إلى استغلال مداركهم الاجتماعية التي فرضتها عليهم إسبانيا، فكانوا يتحدثون القشتالية ويرفعون الأعلام الإسبانية فوق صواري السفن، ويختفون وراء مظاهر التجارة متحايين على السفن التي يصادفونها على البحر، وحتى حملاتهم على شواطئ إيبيريا كانت تنفذ بسهولة بفعل تنظيمهم لحلقة تجسس حقيقية بين المصب وإسبانيا<sup>(2)</sup>.

عمد الرياس في عرض البحر إلى خلع أعلامهم الأصلية وإخفاء ما من شأنه أن يفضح صفتهم مرتدين ملابس تنكرية في هيئة تجار أو صيادين عاديين، واضعين الأمتعة في شكل مكشوف على سطح السفينة رافعين أعلاما فرنسية أو إسبانية أو جنسية أخرى مقارنة لأعلام السفن التي اختاروها للمطاردة حتى يجعلوها تسقط في حبال خدعتهم فيبادرون إلى ملاحقتها معتمدين على خفة سفنهم، أو يبادرون إلى تقليص سرعة سفنهم بوضع القذائف الثقيلة،

(1) - Moulay Blehamissi, op. cit, pp 178 -180.

(2) - حسن أميلي، المرجع السابق، ص 180.

## أساليب الغزو البحري المغاربي ووسائله خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

وحيثما تتقارب السفينتان بدون حذر حتى يتسنى للمجاهدين من إحداث المفاجأة بكل يسر، وغنم طريدهم دون عناء، هذا ما يفسر سقوط عدد مهم من المغانم دون معركة ولا مقاومة، حيث كان الرياس يحرصون في اختيارهم على تجنب السفن الحربية أو المسلحة<sup>(1)</sup>.

كما أن الجزائريين كانوا يستخدمون الرايات المناسبة حيث أن شهادات الأسرى سلطت الضوء على هذا الأسلوب، واستهلت إلياذة النبيل الأجنبي دوشا ستيليديبوري، بمسرحية الرايات المزيفة " يذكر أن لافتات الهولنديين اختفت وفي الوقت ذاته تمت تغطية الجزء العلوي من الصواري برايات بجميع الألوان المليئة والمزخرفة بالنجوم والشمس والسيوف المتقاطعة والعملات والشعارات المهمة، ومنه فإن استخدام الرايات المزيفة عبارة عن أسلوب بحري ناجح ووسيلة لتحقيق الانتصارات بحيث أن الخصم اليقظ يقوم بالتركيز على شكل الأسطول وتفصيل الأشرعة وتصاميم المدافع للتعرف على العدو الذي سيواجهونه<sup>(2)</sup>.

### 3. الترسانة المزيفة:

يهدف تجنب لفت انتباه العدو أو إثارة الشك يتم استخدام الخدع والأساليب الحربية لطمأنته، حيث يذكر تيدينا الذي تم أسره في (16 ربيع الأول 1193هـ/2 أبريل 1779م) "انطلقنا من مالاقا وكنا متواجدين بمنصف خليج ليون وهناك لمحنا سفينتين قادمتين اعتقدنا أنهما أبحرتا من المكان الذي انطلقنا منه، وبسبب الأمواج العاتية لم نتمكن من التعرف عليها ومع ذلك أكد لنا القبطان الذي كان رجلا متواضع أنه فرنسي واستخدم القرصانان

(1) - عبد السلام محمد الحراري، المرجع السابق، ص 203-204.

(2) - Mouly Belhamissi, op. cit, pp 178 -180.

## أساليب الغزو البحري المغاربي ووسائله خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

الجزائريان اللذان كانا يلاحظنا طويلا دون أن ندرك ذلك أنها خدعة حربية ناجحة، لطالما أبحروا من الجانب الشمالي من أجل خداعنا بشكل أفضل، وبمجرد وصولهم إلى منطقتنا تصدوا الرياح وانقضوا علينا، كنا نشاهد كل هذه المناورات، ولكننا لم نكن نملك الوقت الكافي للتصدي لهم حيث وقعنا في قبضتهم وبالتالي استسلمنا، وحاولوا الاقتراب منا وهو ما فعلوه على الرغم من الأمواج العاتية التي اعترضتهم لوقت طويل، وأدخلوا 30 جنديا إلى ساحلنا واستولوا على الغنائم، وأمرونا بالصعود على متن سفنهم"، وذكر دارفيو في (20 ربيع الاول 1208هـ/25 أكتوبر 1793م) "أبحرت سفينة حربية بولي من نيويورك نحو كاديز والتقت بسفينة أخرى تحمل الراية البريطانية، وعندما اقتربت هذه الأخيرة منا، استجوبت الركاب الذين بدورهم كانوا يتحدثون الانجليزية حين سألتهم أحدهم عن مكان انطلاقتنا وعن وجهتنا، حتى سارع القبطان بايلي لإجابتهم، والشخص الذي وجه الأسئلة إلينا كان يرتدي بدلة أوروبية، وكان بمفرده أعلى السفينة، وعندما دنت السفينة منا فجأة شاهدنا العديد من الرجال يصعدون من مؤخرة السفينة، ومن خلال ملابسهم ولحاهم الطويلة عرفنا أنهم جزائريون والهدف من هذه الخدعة الحربية هو الاستيلاء على الغنائم، حيث يتم التخطيط بخوض معارك ضارية..."<sup>(1)</sup>.

#### 4. الهجوم على السواحل:

كان على الرياس أن يهاجموا أعدائهم إما ضمن الغزوات البحرية أو على سواحلهم الغنية بالغنائم، ولتحقيق ذلك انتهج الرياس أسلوبا حريبا لا يثير الانتباه للعدو ولا يترك له فرصة الانسحاب أو الفرار، كان القباطنة يبحرون بواسطة المجاديف خشية إرسال إشارات من الأشرعة، ولم تمنعهم الرياح

<sup>(1)</sup> نقلا عن. Mouly Belhamissi , op . cit, pp 178 -180.

## أساليب الغزو البحري المغاربي ووسائله خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

الشمالية والمناخ الشتوي ولا أبراج المراقبة العديدة المنتصبة على طول السواحل من مهاجمة سواحل العدو وكانوا كل صباح باكر يتم إخفاض الأشرعة حتى لا يتم اكتشافهم، وبمجرد التعرف على الهدف يقترب الأسطول بالاعتماد على المجاديف لعدم جذب انتباه أسطول العدو الموجود بالساحل والسماح له بالفرار أو تنظيم دفاعه، وكان استخدام التمويه والخدع البحرية والكمائن، ومعرفة أماكن العدو وعادات السكان من أهم عوامل الانتصار، وكذلك استخدام الأشرعة السوداء في الليل والعمل السري ساهم في تحقيق النصر على العدو، ونجاح الجهاد البحري، وكذلك من أسرار النجاح هو المعرفة الكاملة بالسواحل، الخلجان التي يتم التردد عليها والمرافئ والمخابئ السرية والموانئ الآمنة، ومصادر المياه العذبة والمناطق المشجرة، والأماكن المناسبة للاستراحة والتزود بالمؤن<sup>(1)</sup>.

لقد كانت طريقة الانتقال من ترصد السفن المستهدفة إلى عملية الإعداد للسيطرة عليها تتطلب انتظار الفترة المناسبة لتحقيق ذلك كانت السفينة الجهادية تنتظر هدوء البحر أو ضعف النسيم لتنفيذ المناورات الضرورية قصد تقليص المسافة بينها وبين السفينة التجارية بالاعتماد على المجاديف، إما بتقليص حركية السفينة الجهادية بوضع قذائف المدافع في كوثل السفينة أو بدفع سرعتها، معتمدة في ذلك على الشراع عند حالة اللحاق، وهو ما يجعل الطريدة المحتملة هدفا سهلا، خاصة وأن السفن الحربية الأوروبية لم تكن قادرة على هذه الملاحقات بإنجاح مهامها على وجه الخصوص<sup>(2)</sup>.

(1) - Mouly Belhamissi , op . cit, pp 180 -186.

(2) - محمد الحراري عبد السلام، المرجع السابق، ص 203.

## أساليب الغزو البحري المغاربي ووسائله خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

في حالة إبداء بعض السفن المسيحية لمقاومة كبيرة كانت السفن الجهادية تعتمد إلى إمتارها بنيران مدفعتها ليس من أجل إغراق المركب أو إتلافه، وإنما لزرع الرعب والإحباط في نفسية المدافعين بالدرجة الأولى، ليبادر المجاهدون بعد ذلك الانقضاض على السفينة المستهدفة التي يسود فيها المشهد المرعب والمخيف لجماعة من المغامرين، وهم يكتسحون سطح السفينة بالحبال والسلاالم والخطاطيف مشمرين عن سواعدهم، وملوحين بأسلحتهم من فؤوس وسيوف ومسدسات وغيرها<sup>(1)</sup>.

لجأ السللاويون بعد اشتداد التأثير الأوروبي على سياسة الجهاد لدى سلطات المصب وتقليص مردودية نشاطه، إلى استغلال نظرائهم الجزائريين، بغية تحقيق مغانم حتى على حساب السفن التي يرتبطون مع دولها بمعاهدة مفروضة عليهم، وترهيب بحازتها من أجل إخلائها للسيطرة عليها كمغنم قانوني لا أصحاب له<sup>(2)</sup>.

### نتائج الدراسة:

ومن خلال ماسبق يمكن القول:

- كان دخول البلاد المغاربية عالم الجهاد البحري راجع لجهود مضمينة بُذلت من خلال تجهيز الحملات الجهادية من عدة وعتاد (السفن، أسلحة، البارود، الذخيرة، الطعام...) وكذا بناء قاعدة جهادية قوية.
- مصادر أخشاب السفانة تجلب إلى مدينة الجزائر من بجاية إلى شرشال، وتستعمل فيها أجود أنواع شجر البلوط والصنوبر، وتمويله بصفة منتظمة

(1) - محمد الحراري عبد السلام، المرجع السابق، ص ص 203-204.

(2) - نفسه.

## أساليب الغزو البحري المغربي ووسائله خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

يخضع إلى إقدام الحكومة على إبرام معاهدات مع شخصيات محلية من أهل النفوذ والجاه القبلي.

• استفاد الأسطول السلاوي من الريادة الجزائرية، وتعد السفن الشراعية أساس البحرية السلاوية، من خلال استفادتها من تطور السفانة الجزائرية وصناعتها، خاصة الأشرعة الموجودة في وحدات الأسطول الجزائري.

• اشترك البلدان المغربية في نفس أهداف الجهاد البحري، والذي يعد ممولا اقتصاديا بالدرجة الأولى لها.

• إشراف الدولة على تولي مسائل التمويل المادي للسفن، لأنها تمثل رأس مال استثماري في خزينة الدولة.

• توقيت الجهاد البحري يبدأ بعد انتهاء فصل الشتاء، تحديدا ما بين شهر أفريل وسبتمبر لملائمة المناخ.

• عملية الجهاد البحري، تتطلب استعدادات كبيرة من حيث العدة والعتاد، فالجميع يشارك في العملية بما فيها النساء اللاتي بعن حلين.

• يستند اختيار قائد الحملة، على كل من يتحلى بالمهارة والحنكة والشجاعة في هذا المجال.

• التجنيد في الحملات الجهادية إجباري يتطلب كل من له مؤهلات بدنية، والاستجابة لنداء الرياس للإبحار قصد الغزو والجهاد، وأن الرافضين لهذه العملية، إما يقومون بدفع المال بدافع التخلف عن الغزو أو البقاء من أجل التكفل بعائلاتهم.

• امتلاك مجاهدو البلاد المغربية عديد السفن، والتي واكبوا تطورها، نذكر أهمها الفرقاطة، الغليوطة البولاكر، الشالوب، الشباك، الغاليرة، الشيني، الجفن، الشختورة، الشطية، الفلوكة، الغراب...

## أساليب الغزو البحري المغربي ووسائله

خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

- تشابه المراكز الجهادية المغربية في استعمالها السفن ذات الحمل الخفيف، وامتناعها عن المشاركة بالسفن الثقيلة التي تصعب عليهم عملية المطاردة والانسحاب والتي تمثلت في الفرقاطة، القاليوطة، البولاكر، الشالون، والشباك.
- من أهم وسائل العمل الجهادي البحري: رجال وقادة الأسطول (محلين، أندلسيين، أتراك عثمانيون، أعلاج، أسرى)، الطواقم التقنية (رياس، قادة السفن)، الملاحين، العسكريين.
- استخدام عديد الاستراتيجيات في الجهاد البحري قصد إنجاح هذه العملية مثل استراتيجية الترصّد والهجوم الذي يستند على معرفة السواحل وخليجائها وصخورها والرياح وسرعتها والأمواج وقوتها، إضافة إلى استعمال السفن الصغيرة الحجم من أجل تسهيل عملية الهجوم والمطاردة.
- استخدام الخدع والمناورات مثل استعمال الأشرعة السوداء ليلاً، والرايات المزيفة، والتنكر بزي البحارة الأوروبيين قصد تسهيل عملية المباغثة والقتل.
- كان لمسلمي الأندلس والمهتدين (العلوج) من جنسيات أوروبية مختلفة، دور في العملية الجهادية من خلال اطلاعهم على أنماط الحياة الأوروبية، والتحكم في اللغات، ومن خلال تنكرهم، مكنهم من الحصول على نظام مخابرات فعال ساهم في إنجاح عملياتهم.

## أساليب الغزو البحري المغاربي ووسائله خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

قائمة البيبلوغرافيا:

أولاً: المصادر والمراجع

- 1) ابن بطوطة، تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج2، موفم للنشر وحدة رعاية للطباعة والنشر: الجزائر، (1990).
- 2) ابن جبير أبو الحسن محمد بن أحمد البلنسي، رحلة بن جبير، تقديم: سليم بابا عمر، موفم للنشر: الجزائر، (1988م).
- 3) ابن سيده، المخصص، تحقيق: لجنة التراث العربي، دار الآفاق، بيروت، (د. ت)، ج3.
- 4) ابن العنابي، السعي المحمود في نظام الجنود، تحقيق: محمد بن عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب: الجزائر، (1983م).
- 5) ابن عثمان حمدان خوجة: المرأة، تحقيق: محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع: الجزائر، ط2.
- 6) أميلي حسن، الجهاد البحري في مصب أبي رقرق خلال القرن السابع عشر، دار أبي رقرق، الرباط: المغرب، ط1، (2006م).
- 7) بوحمشوش نعيمة، مساهمة البحرية الجزائرية في الحروب العثمانية خلال القرن السادس عشر، مجموعة دراسات، إشراف: ناصر الدين سعيدوني، القافلة للنشر والتوزيع: الجزائر، (2016م).
- 8) بوعزيريحي، الموجز في تاريخ الجزائر، دار الطليعة للطباعة والنشر: الجزائر، (1965م)، ج1.
- 9) جون وولف، الجزائر وأوروبا 1500م 1830، ترجمة وتعريب: أبو القاسم سعد الله، الجزائر، دار الرائد: (2009).

## أساليب الغزو البحري المغاربي ووسائله خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

- 10) حسن الفقيه حسن، اليوميات الليبية، تحقيق: محمد الأسطي وعمار جحيدر، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية سلسلة نصوص وثائق: ليبيا، (2001م)، ج 1.
- 11) خليفة حاجي، تحفة الكبار في أسفار البحار، تحقيق: محمد حرب وتسليم حرب، دار البشير: (د. م. ن)، (2017م).
- 12) دان بيير: تاريخ بربريا وقراصنتها، ترجمة: حسن أميلي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، المغرب، (2019م).
- 13) الرازي، مختار الصحاح، رتبه. محمود خاطر، المطبعة الأميرية: القاهرة، ط5، (1916م).
- 14) زفايج ستيفان، ماجلان قاهر البحار، ترجمة: حبيب باماتي، دار الهلال: مصر، (1951م).
- 15) الزهار أحمد الشريف، مذكرات، تحقيق: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع: الجزائر، (1974م).
- 16) سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية، البصائر للنشر والتوزيع: الجزائر، ط2، (2012م).
- 17) شويتام أرزقي، دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي 1519-1830م، دار الكتب العربي للطباعة: الجزائر، ط1، (2007م).
- 18) الغزال بن المهدي، نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد، تحقيق: إسماعيل العربي، (د. م. ن): الجزائر، (1984).
- 19) كابوفين جورج، طرابلس والبندقية في القرن 18، تعريب: عبد السلام مصطفى باش إمام-منشورات مركز دراسات جهاد الليبيين: طرابلس، (1988).
- 20) المجهول، غزوات عروج وخير الدين، تعليق: نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية والمكتبة الأدبية.

## أساليب الغزو البحري المغاربي ووسائله خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

21) المدني أحمد توفيق، محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766.1791م) سيرته، حروبه، أعماله نظام الدولة والحياة العامة في عهده، (م. ك. و): الجزائر، (د. س. ن.).

22) مروش المنور، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني (القرصنة الأساطير والواقع)، 2 ج، دار القصة للنشر: الجزائر، (2009).

23) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: أسعد داغر، دار الأندلس: بيروت، (1965م)، ج 1.

### ثانيا- المراجع الأجنبية:

- 1) Braudel (F), les méditerranée et le monde méditerrané à l'époque de philippe2, éd .Armand colin : Paris, (1987).
- 2) Belhamissi (M), Marine et marins d'Alger, Bibliothèque nationale, 3<sup>ème</sup> Edition 2003), T 1.
- 3) Bennassar (Bartolomé). Et Bennassar (Lucile), les chrétiens d'Allah, l'histoire extraordinaire des renégats.16<sup>e</sup> et 17<sup>e</sup> siècles, Perrin : Paris,1989.
- 4) Brunot (L), La mer dans les traditions et indigènes Arabat et Salè : Paris.
- 5) De voulux(A), Tachrifat, recueil de notes historique sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger, imprimerie du gouvernement: Alger, 1852.
- 6) De Haedo Fray Diego, Topographie et Histoire générale d'Alger, traduit de l'Espagnol par MM. le Dr. Monnereau et A. Berbrigger, in R.A : Alger, (1870), n14.

## أساليب الغزو البحري المغاربي ووسائله خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

- 7) Jal (A), Archéologie navale, Arthus Bertrand, éditeur : Paris, (1840), T 1 .
- 8) Jezegou (M.P), Le grément des navires catalans aux 14<sup>ème</sup> et 15<sup>ème</sup> siècle actes du 3<sup>ème</sup> congrès, (i. e m. o) : Tunis, (1981).
- 9) Klein (H), les feuillets d'el Djezair, hors-série: (volume récapitulatif): Alger, (1937).
- 10) Moulay Belhamissi : Marine et marins d'Alger, bibliothèque nationale d'Alger : Alger, 1996, T 1.
- 11) Pierre Grand champ, Documents relatifs à la révolution de 1864 en Tunisie. Edité par Impr. J. Aloccio : Tunis ,1935.
- 12) Venture de Paradis ( J M) , Alger au 18 siècle( 1788 –1790), Imprimerie libraire Editeur : Alger,(1898) .

### ثالثا: الأطروحات والرسائل والمذكرات الأكاديمية

- 1) جودي إسماعيل، الصناعة العسكرية في العهد العثماني 1518-1830، رسالة مكتملة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث: الجزائر، (2009).
- 2) داود ميمن، الجيش الجزائري خلال الفترة العثمانية تنظيمه وعدته (1518م- 1830م)، أطروحة دكتوراه العلوم في الآثار الإسلامية، إشراف: بويحيوي عز الدين، جامعة الجزائر.2: الجزائر، (2015-2016م).
- 3) سرحان عبد الحليم ، تطور صناعة السفن الحربية على عهد العثمانيين، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، إشراف: صالح بن قربة، غير منشورة، جامعة الجزائر: الجزائر، (2007-2008م).
- 4) عطالي محمد الأمين، نشاط البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر وأثره في العلاقات الجزائرية الفرنسية، رسالة ماجستير في تخصص التاريخ الحديث، إشراف: عمار بن خروف، غير منشورة ، جامعة غرداية: الجزائر، (2011).

## أساليب الغزو البحري المغاربي ووسائله خلال القرنين (10-11هـ/16-17م)

5) غطاس عائشة ، العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر (1619-1694م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، إشراف: مولاي بلحميسي، غير منشورة، جامعة الجزائر: الجزائر، (1984).

### رابعاً: المقالات والمجلات العربية

1) بلحميسي مولاي ، الجزائر والغزو البحري في القرن 16، مجلة وتاريخ وحضارة المغرب، كلية الآداب: الجزائر، ع. 4، (1986).

2) بلحميسي مولاي ، صناعة السفن في الجزائر أيام الأتراك، مجلة الدراسات الأثرية، معهد الآثار جامعة الجزائر: الجزائر، ع. 3، (1995م).

3) سرحان عبد الحليم ، نظرات حول السفن الحربية الجزائرية في العهد العثماني دراسة هستوريوغرافية، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية: الجزائر، ع. 09، (جويلية 2015م).

4) محجوبي زهرة، أهم مراكز الصناعة البحرية الجزائرية خلال العهد العثماني(1529-1830م) وتفاعلها مع جوانب الحياة"، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، ع1، (جانفي 2019م).

### خامساً: القواميس العربية

1) بدر بن أحمد الكسادي ، القاموس البحري، مرا. حسن صالح شهاب، المجمع الثقافي: أبوظبي، (2004م).

2) الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ضبط. يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر: سوريا، 1995م.

تشنغ هو (1371-1433م).  
البحار والدبلوماسي المسلم الذي قاد الصين إلى العالمية

---

تشنغ هو (1371-1433م)،  
البحار والدبلوماسي المسلم الذي قاد الصين إلى العالمية  
Zheng He (1371-1433), the Chinese Muslim navigator who  
lead China to globalisation

د. أحمد رنيمة  
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر مهتم بتاريخ الصين  
جامعة وهران 1، أحمد بن بلة  
Ahm.renima99@gmail.com

---

ملخص:

في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي وصل البرتغاليون إلى الهند  
مبحرين من أوروبا، حيث يعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح بداية  
حقبة جديدة في تاريخ الملاحة العالمية. ولكن قبل مجيء الأوروبيين إلى الشرق،  
كان المحيط الهادئ والمحيط الهندي منطقة تجارية مزدحمة بالفعل لفترة  
طويلة. فقد ظلت سفن الصين وجنوب شرق آسيا وشبه القارة الهندية وسفن  
العرب المسلمين وشرق أفريقيا في حركة دائمة نحو الشرق والغرب. وقبل  
البرتغاليين كانت رحلات أمير البحر (الأدميرال) تشنغ هو وأساطيله في غرب  
المحيط الهادئ والمحيط الهندي في أوائل القرن الخامس عشر أحد أعظم  
الإنجازات في تاريخ أنشطة الملاحة الصينية والعالمية، فقد صنعت الرحلات  
السبع للصين ولسلالة مينغ ولشخصية البحار المسلم، مجدا من خلال الرؤية  
السياسية والنجاح التجاري والتفوق التكنولوجي، والدبلوماسية الودية.

## تشنغ هو (1371-1433م). البحار والدبلوماسي المسلم الذي قاد الصين إلى العالمية

---

الكلمات المفتاحية: تشنغ هو، بحرية الصين، سلالة مينغ، المحيط الهندي، التجارة البحرية، الدبلوماسية الصينية.

### Abstract

At the end of the 1500s, the Portuguese arrived in India from Europe, with the discovery of the Cape of Good Hope route marking the beginning of a new era in the history of global navigation. But before the Europeans came east, the Pacific and Indian Oceans had already been active trading area for a long time. Ships from China, Southeast Asia, the Indian subcontinent, the Muslim Arabs lands, and East Africa were constantly on the travel east and west. Before the Portuguese, the voyages of Admiral Cheng Hu and his fleets in the western Pacific and Indian Oceans in the early 15th century were one of the greatest achievements in the history of Chinese and global navigation activities. The seven voyages brought glory to China, the Ming Dynasty, and the figure of the Muslim sailor through political vision, commercial success, technological superiority, and friendly diplomacy.

**Keywords:** Cheng Hu, China Navy, Ming Dynasty, Indian Ocean, maritime trade, Chinese diplomacy.

## تشنغ هو (1371-1433م). البحار والدبلوماسي المسلم الذي قاد الصين إلى العالمية

هناك العديد من الأسباب التاريخية جعلت الصينيين ينظرون إلى أنفسهم على أنهم ساكنوا المملكة الوسطى أو تشونغغو Zhōngguó، وقد استمر هذا الموقع وهذا التصور حتى القرن التاسع عشر الميلادي حيث يقتضي وجوب معاملة الدول الأجنبية على أنها دول تابعة وأنّ الصين هي دوماً المركز، كانت للرحلات السبع التي تمت خلال عهد أسرة مينغ (1368-1644) Ming. تم القيام بهذه الرحلات لنشر الهيبة الصينية وفرض السيطرة على مناطق تمتد من جنوب شرق آسيا إلى شرق أفريقيا. افتتحت هذه الرحلات في عهد الملك<sup>(1)</sup> يونغ لو (1403-1424) وقادها تشنغ هو أو (تشنغ هي)<sup>(2)</sup> (1371-1433). وقد عكست هذه الرحلات "مفهوم هذا الهوانغدي (الملك) وتصوره للنظام العالمي وللعلاقات الخارجية كما هي مطبقة على البحار الجنوبية."<sup>(3)</sup> كان الهوانغدي يبحث عن حلفاء دعم وربما اكتشاف مناطق جديدة، على الرغم من أن هذه الرحلات لم تكن لديها نية الغزو العسكري بالقوة، بل كانت ترغب في توسيع المملكة الوسطى عن طريق التجارة الودية والتحالف. كما أظهرت هذه الرحلات أيضاً أن الصينيين كانوا

(1) - يلقب الملك في الصين ب هوانغدي (皇帝) Huángdì، وهي أعلى رتبة سياسية عرفتها الصين خلال تاريخها الطويل كله، أما الغرب فيطلقون عليه لقب إمبراطور من باب الهيمنة الثقافية الغربية على العالم.

(2) - تشنغ هو أو (تشنغ هي) Zheng He 鄭和 يلفظ كذلك أيضاً تشنغ خه، ولد عام 1371 ميلادية في مقاطعة يونان بجنوب غرب الصين، واسمه الحقيقي (ما خه)، وتعود أصوله لأسرة مسلمة من عرقية هوي الصينية، والتي حكمت مقاطعة يونان في حقبة سابقة. وتشير مصادر تاريخية إلى أن أسرة تشنغ هو تنحدر من الحاكم المغولي شمس الدين عمر، واشتقت العائلة اسمها "ما" من الترجمة الصينية لاسم رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم. كان لعائلة هو (أو هي أو خي) وضع سياسي مميز خلال عصر أسرة يوان المغولية؛ وكان جده الأكبر يدعى بايان وكان يشغل منصباً في جيش المغول في مقاطعة يونان ويحمل اللقب حاجي، في حين أن والده كان يحمل لقب المملوك وكذلك لقب الحاج، مما يوحي بأنهم قاموا بالحج إلى مكة.

(3) - Twitchett, Denis C. and Fairbank, John K. (eds), *Cambridge History of China*, Vol. 7, *The Ming Dynasty*, Cambridge, Cambridge University Press, 1978-88, p. 232.

## تشنغ هو (1371-1433م). البحار والدبلوماسي المسلم الذي قاد الصين إلى العالمية

يمتلكون المهارات التكنولوجية والملاحية لمواصلة السير حول إفريقيا وربما اكتشاف العالم الجديد قبل كولومبوس عام 1492.<sup>(1)</sup> ستؤسس رحلات مينغ دولة الصين كواحدة من أعظم القوى في العالم في القرن الخامس عشر. اسم "مينغ" يعني "مشرق"، وقد وسّعت هذه الرحلات من تألق مينغ من خلال نظام الروافد (التحافات)، أو العرف الصيني القديم في إدارة العلاقات الخارجية، كما تطورت فكرة أن الصين كانت المملكة الوسطى. "من خلال وضع القواعد والتحكم في الوسائل والأشكال الرمزية التي دخلت بها الدول الأجنبية في علاقاتها مع الصين، وجد الصينيون في نظام الروافد آلية فعّالة لفرض الامتثال من الدول والشعوب المجاورة في المسائل الهامة ذات الأهمية السياسية والدفاعية والاقتصادية والدبلوماسية للصين."<sup>(2)</sup> كانت الرحلات التي نظمتها سلالة مينغ هذه مدعومة من الدولة تحت الرعاية الفعلية لهوانغدي (الملك) يونغ لو Yung-lo الذي سعى إلى توسيع هيمنة الصين ترسيخ مفهوم الصين كمملكة وسطى وتوسيع نفوذ الصين في الخارج.<sup>(3)</sup> كانت رحلات مينغ السبع ناجحة للغاية في إنشاء نظام الروافد في المحيط الهندي وعلى طول ساحل شرق إفريقيا.<sup>(4)</sup> والسؤال المطروح هو لماذا لم تواصل الصين المينغية اكتشاف الممر حول أفريقيا وربما عبور المحيط الأطلسي لاستكشاف العالم الجديد؟

(1) - Joseph Needham, *Science and Civilization in China*, Vol. 4, Cambridge University Press, 1971; John Hall, *Rediscoveries*, Oxford, Clarendon Press, 1986.

(2) - Borthwick. Mark, *the Pacific Century*, Boulder, Westview Press Inc., p. 30.

(3) - Chang Wei-hua, *Ming tai hai wai mao i chien lun*, 1955, Shanghai, pp. 32-34.

(4) - Twitchett and Fairbank (eds), *op. cit.*, p. 8.

## تشنغ هو (1371-1433م). البحار والدبلوماسي المسلم الذي قاد الصين إلى العالمية

تمّ أسر تشنغ هو في سن العاشرة، بعد غزو مقاطعة كونيانغ Kunyang مسقط رأسه في مقاطعة يونان عام 1381، وتمّ خصيه، والتحق بتشوتو تشو تشو (تشودي) Chu Ti الذي أصبح ملكاً بلقب هوانغدي يونغ لو، وتدرّب في خدمته في البلاط. ومن المثير للدهشة أنه في سن العشرين "أصبح طوله أكثر من 2.13 سم، ويصفه المؤرخون بأنّ وجنتاه وجبينه كانا مرتفعين لكن أنفه كان صغيراً. وكانت له عينان لامعتان وصوت عالٍ كالجرس. كان يعرف الكثير عن الحرب وكان متمرساً في القتال."<sup>(1)</sup> ارتقى تشنغ هو من وضعه السابق كرعية لإحدى الأقليات ليصبح أحد أكثر أعضاء البلاط نفوذاً. كان اسم عائلته الأصلي هو "ما"، ولكن الاسم الأول "حجي" لكل من والده وجدّه يشير إلى احتمال أن يكون له أصول مغولية-عربية وعقيدة إسلامية مبكرة، واحتمال أن يكون قد عرف اللغة العربية وكان لديه فهم للمناطق الإسلامية التي تقع في الغرب.<sup>(2)</sup>

كانت الخلفية الشخصية لتشنغ هو، بسبب احتمال أن يكون والده وجدّه قد زارا مكة المكرمة في رحلة حج وعادا بحكايات مثيرة للاهتمام، دافعاً قوياً له للسفر غرباً إلى المناطق الإسلامية عن طريق البحر. ومن الأسباب المحتملة الأخرى لرحلات سلالة مينغ حقيقة أن هوانغدي يونغ لو (1402-1402) قد اغتصب العرش (1399-1402) واعتقد أن هوانغدي السابق المخلوع تشو يون ون (1398-1402) الذي فر من الصين، كان يخطط لعودة عسكرية محتملة من منطقة نائية.<sup>(3)</sup> وهكذا تم التخطيط للرحلات البحرية بحثاً عن

(1) - Riley, Philip F. et al., "Global Contacts" in *the Global Experience*, Engelwood Cliffs, NJ, Prentice Hall, 1992, pp. 1-4.

(2) - Chang Kuei-sheng, "Cheng Ho" in Carrington Goodrich and Chaoying Fang (eds), *Dictionary of Ming Biography (DMB) 1368-1644, Vol. 1, A-L*, New York, Columbia University Press, 1976, pp. 194-98.

(3) - Peterson, Barbara Bennett. (1994), *the ming voyages of Cheng Ho (zheng he), 1371-1433*. In *The Great Circle*, 1994, Vol. 16, No. 1 pp. 43-51 Published by: Australian Association for Maritime History. P. 43

تشنغ هو (1371-1433م).

## البحار والدبلوماسي المسلم الذي قاد الصين إلى العالمية

مناقسه، وقد لجأ يونغ-لو إلى مساعده العسكري تشنغ هو، الذي ساعده في معارك استراتيجية منها حصار بكين عام 1399 أثناء عملية الاستلاء على العرش. وبالتالي، كان يجب أن تكون الرحلات الخارجية مثيرة للرأي العام ومرعبة للخصوم لتجنب أي انتقام محتمل. كان لا بد أن يقوم بها شخص لديه معرفة بالمناطق التي ستتم زيارتها ومن خلال التقارب اللغوي أو الثقافي، وهكذا يمكنه إقناع المناطق النائية بأن تصبح صديقة للصين ومن أنصار أو أصدقاء هوانغدي الحاكم، وبالتالي إحياء أي أنشطة انتقامية سرية في الخارج. كانت الرحلات إلى ما كان يُعرف في الصين آنذاك باسم "المحيطات الغربية" في سنوات 1405 و1407 و1409 و1413 و1417 و1421، وحتى بعد وفاة هوانغدي يونغ لو في 1431، وذلك لإقناع الحلفاء وكسبهم وتوطيد السلام والحفاظ على السلطة في الداخل.<sup>(1)</sup>

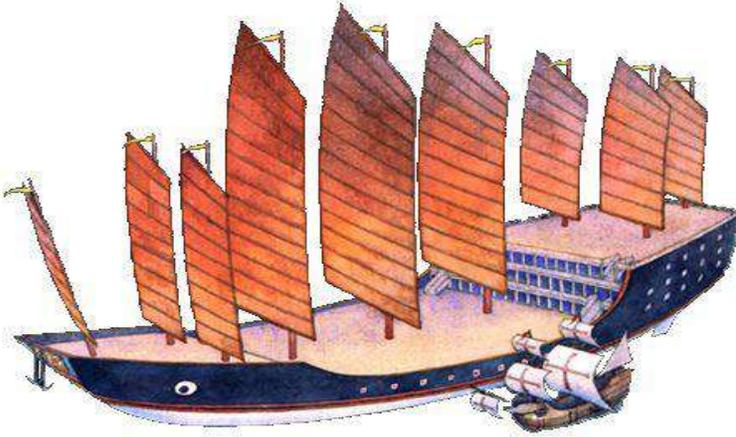
كان تشنغ هو قد مُنح لقب أمير البحر Admiral في عام 1404 كمكافأة له على انتصاراته العسكرية، وبدءاً من عام 1405 كان عليه أن يدير أولى رحلات الملك يونغ-لو الاستكشافية الخارجية. تألفت الرحلة الأولى من 312 سفينة، وكانت بعض السفن التي تحمل الكنوز (الحرير والخزف) كهدايا يبلغ طولها 135 متراً تقريباً أي 440 قدماً وسفن أخرى ب 57 متراً أي 186.2 قدماً وتحمل تسعة صواري.<sup>(2)</sup> ويمكن مقارنة ذلك بسفن كولومبوس في رحلته الأولى إلى العالم الجديد التي كانت تضم ثلاث سفن هي سانتا ماريا ذات الأسطح التي يبلغ طولها 35 متراً أي 117 قدماً، وسفينتا كارافيل نينا وبينتا اللتان لا تتجاوزان طول كل منهما 16 متراً أي 50 قدماً. ويبدو الأسطول الصيني ضخماً عند مقارنته

(1) - Riley, op. cit., pp. 1-4.

(2) - Mills, J.V.G., *Ma Huan, Ying-yai sheng lan: The Overall Survey of the Ocean's Shores, 1433*, Cambridge, 1970, pp. 27-32.

## تشنغ هو (1371-1433م). البحار والدبلوماسي المسلم الذي قاد الصين إلى العالمية

بسفينتي القبطان كوك اللتين أبحرتا معًا لاستكشاف المحيط الهادئ عندما وصل إلى هاواي عام 1778، وكان طول كل منهما حوالي 31 متراً، أي 100 قدمًا. ويمكن مقارنة حجم السفن الصينية بالزوارق الطويلة المزدوجة البولينية التي كانت تبحر في رحلات طويلة، وكان حجمها حوالي 32 متراً أي 108 قدمًا بطاقم يتراوح طوله بين 30 و40 بحارًا. أما سفن سلالة مينغ الأخرى التابعة لأسطول تشنغ هو، والتي كانت تحمل الخيول، فقد كانت مقاساتها 670 متر طول و112 متر عرضاً أي 370 × 150 قدمًا، وكانت سفن الإمداد تبلغ 344 متر طولاً و85 متر عرضاً أي 280 × 120 قدمًا.



مقارنة حجم سفينة الجنك الصينية مع حجم السفن الأوروبية التي أبحرت إلى المحيط الهندي وأمريكا، سفينة فاسكو دا غاما البرتغالية سفينة كريستوف كولومبوس الإسبانية المشابهة لها.

## تشنغ هو (1371-1433م). البحار والدبلوماسي المسلم الذي قاد الصين إلى العالمية

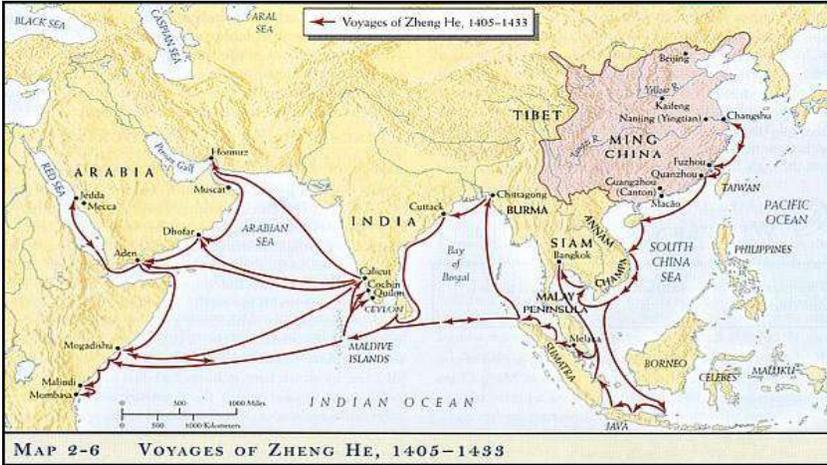
بُنيت هذه السفن الصينية العملاقة في حوض لونغ تشيانغ Lung-chiang لبناء السفن في نانكينغ Nanking، وتم تجنيد البحارة من منطقة فوكين Fukien بالجنوب الشرقي التي بدأت الرحلات البحرية من موانئها. تجمّع الأسطول في ليوتشيا كانغ Liu-chia kang بالقرب من سوتشو Soochow وأبحر عبر بحر الصين إلى تشامبا Champa، وجاوة ومالكا وسيموديرا وشمال سومطرة، ثم إلى سيلان (سريلانكا) وكويلون Quilon وكاليكوت (وتسمى قاليقوت أو كوجيكود Kozhikode على الساحل الغربي للهند).<sup>(1)</sup> "رافق سفراء من كاليكوت وسيموديرا وكويلون وكويلون ومالكا وولايات أخرى الأسطول العائدين حاملين الجزية إلى نانكينغ."<sup>(2)</sup> وتأكيداً لمفهوم الصين باعتبارها المملكة الوسطى، مع المناطق العالمية المحيطة بها كدول تابعة. تم القيام بهذه الحملة الاستكشافية عام 1405 على متن 62 سفينة ضخمة و255 سفينة أصغر حجماً وعلى متنها 27870 بحارا قاموا في مرحلة العودة من هذه الرحلة الأولى بإخضاع القرصان تشين تسو آي Ch'en Tsu-i في مضيق ملقا، مما أدى إلى توسيع سمعة وشهرة تشنغ هو، ورفع مكانة الصين في جميع أنحاء جنوب شرق آسيا. كان تشين تسو آي قد استولى على باليمبانغ Palembang وهدد مضيق ملقا، وقد حررت قوات تشنغ هو البحرية المضيق من أجل التجارة الآمنة، "وأثارت إعجاب رؤساء الدول في المنطقة"<sup>(3)</sup>.

(1) - في هذا البحث تمت كتابة أسماء بعض الأماكن والأشخاص باللسان الإنجليزي لأنهم غير معروفين ليسهل البحث عنهم، كما كتبت بعض الأسماء باللغة الصينية لزيادة حجم المشاهدة الخارجية.

(2) - Twitchett and Fairbank, op. cit., p. 233.

(3) - Mills, J.V.G. *Ma Huan*, op. cit., pp. 10-11.

## تشنغ هو (1371-1433م). البحار والدبلوماسي المسلم الذي قاد الصين إلى العالمية



### رحلة تشينغ هو البحرية من عام 1405 إلى عام 1433م

تم التخطيط للرحلة الثانية في عام 1407، حيث أبحرت في العام التالي 1408، وأبحرت إلى كاليكوت حيث وزع تشنغ هو الهدايا بسخاء على الملك الهندي، وأجرى "التنصيب الرسمي لملك كاليكوت"، وأقام جناحاً تذكاريًا، ثم عاد عن طريق سيام (تايلاند) وجاوة. وقد شكلت هذه المباركة أو التنصيب الذي قدمه قائد الأسطول الصيني الذي يمثل هوانغدي في الصين سابقة مهمة، وساهم مرة أخرى في ترسيخ فكرة أن الصين هي المملكة الوسطى وأن المناطق الأجنبية كانت ولايات تابعة أو تابعة. وعلاوة على ذلك، وأثناء وجوده في جاوة، طلب من تشنغ هو وأسطوله الصيني تسوية صراع محلي على السلطة، وهو ما فعله، مما أكد مرة أخرى تفوق الصين، وعزز فكرة أن الصين باعتبارها المملكة الوسطى كانت لديها سلطة التحكيم في النزاعات التي تشمل الولايات التابعة لها. عند عودته إلى نانكينغ (التي كانت بمثابة

تشنغ هو (1371-1433م).

## البحار والدبلوماسي المسلم الذي قاد الصين إلى العالمية

العاصمة حتى عام 1420 عندما انتقلت إلى بكين)، بنى تشنغ هو معبد تيان هو Tien Hou (ملكة السماء).<sup>(1)</sup>

وصل تشنغ هو إلى كاليكوت مرة أخرى في الرحلة الثالثة في شهر أكتوبر 1409 مع 48 سفينة و30,000 رجل، وشملت الرحلة زيارات إلى سيام ومالاكا وسومطرة وسيلان، حيث تم عرض المنتجات الصينية، جزئياً كحافز للتجارة، وجزئياً كمقياس لثروة المملكة الوسطى وتطور تقنياتها وقوتها.<sup>(2)</sup> وفي سيلان، في المرحلة الأولى من الرحلة بينما كان لا يزال في طريقه إلى الهند، قدم تشنغ هو هدايا إلى معبد بوذي، ونُصبت لوحة تخلد ذكرى تقديمه بعدة لغات الصينية والفارسية والتاميلية. وكان مؤرخاً بتاريخ 15 فبراير 1409. تشير حقيقة أن اللوح كان مكتوباً باللسان الصيني واللسان الفارسي (باستخدام الأحرف العربية) بالإضافة إلى اللسان التاميلي، وهي اللهجة المحلية، إلى أن الصين كانت تتقوى وتتحرك في المناطق التجارية التي كان ينشط فيها البحارة والتجار الساحليون من الفرس. وقد كانت البوذية التي نشأت في الهند وانتشرت كثيراً في الشرق الأقصى وصارت عقيدة أقلية في بلاد فارس بسبب التأثيرات القادمة من الصين عبر طريق الحرير، ولكنها كانت عقيدة الأغلبية في سيلان. ولعل اللوح الذي أقامه الأسطول الصيني يخلد مدى التأثيرات البوذية في "المحيطات الغربية"، مما أسس رابطاً ثقافياً وسياسياً بين سيلان والصين: كانت سيلان المكان المثالي لإقامة هذا الرابط الثقافي لأن مدنها القديمة في أنوارادهابورا Anuaradhapura وبولوناروا Polonnaruwa وكاندي Kandy كانت كلها متجذرة في البوذية المستوردة أصلاً من الهند. ولكن عند العودة من الهند في المرحلة

<sup>(1)</sup> - Morison, Samuel E. *Admiral of the Ocean Sea: A Life of Christopher Columbus*, 2 vols., Boston, Little, Brown and Co., 1942.

<sup>(2)</sup> - Peterson, op. cit., p 44.

## تشنغ هو (1371-1433م). البحار والدبلوماسي المسلم الذي قاد الصين إلى العالمية

الأخيرة من هذه الرحلة الثالثة، تعرضت قوات تشنغ هو لهجوم من قبل الأجاكونارا Alagakkonara ملك سيلان في عام 1411. ربما خوفاً من اعتداءات القوات الصينية، وربما رغبة في الحصول على الغنائم من سفن الكنوز الصينية، وربما مقاومةً لفكرة التبعية للصين. سعى الأجاكونارا إلى نهب أسطول تشانغ هو، ولكن تشنغ هو انتصر على السهاليين وأسر الأجاكونارا ونقل كأسير إلى ملك الصين.<sup>(1)</sup> وقد أطلق هوانغدي يونغ لو سراح الأجاكونارا بعد أن اعترف بالصين كمملكة وسطى وسيلان كدولة تابعة ترسل من الآن فصاعداً هدايا سنوية وتحافظ على علاقات ودية وتشارك في التجارة الودية.

وفي الرحلة الرابعة التي انطلقت في خريف 1413 ورجعت في شهر أوت أغسطس 1415، التي قام بها تشنغ هو على متن 63 سفينة و27,670 رجلاً، استكشف تشنغ هو المناطق الإسلامية في المشرق، حيث وصل إلى جزر الملايو (المالديف)، وضيق هرمز وساحل حضرموت وعدن. وفي الخليج العربي نزلت الرحلة في ظفار وشبه الجزيرة العربية وأوفد تشنغ هو مسلمين إلى مكة وزاروا مصر. ثم جازفت الرحلات البحرية التي بعدها بالتوجه إلى أسفل الساحل الأفريقي الشرقي إلى ماليندي "نتيجة لهذه الرحلة، أرسلت تسع عشرة دولة مبعوثين وجزية إلى بلاط مينغ"، ووزع هوانغدي يونغ لو المكافآت على الطاقم "حسب رتبهم".<sup>(2)</sup> وهناك حدث آخر يوضح فكرة تشنغ هو أمير البحر وهوانغدي الملك يونغ لو بأن الصين يجب أن تكون ممثلة ومعتبرة كمملكة وسطى وقع

(1) - Chung-jen Su, "The Battle of Ceylon, 1411" in Essays in Chinese Studies presented to Professor Lo Hsiang-lin on his retirement (ed), Department of Chinese, University of Hong Kong, 1970, pp. 291-96; and William Willetts, "The Maritime Adventures of Grand Eunuch Ho", Journal of Southeast Asian History, Vol. 5, No. 2, 1964, pp. 31-35.

(2) - DMB, op. cit., p. 197.

تشنغ هو (1371-1433م).

## البحار والدبلوماسي المسلم الذي قاد الصين إلى العالمية

في سيموديرا في المرحلة الأخيرة من هذه الرحلة الرابعة. كان تشنغ هو قد تلقى تعليمات من هوانغدي بمراقبة سيموديرا، وذلك بعزل أحد الحكام الذي اغتصب السلطة وقتل الملك السابق التابع للصين. لقد تمّ إزاحة المغتصب بالقوة على يد قوات تشنغ هو، ونُصّب الملك الشرعي، وأُعيدت العلاقات مع المملكة الوسطى. أُعدم المغتصب في نانكينغ بعد أن نقله تشنغ هو إلى هناك. تدخلت الصين في الشؤون الداخلية لدولة تابعة لها فيما وراء البحار، وكان ذلك عبرة لجميع الدول التابعة الأخرى التي قد تتحدى سلطتها. أسست رحلات تشنغ هو ممتلكات لروافد للصين فيما وراء البحار قائمة على التجارة، وبعد عودة الأسطول الرابع إلى الصين، وصلت إلى مملكة الصين الكبرى رحلة "قادمة من تشامبا Champa ومقديشو وماليندي (كينيا حاليا) على الساحل الشرقي لأفريقيا وكان فيها مبعوثون ملوكهم المحليين مع الجزية والهدايا وكان منها زرافة إلى بلاط سلالة مينغ، وهو حدث يمثل ذروة نفوذ هوانغدي في الخارج".<sup>(1)</sup> وقد ارتفعت مكانة الصين دوليا وتجذر مفهوم أنها فعلا المملكة الوسطى.

حمل تشنغ هو هؤلاء المبعوثين الذين زاروا الصين وحملوا الهدايا إلى بلادهم في الرحلة الخامسة التي انطلقت في خريف 1417 ورجعت في شهر أوت أغسطس 1419 إلى الصين، وكانت فعلا مغامرة إلى بقاع مجهولة وصلت إلى ميناء جديد وهام، هو ميناء ماليندي على الساحل الشرقي الأفريقي. كما حمل تشنغ هو سفراء جدد من البلدان التي زاروها مرة أخرى، وحملهم معه إلى الصين، وكانو مصحوبين بالهدايا الغريبة على عالم الصين "أسود وفهود وإبل ونعام وحمير وحشية ووحيد القرن وظباء وزرافات وحيوانات غريبة أخرى".<sup>(2)</sup> ويبدو أن المبعوثين العائدين، الذين شهدوا فرحة هوانغدي الملك عند رؤية

<sup>(1)</sup> - Mills, *Ma Huan*, op. cit., pp. 12-13

<sup>(2)</sup> - Peterson, op. cit., p 45

تشنغ هو (1371-1433م).

## البحار والدبلوماسي المسلم الذي قاد الصين إلى العالمية

الزرافة لأول مرة، قد نشروا خبر إعجابه بالحيوانات الغريبة.<sup>(1)</sup> زارت الرحلة السادسة (1421-1422)، التي حملت مرة أخرى المبعوثين العائدين إلى الوطن، على متن 41 سفينة معظم بلدان جنوب شرق آسيا وجزر التوابل والهند وسيلان وهرمز وعدن، ووصلت هذه المرة إلى زنجبار قبالة تنجانيقا (تانزانيا حاليا) على الساحل الشرقي الأفريقي. كما وصلت أيضًا إلى مقديشو وبرافا على الساحل الصومالي وتم نقل المبعوثين مرة أخرى إلى الصين حاملين الهدايا من أجل تشجيع التجارة. كان مفهوم الصين كمملكة وسطى قد ترسخ بشكل جيد. وكانت الصين قد أنشأت شبكة من الطرق التجارية والاتصالات والصدقات الشخصية. وفي كل رحلة، كان يتم تعيين مفوضين من الصين في مناطق جديدة واستقبال سفراء.<sup>(2)</sup> وفي مقابل تبعية البلد أو المنطقة للحاكم الصيني كما يظهر من خلال هدايا الجزية السنوية، كان الحاكم الصيني ينقل وضع الدولة التابعة مع "خطاب براءة هوانغدي أي الملك وختم الرتبة والتقويم الصيني، وهي رموز مهمة للشرعية والقبول في النظام العالمي المتحضر الصيني".<sup>(3)</sup> ومن خلال هذه الأنشطة، كانت الصين قد أسست وكرست نفسها باعتبارها المملكة الوسطى في كل من السياسات الداخلية والخارجية. وكان لكل دولة حق قانوني في التجارة مع الصين. امتدت الصين تحت حكم سلالة المينغ في الوقت نفسه برًا إلى منشوريا في الشمال وإلى تركستان في الغرب؛ وقامت جيوشها بحملات في منغوليا حتى بحيرة بايكال (روسيا حاليا) وفي جميع أنحاء فيتنام وكوريا وبورما في الجنوب، مما زاد من عدد موانئها، ومراكزها التجارية الخارجية.

(1) - Twitchett and Fairbank (eds), op. cit., p. 235.

(2) - Hall, John A. *Powers and Liberties*, Berkeley, University of California Press, 1985, pp. 49-50.

(3) - Duyvendak, Jan Julius Lodewijk. *China's Discovery of Africa*, University of London, 1949.

تشنغ هو (1371-1433م).  
البحار والدبلوماسي المسلم الذي قاد الصين إلى العالمية



حجم حقيقي لمقطع من سفينة تشينغ هو حاملة الهدايا الصينية  
والسلع وعائدة بالمخلوقات الغربية من شرق إفريقيا

تم التخطيط لرحلة أخرى في عام 1424 عندما أصدر هوانغدي يونغ  
لوتعليمات إلى تشنغ هو بتعيين مفوض صيني جديد في باليمبانغ Palembang.  
يؤكد تعيين مفوضين صينيين في الخارج على مفهوم أنذ الصين هي المملكة  
الوسطى أو المركزية ورغبتها في الحفاظ على ممتلكاتها وأطرافها التجارية  
المترامية جغرافيا برا وبحرا من خلال التجارة السلمية بدلاً من الحرب. ولكن  
بعد وفاة هوانغدي يونغ لو في 12 أوت أغسطس 1424، أجل تشنغ هو حملته  
الاستكشافية المخطط لها. لم ير هوانغدي الجديد تشو كاو-تشيه (1398-

## تشنغ هو (1371-1433م). البحار والدبلوماسي المسلم الذي قاد الصين إلى العالمية

(1435) الذي حكم من عام 1424-1425 قيمة تذكروا مواصلة الرحلات الخارجية، وأعيد تعيين تشنغ هو مؤقتاً في حامية نانكينغ.

وفي عام 1430، تم التخطيط لرحلة سابعة كانت الأخيرة (1431-1433) من قبل هوانغدي مينغ الخامس، وهو تشو تشان تشي Chu Chan-chi الذي حكم ما بين 1425-1435، وتم التعجيل بهذه الرحلة تحت إشراف تشنغ هو. أبحر الأسطول الضخم مرة أخرى في جميع أنحاء موانئ جنوب شرق آسيا وإلى المحيط الهندي وميناء كاليكوت غرب الهند، حيث توفي القائد العظيم تشنغ هو.<sup>(1)</sup> أعيد جثمانه إلى الصين ودفن خارج نانكينغ في نيوشو شان Niushou-shan ومن المحتمل أنه تبني ابناً له هو تشنغ هاو الذي ورث ممتلكاته الشخصية.<sup>(2)</sup>

إن الرحلات السبع التي قام بها تشنغ هو خلال أوائل عهد أسرة مينغ الحاكمة كانت "قد انطلقت لتوسيع نفوذ هوانغدي ملوك الصين العظام في هذه الأراضي البعيدة، مع إظهار القوة العسكرية والتجارية والصناعية والثقافية الصينية، ولتوسيع معرفة الصينيين بالعالم، ولحماية مصالح الصينيين، ولإدخال أناس جدد في نظام الجزية..."<sup>(3)</sup> وقد تحققت هذه الأهداف بالتأكيد. فقد أظهرت الصين سلطتها من آسيا إلى أفريقيا واستعرضت قوتها التكنولوجية، وأنشأت مناطق هائلة للتجارة المربحة، وعادت إلى الصين بمنتجات غريبة بما في ذلك التوابل المرغوبة كثيراً.

(1) - Borthwick, op. cit., p. 30

(2) - Riley, op. cit., p. 5.

(3) - Twitchett and Fairbank. op. cit., p. 236.

تشنغ هو (1371-1433م).

## البحار والدبلوماسي المسلم الذي قاد الصين إلى العالمية

من الصعب الوصول إلى الأثر الاقتصادي المباشر لتلك الرحلات الاستكشافية وعوائدها المالية بسبب صعوبة الوصول إلى الأرقام التي توضح مداخيل تلك البعثات، ويرجع ذلك إلى حد كبير إلى أن الوكالات المكلفة لم تترك أي حسابات للتكاليف الإجمالية، على الرغم من اعتراضات المسؤولين والعلماء على ذلك الكتمان.<sup>(1)</sup>

كما مثلت رحلات تشنغ هو أكبر البعثات الاستكشافية الخارجية التي تم القيام بها قبل عصر الاكتشافات الأوروبية. ولكن وفاة تشنغ هو أنهت على ما يبدو رحلات سلالة مينغ الشهيرة ورغبة الصين في التوسع بحراً. ولعل ورثة الملك يونغ لو لم يعودوا يشعرون بالتهديد بالانتقام من الحاكم المخلوع الذي كان يُفترض أنه مات في ذلك الوقت. وربما كانت الاتصالات والنوايا الحسنة قد تأسست بشكل كافٍ بحيث استمر النظام نفسه، حيث استمر مبعوثو الدول التابعة في القدوم إلى الصين كل عام، محافظين دبلوماسياً على ما تم اكتسابه سابقاً من استعراض القوة العسكرية من خلال الرحلات.<sup>(2)</sup> ربما كان التهديد على الحدود الصينية الشمالية من "البرابرة" سبباً في "الهوس بالسور العظيم (الذي) لم يترك وقتاً للدولة المينغية للنظر إلى مكان آخر وتقييم الفرص الأخرى بشكل إيجابي."<sup>(3)</sup> ولكن قرار إنهاء الرحلات من قبل الحكومة الصينية سيكون له آثار طويلة الأجل. فقد أتاح للأوروبيين أن تكون لهم اليد العليا في اكتشاف العالم الجديد، والسيطرة في نهاية المطاف على المحيط الهندي ومنطقة جزر التوابل بأكملها، حيث كانت الصين ذات يوم تتمتع

(1) - Hsieh Chu, *Cheng Ho*, op. cit., pp. 98-103.

(2) - Peterson, op. cit., p. 46.

(3) - Twitchett and Fairbank, op. cit., p. 213.

تشنغ هو (1371-1433م).

## البحار والدبلوماسي المسلم الذي قاد الصين إلى العالمية

بنفوذ فعلي، وبعد عام 1433 كان لدى الصينيين التكنولوجيا اللازمة ولكن ليس الإرادة السياسية للمضي قدمًا واكتشاف العالم الجديد.

وربما كان منافسهم، من العرب، المسلمين ربما امتلكوا الإرادة، لكنهم افتقروا إلى التكنولوجيا. كان المركب الشراعي العربي الداو dhow مناسبًا تمامًا للتجارة الساحلية، ولكن ليس لعبور مساحات شاسعة من البحر المفتوح. كتب المؤرخ الهندي شاوردي Chaudhuri في مناقشته لعلاقات العرب بالمحيط الهندي قائلًا: "لقد مكّن البحر الناس "العرب" من السفر من بداية البحر الأحمر والخليج العربي وصولاً إلى الصين واليابان، لكنهم لم يكونوا قادرين على الإبحار في البحر إلى ما وراءه للوصول إلى أمريكا"<sup>(1)</sup> استعار الأوروبيون الأسطراب من العرب، وهو جهاز لقياس خطوط العرض، ومن المراكب الشراعية العربية الصغيرة استعاروا الشراع اللاتيني وجمعه مع الشراع الإسكندنافي المربع في تصميم مراكبهم الشراعية. وهكذا، ستسمح باختراق هاتان المنطقتان من العالم، آسيا والمشرق من طرف الأوروبيين وبالانتصار، فيما أصبح سابقاً عالمياً على الممتلكات. لو كان تشانغ هو على قيد الحياة، أو كان ملك المينغ مقتنعاً بأن عظمة الصين يمكن أن تمتد ربما إلى العالم بأسره، لكان التاريخ مختلفاً تمامًا.

يبدو أنّ تشانغ هو نفسه هو الدافع الأساسي للرحلات بحثًا عن جذوره في الجزيرة العربية الإسلامية، وعندما مات ماتت القوة الدافعة أيضًا لذلك المشروع الكبير. ولكن لا بد أنه كان هناك آخرون من أصول مغولية عربية في

<sup>(1)</sup> - Chaudhuri, Kirti, Narayan. "The Unity and Disunity of Indian Ocean History from the Rise of Islam to 1750: The Outline of a Theory and Historical Discourse", Journal of World History, Vol. 4, No. 1, 1993, p. 18.

تشنغ هو (1371-1433م).

## البحار والدبلوماسي المسلم الذي قاد الصين إلى العالمية

الصين ممن كانوا مهتمين بالرحلة، حتى قائدا الأسطولان التابعان لتشنغ هو، وهم القائد وانغ تشينغ-هونغ Wang Ching-hung، الذي عُرف فيما بعد رسمياً باسم وانغ كوي-تونغ (ت 1434) Wang Kuei-t'ung وكذلك القائد هو هسين Hou Hsien، ربما لم يلحاً على رغبتهما في تمديد الرحلات، أو أن الموارد الشحيحة حدّت من رغبتهما. ولكن نادرا ما كان لحياة رجل واحد في التاريخ الصيني المبكر تأثير كبير في حياة ملك واحد ودلالة ذلك على فرصة محتملة لمزيد من العظمة الصينية كما فعلت حياة تشنغ هو. فقد كان مفهوم المملكة الوسطى راسخاً بقوة عند وفاته؛ وكانت ثقافة الصين معروفة ومحترمة على نطاق واسع في جميع أنحاء جنوب شرق آسيا والمحيط الهندي. وبوفاته، انسحبت الصين من المنافسة على السباق إلى العالم الجديد. وتم فسح الطريق للأوروبيين الذين استعاروا في وقت سابق البوصلة المغناطيسية والبارود من الصين، وطوروا الإرادة والتكنولوجيا لاستكشاف الشرق والغرب. وكانت المناسبة المباشرة التي دفعت الأوروبيين إلى تطوير هذين العنصرين هي غزو العثمانيين للإمبراطورية البيزنطية في عام 1453، مما زاحم تجارة التوابل برأً. وفي غضون 35 عامًا، طوّر الأوروبيون حلًا لهذه المعضلة وانتصروا من خلال بارثولومي دياز Bartholomy Diaz عام 1487 الذي جعل رأس الرجاء الصالح معروفًا لأوروبيين، ومن خلال فاسكو دا جاما عام 1488 الذي وجد طريقه حول رأس الرجاء الصالح إلى كاليكوت بالهند، وأرشد الأوروبيين إلى الطريق إلى جزر التوابل، متجاوزًا المسلمين.<sup>(1)</sup>

<sup>(1)</sup> - Wallerstein, Immanuel. *The Modern World System I: Capitalist Agriculture and the Origins of the European World-Economy in the Sixteenth Century*, New York, Academic Press, 1974, pp. 54-55.

تشنغ هو (1371-1433م).

## البحار والدبلوماسي المسلم الذي قاد الصين إلى العالمية

على مدى ثمانية وعشرين عامًا (1405-1433)، حقق تشنغ هو، الذي بدأ من تشامبا وسافر إلى الخليج العربي وشرق أفريقيا، وزار سبعة وثلاثين بلدًا، من خلال الهدايا والدبلوماسية، في جعل هذه المناطق ولايات تابعة للمملكة الوسطى. اتبع الأوروبيون الصيغة الصينية الناجحة من خلال تطوير الاتصالات من خلال الهدايا (السلع التجارية) والدبلوماسية. وهنا أثبتت أطروحة المؤرخ الإنجليزي حول المحنة. فقد كان الحافز المعاكس هو عدم القدرة على تأمين التوابل بأسعار معقولة من خلال الأراضي التي يسيطر عليها العثمانيون، وارتقى الأوروبيون إلى مستوى التحدي، ومضوا في اكتشاف مملكات عالمية.

فهل كان بإمكان الصينيين، بعد أن قطعوا المسافة حتى زنجبار للالتفاف حول إفريقيا من الاتجاه المعاكس لآسيا، أن يعبروا المحيط الأطلسي إلى العالم الجديد؟ بالطبع، من خلال إيجاد أو تدريب أو تمويل ملاح آخر مثل تشنغ هو بعد عام 1433. أم أن تشنغ هو كان يخفي معرفته التقنية (مثل الخرائط) ويتقاسمها مع هوانغدي يونغ لوفقط؟ المعروف هو أن الحكومة الصينية لم تعد تدعم الرحلات البحرية، على عكس ما كان يحدث في أوروبا حيث كان الملوك والملكات يراعون البعثات الاستكشافية الخارجية، كما فعل فرديناند وإيزابيلا ملوك إسبانيا مع كولومبوس، أما في الصين، فقد نشأت تجارة بحرية غير شرعية على طول الشواطئ الجنوبية للصين من دلتا اليانغتسي (النهر الأصفر) Yangtze Delta إلى كانتون Canton في الجنوب، ولكنها كانت تحت تهديد مستمر من الحكومة المركزية الصينية. ونتيجة لذلك، غادر العديد منهم الصين ليؤسسوا مستعمرات صينية في الخارج من التجار والحرفيين ظهرت في الفلبين ومناطق أخرى في جنوب شرق آسيا. ما الذي كان يمكن أن يحدث لو أن الدولة الصينية سخرت مواهب طبقة التجار أصحاب المشاريع ورعتها

تشنغ هو (1371-1433م).

## البحار والدبلوماسية المسلم الذي قاد الصين إلى العالمية

ووجهتها كما كانت تفعل الدول الأوروبية؟ لقد أدى ضم الصين في عصر المينغ للعديد من المناطق الحدودية في بورما ولاوس وتايلاند الحديثة إلى توسيع الساحل البحري وكان من المفترض أن يجعلها طبيعية في التوسع الخارجي. وبدلاً من ذلك، اختارت الصين الانسحاب من المنافسة.<sup>(1)</sup>

ومهما كان التفسير، فقد كانت الإرادة مفقودة بعد عام 1433 للقيام بمزيد من الرحلات البعيدة عن حدود الصين، وهو ما كان من حسن حظ الأوروبيين. وقد مهدت رحلات تشنغ هو التي قام بها زمن حكم سلالة مينغ الطريق للاستعمار الصيني اللاحق فيما وراء البحار، واستمرت الجزية السنوية من الدول التابعة سنوياً إلى المملكة الوسطى. كانت معرفة الصين بالعالم الخارجي، على الأقل وسط البلاط، هائلة فيما يتعلق بالمنطقة الممتدة من الساحل الجنوبي للصين حتى الساحل الأفريقي. ولكن هل كان وضع الصين سبيع بالحالة البولينية (شعوب المحيط الهادي) حيث لم يكن هناك سوى عدد قليل من الملاحين المدربين على المهارات الإبحار البعيد، وعندما ماتوا ماتت مهاراتهم معهم؟ من المؤكد أن الصينيين كانوا لا يزالون يعرفون كيف يبنون السفن ويديرون طواقمها، ولكن هل كان لديهم رجل آخر مثل تشنغ هو؟ هل فقدوا إتقانهم للتكنولوجيا فيما بعد؟ من خلال ملاحظة تطور التجارة الصينية الخاصة غير المشروعة على ما يبدو، فإن الإجابة تكون بالنفي. أم أن الأخلاقيات الكونفوشيوسية قد شلت الصين بتمجيدها للرتب والامتيازات، وبتركيزها على طبقة الأدباء بدلاً من التجار، بحيث لم يتم نقل المعرفة أو نشرها (مثل الخرائط) إلى ملاحين آخرين الذين كانوا سيواصلون نشاط المغامرات الخارجية؟ ويبدو أن الصينيين كانوا لا يزالون يحتفظون بالمعرفة التكنولوجية،

<sup>(1)</sup> - Peterson, op. cit., pp 47-48.

## تشنغ هو (1371-1433م). البحار والدبلوماسي المسلم الذي قاد الصين إلى العالمية

خاصة مع وجود طواقم قوامها 27000 أو أكثر وعدد من قادة السفن وأمراء بحر والملاحين بارعين، حيث سحقت أساطيلهم القراصنة اليابانيين في عامي 1559 و1563، مما أنهى الغارات اليابانية الساحلية. وعلى الأرجح، يبدو أن التهديد الداخلي من البرابرة الذين اقتحموا الحدود قد أملى على الأرجح الحاجة إلى إبقاء كل رجل قادر على العمل في الصين بعد عام 1433 للدفاع عن حدودها. كما وقع البلاط هوانغدي تحت تأثير المسؤولين الفاسدين بشكل متزايد مثل وانغ تشن Wang Chen في الأربعينيات من القرن الرابع عشر الميلادي ووانغ تشيلي Wang Chili في الفترة بين عامي 1470 و1480. ولكن العديد من المسؤولين داخل البلاط "أصبحوا سيئي السمعة ومكروهين بسبب دورهم في التجسس على المسؤولين المدنيين والعسكريين... لقد لفقوا الاتهامات وتجاوزوا سلطتهم، وغالبًا ما كانت عواقبها مأساوية"<sup>(1)</sup>.

عند وفاة تشنغ هو، كانت الصين المينغية تقيم علاقات مع أكثر من مائة دولة معترف بها كتابعين. واعترف قادة تركستان ومنغوليا وكوريا وبورما وسيام وفيتنام بسيادة سلالة مينغ. واستمرت تدفق الجزية إلى المملكة الوسطى من أماكن بعيدة مثل سمرقند، قادمة عن طريق البر، ومن منطقة الخليج العربي وشرق أفريقيا والهند وسيلان وجاوة وسومطرة. وربما كان خط الاتصالات قد امتد إلى أقصى الحدود. وفي الوقت نفسه، يبدو أن التوترات الداخلية والفساد داخل البلاط قد أوقف المساعي الخارجية المكلفة. ومهما كان الواقع، فقد أدى افتقار الصين للإرادة لمواصلة رحلاتها الاستكشافية إلى ضياع فرصة غير مسبوقه اغتنمتها أوروبا بالإرادة والتقنية معًا، ورسمت تاريخ العالم نحو المسار الهيمنة الأوروبية.

<sup>(1)</sup> - Twitchett and Fairbank (eds), op. cit., p. 213

تشنغ هو (1371-1433م).  
البحار والدبلوماسية المسلم الذي قاد الصين إلى العالمية

---

مكتبة البحث:

1. Borthwick. Mark, *the Pacific Century, Boulder*, Westview Press Inc.
2. Chang Kuei-sheng, "Cheng Ho" in Carrington Goodrich and Chaoying Fang (eds), *Dictionary of Ming Biography (DMB) 1368-1644*, Vol. 1, A-L, New York, Columbia University Press, 1976.
3. Chang Wei-hua, *Ming tai hai wai mao i chien lun*, (The Hung-wu reign, 1368–1398) 1955, Shanghai.
4. Chaudhuri, K.N. "The Unity and Disunity of Indian Ocean History from the Rise of Islam to 1750: The Outline of a Theory and Historical Discourse", *Journal of World History*, Vol. 4, No. 1, 1993.
5. Chung-jen Su, "The Battle of Ceylon, 1411" in *Essays in Chinese Studies presented to Professor Lo Hsiang-lin on his retirement* (ed), Department of Chinese, University of Hong Kong, 1970, pp. 291-96;
6. Duyvendak, Jan Julius Lodewijk. *China's Discovery of Africa*, University of London, 1949.
7. Hall, John A. *Powers and Liberties*, Berkeley, University of California Press, 1985.
8. Hsieh Chu, *Cheng Ho*, Peking, 1956.
9. Mills, J.V.G., *Ma Huan, Ying-yai sheng lan: The Overall Survey of the Ocean's Shores, 1433*, Cambridge, 1970.

تشنغ هو (1371-1433م).  
البحار والدبلوماسي المسلم الذي قاد الصين إلى العالمية

---

10. Morison, Samuel E. *Admiral of the Ocean Sea: A Life of Christopher Columbus*, 2 vols., Boston, Little, Brown and Co., 1942
11. Needham, Joseph. *Science and Civilization in China*, Vol. 4, Cambridge University Press, 1971; John Hall, *Rediscoveries*, Oxford, Clarendon Press, 1986.
12. Peterson, Barbara Bennett. (1994), the ming voyages of Cheng Ho (zheng he), 1371-1433. In *The Great Circle*, 1994, Vol. 16, No. 1 pp. 43-51 Published by: Australian Association for Maritime History.
13. Riley, Philip F. et al., "Global Contacts" in *the Global Experience*, Engelwood Cliffs, NJ, Prentice Hall, 1992.
14. Twitchett, Denis C. and Fairbank, John K. (eds), *Cambridge History of China*, Vol. 7, *The Ming Dynasty*, Cambridge, Cambridge University Press, 1978.
15. Wallerstein, Immanuel. *The Modern World System I: Capitalist Agriculture and the Origins of the European World-Economy in the Sixteenth Century*, New York, Academic Press, 1974.
16. Willetts, William. "The Maritime Adventures of Grand Eunuch Ho", *Journal of Southeast Asian History*, Vol. 5, No. 2, 1964, pp. 31-35.

1. تأثير العامل العسكري على العمارة المدنية بمدينة الجزائر في العهد العثماني

2. المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

## تأثير العامل العسكري على العمارة المدنية بمدينة الجزائر في العهد العثماني

تأثير العامل العسكري على العمارة المدنية بمدينة الجزائر  
في العهد العثماني

Influence of the military factor on the civil architecture of  
Algiers during the Ottoman era.

د. سامية بن قويدر<sup>(1)</sup> ، أ. صخرية بن قويدر  
جامعة الجزائر-2، المركز الجامعي مرسلي عبد الله يبازة  
samiabenkouider@univ-alger2.dz  
benkouider.sa@gmail.com

### ملخص:

تسلط هذه الدراسة الضوء على تأثير العامل العسكري على عمارة مدينة الجزائر في العهد العثماني الذي تحكم في الشكل الذي برزت به، وكذلك في اختيار موقعها باعتبار مدينة لجزائر مدينة ساحلية معرضة للغرات البحرية بصفة مستمرة، نظرا لتمييز أسطولها البحري واكتسابها مكانة هامة في البحر الأبيض المتوسط، مما جذب إليها أطماع الدول الكبرى لنهب ثرواتها من جهة والحد من نفوذها من جهة أخرى. بناء عليه فضلنا التركيز على هذا الجانب لإبراز تأثير العامل العسكري على الحياة اليومية للمدينة من خلال تفاعل منازلها معها من خلال دراسة نمطين اثنين واحد محمي داخل الأسوار والآخر خارجها معروف بالبرج لإثبات هذا التأثير بشكل أفضل.

كلمات المفتاحية: تأثير، العامل العسكري، عمارة -مدينة الجزائر، العهد العثماني.

<sup>(1)</sup> - المؤلف المرسل.

## تأثير العامل العسكري على العمارة المدنية بمدينة الجزائر في العهد العثماني

---

### **Abstract:**

This study highlights the influence of the military factor on the civil architecture of Algiers during the Ottoman era, since that factor affected the form of such architecture, as well as the selection of its location, given that Algiers is a sea-border town exposed continuously to invasions by sea, and in view of the importance of the marine fleet of Algiers and its privileged place in the Mediterranean sea, hence instigating the ambitions of the main states for the pillage of its resources in one hand, and on the other hand to limit its influence. Consequently, I have focused on this side in order to highlight the influence of the military factor on the daily life of the city since the houses of the city interacted greatly with that factor, by studying two styles, one protected inside walls and the other outside the walls, known as tower in order to show that influence in a better way.

**Keywords:** influence - military factor- architecture- Algiers- Ottoman era.

## تأثير العامل العسكري على العمارة المدنية بمدينة الجزائر في العهد العثماني

### 1. مقدمة:

عكست مباني مدينة الجزائر تأثير نمط الحياة عليها في تلك الفترة، حيث نلاحظ تفاعلها مع الواقع اليومي المعاش الذي ارتكز في الأساس على ضمان استقرار وأمن المدينة، من خلال الاكتساء بحلة شبه حربية تُبرز هذا التفاعل بهدف مجابهة الغزوات البحرية. لقد كان للعامل الأمني الأثر الكبير في اكتظاظ مباني مدينة الجزائر، مع ازدياد عدد السكان بها وانحصارها داخل الأسوار لتسهيل حمايتها، مما ساهم في ارتكاب المباني على بعضها، وبرز عناصر معمارية جديدة لريح فضاء إضافي، كما برز التأثير الأمني كذلك على شكل العناصر المعمارية كالنوافذ والأبواب الخارجية، وفي إحاطة ديار الفحص بأسوار عالية مصممة وكأنها أبراج حربية لدرجة تسميتها بالبرج -الذي نجد ذكرا له في عقود رسمية تعود إلى العهد العثماني-، وغير ذلك من العناصر المعمارية التي تعكس هذا التأثير.

بناء عليه وللإحاطة بموضوع دراستنا وجب علينا طرح الإشكال التالي:

- كيف أثر العامل العسكري على العمارة المدنية بمدينة الجزائر في العهد العثماني باعتبارها مدينة ساحلية عرضة للغزوات البحرية؟ وكيف تفاعلت هذه العمارة معه؟. للإجابة على هذا التساؤل وإشكاليات فرعية أخرى، تم اتباع المنهج الوصفي التحليلي للوصول إلى نتائج مرضية يتطلها هذا البحث.

## تأثير العامل العسكري على العمارة المدنية بمدينة الجزائر في العهد العثماني

### 2. لمحة عامة عن مدينة الجزائر:

قبل الحديث عن تفاعل العمارة مع العامل العسكري فضلنا إعطاء لمحة عامة عن المدينة كتمهيد لموضوعنا، مثل الحديث عن موقعها وتاريخها والتسميات التي عُرفت بها سابقا كقوة عسكرية كما يلي:

#### 1.2. الموقع:

تقع مدينة الجزائر في الساحل الجنوبي الغربي لحوض البحر الأبيض المتوسط على دائرة عرض 36,47° شمالاً<sup>(1)</sup> وعلى خط طول 3,3° شرقاً من خط غرينيتش<sup>(2)</sup>، حيث بُنيت المدينة بشكل متدرج ومُوجّه نحو رأس تمنفوست الذي يشكل مع المدينة خليجا يشبه حدوة فرس طول فتحتها فرسخان تقريبا<sup>(3)</sup>. شُهِت هذه المدينة من طرف العديد من الأوربيين بالشرع الأبيض بسبب شكلها المثلث نسبيا، ولكون جميع مبانيها بيضاء ومبنية على منحدر تلة لدواعي أمنية.

(1) - Docteur Shaw, voyage dans la régence d'Alger, Trad. de J. Mac Earthy, Paris: Marlin, (1830), p. 288

(2) - عبد القادر حليبي، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830، ط. 1، الجزائر: دار الفكر الإسلامي، (1972)، ص.33

(3) - Venture de Paradis, Tunis et Alger aux VIII ème siècle, Alger: Sindbad, (1983), p.109

## تأثير العامل العسكري على العمارة المدنية بمدينة الجزائر في العهد العثماني



اللوحة الفنية رقم: 1 تمثل الشكل الخارجي لمدينة الجزائر.  
عن: متحف الفنون الجميلة الجزائري.  
للسامين رامكر والبيو (C. Rumker-H.M.S. Albion)

### 2.2. لمحة تاريخية:

لقد كان تاريخ مدينة الجزائر حافلا تخللته العديد من الغزوات الحربية البحرية نظرا لموقع المدينة البحري الهام، خصوصا بعد سقوط غرناطة سنة 1492م، مما جعل منطقة الحوض المتوسط الغربية في حالة فوضى وعدم استقرار، نجم عنها قيام الاسبان بحملات لغزو المدن الساحلية لتتبع هجرة الأندلسيين. جراء ذلك احتل الإسبان مدن ساحلية عدة من المغرب الأوسط أهمها وهران سنة 1509، بجاية وعنابة سنة 1510<sup>(1)</sup>، دلس

<sup>(1)</sup> - يعي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، الجزائر: د.م.ج، (1999)، ص. 253.

## تأثير العامل العسكري على العمارة المدنية بمدينة الجزائر في العهد العثماني

وشرشال ومستغانم سنة 1511م، وكذلك قاموا ببناء حصن الصخرة على إحدى الجزر الأربع القريبة من مدينة الجزائر بعد التفاوض مع سكانها<sup>(1)</sup>، الذين استعانوا بالأخوين بربروس فيما بعد لمساعدتهم على طرد الإسبان، وتدمير الحصن وتأمين المدينة الذين قاموا بدورهم بطلب الدعم من الدولة العثمانية سنة 1518<sup>(2)</sup>، ممثلة في سلطانها سليم الذي عين خير الدين باي لربايا على الجزائر، وبذلك صارت إيالة عثمانية منذ تلك الفترة<sup>(3)</sup>.

### 3.2. تسميات المدينة الدالة على تحصينها:

يُشترط في بناء المدن أن تتوفر على الماء والكلأ والمحتطب، ويستحسن أن تكون قريبة من البحر لوصولها بالمدن الساحلية الأخرى، مع التركيز على أن تكون منيعة على الأعداء، صعبة المنال على المهاجمين بشكل حصن<sup>(4)</sup> مثل مدينة الجزائر الساحلية. اختير لهذه المدينة موقع منيع منذ القدم لدرجة تسميتها بأرغل<sup>(5)</sup> أو أرحل، اللتان تعنيان باللغة الأمازيغية المكان المستور أو العميق أو المغطى<sup>(6)</sup>. أما تسميتها بالجزائر فهي راجعة لكلمة جزيرة، نسبة إلى هذه الجزر التي قام خير الدين بالجمع فيما بينها وجعلها رصيفا بحريا

(1) - عبد القادر حليبي، المرجع السابق، ص. 163.

(2) - يعي بوعزيز، المرجع السابق، ص. 260.

(3) - محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط. 7، تعليق. إحسان حقي، بيروت: دار النفائس، (1993)، ص. 231.

(4) - عبد الرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، ط. 1، بيروت: جرس برس، (1988)، ص. 362.

(5) - عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث. الجزائر. المدينة. مليانة، ط. 2، الجزائر: مديرية الفنون والآداب، (2005)، ص. 11.

(6) - عبد الفتاح تقنية، دروس في تاريخ النظم القانونية، الجزائر: منشورات ثالة، (2004)، ص. 179.

## تأثير العامل العسكري على العمارة المدنية بمدينة الجزائر في العهد العثماني

لتحصين المدينة من الأعداء<sup>(1)</sup>. سُميت مدينة الجزائر على مر تاريخها بعدة أسماء تدل على مجابهتها للحملات البحرية كدار الجهاد، والمحروسة أي المحروسة بعناية الله، لأنها حظيت برعاية إلهية متمثلة في العواصف، التي أحببت الحملات الأوربية المُقامة على المدينة قبل وقوعها في العديد من المرات. وكذلك الثغر باعتبارها ثغرا للدولة العثمانية، وهو ما يلي دار الحرب وموضع المخافة من فروج البلدان والحد الفاصل بين بلاد المسلمين وأعدائهم، وقد يطلق على الثغور لفظ عواصم<sup>(2)</sup>. يستخدم لفظ ثغر في العمارة العسكرية للدلالة على المدينة الحصينة التي تنشأ على حدود الدولة الإسلامية، سواء لصد العدو أو استعمالها كمنطلق للإغارة عليه داخل أرضه<sup>(3)</sup>، وهذا ما كانت عليه مدينة الجزائر التي حصنت بشكل جيد.

أما مصطلح القصبية فيطلق عموما على قصب كل نبات ذي أنابيب ومفردها قصبه وعلى كل عظم ذي مخ تشبيها بالقصبية<sup>(4)</sup>. تطلق القصبية في مجال العمارة على جوف القصر ومدينة البلد ومعظمه، وكذلك على القرية ووسطها. عادة ما تكون القصبية أعلى جزء من البلدة محاطة باستحكام عسكري يفصلها عن المدينة أو البلدة<sup>(5)</sup>، كما تطلق على أعظم مدن البلاد أو على أهم بناء في المدينة<sup>(6)</sup>، أو على عواصم الأقاليم وتعرف بالقسم الرئيسي للمدينة،

(1) - عبد الله محمد الشوهيد، قانون أسواق مدينة الجزائر 1695-1705، تحقيق وتقديم وتعليق. ناصر الدين سعيدوني، بيروت: دار الغرب الإسلامي، (2006)، ص. 23.

(2) - عبد الرحيم غالب، المرجع نفسه، ص. 113.

(3) - شوقي أبو خليل، الحضارة الإسلامية، دمشق: دار الفكر الإسلامي، (ب.ت.)، ص. 554.

(4) - ابن منظور، لسان العرب، ج. 11، ط. 3، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (1993)، ص. 176.

(5) - نفسه، ص. 178.

(6) - عبد الرحيم غالب، المرجع السابق، ص. 315.

## تأثير العامل العسكري على العمارة المدنية بمدينة الجزائر في العهد العثماني

وجمعها قصبات<sup>(1)</sup>، تُطلق القسبة بشكل عام على مدينة الجزائر أو على حصنها في أعلى المدينة.

### 3. تفاعل المدينة مع الجانب العسكري:

يرتكز بناء المدن على العامل العسكري لضمان استقرارها، فبالإضافة إلى الشروط الأساسية لقيامها والتي ذكرناها سابقا، وجب اختيار موقع حصين طبيعيا لبنائها بهدف حمايتها من الأعداء بشكل دفاعي وهجومي في نفس الوقت، خصوصا إذا كانت مدينة ساحلية مما يستوجب الاستعداد لأي هجمات خارجية<sup>(2)</sup>. سنتناول في هذا العنصر قسما أولهما العمارة العسكرية بالمدينة بشكل مختصر، يليه تفاعل العمارة المدنية مع الجانب العسكري:

### 1.3. العمارة العسكرية:

فرض موقع المدينة الساحلي تحصينها بصفة جيدة، مما جعلها تصمد أمام الحملات البحرية المتكررة عن طريق أسوار بنيت بشكل شبه مثلث متساوي الأضلاع، بقاعدة منجزة على الساحل وضلعان يرتفعان تدريجيا إلى غاية أعلى منطقة الجبل<sup>(3)</sup>، كون هذه الأسوار قد تفاعلت مع وضعية الربوة المبنية عليها، والتي وُجدت بها بعض الأبراج الفاصلة بين مكان وآخر من هذه الأسوار<sup>(4)</sup>، عُرفت ببطاريات السور الشمالي والشرقي والغربي وهي عديدة،

(1) عبد الباقي إبراهيم، المنظور الإسلامية للتنمية العمرانية، مصر: مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، (1983)، ص. 77

(2) عثمان عبد الستار، المدينة الإسلامية، القاهرة: دارالأفاق العربية، (1999)، ص. 138.

(3) رفيق تلي، "أسوار مدينة الجزائر خلال العهد العثماني"، حوليات جامعة قلمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد: 15، العدد: 2، (ديسمبر 2021)، ص. 23.

(4) Chevalier d'Arvieux, Mémoire du Chevalier d'Arvieux, tome:5, Paris :Charles-Jean Baptiste Delespine, (1735),p. 291.

## تأثير العامل العسكري على العمارة المدنية بمدينة الجزائر في العهد العثماني

وقد قسمت حسب الاتجاهات الثلاث باعتبار السور قد بني ليحمي هذه الاتجاهات<sup>(1)</sup>، دون أن ننسى حصن القصبة الهام في الدفاع عن المدينة كونه يقع في أعلى قمة بها مشرفا بذلك على كامل المدينة. تتميز الأسوار ببنائها السميك المنجز بالحجارة المنحوتة<sup>(2)</sup>، الذي يتراوح سمكه من 8 أمتار في الغالب إلى 19 م تقريبا في حال تزفيتته بالزفت، تخترقه فتحات عديدة للمدافع بين الأبراج، وتعلوه شرفات متراسية عبارة عن ممشى بعرض مترين في الأعلى، يتم الصعود إليها عن طريق سلالم<sup>(3)</sup>.



اللوحة الفنية رقم: 2 تمثل أسوار مدينة الجزائر.

عن: المكتبة الوطنية الجزائرية.

للمرسم ألفرد شاتو (Alfred Chateaud).

(1) - رفيق تلي، المرجع السابق، ص.25.

(2) - Chevalier d'Arvieux, I.B.I.D., p.291.

(3) - رفيق تلي، المرجع نفسه، ص.24.

## تأثير العامل العسكري على العمارة المدنية بمدينة الجزائر في العهد العثماني

أما أبواب الأسوار فقد اشتملت على خمسة أبواب تربطها بالخارج وهي باب عزون و باب الواد و باب جديد و باب الجهاد و باب السردين، لكن البعض قدرها بستة أبواب<sup>(1)</sup>، ربما لأنهم أدخلوا في الحسبان الباب الذي يفصل المدينة عن الحصن، وهو باب القصب المجاور لحصن الإمبراطور<sup>(2)</sup>، الذي سمي بباب القصب<sup>(3)</sup> نسبة لنمو هذا النبات بتلك المنطقة.

أحيط سور المدينة بخندق مواز له من الجهة البرية يصل عرضه أحيانا إلى 16 قدما، أما طوله الممتد إلى غاية البحر فيمكن تقديره بمسافة قد تصل إلى 450 قدما<sup>(4)</sup>، يصل عمقه إلى 8 أمتار تقريبا<sup>(5)</sup>. كما بُنيت أبراج عديدة في فحص المدينة خارج الأسوار مباشرة<sup>(6)</sup>، وسمّيت بالأبراج الخارجية لذلك، تبعد فيما بينها بمسافات متقاربة، قدرت بـ 3 إلى 5 كلم بالنسبة للبعيدة عن المدينة، و بـ 2 كلم بالنسبة للقريبة منها<sup>(7)</sup>.

### 2.3. تفاعل العمارة المدنية مع العامل العسكري:

تفاعلت مباني المدينة المدنية بدورها مع العامل العسكري عدا المباني العسكرية، لكونها مدينة ساحلية معرضة للهجوم البحري في أي لحظة،

(1) - Dr Shaw ; Op. Cit, p. 289.

(2) - Chevalier d'Arvieux ; Op. Cit , P.221.

(3) - Idem, P.219.

(4) - ألبير ديفولكس، خطط مدينة الجزائر من خلال مخطوطات ديفولكس والأرشفيف العثماني، ترجمة وتعليق.

مصطفى بن حموش و بدر الدين بلقاضي، أبوظبي: المجمع الثقافي، (2004)، ص. 79

(5) - نفسه، ص. 80

(6) - J. Morgan, Histoire des Etats barbaresques qui exercent la piraterie, Trad. de l'anglais tome 1, France :Chaubert et Herissant, (1757), p. 303.

(7) - علي خلاصي، المرجع السابق، ص 161.

## تأثير العامل العسكري على العمارة المدنية بمدينة الجزائر في العهد العثماني

ويمكن ملاحظة هذا التأثير في نمطين أولهما داخل الأسوار وثانيهما خارجها كما يلي:

### 1.2.3. داخل أسوار المدينة:

حصنت مدينة الجزائر بصفة جيدة سواء من حيث موقعها المنيع، أو من حيث نوعية البناءات العسكرية التي زودت بها، حيث وجه عمران المدينة نحو مرتفع تلة -بشكل مثلث- لتسهيل حمايتها، والذي تعلوه قلعة في القمة مشرفة على كامل المدينة، مما ساعد على توجيه المدفعية بشكل جيد عن طريق التحكم في نطاق القذائف، كما أحيطت بأسوار منيعة عالية ذات دور مزدوج هجومي ودفاعي في نفس الوقت، تحتوي بين مسافة وأخرى على أبراج لتقوية بعض النقاط من هذه الأسوار، لدرجة أنها شبت بالقوس المحكم شده والموجه نحو البحر<sup>(1)</sup>. جعلت طريقة التحصين هذه مباني المدينة محصورة داخل الأسوار ومنضغطة فيما بينها، مما أدى إلى بروزها بشكل موحد قد يختلف في التفاصيل فقط. لتوضح ذلك فضلنا الخوض في بعض العناصر لإسقاط العامل العسكري عليها كأمثلة، مثل النسيج العمراني الذي تميز داخل المدينة بالتصاق المباني وتكاملها مع بعضها، بشكل جعل من نسيجها متضاماً وامتكتلاً، كونها متركزة في رقعة واحدة داخل الأسوار الحامية، وبالتالي تسهيل تحصينها وحراستها بشكل أفضل<sup>(2)</sup>.

بناء على ما تم ذكره سابقاً أثر انضغاط المباني واكتظاظها داخل الأسوار لضرورة أمنية، في التخطيط الهندسي للمنازل، الذي أنجز على أساس الاستغلال

(1) - وليم سينسر، الجزائر في عهد رياس البحر، ترجمة عبد القادر زبادة، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (1980)، ص.41

(2) - محمد بدر الدين الخولي، المؤثرات المناخية والعمارة العربية، لبنان: جامعة بيروت العربية، (1975)، ص.46.

## تأثير العامل العسكري على العمارة المدنية بمدينة الجزائر في العهد العثماني

الطوبوغرافي للأرضية، ومع ازدياد عدد السكان بها التصقت المباني فيما بينها، فكر "المعلمون" في استغلال كل المساحات الأرضية رغم طوبوغرافية المدينة المتدرجة، التي تنقسم إلى قسمين "الوطى" و"الجبل". يتميز هذا الأخير بتدرج مستوياته بانحدارات تقارب 40 ٪ تسمح بميلان يعادل علو طابق بين منزلين، هذا الفرق في الميلان لم يعق بُثائي المدينة، الذين استغلوا هذا الفرق في ميلان الأرض بين منزلين لإنجاز فراغات بنائية هامة كالسقيفة والدكاكين وغيرها، التي تتطلب جزءا منفصلا عن الدار كما هو الحال بالنسبة للعناصر الخدمية، لريح حيز مكاني إضافي مما يفرضه النسيج العمراني للمدينة<sup>(1)</sup>. لذلك نلاحظ أن تأثير الطوبوغرافية على المباني كان مختلفا وهذا حسب المنطقة المنتمية إليها داخل المدينة، نظرا للاكتظاظ الكبير مما جعل منازل "الوطى" أي السهل -التي تكون عكس منازل الجبل- ملكا للأغنياء نظرا لأريحية انشاء الفراغات بها.

أما بالنسبة للدروب فوضعت البوابات عند مداخل الأحياء السكنية في المدينة لدواعي أمنية، والتي كانت تغلق لحظة سماع بوق صادر من مكان يدعى بقطع الرجل<sup>(2)</sup>، للإعلان عن حالة الطوارئ ومنع الحركة إلى غاية الفجر، ومن يخالف ذلك يعاقب بقطع رجله، وهو ما تدل عليه تسمية المكان الذي ينفخ فيه البوق<sup>(3)</sup> بعد صلاة المغرب مباشرة<sup>(4)</sup>. تساهم هذه الدروب في حماية الأحياء السكنية وفي بث الطمأنينة في نفوس ساكنيها، كما أنها كانت تغلق في

(1) - S. Missoum, Alger à l'époque ottomane, U.E : édition INAS, (2003), P. 231

(2) - ألبير ديفولكس، المصدر السابق، ص. 97

(3) - نفسه، ص. 138.

(4) - وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824، ترجمة. إسماعيل العربي، الجزائر:

ش. و. ن. ت. (1982)، ص. 97.

## تأثير العامل العسكري على العمارة المدنية بمدينة الجزائر في العهد العثماني

الحالات الاستثنائية التي تقع فيها انقلابات على الحكام، أو أي خلاف بين أعضاء الجيش الإنكشاري أو غيرها من الأوضاع الأمنية الخطيرة للحد من تقدم الجيوش<sup>(1)</sup>. كذلك ضيق الأزقة يعمل على إعاقة الجنود في حالة الانقلابات العسكرية، وهذا ما دل عليه تغيير مقر حكم الدايات إلى القلعة في فترة لاحقة من الحكم العثماني.

كذلك الحال بالنسبة لواجهات المنازل التي تميزت بالبروز والتداخل، بأبواب خارجية متينة وقوية تشبه باب القلعة، مما يعمل على صد أي اعتداء خارجي، بها باب آخر صغير عموماً يدعى بالخويخة، يكون أصغر منها لتسهيل الدخول والخروج والمحافظة على احكام سد الباب الكبير<sup>(2)</sup>. أما النوافذ فتتميز في الواجهات بفتحات قليلة وصغيرة، يتم تسييجها بشباك حديدي مما يجعل المنزل كالسجن وبالتالي حمايته بشكل أفضل<sup>(3)</sup>.

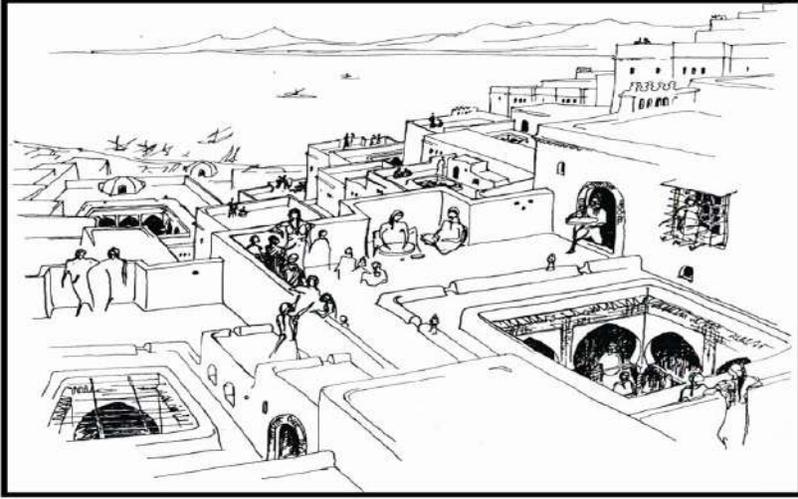
إضافة إلى ذلك ونظراً لاعتبار مدينة الجزائر مدينة معرضة للهجومات البحرية، فإن تأثير العامل العسكري واضح وبارز فيها، وتأثير ذلك على عناصر معينة يؤثر بدوره على عناصر أخرى، كانغلاق المنازل على نفسها وتجريد الواجهات من كافة وسائل الانفتاح، مما جعلها منفتحة على نفسها من خلال وسط الدار المستمد للضوء من السطح، الذي تبدو مستوياته مستمرة بشكل متدرج بسبب التصاق المباني مع بعضها.

(1) - ألبير ديفولكس، المصدر نفسه ، ص. 24.

(2) - وليام شالر، المصدر نفسه ، ص. 95.

(3) - نفسه، ص. 95.

## تأثير العامل العسكري على العمارة المدنية بمدينة الجزائر في العهد العثماني



الشكل رقم: 1 تمثل أسطح مدينة الجزائر.  
عن: أندريه رافيرو (A. Ravéreau).

### 2.2.3. خارج المدينة:

تُدعى الأراضي الواقعة خارج المدينة بالفحص التي أخذت تسميته من البسط والكشف، وهي ما استوى من الأرض وجمعها فحوص<sup>(1)</sup>، وهي أرياض المدينة المحاذية لها خارج الأسوار<sup>(2)</sup>. زودت هذه الأراضي بقلاع وأبراج عسكرية، لتعزيز حمايتها تحسبا لأي حالة طارئة سواء برا أو بحرا. شابت هذا التحصين ثغرة اكتشفها القنصل الأمريكي وليام شالر، ومن قبله الضابط بوتان (Boutin) سنة 1808م، وهي أن التحصين قد وجه نحو الشرق دون مراعاة الجهة الغربية، التي من السهل جدا إنزال الجنود بها في خليج سيدي فرج<sup>(3)</sup> والسير برا نحو

(1) - ابن منظور، المرجع السابق، ج. 10، ص. 193.

(2) - ألبيير ديفولكس، المصدر السابق، ص. 279.

(3) - وليام شالر، المصدر السابق، ص. 76.

## تأثير العامل العسكري على العمارة المدنية بمدينة الجزائر في العهد العثماني

حصن الإمبراطور، للاستيلاء عليه بسهولة، خصوصا إن رافق الحملة قوات بحرية نحو الشرق للتمويه<sup>(1)</sup>، وهي الثغرة التي استغلها الاستعمار الفرنسي لاحقا.

بما أن هذه الأراضي واقعة خارج أسوار المدينة فإن الديار المبنية بها معرضة للهجوم في حالة الغزوات البحرية ما فرض بناءها بأسوار خارجية عالية، والتي تعطي الانطباع بأنها برج، كونها مبنية ببناء مصمت بسيط بدون زخارف زائدة<sup>(2)</sup>، لذلك سميت بالبرج مع أنها منتمية لعمارة الأغنياء التي تعطي عنصر المفاجئة بمجرد ولوج أسوارها نظرا للجمالية المعمارية والبذخ البنائي فيها، كونها تخفي بداخلها مجمعا سكنيا يحيط بفناء خارجي، يكون في الغالب مبسطا بالرخام ومزين في الوسط بنافورة ماء ومظلا بعريش من الكرم. تطل على هذا الفناء الواجهة الرئيسية للمسكن، وينفتح عليه الرواق الخارجي والدويرة<sup>(3)</sup>، لذلك يمكن وصف هذا النوع البنائي عدا الحصن بالمنزل الكبير المعزول<sup>(4)</sup>.

(1) - وليم شالر، المصدر السابق، ص.77

(2) - V.B. Marion, Alger et ses peintres 1830-1960, France :Paris-Méditerranée, (2000), p. 204.

(3) - G. Marçais, Ville et campagnes d'Alger, Blida :Tell,(2004), p.33

(4) -Marcisse Faucon, Livre d'or de l'Algerie, Tome.2, Paris: Challamel et Cie éditeurs ,(1889), P.672 .

## تأثير العامل العسكري على العمارة المدنية بمدينة الجزائر في العهد العثماني



اللوحه الفنية رقم: 3 تمثل الأبراج المدنية لمدينة الجزائر.  
عن: المكتبة الوطنية الجزائرية.  
لرسم أوث (A. Otth)

تسمية هذه الديار بالبرج ليس مجرد تشبيهه فقط، بل هي تسمية متعارف عليها كونها وردت في العديد من الوثائق الرسمية في العهد العثماني وبالتحديد عقود المحاكم الشرعية التي اخترنا منها عينات كمثال، نذكر من ضمنها إحدى الوثائق المؤرخة بأوائل شعبان سنة 1244 هـ الموافق لسنة 1829 م، الخاصة بجنة واقعة ببوزريعة أين أرادت الولية زهرا بنت مصطفى البولكباشي أن تقوم بدفعها بالعناء، بعد أن قام مالك سابق لها من أصولها بتحسيسها، ولقد ورد في الوثيقة مايلي: " ... وضاعت الجنة وأهوى برجها للسقوط..."<sup>(1)</sup>.

(1) - مركز الأرشيف الوطني، الرصيد العثماني، سلسلة المحاكم الشرعية، العلية: 54، الوثيقة: 44.

## تأثير العامل العسكري على العمارة المدنية بمدينة الجزائر في العهد العثماني

نذكر من بين الوثائق الهامة كذلك والتي توثق استخدام مصطلح "برج" في بوزريعة وبصفة رسمية، وثيقة تقسيم ميراث سليمان خوجة والمؤرخة بأواخر شهر ربيع الثاني سنة 1165 هـ الموافق لسنة 1751 م، وقد تم تقسيم الملكية على ابنتيه بما فيها البرج كما يلي: "... ناب زهرا الجهة الغربية... وناب فاطمة الجهة الشرقية... وبقي بينهما جميع البرج القائم البناء..."، ثم أعيد ذكر مصطلح البرج في نفس الملكية بتاريخ أواخر محرم سنة 1170 هـ الموافق لسنة 1756 م كالتالي: "... نصف البرج... وخلص للولية الزهرة بما كان لها أولا وبما ابتاعته تملك جميع البرج...". ثم قامت ببيعه بعد ذلك أواسط شهر ذو القعدة سنة 1179 هـ الموافق لسنة 1766 م كما يلي: "... البايعة الزهرة... جميع البرج..."<sup>(1)</sup>.

أما فيما يخص تسميتها بالبرج الأبيض فهذا راجع لكونها مبيضة بالجير<sup>(2)</sup>، لذلك يمكن أن تكون كلمة "بياض" في وثيقة أخرى بفحص بئر خادم، مؤرخة بأواخر رجب سنة 1191 هـ الموافق لـ 1777 م قد تعني البرج الأبيض على الأرجح حيث ذكر كما يلي: "... جميع الأرض المشتملة على غيابة وبياض..."<sup>(3)</sup>.

(1) - مركز الأرشيف الوطني، الرصيد العثماني، سلسلة المحاكم الشرعية، العلية: 25، الوثيقة: 3.

(2) - علي علي خوجة، "فحص الجزائر وجنائه"، القصبة، الهندسة المعمارية وتعمير المدن، الجزائر: ديوان رياض الفتح، (1984)، ص. 42.

(3) - مركز الأرشيف الوطني، الرصيد العثماني، سلسلة المحاكم الشرعية، العلية: 148-149، الوثيقة: 25.

## تأثير العامل العسكري على العمارة المدنية بمدينة الجزائر في العهد العثماني

### 4. خاتمة:

تجلى لنا من خلال هذه الدراسة أن موقع مدينة الجزائر الساحلي كان سببا في تعرضها للهجمات البحرية العديدة، التي حاولت استهداف ثرواتها الكبيرة والحد من نفوذها نظرا لصيحتها الكبير في حوض البحر المتوسط. بناء عليه تفاعلت المدينة عسكريا مع هذه الأوضاع لتوفير الاستقرار لضمان سلامة سكانها من خلال التحصين. لذلك نجد تأثير المباني داخل المدينة بهذا العامل من خلال مظاهر تؤكد على هذا الجانب، كانهضار المباني داخل أسوارها الخارجية، مما جعلها ملتصقة فيما بينها ومكتظة مع مرور الوقت، إضافة إلى إقامة الدروب والتحكم في الأزقة الضيقة للحد من الحركة العسكرية وإبطاء الجنود، أما الواجهات فقد كانت مصممة خالية من الزخارف الزائدة بها فتحات صغيرة وقليلة، بأبواب متينة تصمد أمام أي هجوم. لم يظهر تأثير العامل العسكري فقط في منازل المدينة بل حتى في ضواحيها، التي بنيت بأسوار عالية مصممة شبيهة بالحصون لدرجة تسميتها بالأبراج في الوثائق الرسمية التي تعود إلى العهد العثماني.

## تأثير العامل العسكري على العمارة المدنية بمدينة الجزائر في العهد العثماني

قائمة المصادر والمراجع:

قائمة المصادر:

1. باللغة العربية:

- ألبير ديفولكس، خطط مدينة الجزائر من خلال مخطوطات ديفولكس والأرشييف العثماني، ترجمة وتعليق: مصطفى بن حموش وبدر الدين بلقاضي، أبوظبي: المجمع الثقافي، (2004).

- وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824، ترجمة: إسماعيل العربي، الجزائر: ش.و.ن.ت، (1982).

- مركز الأرشيف الوطني، الرصيد العثماني، سلسلة المحاكم الشرعية، العلبة 25، الوثيقة: 3.

- مركز الأرشيف الوطني، الرصيد العثماني، سلسلة المحاكم الشرعية، العلبة 54، الوثيقة: 44.

- مركز الأرشيف الوطني، الرصيد العثماني، سلسلة المحاكم الشرعية، العلبة: 148-149، الوثيقة: 25.

2. باللغة الأجنبية:

-Chevalier d'Arvieux ,Mémoire du Chevalier d'Arvieux, tome:5, Paris : Charles-Jean Baptiste Delespine,(1735).

-Docteur Shaw, voyage dans la régence d'Alger,Trad . de J.Mac Earchy, Paris: Marlin,(1830).

- J. Morgan, Histoire des Etats barbaresques qui exercent la piraterie, Trad.de l'anglais tome 1, France :Chaubert et Herissant ,(1757).

## تأثير العامل العسكري على العمارة المدنية بمدينة الجزائر في العهد العثماني

-Venture de Paradis ; Tunis et Alger aux VIII ème siècle , Sindbad ,Alger, 1983 -Venture de Paradis , Tunis et Alger aux VIII ème siècle , Alger : Sindbad , (1983).

### قائمة المراجع:

#### 1. باللغة العربية:

- ابن منظور، لسان العرب، ج.11، ط.3، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (1993).
- رفيق تلي، "أسوار مدينة الجزائر خلال العهد العثماني"، حوليات جامعة قلمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد:15، العدد: 2، (ديسمبر 2021)، ص.ص. 19-34.
- شوقي أبو خليل، الحضارة الإسلامية، دمشق: دار الفكر الإسلامي، (ب.ت).
- عبد الباقي إبراهيم، المنظور الإسلامية للتنمية العمرانية، مصر: مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، (1983).
- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث. الجزائر. المدينة. مليانة ، ط . 2، الجزائر: مديرية الفنون والآداب، (2005).
- عبد الرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، ط.1، بيروت: جرس برس، (1988).
- عبد الفتاح تقنية، دروس في تاريخ النظم القانونية، الجزائر: منشورات ثالة، (2004).
- عبد القادر حليبي، مدينة الجزائر نشأتها و تطورها قبل 1830 ، ط . 1، الجزائر: دار الفكر الإسلامي، (1972).
- عبد الله محمد الشويهد، قانون أسواق مدينة الجزائر 1695-1705، تحقيق وتقديم وتعليق. ناصر الدين سعيدوني، بيروت: دار الغرب الإسلامي، (2006).

## تأثير العامل العسكري على العمارة المدنية بمدينة الجزائر في العهد العثماني

- عثمان عبد الستار، المدينة الإسلامية، القاهرة: دارالأفاق العربية، (1999).
- علي علي خوجة، " فحوص الجزائر وجنائنه "، القصبة، الهندسة المعمارية وتعمير المدن، الجزائر: ديوان رياض الفتح، (1984)، ص ص 40-42.
- محمد بدر الدين الخولي، المؤثرات المناخية والعمارة العربية، لبنان : جامعة بيروت العربية، (1975).
- محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط. 7، تعليق. إحسان حقي، بيروت: دار النفائس، (1993).
- وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، ترجمة. عبد القادر زبادية، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (1980).
- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، الجزائر: دم.ج، (1999).

### 2. باللغة الأجنبية:

- G. Marçais, Ville et campagnes d'Alger, Blida :Tell,( 2004).
- Marcisse Faucon, Livre d'or de l'Algerie, Tome.2, Challamel et Cie éditeurs, Paris,1889 .
- S. Missoum,Alger à l'époque ottomane,U.E : édition INAS,(2003).
- V.B. Marion, Alger et ses peintres 1830-1960, France :Paris-Méditerranée, (2000).

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

المعارك البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان  
"دراسة حضارية أثرية"

. The Ottoman naval battles in light of the Shahnameh  
manuscript of Selim Khan, "An archaeological cultural study"

د.إيمان محمد العابد ياسين

دكتوراه في الآثار الإسلامية

وزارة السياحة والآثار المصرية

جمهورية مصر العربية

dr.eman.elabed@gmail.com

د. أسماء شوقي أحمد دنيا

دكتوراه في الآثار الإسلامية

وزارة السياحة والآثار المصرية

جمهورية مصر العربية

Asma\_mam98@yahoo.com

ملخص:

لعبت المعارك الحربية البحرية التي خاضها العثمانيون دوراً محورياً في اتساع رقعة دولتهم المترامية الأطراف، كما ساعدتهم في بسط سلطانهم على شعوب مختلفة الأعراق والأجناس في مناطق عدة من العالم، منها شط العرب حيث العراق وفارس، والبحر الأبيض المتوسط الذي غدا بحيرة عثمانية تتحكم في العديد من الدول العربية منها بلاد الشام ومصر وشمال إفريقيا، هذا فضلاً عن العديد من الدول الأوروبية ومنها اليونان وقبرص ورودرس والمجر وألبانيا والنمسا وغيرها، ونظراً لأهمية تلك المعارك البحرية، كان لها نصيباً وافراً من إهتمام فناني المرسم السلطاني العثماني في نقل أحداث ووقائع تلك المعارك والغزوات في العديد من مخطوطاتهم المزوقة باللوحات الملونة، وسترکز هذه الورقة البحثية على بعض تلك المعارك من

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

---

خلال لوحات مخطوط "شهنامه سليم خان" المحفوظ بمكتبة متحف طوبقابي سراي بإستانبول تحت رقم (A3595) دراسة حضارية أثرية. كلمات مفتاحية: البصرة، حلق الوادي، قبرص، ليماسول، نفارين، ماغوسا.

**Abstract;** The naval warfare battles fought by Ottomans played a pivotal role in the expansion of their vast state, and also helped them extend their authority over peoples of different races and nationalities in several regions of the world, including the Shatt al-Arab where Iraq and Persia are located, and the Mediterranean Sea, which became an Ottoman lake that controls many Arab countries, including the Levant, Egypt and North Africa, in addition to many European countries, including Greece, Cyprus, Rhodes, Hungary, Albania, Austria and others, In view of the importance of those naval battles, they had an ample share of the interest of the artists of the Ottoman Royal Court in conveying the events and facts of those battles and invasions in many of their manuscripts decorated with colored plates, and this research paper will focus on some of those battles through the plates of the "Shah Nameh Salim Khan" manuscript preserved in the library of Top Kapi Saray Museum in Istanbul under (No.A3595)  
An archaeological civilizational study

**Keywords:** Basra, Halq alwadi, Cyprus, Limassol, Navarino, Fagusa.

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

محتويات الدراسة:

المقدمة.

مخطوط شهنامه سليم خان "Şehnâme-i Selîm Hân".

أولاً: المعركة البحرية العثمانية بجزائر البصرة عام 974هـ/1566م.

ثانياً: المعركة البحرية العثمانية في جزيرة دوكاجين عام 977هـ/1570م.

ثالثاً: المعركة البحرية العثمانية بجزيرة قبرص في الفترة ما بين عامي (977-978هـ/1570-1571م).

أ] حصار قلعة ليماسول عام 977هـ/1570

ب] حصار قلعة ماغوسا عام 978هـ/1571م.

رابعاً: المعركة البحرية العثمانية في نفاين بالمورة عام 979هـ/1572م.

خامساً: المعركة البحرية العثمانية في تونس عام 982هـ/1574م.

أ] معركة قلعة حلق الوادي عام 982هـ/1574م.

ب] حصار حصن البستيون عام 982هـ/1574م.

النتائج.

المصادر والمراجع.

الخرائط واللوحات.

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

### مقدمة:

خاض سلاطين العثمانيين العديد من الحروب والمعارك الضارية لتوطيد وترسيخ دعائم دولتهم وبسط نفوذهم، وتوسيع رقعتها من خلال مجموعة من الغزوات البرية والبحرية لتحقيق آمالهم وطموحاتهم في تكوين إمبراطورية مترامية الأطراف يهبها الجميع، وقد نجحوا في العديد منها سواء أكان ذلك برغبة أهالي المنطقة المفتوحة أو ضد رغباتهم، والذين خرجوا لملاقاة جنود وقوات الدولة العثمانية براً وبحراً، في محاولة لمقاومتهم بشتى الطرق؛ مدافعين عن حصونهم ودورهم وأسوارهم.

ومن المعلوم أن الدولة العثمانية في نشأتها لم ترث أي نوع من التقاليد البحرية مثلها في ذلك مثل الدويلات التركية التي تكونت في آسيا الصغرى والتي بسطت نفوذها عن طريق المعارك البرية، وحتى المناطق الساحلية لها فقد تم فتحها براً<sup>(1)</sup>، وقد ساعدت طبيعة الموقع المحدود للإمارة العثمانية الناشئة في عدم حاجتها إلى قوة بحرية<sup>(2)</sup>، وحتى أثناء حملاتها في شبه جزيرة البلقان كان يتم الإعتماد على مراكب تستأجرها من اليونان، إلا أن الصدام

(1) محسن أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربي "1514-1914م"، القاهرة، (1977م)، 79.

(2) تعرف العثمانيون على البحر لأول مرة بعد ضمهم للإمارات الأناضولية التي كانت لها سواحل على بحر مرمرة وبحر إيجه، وصنعوا أولى سفنهم في "قره مرسل"، فلما ضموا إمارة "قاره سي" إلى أراضيهم استفادوا من قُدراتها على صناعة السفن، وعندما استولوا على إمارات "صاروخان وأيدين وأبناء جاندر ومنتشا" استخدموا ترسانات تلك الإمارات، وأدرك العثمانيون في أيام السلطان بايزيد الأول (791-805هـ/1389-1403م) أهمية مضيق الدردنيل فأقاموا ترسانة وقاعدة بحرية في مدينة غليبولي عام 792هـ/1390م، ومع ذلك فلم تكن البحرية العثمانية من القوة أثناء قيام الدولة بحيث يمكن مقارنتها بالدول البحرية كالبنديقية وجنوه ومصر وبلاد الشام؛ أكمل الدين إحسان أوغلي، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، مج1، ترجمة: سعداوى صالح، إستانبول: مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، (1999م)، 415.

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

الذي وقع بينها وبين البندقية وجنوة اللتين كان لهما أسطول<sup>(1)</sup> بحري قوي دفع بسلاطين الدولة العثمانية إلى الإهتمام بالبحرية من أجل المحافظة على ممتلكاتهم وضم ممتلكات جديدة، والتكيف مع نمط حربي غريب عن تقاليدهم الأصلية، وقد إزداد هذا الإهتمام خاصة بعد توسع الدولة في جزر البحر الأسود وسواحل بحر مرمرة، مع حاجتها لحماية تجارتها وإتصالاتها بين مختلف ولاياتها وأملاكها المترامية<sup>(2)</sup>.

كما أنه من المؤكد أن عظمة البحرية العثمانية تعود إلى مدى تأثرها واستفادتها من النظم البحرية الحربية والتجارية للدول التي سبقتها في المنطقة وألت أملاكها إليها فمنذ سقوط القسطنطينية عام 857هـ/1453م في أيدي العثمانيين كان معظم التجار والبحارة من اليونانيين والأرمن، والذين كونوا بدورهم أهم العناصر المسيحية بالدولة العثمانية، ومن المعروف أن شهرة اليونانيين البحرية ذائعة الصيت وأن إستفادة العثمانيين منهم كانت كبيرة ومحققة، كما إستفادوا أيضاً مما كان لدى البنادقة من تقدم هائل في صناعة البحرية ونظمها في البحر المتوسط، كما ورثت الدولة العثمانية أملاك الدولة المملوكية في مصر وبلاد الشام وغيرها والتي بلغت البحرية الإسلامية

(1) - الأسطول: يطلق مصطلح الأسطول في بعض الأحيان على مجموعة من السفن والتي عادة ما تكون من صنف واحد وشكل واحد، كما يُطلق أيضاً على السفن الحربية مثل الشواني المحملة بالسلاح والجنود لغزو ما وراء البحار، وسموا جموع السفن أسطولاً، وهو لفظ يوناني الأصل (Stolos) يُطلق على مجموعة السفن الحربية أو على السفينة الواحدة أياً كان نوعها سواء أكانت حربية أو مدنية؛ سعاد ماهر محمد، البحرية في مصر الإسلامية وأثارها الباقية، القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، (1967م)، 272؛ عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، (1973م)، 73.

(2) - روبير مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ترجمة: بشير السباعي، القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، (1993م)، 307.

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

فيها أوج عظمتها<sup>(1)</sup>، وأدركت الدولة العثمانية أهمية البحر على اعتبار أن السيطرة عليه بما يشتمل عليه من المصبات والمضايق هو مفتاح السيطرة على العالم، فأخذت في عثمنة المواقع البحرية المهمة في كل من آسيا وأوروبا وأفريقيا، وكان تركيزها أكبر في البحر الأبيض المتوسط، ولهذا بدأت في التفكير جدياً في إنشاء أسطول بحري قوي، بقصد مواجهة الدول التي كانت تعتمد على السلاح البحري مثل جمهوريتي جنوة والبندقية.

ولم يتوقف أمر توثيق المعارك البحرية لآل عثمان على المصادر والوثائق العثمانية القديمة فقط؛ بل ساهمت المخطوطات المزوقة باللوحات الملونة في ذلك الشأن أيضاً، وبداية نذكر أن اللوحات المعبرة عن المعارك الحربية بشقيها البري والبحري في المخطوطات العثمانية إنما هي إمتداد لمثيلاتها في المخطوطات الإسلامية السابقة أو تلك الموازية لها سواء في مدرسة التصوير العربية أو مدارس التصوير الإيرانية والمغولية والهندية وغيرها، ووجودها فيها جميعاً يأتي بالدرجة الأولى من باب تسجيل الدول لانتصاراتها الحربية على أعدائها منذ بدء الخليقة وتكوين الدول والممالك، وكانت تلك اللوحات من الكثرة بحيث لا يمكن حصرها لاسيما وأنها ذات علاقة قوية بكافة أفرع الموضوعات التصويرية التاريخية والأدبية والدينية والعلمية وغيرها، بل إنه وجدت مخطوطات بعينها مليئة برسومات وأشكال توضيحية تُسهم في دراسة التكتيك الحربي ووسائل وأدوات القتال والدفاع<sup>(2)</sup>، والتدريبات العسكرية وتعليم فنون القتال والفروسية، وأنواع وأجزاء وتفصيل الأسلحة، وصناعة

(1) - نبيل عبد الحي رضوان، "تطور الأسطول العثماني في ظل أبرز الحضارات البحرية للبحر المتوسط"، مجلة المؤرخ المصري - دراسات وبحوث في التاريخ والحضارة، جامعة القاهرة: كلية الآداب، قسم التاريخ، ع20، (يوليو 1998م)، 222.

(2) - أبو الحمد محمود فرغلي، تصاویر المخطوطات في عصر الأيوبيين، مخطوط رسالة ماجستير، جامعة القاهرة: كلية الآثار، قسم الآثار الإسلامية، (1981م)، 189.

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

المجانيق وأجزائها، والمدافع والبارود والسفن الحربية، والخرائط والإستحكامات والأطالس البحرية، وصور القلاع والشواطئ الساحلية والأساطيل البحرية، وغيرها<sup>(1)</sup>.

وبالنسبة لتسجيل المعارك الحربية البحرية تحديداً في المخطوطات العثمانية والتي كان البحر مسرحاً لأحداثها وحروبها، وكانت السفن الحربية باختلاف أنواعها وأحجامها وأشكالها هي الدعامة الأساسية التي تركز عليها هذه الحروب؛ فقد عبرت اللوحات الخاصة بها في مجملها عن غالبية تفاصيلها، كما أنها برهنت على مدى إدراك العثمانيين لأهمية الإستعدادات الحربية البحرية للحفاظ على مقدراتها الإقتصادية والتوسعية، ولا غرابة في ذلك إذ أنه بعد أن استولى آل عثمان على القسطنطينية وأصبحت الدولة صاحبة البرين والبحرين لزم التفكير في بناء السفن والأساطيل وما يتصل بهما من فنون عسكرية للإستيلاء على القلاع في سواحل أوروبا وبحر إيجه والبحر المتوسط والمحيط الهندي وغيرها، لذا تم الاستعانة بأهل الخبرة في ذلك والمتمرسين في صناعة الزلاقات المعالجة بالزيوت بحيث إذا ما انتهوا من صناعة السفن على البر أجروها عليها حتى تنزلق في البحار والأنهار بكل سهولة، كما صنعوا في داخلها المتاريس، وأثناء المعارك البحرية كانت تُملأ بالجند والعسكر لأداء وظيفتهم في مهاجمة الحصون<sup>(2)</sup>.

(1) - حسن محمد نور عبد النور، صور المعارك الحربية في المخطوطات العثمانية "دراسة أثرية فنية"، مخطوط رسالة ماجستير، جامعة القاهرة: كلية الآثار، قسم الآثار الإسلامية، (1989م)، 1-9.

(2) - حاجي خليفة، تحفة الكبار في أسفار البحار، ترجمة: د.محمد حرب ود. تسنيم حرب، دار البشير للثقافة والعلوم، ط1، (2017م)، 65-66.

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامة سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

مخطوط شهنامة سليم خان "Şehnâme-i Selîm Hân"<sup>(1)</sup>.

تم إنتاج هذا المخطوط في عهد السلطان مراد الثالث<sup>(2)</sup> (982-1004هـ/1574-1595م)، ويرصد هذا العمل الأحداث والوقائع الجارية بعهد السلطان سليم الثاني<sup>(3)</sup> (974-982هـ/1566-1574م) منذ توليته العرش وحتى وفاته،

(1) - عن هذا المخطوط إنظر/ نعيمة الشيشيني، "التصوير الإسلامي التركي"، مجلة عالم الفكر، ع3، مج16، (1985م)، 259؛ عبد النور، المعارك الحربية، 24-25؛ منى السيد عثمان مرعي، رسوم العمائر المدنية في إستانبول من خلال تصاوير المخطوطات العثمانية، مخطوط رسالة ماجستير، جامعة القاهرة: كلية الآثار، قسم الآثار الإسلامية، (2002م)، 848؛ أسماء شوقي أحمد دنيا، الأزياء في تصاوير المخطوطات التركية العثمانية حتى نهاية القرن 13هـ/19م "دراسة أثرية فنية مقارنة"، مخطوط رسالة دكتوراة، جامعة القاهرة: كلية الآثار، قسم الآثار الإسلامية، (2019م)، 349-355.

Nurhan Atasoy, Filiz Cagman: Turkish Miniature Painting, Istanbul, (1974), 33-35; Géza Fehér: Turkish Miniatures from the Period of Hungary's Turkish Occupation, Corvina Press Magyar Helikon Budapest, (1978), 21; Esin Atil: the Art of the Book, Turkish Art, (1980), 198; Norah Titley; Miniatures from Turkish Manuscripts "A Catalogue and Subject Index of Painting in the British Museum", the British Library, (1981), 59; Esin Atil: the Age of Sultan Suleyman the Magnificent, New York, (1987), 96,198; Emine Fetvacı: "The Production of the Şehnâme-i Selîm Hân", *Muqarnas* 26, (2009), 263-315; Giancarlo Casale: the Ottoman Age of Exploration, Oxford University, (2010), 149-51; Emine Fetvacı: "Others and Other Geographies in the Şehnâme-i Selîm Hân", *Osmanlı Araştırmaları, the Journal of Ottoman Studies*, XL, (2012), 81-100; Emine Fetvacı: Picturing History at the Ottoman Court, Indiana University, (2013).

(2) - السلطان مراد الثالث: هو السلطان العثماني الثاني عشر من سلاطين الدولة العثمانية، تولى السلطنة وعمره قارب الثلاثين عاماً، وقضى في الحكم حوالي واحد وعشرين عاماً في الفترة ما بين (982-1004هـ/1574-1595م). والده هو السلطان سليم الثاني، ووالدته نوربانو سلطان. ولد بمدينة مانيسا عام 928هـ/1546م، وكان محباً لجمع الكتب وإقتناء الجواري، كما كان شاعراً يدون إنتاجه باللغات العربية والفارسية والتركية، توفي عام 1003هـ/1595م، ودفن في فناء جامع آيا صوفيا، وخلفه في الحكم ابنه السلطان محمد الثالث؛ عبد القادر أغلو، السلاطين العثمانيون، تعريب: محمد جان، تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، ط1، (1999م)، 57-56.

(3) - السلطان سليم الثاني: هو السلطان الحادي عشر من سلاطين الدولة العثمانية، ولد عام 930هـ/1533م، والده هو السلطان سليمان القانوني، ووالدته روكسلان الروسية، تولى السلطنة بعد وفاة والده في 9 ربيع الأول 974هـ/24 ديسمبر 1566م، وكان الصدر الأعظم في عهده هو محمد صوقللو باشا الذي حافظ على الدولة

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

ألفه المؤرخ "لقمان"<sup>(1)</sup>، ونسخه الخطاط "إلياس الكاتب"، ودون شعراً باللغة الفارسية بخط النستعليق، وتدلنا الوثائق الأرشيفية الخاصة بهذا المخطوط على أن المزوقين للوحات الواردة به كونوا فريقاً منهم ترأسهم الفنان "عثمان"<sup>(2)</sup> وصهره الفنان "علي"<sup>(1)</sup>، والمخطوط محفوظ في مكتبة متحف

العثمانية إذ لم يكن السلطان متصفاً بما يؤهله للقيام بشئون الحكم على الوجه اللائق، وتوفي عام 982هـ/1574م، وعمره إثنين وخمسون عاماً، ومدة حكمه ثمانية سنين وخمسة أشهر؛ محمد فريد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، بيروت: دار الجبل، (1977م)، 109-112.

<sup>(1)</sup> - المؤرخ لقمان: بالرغم من شهرته الكبيرة إلا أنه لا توجد معلومات وفيرة عنه، وإسمه كاملاً: سيد لقمان بن حسين الأرموي، المؤرخ الكبير المعتمد لتاريخ السلاطين العثمانيين "مدون السير والتراجم الذاتية الرئيسي للسلاطين"، تولى منصب "الشاهنامجي" عام 977هـ/1569م بعهد السلطان سليم الثاني، واستمر به خلال عهد السلطان مراد الثالث، حتى عزله السلطان محمد الثالث عام 1010هـ/1601م هو ومن معه من الفنانين، دون العديد من المخطوطات التاريخية بالنصوص الفارسية والتركية، وزوّقت بواسطة فناني المرسم السلطاني المعروفين؛ الشيشيني، "التصوير الإسلامي"، 259؛ عبد النور، المعارك الحربية، 24-25؛ عثمان، عمائر استانبول، 849-850؛ دنيا، الأزياء، 351.

Atasoy, Cagman: Turkish Miniature, 33-35, 44; Feher: Turkish Miniatures, 21; Titley: Miniatures from Turkish, 59; Atil: the Age, 96.

<sup>(2)</sup> - الفنان عثمان: ولد في البوسنة ببادية القرن 10هـ/16م، وهو رئيس مصوري اللوحات الشخصية في فترة الأصاله، وتشير المصادر المعاصرة له بلقب "الأستاذ" -بمعنى رئيس الفنانين- في دلالة واضحة على مهارته في فن الرسم، وعلى الرغم من ذلك فإنه ما زال تاريخ التحاقه بمنظومة أهل الحرف بالقصر السلطاني غير معروف، ولم نجد إسمه مسجلاً في دفتر رواتب فناني القصر لعام 966هـ/1558م، بينما هناك دفتر رواتب أخريعود لعام 974هـ/1566م يضم إسمه وأنه كان يتقاضى أجراً يومياً قدره (6أقجة)، وأنه كان رساماً نشط في العام الأخير من عهد السلطان سليمان القانوني (926-974هـ/1520-1566م) وكان من ضمن فريق إنتاج نسخة مخطوط "سليمان نامه" 966هـ/1558م، مما يُرجح معه أنه دخل القصر السلطاني في الفترة ما بين (966-973هـ/1558-1565م)، وعُين رئيساً لمُرسم القصر بعهد السلطان مراد الثالث، وقد ارتبط فن المخطوطات العثماني في الربع الأخير من القرن 10هـ/16م بهذا الفنان، وإهتم في أعماله بإبراز الأزياء الملونة الزاهية، والأرضيات والخلفيات المعمارية البسيطة التي اتخذت في أغلب الأحيان هيئة الحنايا المعقودة والجواسق والإيوانات المفتوحة، وهو صاحب الأسلوب المبتكر والشكل الفني الجديد في رسم الصور الشخصية لسلاطين آل عثمان، تتلمذ على يديه العديد من الفنانين في فترة الأصاله الذين نهجوا نفس منهجه، ووصفه المؤرخ "لقمان" بأنه: "من أعظم الرسامين الموهوبين"، وهذا المدح يدل على أن هذا الفنان قد احتل مكانة سامية بين الرسامين العثمانيين؛ سمية حسن إبراهيم، صور الإحتفالات في المخطوطات العثمانية، مخطوط رسالة دكتوراة، جامعة القاهرة: كلية الآثار، قسم الآثار الإسلامية، (1983م)، 427؛ ربيع حامد خليفة، فن الصور الشخصية في مدرسة

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

طوبقابي سراي بإستانبول تحت رقم (A3595)، ومن إنتاج مرسوم مدينة إستانبول<sup>(2)</sup>، مجلد بجلدة غير أصلية تعود إلى نهاية القرن 12هـ/18م، وعدد صفحاته (158) صفحة، مقاس كل منها (34,3×23,6سم)، ويشتمل على (46) لوحة ملونة، تبقى منها (39) لوحة، منها (25) تعبر عن مشاهد من حروب الدولة العثمانية البرية والبحرية خلال عهد السلطان سليم الثاني، وقد استغرق إنجاز هذا المخطوط فترة طويلة لإتمامه قاربت العشر سنوات؛ حيث كان أول إنتاجه ببداية شهر جمادي الأول 979هـ/أكتوبر 1571م خلال عهد السلطان سليم الثاني، فيما كان الإنتهاء منه بعهد خليفته السلطان مراد الثالث وتحديداً بليلة الخميس 6 ذي الحجة 988هـ/12 يناير 1581م، وهو المدون بالصفحة رقم (156A)<sup>(3)</sup>، ومن أهم مميزات لوحات هذا المخطوط ما يلي:-

التصوير العثماني، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، ط1، (2006م)، 162؛ محمود إبراهيم حسين، الفنان في العصور الإسلامية، القاهرة، ط1، (2010م)، 151-153؛ دنيا، الأزياء، 324-325.

Suut Kemal Yetkin: L, Ancieq Peinture Turque du Xlle au XVIIIe siecle, (1970), 36; Filiz Çağman: La Miniatur Turque (L, art En Turquie), (1981), 23,231; Atil: The Art, 198; Serpil Bağcı, And Others; Ottoman Painting, Ministry of Culture and Tourism, Turkey: Ankara, (2010), 116-118.

<sup>(1)</sup> - الفنان علي: هو صهر الفنان "عثمان"، وكان شديد التأثر به، وهو من حدد له أسلوبه الكلاسيكي في إنتاج اللوحات، ومن أهم أعماله "شهنامه سليم خان"، و"الهونرنامه"، و"زبدة التواريخ"، وغيرها.

Nigar Anafarta: Hünername Mınyatürleri ve Sanatçıları, İstanbul, (1969), 10.

<sup>(2)</sup> - مرسوم إستانبول: عقب إنتقال البلاط العثماني إلى مدينة إستانبول في عهد السلطان محمد الفاتح (855-886هـ/ 1481-1451م) بدأت محاولة جادة من قبل هذا السلطان لتكوين مرسوم فني للتصوير في القصر يُسمى "نقش خانة"، وأدى ذلك بطبيعة الحال إلى ظهور مدرسة عثمانية مبكرة في التصوير العثماني ذات صلة بالمرآز الأخرى التي ظهرت قبل ذلك في بورصة وأدرنة وآماسيا، مع هجرة بعض مصوري الصور الشخصية من بعض الولايات الإيطالية لعاصمة الدولة "إستانبول"، وهجرة بعض الخطاطين والمزوقين من شيراز وأصفهان خلال الحكم التيموري إليها أيضاً، وبهذا نشأ مرسوم مدينة إستانبول، وإستمر في تطوره وإزدهاره، وتشعب إنتاجه في العهود التالية: خليفة، فن الصور، 25-26.

<sup>(3)</sup> - Fetvacı; "The Production", 264.

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

1. نُفذت (36) لوحة منها على صفحات كاملة، بينما نُفذت العشر لوحات الباقية منها على صفحتين متقابلتين، كما أن غالبية اللوحات تتخللها مستطيلات طويلة وعرضية مدون بها نصوص فارسية موضح بها أسماء الحصون والقلاع، مما يعبر عن التعاون بين الفنان والخطاط معاً في تصميم اللوحة<sup>(1)</sup>.

2. يركز المخطوط على النشاط السياسي والعسكري للدولة العثمانية لاسيما في الأراضي الواقعة حول البحر المتوسط وشط العرب والمحيط الهندي، وبما يتواكب مع الفترة الزمنية التي يتحدث عنها وهي فترة السلطان سليم الثاني، وبما يتفق ونظرة المؤرخ "لقمان" لجغرافية تلك المناطق والتنوع البشري لشعوبها.

3. تشتمل اللوحات على الكثير من التكوينات المتنوعة الغنية التي تُمثل معارك البر والبحر والحصار والقلاع والمدن التي غزاها بعض قادة السلطان سليم الثاني، بخلاف الإهتمام برصد المناسبات الإجتماعية، والدقة في ملائمة الأماكن للأحداث المرسومة بها وهذه سمة للوحات المخطوطات التاريخية<sup>(2)</sup>.

4. اللغة المهيمنة على المخطوط هي لغة الفخر بالانتصارات والشعور بالزهو والقوة المفرطة في محاربة الأعداء وقمع التمرد وإخماد الثورات؛ حتى

<sup>(1)</sup> - عثمان، عمائر استانبول، 849.

Fetvacı; "The Production", 263-315.

<sup>(2)</sup> - عثمان، عمائر استانبول، 849؛ دنيا، الأبناء، 352.

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

أن هزيمة العثمانيين في بلاد الشام والتي ذُكرت في الصفحات (127B-130A) لم يتم تسليط الضوء عليها بالقدر الكافي<sup>(1)</sup>.

5. اللوحات غنية بالتركيبات الفنية حيث تستعرض مساحات شاسعة من الأقاليم الجغرافية المتنوعة ذات التضاريس المختلفة بعيداً عن جغرافية مدن تركيا، ومنها إيران وتونس والعراق واليمن وقبرص، كما تُظهر العديد من سكان وأهالي تلك المناطق من الفينيسيين والصفويين والتونسيين واليمنيين والعراقيين والأحباش، وغيرهم، مما يعطي مادة ثرية عن العادات ومفردات الأزياء والملامح ولون البشرة وغيرها لتلك الشعوب.

أولاً: المعركة البحرية العثمانية بجزائر البصرة عام 974هـ/1566م.

كانت رغبة العثمانيين جامحة في السيطرة على مدينة البصرة بالعراق<sup>(2)</sup> فبخلاف طموحاتهم في التوسع الإقليمي؛ كانت البصرة تُعد أعظم مركز تجاري عالمي في ذلك العصر، كما احتلت مركز الزعامة عند مدخل الخليج الفارسي، لذا كانت تحظى بأهمية قصوى لدى العثمانيين في منطقة شط العرب أو الخليج الفارسي، وكان الدافع الإقتصادي محركاً قوياً لهم إذ أرادوا السيطرة الفعلية على طريق التوابل الواردة عن طريق البصرة - بغداد - حلب، هذا الطريق الذي كان يدهمه خطران في آن واحد؛ الخطر البرتغالي في

(1) - Fetvacı; "The Production", 266.

(2) - مر إحتلال العثمانيين للعراق بثلاث مراحل، لكي يبسطوا نفوذهم وسطوتهم عليه؛ ففي عهد السلطان سليم الأول (918-926هـ/1512-1520م) انضوت الأجزاء الشمالية والشمالية الغربية إلى الدولة العثمانية، أما وسط العراق والأجزاء الشمالية الشرقية فدخلت تحت الحكم العثماني في عهد السلطان سليمان القانوني (926-974هـ/1566-1520م)، أما الأجزاء الجنوبية بما فيها البصرة فلم يكن النفوذ العثماني فيها في بداية السيطرة العثمانية على بغداد إلا إسمياً فقط، فإحتاج العثمانيون إلى حملة عسكرية على البصرة ليوطدوا نفوذهم فيها ويحولوها إلى أيالة عثمانية يديرها وإل عثمانى؛ فاضل مهدي بيات، دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني "رؤية جديدة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية"، ليبيا-بنغازي: دارالمدار الإسلامي، ط1، (2003م)، 8.

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

خليج البصرة، والخطر الصفوي الذي مازال يسيطر على الأجزاء البرية منه، ومن ثم أصبحت السيطرة على طريق "بغداد - البصرة" والرغبة في تأمين السيطرة على الطرق التجارية الممتدة من البصرة إلى بلاد الشام والأناضول من أولويات الإهتمام العثماني، هذا بخلاف أن الأسطول العثماني كان في حاجة ماسة للسيطرة على ميناء كبير - مدينة البصرة - يمكن أن يلعب الدورين الضروريين لنجاح الحملات البحرية العثمانية ضد البرتغاليين في المياه الهندية وهما<sup>(1)</sup>:

- أن يكون ميناء البصرة قاعدة بحرية هجومية تنطلق منها الأساطيل العثمانية في حملات مباشرة ضد القواعد البرتغالية في الخليج العربي، وضد الوجود العدواني البرتغالي في المياه الهندية.

- أن يكون ميناء البصرة ملجأً للأساطيل العثمانية المنطلقة من ميناء السويس المصري إلى المياه الهندية ترسو فيها ما بين الحملات لتستريح القطع المقاتلة ورجالها، ولترمم ما عطب منها، ولتستعد لحملات جديدة.

وبالفعل كانت هناك محاولات من قبل العثمانيين لاستمالة بعض حكام مدينة البصرة<sup>(2)</sup> والإكتفاء فقط بالولاء الإسمي منهم، ثم فيما بعد نجحوا في

(1) بكر محمد إبراهيم، الدولة العثمانية، القاهرة: مركز الياة للنشر والإعلام، ط1، (2007م)، 174. Fetvacı; "The Production", 263-315.

(2) - بعد أن احتل السلطان سليمان القانوني مدينة بغداد عام 941هـ/1534م أعلن والي البصرة طوعاً ولأئنه له، وكانت البصرة تحت سيطرة إحدى القبائل العربية أباً عن جد وهي قبيلة "آل مغامس"، وكانت تُقرأ الخطبة وتضرب النقود بإسم حاكمها "راشد بن مغامس"، أي أنها كانت تحكمها بشكل مستقل، وكان النفوذ الصفوي فيها إسمياً فقط، وبناءً على ذلك أرسل "راشد" رسائل إلى السلطان سليمان يعرض فيها طاعته له والخضوع إليه؛ كما أرسل إليه في عام 945هـ/1538م ابنه "مانع" على رأس وفد كبير محمل بهدايا نفيسة ومعه مفاتيح مدينة البصرة، فعينه السلطان القانوني والياً على إيالة البصرة شريطة أن يكون تابعاً لباشا بغداد، وعلى أن يقوم بضرب النقود وقراءة الخطبة بإسم السلطان العثماني؛ بيات، دراسات، 37-40؛ علي ظريف الأعظمي، مختصر تأريخ البصرة، بيروت، (2013م)، 120.

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

السيطرة والاستيلاء التام عليها عام 952هـ/1546م<sup>(1)</sup> بعهد السلطان سليمان القانوني<sup>(2)</sup> (926-974هـ/1520-1566م).

وقد عبرت اللوحات الثلاث المرقمة بـ (41B-42A, 43A, 45B) من إنتاج الفنانيين "عثمان وَعلي" بمخطوط "شهنامه سليم خان" عن الغزو العثماني لمدينة "المَدِينَة أو الجزائر"<sup>(3)</sup> بإقليم البصرة في عهد السلطان سليم الثاني تحديداً، إذ ترصد جميعها ثورة الأهالي التي اندلعت عام 974هـ/1566م تزامناً مع اعتلائه عرش السلطنة، حيث شهدت البصرة أحداثاً دامية أضعفت

<sup>(1)</sup> - بعد مرور حوالي سبع سنوات وجد أمير البصرة "راشد" أن الانقياد للدولة العثمانية أمراً يمكن التخلص منه؛ فأتخذ موقفاً متشدداً من ذلك، ورفع إسم السلطان من السكة والخطبة، فضلاً عن التحالف مع أمراء الإمارات المناوئة للعثمانيين. وتوفير الحماية لبعض الهاربين من السلطة العثمانية في بغداد، وأعطى ذلك التصرف الذريعة للعثمانيين لتصفية الحكم العربي في البصرة الذي أصبح حجر عثرة في طريق الدولة العثمانية من أجل الوصول إلى الخليج العربي، لذا احتل العثمانيين مدينة البصرة بقيادة "إياس باشا" في 21 شوال 952هـ/26 كانون الأول 1546م؛ بيات، دراسات، 40-42؛ إيناس سعدي عبدالله، تاريخ العراق الحديث "1258-1918م"، بغداد، (2014م)، 222.

<sup>(2)</sup> - السلطان سليمان القانوني هو السلطان العثماني العاشر من سلاطين الدولة العثمانية، تولى السلطنة وعمره ستة وعشرين عاماً، وقضى في الحكم حوالي ستة وأربعين عاماً في الفترة ما بين (926-974هـ/1520-1566م)، والده هو السلطان سليم الأول، ووالدته حفصة سلطان، ولد عام 900هـ/1494م، تمتع بصفات عسكرية عالية، وتميز عهده باستمرار حركة التوسع الإقليمي العثماني في أوروبا، توفي في سكتوار، ودفن في مسجده بإستانبول عام 974هـ/1566م، وخلفه في الحكم ابنه السلطان سليم الثاني؛ فطين أحمد فريد علي، مصر والدولة العثمانية، القاهرة، ط1، (2004م)، 145-152.

<sup>(3)</sup> - الجزائر: إحدى مدن العراق المهمة، وتعرف بمدينة "بني منصور"، ومن قراها الصباغية وبني حميد ونهر صالح ونهر عنتر وديار بني أسد ونهر الطويل، وأشهر قبائلها ربيعة وآل عليان، وهي اليوم إحدى أفضية محافظة البصرة، تقع في الجزء الشمالي الغربي منها، يحدها من الشمال والشمال الغربي محافظة ميسان. ومن الغرب محافظة ذي قار، ومن الجنوب والجنوب الشرقي قضاء الزبير وناحية الدير، وشرقاً قضاء القرنة، وتشغل مساحتها حوالي (5,20 كم<sup>2</sup>) من مساحة محافظة البصرة؛ حسام طعمه ناصر ومشتاق عيدان أعبيد، المَدِينَة "جزائر البصرة" في العهد العثماني (1546-1718م) دراسة في الأحوال السياسية والاجتماعية، العراق، كربلاء: مركز تراث البصرة، ط1، 2015م، 13، 16، 25.

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامة سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

هيبة الدولة العثمانية من جهة، مع اشتداد خطورة ثورة أسرة "آل عليان"<sup>(1)</sup> الحاكمة لها من جهة أخرى، حيث كان "ابن عليان" رئيس الطوائف العربية بالبصرة، وكان يخضع حيناً ويتمرد حيناً آخر إلا أنه وبعد تولي السلطان سليم الثاني السلطنة أعلن العصيان والتمرد بشكل صريح<sup>(2)</sup>، ومما يذكر أن فيما قبل وتحديدًا في 18 محرم 973هـ/ 15 آب 1565م صدر الأمر من إستانبول إلى والي البصرة بعرض تقرير سري مفصل عن أحوال الجزائر وممرات الجزر، ومدى ملائمة الطرق النهرية وتحديدًا نهر صالح حيث موطن عشيرة آل عليان وكذا مناطق الأهوار للسفن العثمانية، وتحديد الموضوع الذي يتيسر للأسطول وسفن النقل العثمانية المحملة بالمعدات العسكرية والمؤن الغذائية إليها، وتقدير حجم القوات البحرية والبرية اللازمة، ونوع الأسلحة الملائمة للإستخدام في مثل تلك الأرجاء، مع تقدير الوقت الأنسب للقيام بالمعركة لأن بيئة الأهوار تشهد إنحسار المياه في بعض الأوقات من السنة مما يؤدي إلى صعوبة حركة القوات والسفن بها<sup>(3)</sup>.

(1) - آل عليان: يرجعون إلى قبيلة "طيء" العربية المعروفة، ويعد "علي بن عليان" كبير مشايخ جزائر البصرة؛ حيث شكل إمارة في تلك المنطقة، اتخذت من البصرة مقراً لها، وقد تزعمت عشائر منطقة الجزائر، وهي بهذا التكتل العشائري الكبير خاضت معارك حاسمة في مواجهة الإدارة العثمانية في جنوب العراق؛ حسين علي عبيد المصطفى، البصرة في مطلع العهد العثماني دراسة في التاريخ الإجتماعي والعمراني 1546-1668م، دمشق، (2012م)، 46.

(2) - إستولى "ابن عليان" شيخ قبائل عرب البصرة على جزء كبير من جنوب العراق، وقد شكلت هذه الانتفاضة دعماً للصفويين واتصل قادتها بحاكم البصرة السابق "راشد ابن مغامس" الذي تمكن بمساعدة البرتغاليين من تحريض بعض قبائل البراري العراقية، كما أنه وعد البرتغاليين في حال عودته إلى السلطة مرة أخرى بعدد من الإمتيازات بما في ذلك حق بناء قلعة برتغالية فيها؛ نيقولايفافانوف، الفتح العثماني للأقطار العربية، ترجمة: يوسف عطا الله، لبنان، بيروت: دار الفارابي، ط1، (1988م)، 93.

(3) - ناصر وأعبيد، المدّنة، 47-75.

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

ويذكر لنا المؤرخ حاجي خليفة بشيء من التفصيل مراحل تلك المعركة بقوله<sup>(1)</sup>: [كل ذلك جعل العثمانيين ينظمون حملة كبرى اشتركت فيها حامية "شهرزور"<sup>(2)</sup>، تحت قيادة واليها مظهر باشا وكذا حامية الموصل، كما أرسلت (550) سفينة بحرية مزودة بـ(200) مدفعاً ووضعت في بيده جك "ممر نهر الفرات"، وكان الأسطول البحري تحت قيادة "جانبولاد بك"<sup>(3)</sup>، كما انضم إليه بعض الجنود الأكراد، وألفان من كبار جنود الإنكشارية<sup>(4)</sup> العثمانية، ومائتان من رجال المدفعية<sup>(5)</sup>، وكل ذلك تحت قيادة والي بغداد إسكندر باشا

(1) - خليفة، تحفة الكبار، 149-151.

(2) - إيالة شهرزور: هي إحدى الإيالات العثمانية الأربع الرئيسية بالعراق "بغداد، ديار بكر، البصرة، شهرزور"، وبلغ عدد السناجق بها العشرين بما فيها القلاع؛ الصفصافي أحمد المرسي، الدولة العثمانية والولايات العربية، مجلة الدارة، مج 8، ع 4، السعودية: دار الملك عبد العزيز، (1983م)، 78.

(3) - جانبولاد بك: "جنبلاد" (888-979هـ/1480-1571م)؛ تذكر المصادر عنه أن والده قُتل بأمر من السلطان سليمان القانوني إثر وشاية، فبقي ابنه الصغير جنبلاد في القصر وحظي برعاية واهتمام حاشية السلطان، وتلقى العلوم والتربية العسكرية والتنشئة الأدبية، وعينه السلطان وزيراً للتشريفات، وصحبه معه في غزواته إلى بلغراد ورودرس ومولدافيا، فخاض المعارك وأظهر شجاعة فائقة، ولما عاد منحه إيالة كليس، وأعاد إليه كل أملاك آل جنبلاد التي صودرت بعد الوشاية، وقضى على ثورة الأكراد عام 969هـ/1560م، وكان حاكم محافظة كليس بالعراق زمن السلطان سليم الثاني، وقضى على ثورة كردية في البصرة عام 975هـ/1567م وعاد إلى استانبول منتصراً، واستطاع أن يحقق انتصاراً كبيراً غيره في العراق، واختتم حياته القيادية على عتبة مدينة ماغوسا بقبرص؛ خليفة، تحفة الكبار، 150.

(4) - الإنكشارية: لغويًا "يكي جري"، وتلفظ الكاف نوناً وتكتب الكلمتان معاً هكذا "يکچري، يني جري، يني تشرى"، بمعنى "النظام الجديد"، أما عسكرياً فهو إسم يُطلق على فرق المشاة النظاميين التي كونها العثمانيون في القرن 8/14م، وأصبحت أكبر قوة عندهم مكنتهم من الغزوات الواسعة التي قاموا بها في آسيا وأوروبا، ويُطلق عليهم أحياناً إسم "قابي قولي" بمعنى عبيد الذات السلطانية أو الرقيق السلطاني نظراً لارتباطهم الكلي بالسلطان شخصياً، وفي عهد السلطان مراد الثاني (824-855هـ/1421-1451) أدخل على تلك التشكيلات العسكرية الكثير من التنظيم والانضباط، وكان تدريبهم وتعليمهم العسكري يركز على الطاعة العمياء وتحمل الجوع والعطش والتعب، وكانت ترفيتهم مبنية على الشجاعة والطاعة؛ ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، بيروت: دار العلم للملايين، (1960م)، 16-18.

(5) - خليفة، تحفة الكبار، 150.

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

السردار<sup>(1)</sup>، كما جمع القبطان<sup>(2)</sup> "جانبولاد" من نواحي مدينة حلب ما يقرب من (6000) من جنود العرب والأكراد، وقيّد أسماءهم ووضعهم بالمهمات الحربية في السفن، وأخرجهم في 4 محرم 975هـ/11 يوليو 1567م من بيده جك ووصلوا إلى قلعة كليس والتي كانت محافظةً لإبنه، حيث استراحوا لبضعة أيام، ثم وصل إلى فالوجة من "جابرة والرقّة وصفين ودحبة وعانة وحادثه وهبت"، وتوقف هناك لبضعة أيام أيضاً، ثم ظلوا في "حلة" ما يقرب من شهرين إلى أن تحسّن الجو، ومضت الأيام الحارة، فخرج إسكندر باشا من بغداد مع جنوده من البر، كما أن الأسطول قام من "حلة" ومر بـ"أماجنة

(1) - إسكندرياشا: سياسي عثماني، أصله من الجراكسة من قبيلة قبارتاي، كان من مماليك خسروباشا وإلى دياربكر، زادت رتبته حتى صار رئيس البوابين، ثم رئيس الجاوشيين، ولما عُزل من هذا المنصب عهدت إليه دفتريّة "محاسب" حلب، وبعدها دفتريّة الأناضول، وهكذا حتى صار والي "وان" وهناك قام بخدمات عظيمة وأوقع خسائر كبيرة بالعجم، ثم نال إمارة الأناضول فهزّم ابن الشاه الصفوي، وحكم إيالة مصر العثمانية في الفترة ما بين (963-966هـ/1559-1566م)، ثم عين والياً على ديار بكر في الفترة ما بين (958-972هـ/1551-1564م)، وفي عام 974هـ/1566م عُين والياً على بغداد، وفي عام 977هـ/1569م صار والياً مرة ثانية على مصر، وبعد سنة ونصف عُزل وعاد إلى الأستانة، وتوفي عام 979هـ/1571م، ودفن في جامع فالكليجه، وأنشأ بجوار هذا الجامع مدرسة وكتّاباً وحمامان، كما أنشأ جامعاً في بغداد؛ عباس العزاوي، موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين، ج4، بيروت: الدار العربية للموسوعات، ط1، (2004م)، 130-131.

والسردار: هو سرعسكر، مصطلح أعجمي بمعنى رئيس أو قائد الجيش، لقب عسكري أطلق على قائد الجيش العثماني بعد تخلي السلطان عن قيادته، وبعد إلغاء الإنكشارية لُقّب قائد الجيش بهذا اللقب أيضاً، وإذا ما عينه الصدر الأعظم يُسمى "سردار أكرم": سهيل صابان. المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، الرياض: مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، (2000م)، 133.

<sup>2</sup> القبطان: القبطان باشا أو قبطان البحر هو الشخص المسئول عن كل ما يتعلق بالشئون البحرية، أصبح منصباً إدارياً رسمياً في الدولة لأول مرة في عهد السلطان بايزيد الأول (791-805هـ/1389-1403م)، وفي عهد السلطان محمد الفاتح (855-886هـ/1451-1481م) أصبح المتولي منصب قبطان البحر مساوياً للوزير، ولقبه "باشا"، وكان في البداية برتبة أمير سنجق (سنجق بكى)، ويقوم حتى أواسط القرن 10هـ/16م في غالبيته، ثم فيما بعد أصبحت إيالة جزر البحر الأبيض هي الإيالة المخصصة، وكان قبطان البحر من الأعضاء الرئيسيين في الديوان الهمايوني، كما كان له إيرادات مالية سخية، وعدد غفير من الرجال يعملون تحت إمرته، وقد تولى منصب قبطان باشا حوالي (161) شخص وذلك حتى عام 1283هـ/1867م حيث أنشئت وزارة البحرية؛ أوغلي، الدولة العثمانية، مج2، 418.

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

والسماوة" ووصل إلى مضيق نهر "أبو كليين" ومن هناك إلى "صدر الوادي" أول الجزر وحيث يلتقي دجلة بالفرات، وكان العرب قد أقاموا الإستحكامات بقصد الدفاع من قبل، ولكن لما إقترب الأسطول تركوها، وابتعدوا عنها، وفروا من هناك بسهولة، ولما كان أسفل ذلك جزر "جلتك لبك" وكانت في يد أشقياء العرب، فتلاقى الأسطول مع إسكندر باشا بالقرب من قلعة "زرتك"، كما اجتمع في هذا المكان مائة وخمسون من سفن أسطول بغداد، وذهبوا كلهم متفقيين إلى صدر الوادي، فبنوا هناك قلعتان متقابلتان متجهتان إلى الماء، ثم ذهبوا إلى الجزيرة المشهورة بصدر البحر، حيث وجدوا جنود العرب قد أقاموا هناك إستحكامات مجتمعين، ولما هاجموا دون إنتظار خرج "جانبولاد" بجنوده إلى البر فحمل عليهم، وبعد معركة دخلها دون سابق تدبير، تفوق عليهم وشتت جنود العرب، فقتل كثيرين منهم، كما مات من جنود الرُبان كثيرين، وعندئذ رأى أن يبني على الساحل قلعتان، وشرع في العمل، ولم تنقطع المعارك مع العرب، فاستمر القتال من حين لآخر معهم، ولما كانت معيشة العرب من تمر النخيل ومن ثمار الأشجار الأخرى قد قُطعت كلها، لذا تظاهروا بالخضوع، ولكن جنود الدولة إستمروا في القتال قائلين أن العرب لن يوفوا بوعدهم وهجموا عليهم من ناحيتين، ونشبت معارك عظيمة فانهزم جند العرب، وكانوا طُعماً للسيف، وبعدها تم بناء القلعتين، طلب ابن عليان الصلح قبل الهجوم عليه، فجاء ابن أخيه ومفتهم محمد حارث، وطلبوا أمام إسكندر باشا أن يغفر لهم، وفي الإجتماع الثاني قيل لهما إذا كان ابن عليان صادقاً في خضوعه للسلطان، فليرسل كل عام إلى خزينة البصرة خمس عشرة ألف قطعة ذهبية، وحتى يوثق بكلامهم، فليبق بعض أبناء مشايخهم في قلعة البصرة رهائن، فقبل السفراء هذا العرض، وبعد الإستيلاء على جميع الجزر، غادروا ذلك المكان ولما وصل الأسطول إلى مكان يُسمى "صاعبة" جاء أخو ابن عليان

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

الأمير سلطان بخمسين سفينة، وعرض خضوعه، وهنا جاء الأسطول عالي البصرة بتسعة سفن "غراب" تحت قيادة علي باشا، وتلاقى مع قادة الدولة، ونزلوا في قلعة "فتحية"، كما جاء القائد من البر، وحضر شيخو الجزيرة وقادتها الإجتماع مع القائد، وخضعوا بعد أن قدموا الرهائن، ولما كان عرب النهر الطويل أمام "قلعة الرحمانية" في حالة تمرد وإثارة فساد وشرو لم يستجب قائدهم "فضل" للدعوة، وبناء على ذلك هجموا عليهم، فهلك كثيرون من العرب في المعركة التي دامت خمسة أيام دون انقطاع، وتشتت الباقيون، فنهب الجنود أموالهم وأملاكهم، وأحرقوا قراهم وقطعوا نخيلهم، وبنيت قلعة حيث تتحد الأنهار الثلاثة وقطعت مياههم، وأُعطى للأمير "سلطان" محافظة "بواب" ورجع الأسطول إلى بغداد في أوائل شهر رمضان الشريف الموافق أوائل مارس 1568م، وسرح الجند].

6. اللوحة الأولى<sup>(1)</sup> "لوحة 1": منفذة على صفحتين متقابلتين برقي (41B-42A)، وهي من إنتاج الفنان علي، وتُعبّر تفاصيلها عن غزو القائد إسكندر باشا والي بغداد آنذاك لمدينة "المُدِينَة" إحدى ضواحي إقليم البصرة، والصفحة اليسرى منها برقم (41B)، وأبعادها (20,5×31سم)، تُظهر قطاعاً من المعسكر الحربي العثماني المقام على جزء من السهل الممتد لنهر صالح، حيث نجد القائد العام إسكندر باشا جالساً على كرسي داخل خيمته، يقف خلفه أحد كبار قادته، ومن خلفه يقف الخادم الخاص به، فيما يقف أمامه مجموعة من كبار قادة وضباط الجيش العثماني موزعين في صفين، ومعهما مجموعة من أفراد الموسيقى العسكرية حاملين بعض الأدوات الموسيقية من الطبل والمزمار يعزفون ألحان النصر، وبأقصى يسار مقدمة الصفحة قائدان

(1) - عبد النور، المعارك الحربية، 157-158، لوحة (79).

Fetvacı; "Others and Other Geographies", 84, Fig (1).

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامة سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

يرتديان الزرد العسكري<sup>(1)</sup> المذهب ومعهما بعض الأسلحة يقودان أسيران عربيان متجاوران مربوطي الذراعين من الخلف، كما يوجد قائد آخر أقل رتبة يجلس بداخل خيمته بأقصى يمين مقدمة الصفحة متحدثاً مع ثلاثة من ضباطه موزعين على جانبيه، فيما يوجد بالأعلى إثنان من الجنود الإنكشارية المشاة يصوبون بنادقهم نحو أربعة من أهالي البصرة، وقد قتل إثنان منهما وهما الممددين على الأرض، "لوحة 1[أ]".

ثم نجد بالثلث العلوي من الصفحة جزء من مجرى نهر صالح متوسط العرض متعرج الجانبين، رُسمت مياهه بلون زيتي غامق وعُبر عن جريانها السريع المنتظم بتهشيرات طولية كثيفة متجاورة، وتتشعب من جانبيه بعض الروافد المتباينة الأحجام والإتجاهات، وتجري به أحد الزوارق الحربية العثمانية، متجهاً من أقصى يمين الصفحة إلى يسارها، وهو صغير الحجم، بسيط الهيئة، مخصص لحمل ثلاثة من الملاحين<sup>(2)</sup> العثمانيين، ويظهر من جانبه أنه طوي اللون قاتم مشوب باللون الأحمر، ومحدد بخط أسود رفيع، ذا طرفين مدبيين باستطالة دون ارتفاع، وقاع قليل العمق، مع خلو من الصواري والأشعة والأعلام، فيما نجد بمقدمته موضع لجلوس رئيس الملاحين، محدد الجانبين بضلعين

(1) - الزرد العسكري: من الأزياء الدفاعية التي يرتديها المحارب ليحمي جسده من ضربات العدو المختلفة، وله العديد من الأنواع، ومن أهمها الزرد المكون من حلقات معدنية حديدية صغيرة متصلة ببعضها البعض بإتقان، بحيث تغطي الساعدين حتى الكوع، والجسد حتى أعلى الركبة وتكون مشقوفة من الأمام كي تساعد على الحركة، ويراعى في تكوين الرقائق المعدنية الصغيرة أن تكون مناسبة لزوايا الأعضاء وثناياها بجسد المحارب بما يساعده على مرونة الحركة؛ عبد النور، المعارك الحربية، 220.

(2) - الملاحين: مفردتها الملاح، وهو الذي يقود السفينة أو يعمل عليها، والملاحة والملاحية هي حرفة الملاح، وقيل صاحب السفينة ملازمته الماء الملح، وعرفه بن الأعرابي قاتلاً: "الملاح الريح التي تجري بها السفن وبه سُي الملاح ملاحاً"، وقال غيره، "سُي السّفان ملاحاً لمعالجته الماء المالح بإجراء السفن فيه"، والملاحون بصفة عامة هم قوم أقوياء البنية، صلبوا الأعواد، ذوي عضلات، يقومون بأعمال تتطلب منهم جهداً جباراً كالتجديف ودعم قوائم وحبال المراكب ودفعها وقطرها، وهم كذلك مرحين، يشغلون أنفسهم بالغناء خاصة عندما ينغمسون في العمل ليأخذ منهم كل مأخذ؛ وليد علي خليل، فئات الصناعات والعمال في العصور الإسلامية الوسطى، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، ط1، (2017م)، 537.

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامة سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

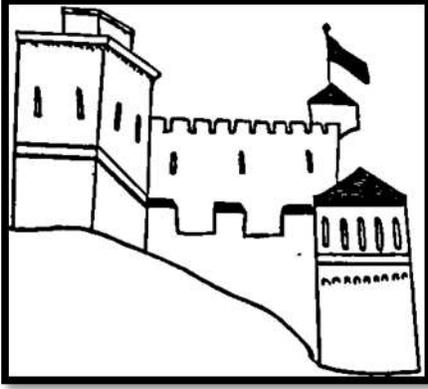
مذهبين مرتفعين متوازيي الأضلاع، ويرفع رئيس الملاحين يده اليمنى لأعلى قليلاً ممسكاً بعصا رفيعة متوسطة الطول سوداء اللون ملقياً تعليماته وأوامره لاثنتين من الملاحين يستخدمان مجاديف<sup>(1)</sup> متوسطة الطول حمراء اللون في تحريك الزورق بواقع مجدافين لكل منهما، وتكمن وظيفة هذا الزورق في مراقبة ومعاينة هذا الجزء من نهر صالح لعدم هروب أيّ من جنود العرب من خلاله للضفة الأخرى من اليابسة، بخلاف تنظيفه من أي جثث طافية به، "لوحة 1 [أ]"، "شكل 1".



شكل (1)

(1) - المجداف: من أهم الأجزاء بالسفينة، وكان ترتيبها ووضعها في صفوف مناسبة من أهم ما يُعنى به في بناء السفن، وعلى الرغم من وجود الشراع في السفينة لتسييرها إلا أن المجاديف كان لها أهمية بالغة خاصة عندما يشتد موج البحار أو تهب العواصف الشديدة لأنها تسعف في عملية الخلاص وتقلل من الخطورة الواقعة على السفينة، وعرفت مصر القديمة المجاديف، فيذكر هيرودوت أن سفن مصر الحربية في القرن (6ق.م) كانت تحتوي على ثلاثة صفوف منها؛ محمد، البحرية، 207.

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"



شكل (2)

ويظهر بيمين الصفحة قلعتان<sup>(1)</sup> بحريتان مبنيتان من طابقين بطابع عربي واضح، استخدم الفنان في رسمهما الألوان الرمادي والوردي والبصلي بدرجات فاتحة، وكل منهما مكونة من قسمين متواجهين ومتقابلين على جانبي الشط، فيما يفصل

بينهما المجرى المائي، والوحدات المعمارية بهما من الأبراج والأسوار<sup>(2)</sup> الحجرية بسيطة التكوين ذات مساقط مستطيلة الشكل متوسطة الإرتفاع، وفُتح

(1) - القلعة: طراز من الحصون شاع استخدامه في العصور الوسطى لحماية المدن من العدوان الداخلي أو الخارجي، وكان يقوم بوظيفتي المسكن والحصن معاً؛ دعت إلى ذلك طبيعة الحياة في تلك العصور التي كثرت فيها الاضرابات والحروب، وبشترط في اختيار موقعها أن يتميز بالعلو والإرتفاع لتشرف على الأراضي المحيطة بها، وتكون مهمتها مقصورة على المراقبة والدفاع ضد أي اعتداء خارجي، وتشتمل عمارتها على مجموعة من الأسوار والأبراج والمزاغل والمراقب والثكنات؛ عاصم محمد رزق، مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، القاهرة: مكتبة مدبولي، ط1، (2000م)، 241-242.

(2) - الأبراج والأسوار: يقصد بالبرج في المصطلح المعماري الأثري بناء مرتفع في سور المدينة أو القلعة أو الحصن أو الخان أو الرباط أو القصر، يُربط فيه الجند المكلفون بالدفاع عنه، وهو عبارة عن بناء حربي مربع أو مستدير يبرز عن السور المتصل به سواء أكان لحصن أو قلعة، وقد يُبنى البرج في المدن الساحلية على الشاطئ للدفاع عن المدينة المتاخمة له، ويكون في هذه الحالة أشبه بقلعة صغيرة تشكل خط الدفاع المتقدم عن هذه المدينة، ويحتوي على مزاغل لرمي السهام والرماح؛ لذا كان من الضروري أن تزود أسوار هذه الحصون والقلاع بعدد مناسب من الأبراج حتى تكون عملية الدفاع عنها سهلة وفعالة، أما الأسوار فتعد من العناصر المعمارية المهمة التي ارتبط ظهورها كثيراً بالحدائق أو بالمباني المعمارية الضخمة والمجمعة، ويظهر كنوع من أنواع الحماية والتحديد، ويتفاوت إرتفاعه حسب الاستخدام، ويُبنى من قوالب الطوب أو الحجارة أو من ألواح خشبية، ويلاحظ ظهور بعض الأبراج تتخلل الأسوار، خاصة عندما يرتبط الأمر بالعمائر الحربية أو التحصينات؛ رزق، مصطلحات، 340-342.

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامة سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

بجدرانها فتحات مزاعل<sup>(1)</sup> طويلة رفيعة ضيقة، وسُقفت بعض طوابقها بسقف مستوي فيما سُقف البعض الآخر بسقف جملوني<sup>(2)</sup> منحدر الجانبين من اللون الأحمر أو البني أو الأزرق بدرجات غامقة، والأسوار التي يقف خلفها الجنود والإنكشارية مستوية النهاية أو ذات شرفات<sup>(3)</sup> حجرية متتالية مستطيلة الشكل، ويعلو كل قسم من قسيمي القلعتين سارية معدنية رفيعة سوداء اللون تنتهي بما يشبه السهم المنطلق، معلق بها علم قماش أحمر اللون متوسط الحجم مستطيل الشكل، فيما يقف خلف الشرفات بعض الجنود العثمانيين تعبيراً عن تمكّنهم من اقتحام القلعة والاستلاء عليها وغلبة من بها من جنود وأهالي البصرة المتحصنين بها مع إكمال تطهيرها منهم، وقد إعتّم بعضهم البورك<sup>(4)</sup> الأبيض اللون المميز لفئة من فئات

(1) - المزاعل: مفردا "مزغل"، ويُقصد به في المصطلح الأثري المعماري فتحة ضيقة في سور المدينة أو القلعة أو البرج أو البوابة، تطلق منها الرماح والسهم وغيرها من المقذوفات على المهاجمين، كما تستخدم في نفس الوقت منفذاً للهوية والإضاءة والمراقبة، وقد اعتاد المعمار أن يجعلها ضيقة من الخارج ومنتسعة من الداخل لتمكين الحراس أو المكلفين بالحراسة فيها من قذف رماحه وسهامه على المهاجمين لها في سهولة ويسر دون أن تعطي الفرصة للمهاجمين كي يصوبوا أسلحتهم إلى المدافعين من خلفها، ووجدت أقدم نماذجها في عمائر ما قبل الإسلام في كل من سوريا والعراق وإيران، ثم انتقلت إلى العمارة الإسلامية ولاسيما عمارة الحصون والقلاع والأسوار؛ رزق، مصطلحات، 277-279.

(2) - السقف الجملوني: هو سقف خشبي مسنم ذي شكل هرمي، يساعد على انكسار درجات الحرارة وعدم تركزها على السطح، مما يساعد على تلطيف حرارة الجو، كما أنه يمنع تجمع مياه الأمطار عليه في فصل الشتاء مما يحافظ عليه، لذا لجأ إليه المعمارون في البلاد الممطرة لتغطية عمائرهم، كما في الجامع الأموي بدمشق وفي عمائر إيران وأسيا الصغرى وغيرها؛ رزق، مصطلحات، 144.

(3) - الشرفات: مفردا "شرفة"، عبارة عن صف أفقي من الحليات الزخرفية التي توضع بجوار بعضها البعض عند نهاية الشيء أو حافته، وعادة ما تتوج واجهات العمائر المدنية والدينية والحربية المختلفة سواء من الداخل أو الخارج، وكانت تعمل من الحجر أو الأجر في العمائر، وأكثر أشكالها ذيوماً بهيئة الورقة النباتية الثلاثية أو الخماسية؛ محمد حمزة إسماعيل الحداد، المدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، ط3، (2008م)، 93.

(4) - البورك: يُعد من أهم أغطية الرأس الخاصة بغالبية أفراد فرق الجيش الإنكشاري العثماني، بخلاف العديد من تشكيلات الحرس الخاص والسلاحدارية وغيرهم، والبورك: كلمة تركية دخلت العربية حديثاً وأصلها في

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

الإنكشارية، وتظهر بعض من أشجار النخيل السامقة المعبرة عن البيئة الطبيعية بالبصرة بأعلى الصفحة، "لوحة1[أ]", "شكل2".

والصفحة اليمنى برقم (42A)، وأبعادها (21×26,5سم)، وتُظهر باقي امتداد المعسكر الحربي العثماني، حيث رسم بمنتصف الصفحة جزء من اليابسة لُونت أرضيته بلون سماوي فاتح، يحفه من الجانبين فرعان عريضان من فروع نهر صالح رُسمت المياه بهما بلون زيتي غامق، مع ملاحظة أن الفرع العلوي منهما ما هو إلا إمتداد للفرع المرسوم بالصفحة المقابلة، تجري فيهما أربع زوارق حربية عثمانية صغيرة الحجم مشابهة لما في الصفحة السابقة، فيما عدا أن لونها رمادي غامق مشوب باللون الوردي في إحداها، كما يوجد موضعان محددان لجلوس رئيس الملاحين بإحداها وذلك بالمقدمة والمؤخرة معاً، وقد لون جانبيه باللونين الأحمر والأزرق الزاهيين، وبعضها ذات تهشيرات طولية وعرضية رفيعة سوداء اللون، وبكل زورق منها من ثلاث إلى أربع ملاحين يستعمل بعضهم العصي الرفيعة السوداء اللون، بينما يُجذف البعض الآخر بمجاديف تنوعت ألوانها بين الأسود والأحمر والبني، "لوحة1[ب]", "شكل1".

وتشق اليابسة بالمنتصف بعض الروافد الرفيعة الجارية وتقسّمها إلى شُطر بزوايا حادة، والتي حصرت بينها بعض القادة يمتطون صهوات جيادهم، بخلاف جنود الإنكشارية المترجلين، وفي أعلى الصفحة رُسم جزء من اليابسة ملاصق للشط العلوي لأحد فرعي مجرى النهر يظهر به العديد من أشجار النخيل الرشيقة الخضراء اللون، "لوحة1[ب]".

التركية: بوريك، وتُطلق على نوع من البسة الرأس في الجيش العثماني، تمتاز بلونها الأبيض، وهي على شكل مثلث رأسه بإتجاه أسفل، مزينة بحاشية مذهبة، أو هو قُلنسوة من الصوف الأبيض اللون يتدلى خلفها قطعة طويلة من القُماش أسطوانية الشكل تشبه "الكُم" المتدلي تُمثل رمز البركة التي منحها "الحاج بكتاشي" للجيش العثماني عندما تعلق كُم ثوبه خلف رأس أحدهم وهو يدعو لهم بالعزة والنصر؛ دنيا، الأزياء، 888-894.

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

7. اللوحة الثانية<sup>(1)</sup> "لوحة 2": منفذة على صفحة واحدة برقم (43A)، أبعادها (20×28,5سم)، ومن إنتاج الفنان علي، وتعتبر تفاصيلها عن يوم آخر من أيام تلك المعركة حيث مقدمة الصفحة تشبه مثيلتها بالصفحة اليسرى من اللوحة السابقة مع زيادة عدد الخيام العثمانية والتي يجلس بداخل إحداها القائد إسكندر باشا، بخلاف تجمع عدد أكبر من بعض أفراد تشكيلات الجيش العثماني يحملون أدواتهم الحربية الخاصة بهم، مع ظهور الفرقة الموسيقية العسكرية بأدواتها الموسيقية، على أنه يستري النظر بعض الرؤوس المقطوعة والموضوعة أمام قديمي إسكندر باشا، فيما نجد بالمنتصف



شكل (3)

إمتداد لمجرى نهر صالح يجري فيه زورق واحد يشبه مثيله باللوحة السابقة من اللونين الرمادي والبني الغامقين، وُحِد موضعى جلوس رئيس الملاحين بمقدمته ومؤخرته بضلعين من اللون البرتقالي الزاهي أو

الأحمر الغامق به صف من المربعات الأفقية المتتالية الزرقاء اللون، ويلاحظ وجود بعض القتلى من جنود البصرة تطفوا جثثهم على سطح الماء، "لوحة 2"، "شكل 3".

<sup>(1)</sup> - Sinem Durmaz; Topkapi Sarayı Müzesi Kütüphanesinde Bulunan A. 3595 Envanter Numaralı Şehaame-i Selelim Han Minyatürlerinde Figür Anlayışı, Yüksek Lisans Tezi, T.C; Kastamonu Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü Sanat Ve Tasarım Ana Sanat Dalı, (2022), 38, Resim (12).

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

فيما نجد بعض الروافد المائية بأرضية اليابسة بالأعلى تشقها وتحصر مناطق منها بها أزواج متشابكة من أفراد الجيشين العثماني والعراقي مع سقوط قتلى من كليهما، ويقع بجانبي يمين شط النهر قلعتان بحريتان متقابلتان متشابهتان في التصميم المعماري والأبعاد، كل منهما مكونة من برجين مستطيلي المسقط ذو سقف مستوي أو جملوني، يربط بينهما سور أقل إرتفاعاً يعلوه سقف جملوني أحمر أو بني اللون غامق، ويعلو كل قلعة منهما سارية متوسطة الطول تنتهي بعلم أحمر اللون مستطيل الشكل، "لوحة2".

8. اللوحة الثالثة<sup>(1)</sup> "لوحة3": منفذة على صفحة واحدة برقم (45B)، ومقاسها (20,5×31سم)، ومن إنتاج الفنان علي، تعبر عن استمرار المناوشات البحرية والبرية بين العثمانيين وعرب "المُدَيْنَة" والتي انتهت بالقبض على أحد زعماء متمردي العرب، وفي مقدمة اللوحة جزء من اليابسة بلون أخضر زرع فاتح، يقع بيمينه بناء بسيط مستطيل الشكل متوسط الإرتفاع ربما يعبر عن أحد الاستراحات العثمانية، واجهته مبنية من قوالب الطوب الصغيرة الحجم السماوية اللون، وبمنتصف الواجهة مدخل يغلق عليه ضلفة باب برتقالية اللون، وتنتهي الواجهة بإطار ذهبي اللون يعلوه قبة دائرية القطاع وردية اللون، فيما يقف مجموعة من أفراد الفرقة الموسيقية مع آلاتهم الخاصة، ويواجههم في الجهة المقابلة أربع من كبار القادة يرتدون الزرد والخوذ العسكرية المذهبة، ويفصل بينهم في منتصف اليابسة إحدى برك نهر آخر - نهر الطويل- دائرية الشكل متوسطة الحجم لونت مياهها بلون زيتي غامق، يلي ذلك جزء من مجرى النهر يجري فيه زورق يشبه مثيله باللوحتين السابقتين، والمخصص لحمل أربعة من الملاحين العثمانيين، ويتجه

<sup>(1)</sup> - Fetvacı; "The Production", 297, Fig (14).

Fetvacı; "Others and Other", 86, Fig (2).

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

من يسار اللوحة إلى يمينها، ويظهر من أحد جانبيه أنه من اللونين الطوبي والرمادي بدرجات غامقة، ومحدد بخط أسود رفيع، وحُدّد موضع جلوس رئيس الملاحين بضلعين من اللون الأحمر، على أنه يقف بمقدمة الزورق رافعاً يده اليمنى لأعلى ممسكاً بعصا رفيعة متوسطة الطول سوداء اللون، وملقياً تعليماته للبقية الذين يقومون بتحريك الزورق بواسطة مجاديف متوسطة الطول حمراء ورمادية اللون، "لوحة3"، "شكل4".

وبالنصف العلوي من الصفحة نجد بالركن الأيمن منه مجر مائي مائل يمتد من أعلى لأسفل ويتجه جهة اليسار وقد تم ردمه بالكثير من الرمال الصفراء الباهتة اللون، وحجز مياهه بمجموعة من الصخور التي تكتنف جانبيه، ومن المؤكد أن يد الإنسان قد تدخلت في وضعها بهذه الطريقة حتى يتسنى الاستفادة من مياه ذلك المجرى ولا تنهدر يميناً ويساراً دون الجدوى منها، كما تم غلق فوهته من الأمام بقطع كبيرة من الحجارة الملونة، ويقع عن يمينه جزء صغير من اليايسة بهيئة مثلث قائم بلون أخضر زرعي فاتح به أربع

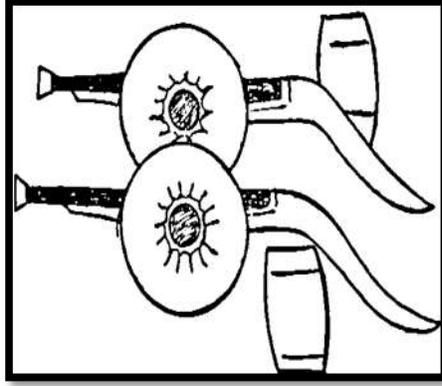


شكل (4)

من أشجار النخيل السامقة الرشيقة، فيما يقف جنديان إنكشاريان متجاوران، كل منهما يمسك بقوس رمحه المعلق بكتفه، وأمامهما مدفعين<sup>(1)</sup> كبيرين الحجم موضوعين على

(1) - المدافع: من الأسلحة الهجومية النارية، وكانت تصنع من البرونز، وقذائفها عبارة عن كرات من الحجارة، وقد ورد في تواريخ الصينيين أن المدافع كانت معروفة عندهم منذ عام (618ق.م)، والمقصود بلفظ المدافع قديماً هو المدافع بدون البارود إذ أنه من الثابت تاريخياً وعلمياً أن المدافع البارودية قد استخدمت لأول مرة في

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"



شكل (5)

الأرض مباشرة، بمنتصف كل منهما عجلة دائرية كبيرة الحجم تساعد في تحريكهما، استعمل فيهما اللونين الأسود والبصلي الباهت، وبجوار نهاية كل منهما برميل أسطواني الشكل متوسط الحجم بني اللون غامق مخصص لتعبئته بالبارود فيما تتجه فوهتي المدفعين إلى القلعة الحربية بالجهة الأخرى من المجرى المردوم، "لوحة3"، "شكل5".

وعن يسار القناة توجد مساحة أوسع من اليابسة، تحتل جزء كبير منها قلعة حربية ساحلية تشرف على نهر الطويل، وهذه القلعة ليست من بناء أهل "المُدَيِّنَة" وإنما هي قلعة عثمانية بناها العثمانيون بهذا الموضع تلبية لنصيحة والي البصرة للسلطنة بإستانبول ببناء بعض القلاع بالمُدَيِّنَة ومنها قلعة تطل على شط نهر الطويل للعمل على حظر حركة العشائر باتجاه

التاريخ بواسطة المصريين في معركة المنصورة عام 647هـ/1250م، وتعتبر المدافع أهم سلاح في المعركة، فعليها تقع مهمة دك الحصون وتدمير القلاع والتمهيد لإستعمال الأسلحة الأخرى كالبنادق وغيرها، وقد قطع العثمانيون شوطاً كبيراً في تطويرها، وكان لاستخدامها أثره الحاسم في حصار مدينة القسطنطينية عام 857هـ/1453م؛ عبد النور، المعارك الحربية، 205-206.

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامة سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

البصرة وجعل شط العرب سداً منيعاً أمام تهديدات آل عليان<sup>(1)</sup>، وهي قلعة كبيرة الحجم ذات مسقط مستطيل الشكل، يحيط بها مجموعة من الأبراج المتنوعة الأطوال والأبعاد ذات أسقف متباينة من المستوي والجملوني، أحدها إسطواني البدن ذا سقف هرمي مضلع يعلو قمته سارية قصيرة تنتهي بعلم قماشي مرفرفاً استعمل فيه اللونين البرتقالي والذهبي، ويربط بين الأبراج سور متوسط الإرتفاع خالي من الشرفات مع وجود بعض فتحات المزاغل المستطيلة الرفيعة والفتحات الصغيرة المعقودة بأجزاء منه، وبداخل القلعة توجد بعض الاستراحات ذات الأسقف الجملونية،

كما نجد بعض جنود الإنكشارية ومنهم من يرفع سارية العلم فوق أحد قمم



شكل (6)

تلك الأبراج ينتهي بعلم برتقالي اللون، ومنهم من يمسك بأحد الرؤوس المقطوعة لجندي عربي، أما البقية فينتشرون داخل القلعة، وحول حيز القلعة من الخارج نجد جثتان مقطوعتا الرأس، كما نجد أحد القادة العثمانيين يقوم بفصل رأس قائد آخر عربي متخفي في زي الزرد الحربي العثماني حتى يستطيع دخول القلعة العثمانية لولا أن أمره انكشف وكان

(1) - ناصر وأعبيد، "المدنيّة"، 76.

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

مصيره قطع رقبتة، وقد تنوعت أغطية رؤوسهم ما بين البورك والعمائم البيضاء والخوذ المذهبة ذات الرياش، "لوحة3"، "شكل6".

وببقي مساحة تلك اليابسة تصوير للقبض على أحد زعماء المتمردين وهو "فضل الطويل"، وتقديمه لتنفيذ عقوبة الإعدام، حيث ظهر سائراً ويده مقيدتان من وراء ظهره، مطأطأ الرأس في وضعية تنم عن الإنحناء والخضوع، وذا زي مهلهل بلون بني داكن، ويده وقدماه مكشوفتان وصدره مفتوح مما يعكس مدى تذليله، ويقف من خلفه أحد جنود الإنكشارية بزي أحمر اللون يحمل على ظهره حقيبة برتقالية اللون، وهو يقتراد امرأة عارية الرأس تحمل طفلاً صغيراً، أغلب الظن أنهما يمثلان عائلة هذا الأسير، مع تناثر أشجار النخيل السامقة، "لوحة3".

وبعرض اللوحات السابقة فإن من بين ما يسترعي إليه الإنتباه هو جغرافيا المياه وتصوير المنظر الطبيعي المصاحب لها، إذ نجد مسطح مائي شاسع يتدفق فيها جميعها يعبر عن نهري "صالح والطويل"، بينما نشاهد باللوحتين الأولى والثانية تحديداً قنوات وروافد المياه الجارية للدخول نحو اليابسة فيما تشبه أذرع النهر الطويلة، تعمل على تقسيم اليابسة إلى شُطر بزوايا حادة، بحيث أمكن إستخدامها في تنظيم التجمعات العثمانية في مناطق مميزة، وفي تقسيم المنظر الطبيعي والأشخاص بداخله في جيوب سرية، "لوحة1، 2، 3".

وقد أمكن تحديد هذه المنطقة بأنها "المُدَيِّنَة أو الجزائر" الواقعة شمال البصرة، ويدعم هذا التحديد أولاً لكونها موطن عشيرة آل عليان العدو للدود للدولة العثمانية بالبصرة والتي أدت دوراً مهماً في تاريخ الأحداث، لاسيما عند دخول العثمانيين البصرة عام 954هـ/1546م، وما تبعه من وقائع كان لسكان "المُدَيِّنَة" الأثر الكبير فيها، وقد أدرك العثمانيون بعد حصار

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

البصرة مدى الخطر الذي يشكله "ابن عليان" حيال وجودهم في المنطقة، ولم يكتفوا بإبعاد خطره عن الولاية، بل أتبعوا ذلك بإجراءات أخرى تمثلت في فرض الحظر الإقتصادي على المناطق التي تقع تحت سيطرته، في محاولة منهم لإضعافه وإجباره على الرضوخ لسلطة الدولة، ووصفت "المُدَيْنة" تحديداً بكونها "دار الحرب وبلاد المفسد إبن عليان" مما يدل على فقدان العثمانيين سلطتهم نهائياً على تلك المنطقة، كما صدرت الأوامر بالحيلولة دون تزويد "المُدَيْنة" بأي شيء من الأسلحة ومستلزمات بناء السفن والقلاع الحربية والمواد الغذائية<sup>(1)</sup>، "لوحة 1، 2، 3"، "خريطة 1".

وثانياً لإتفاق طبيعتها الجغرافية إلى حد كبير مع ما جاء باللوحات السابقة من تلك البقاع التي تكتنفها المسطحات المائية والتي بلغت (300) نهر، وتخرقها مئات القنوات التي تمتلى بنبات الحلفاء والبردي والقصب، وكان يصعب التنقل السريع بها، وعليه فإن هذه الطوبوغرافية المعقدة قد شكلت منذ البداية ملجأً آمناً للثائرين على مر التاريخ، وأتاحت لهم الإستمرار والمباغته<sup>(2)</sup>، ويلاحظ في اللوحات السابقة أن الفنان تدرج في رسمه لجداول وروافد المياه من صورة إلى أخرى، وإن أتت في مجملها بهيئة متشابهة ومحاكية للطبيعة، ومنها الممثلة بهيئة مجرى مائي يشق الأرض في قطاع

(1) - علاوة على ذلك فقد إضطرت تهديدات آل عليان السلطان سليمان القانوني عام 960هـ/1552م إلى إتخاذ إجراءات إدارية غير مسبوقة بتحويل المركز الإداري لولاية البصرة إلى قلعة "المُدَيْنة" وتسميتها بولاية "المُدَيْنة" والجزائر" بعد أن أمر بتخفيض مركز البصرة الإداري إلى سنجق تابع إلى الولاية الجديدة، في محاولة لنقل مركز الثقل العسكري والإداري العثماني في جنوب العراق إلى "المُدَيْنة"، بعد أن أدرك العثمانيون أن وجودهم في مركز ولاية البصرة غير ذي جدوى ما لم تكن لهم السيطرة التامة على "المُدَيْنة" لكونها مركز المقاومة التي كانت تقف عائقاً أمام الخطط الإستراتيجية العثمانية في جنوب العراق والخليج العربي، إلا أن تلك الإجراءات لم تمكنهم من الصمود بوجه مقاومة القبائل العربية؛ بيات، البلاد العربية، مج 3، 194-196؛ ناصر وأعبيد، "المُدَيْنة"، 13، 15، 74-73، 148.

(2) - ناصر وأعبيد، "المُدَيْنة"، 13، 28، 76، 147.

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

جانبي أو طولي مائل قليلاً، منحدرًا من أعلى إلى أسفل مخترقاً اليابسة صانعاً لنفسه طريقاً رحباً أو ضيقاً يسمح له بالجريان همدوء وسلاسة، تزداد عند المنبع وتقل كلما اتجهنا إلى أسفل، كما مثلها الفنان في هيئة غير منتظمة حيث نرى المجرى المائي يضيق في بعض المناطق ويتسع في مناطق أخرى، ويكون طويلاً في بعضها ومتوسطاً وقصيراً في البعض الآخر، كما أن منها ما يتشعب كأفرع الشجرة، ومنها ما يتشعب في بدايته أو نهايته لطرفين قصيرين جانبيين فيما يشبه الحرف اللاتيني (T) مقلوباً أو معدولاً، كما نجد ما يشبه البرك المائية تنبع وسط اليابسة، صغيرة الحجم أفقية الهيئة، مستطيلة أو بيضاوية الشكل، ويلاحظ في اللوحة الثالثة والتي تم فيها ردم المجرى أو الرافد المائي بأكوام من التراب مع سد فوهته أيضاً بقطع من الحجارة الكبيرة يؤكد ما ورد من سياسة الجيش العثماني من قطع وسائل المعيشة عن سكان الجزائر إمعاناً في إذلالهم وإرغاماً لهم على الخضوع والإستسلام، أما عن لون المياه فقد جسدها الفنان بلون زيتي غامق بطوله ومن منبعه إلى مصبه، ولم يستعمل اللون السماوي أو الرمادي أو الأزرق المتدرج بين الداكن الذي نراه بالقرب من المنبع والفاتح المائل إلى الأبيض الذي نلمحه عند المصب، معبراً عن حركتها بخطوط رفيعة بيضاء دقيقة رسمها في مستويات متتالية، "لوحة 1، 2، 3".

كما تم التعبير عن جفاف الأرض بنقص خصلات العشب والحزم النباتية التي عادة ما تزين لوحات المناظر الطبيعية بالمخطوطات العثمانية، بخلاف الأشجار المتنوعة دائمة الخضرة وزهور الربيع التي اعتاد المرء على رؤيتها، بحيث تركت مكانها لأشجار النخيل، والذي يعبر بشدة عن إحدى أهم السمات الطبيعية بالبصرة حيث كثرة زراعة أشجار النخيل، هذا فضلاً عن القلاع الحربية الساحلية التي تكاد تجسد المظهر المعماري الوحيد مع القليل

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

من العمائر ذات الأسقف المسطحة والبسيطة والتي ترتفع في طابق واحد في الغالب، وجاءت القلاع بسيطة تشبه القلاع الأخرى في غيرها من أراضي الدولة العثمانية، "لوحة 1، 2، 3"، "شكل 2، 6".

كما تم رسم سكان "المُدَيِّنة" بشكل مختلف عن العثمانيين من خلال السحن العربية للأشخاص ومفردات أزيائهم وحركاتهم وإيماءاتهم وكذا في لون البشرة وغيرها من الاختلافات الطبيعية، وقد ظهر ثوار "المُدَيِّنة" يرتدون زياً موحداً قصيراً وبدون أردان مما أظهر أيديهم وأرجلهم العارية والتي تثير الشفقة وتضفي على المشاهد إحساساً بعجزهم وفقرهم، وعمائمهم السوداء ذات الهيئة المميزة، وقد رُسم الكثير منهم ما بين جريح وصرع؛ وهو ما يتناقض وبشكل واضح مع شكل وهيئة القادة والجنود العثمانيين بأرديتهم المتعددة الألوان فيما بين الأزرق والبرتقالي والأخضر والأصفر وغيرها، كما يلاحظ ثمة تناقض واضح في أعداد العثمانيين الكبيرة في اللوحات في مواجهة عدد قليل من الثوار، مما يعطي انطباع بأن هذا التمرد لا يشكل تحدياً كبيراً أمام الدولة العثمانية المهيبة بعكس ما هو بالواقع، "لوحة 1، 2، 3".

وأما عن استخدام السفن الحربية الخفيفة الصغيرة الحجم من الزوارق<sup>(1)</sup> فعائد إلى كونها منطقة أهوار ومستنقعات ولم يكن بوسع

(1) - الزورق: جمعه زوارق، لفظ فارسي معرب، ويعرفه المعاجم بأنه سفينة صغيرة أو قارب صغير يعد من ملحقات الأسطول البحري ويستخدم في التجسس لأنها سريعة الجري خفيفة الحركة، تسير بعدد بسيط من المجاديف، كما أنها كانت تستخدم في الحروب بحيث تُحمل بالرماء والسهم النارية لإحراق المراكب الكبيرة وذلك لخفتها وسرعة حركتها، كما كانت تستخدم في أغراض أخرى مثل حمل البضائع ونقلها وتفريغها، ونقل الجنود للقتال في الأنهار، وكذلك نقل الماء والمعادن وأدوات البناء لمنطقة العمل، وأيضاً لنقل الحجاج، وللزحمة وصيد الأسماك، وهي تسير غالباً من غير شراع، وفي الحالات الحربية تكون معلقة على جوانب السفن وتُرمى إلى الماء إذا دعت الحاجة لذلك وتستخدم على جوانب سفن (البارجة)، جمال محفوظ، فن الحرب عند العرب في الجاهلية والإسلام، بيروت: المؤسسة العربية للطباعة والنشر، ط1، (1987م)، 99: درويش النخيلي، السفن الإسلامية على حروف المعجم، (1974م)، 70.

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان دراسة حضارية أثرية<sup>(1)</sup>

العثمانيين استعمال السفن الكبيرة بها، كما وأن نوعية تلك السفن وحجمها وكثرة عددها أجبرت المدافعين عن "المُدَيْنة" أن يبعثوا ويشتتوا جهودهم على أكثر من جهة، مع ملاحظة أن اللوحات قد خلت من نوع محدد من السفن التي تم إستعمالها وورد ذكرها في وصف "حاجي خليفة" بتلك المعركة ونعني بها الغراب<sup>(1)</sup>، وهو ما أكدته نوعية السفن المرسومة في اللوحات السابقة، "لوحة 1، 2، 3"، "شكل 1، 2، 4".

كما أنه من خلال اللوحات السابقة يتضح حقيقة أن العثمانيين لم يكن بوسعهم احتلال "المُدَيْنة" بسهولة والوصول إلى منطقة الجزائر، وبأنهم لم يكن في استطاعتهم سوى تحقيق بعض النجاح في إحتلال تلك المنطقة لطبيعتها والتي كان معظمها مناطق أهوار ومستنقعات، مما حتم عليهم توفير ما يكفي من وسائل النقل النهري الملائمة للإتصال ونقل الجنود بين أرجائها، وتبعاً لذلك واستناداً إلى ما جاء في سجلات الأحكام العثمانية فقد صدرت الأوامر بشأن صناعة ثلاثمائة سفينة وإرسالها إلى المنطقة عبر نهر الفرات، مع تجهيز مستلزمات تلك السفن من الترسانة في منطقة "بيرة جك"، وبهذا كان للأسطول العثماني وبناء بعض القلاع البحرية ومداومة الإستعانة بالسفن والزوارق الحربية السابق الأول في إحراز هذا الجزء الضئيل من النجاح، بجانب الإستعانة بالجيش البري<sup>(2)</sup>، "لوحة 1، 2، 3"، "خريطة 1".

<sup>(1)</sup> - الغراب: جمعها أغرية وغريان، وهو نوع من السفن سُمي بهذا الإسم لأن مقدمته تشبه رأس الغراب أو الطائر. وهو من المراكب الحربية شديدة البأس التي استعملها المسلمون والفرنج في العصور الوسطى، والغراب من السفن التي تسير بالقلاع أو المجاديف، كما أنه كان من سفن التزهات، ومن خصائصه أنه كان مزوداً بجسر من الخشب يهبط على مركب العدو ويمر على ظهره الجند فيقاتلون بالأساليب البرية؛ النخيلي، السفن، 146.

<sup>(2)</sup> - المصطفى، البصرة، 153؛ ناصر وأعبيد، المُدَيْنة، 52-53، 60.

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامة سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

هذا فضلاً عن صلابة أهل "المُدَيْنَةُ" وشجاعتهم حتى أنهم كبدوا القوات العثمانية خسائر كبيرة، وعليه كان هدف العثمانيين مضنياً في تحطيم قوة تلك العشائر وإخضاعها بصورة نهائية لهم، لذا لجؤوا إلى ممارسة الضغط العسكري والاقتصادي وتطبيق سياسة الأرض المحروقة تجاه العشائر، من خلال تدمير المزروعات، وإتلاف المحاصيل الزراعية وقلع الأشجار المثمرة ومنها النخيل التي توجد على نطاق واسع في منطقة الجزائر وما يحيط بها، مع قطع المياه، ومحاولة ترهيبهم من خلال المجازر التي ارتكبتها القوات العثمانية، بقتل أعداد كبيرة من الثوار وبصورة مرعبة، وكانت المعركة عبارة عن جدال على حياة ودفاع عن استقلال أراوت الدولة العثمانية القضاء عليه<sup>(1)</sup>، وأخيراً فإن هناك ملاحظة هامة وهي أنه من خلال المكاتبات الواردة من إستانبول إلى والي البصرة والعكس فقد ذُكر أنه تم تزويد والي البصرة بأعداد من السجناء العرب ممن كانوا قد أدينوا بالجرائم من ولايتي بغداد وديار بكر لاستخدامهم في عملية تجديد السفن وهو مما يفسر استخدام العصا من قبل رؤساء الزوارق مع المجدفين بخلاف ملامح الإنكسار والخضوع الواضحة عليهم<sup>(2)</sup>، "لوحة 1، 2، 3"، "شكل 1، 2، 4".

ثانياً: المعركة البحرية العثمانية في جزيرة دوكاجين عام 977هـ/1570م.

تقع مدينة دوكاجين<sup>(3)</sup> بمقاطعة دالماتيا<sup>(1)</sup> التي كانت فيما قبل من ضمن الممالك الأوروبية التي دخلت ضمن اتفاقية عام 791هـ/1388م برئاسة

(1) - العزاوي، موسوعة، 132-135؛ ناصر وأعبيد، المُدَيْنَةُ، 52-54.

(2) - ناصر وأعبيد، المُدَيْنَةُ، 77.

(3) - دوكاجين (Dukagjini): أو قولاجين (Kolatschîn)، ينسب هذا الإقليم إلى عائلة دوكاجين التي تُعد من أهم عائلات النبلاء الألبان القديمة، وقد ظهرت لأول مرة على مسرح الأحداث التاريخية منذ القرن 5هـ/11م كغيرها من العائلات الإقطاعية الثرية في شمال ألبانيا، حيث بزغ نجمها عقب سقوط وانهيار إمارة بالشاج (Balshaj)، على أنه قد ذاع صيتها وشهرتها خلال القرنين (8-9هـ/14-15م)، وكان لها دور سياسي كبير، وبلغت قمة ازدهارها

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

"لازار"<sup>(2)</sup> ملك الصرب، وشملت ملوك الأفلاق<sup>(3)</sup> ودلماتيا والمجر وبلغاريا والبوسنة لمحاربة العثمانيين خوفاً من إمتداد توسعاتهم إلى ما وراء جبال البلقان<sup>(1)</sup>، "خريطة2".

في عهد (اسكندربيج Scanderbeg)، وبعد وفاته تصدر المشهد السياسي (ليكي دوكاجيني Lelë Dukagjini) والذي يعد شخصية أسطورية عند أهالي دوكاجين، وفي فترة تاريخية كان أحد أقاليم تركيا الأوروبية، في ولاية أسكوب، لواء پرزيرين وپريشتنه على نهر درين، أما عن موقع الإقليم حالياً بأراضيه السهلية الممتدة فيمثل إقليم كوسوفا، وقديماً كان يمتد في المناطق الواقعة شمال ألبانيا ليمتد حتى الشمال الغربي من مناطق دالماتيا العليا، ومن الشمال الشرقي حتى نقطة إلتقاء نهرى درين الأبيض ودرين الأسود: س. موستراس، المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، ترجمة: عصام محمد الشحادات، بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر، ط1، (2002م)، 265، 411. Edmond Malaj; "the Dukagjini Family during the middle Age, Geographic, Extension of the Lands and Some features", *Studia Albanica*, Year; LIV, Academy of Sciences of Albania, (2017), 29-31.

<sup>(1)</sup>- دالماتيا: وهي دالماسيا ودالماطية ودالماجيا، ويطلق عليها الأتراك اسم "دالماشيا"، وفي عهدهم كانت تمثل "أبالة دالماشيا"، تقع جنوب الجبل الأسود، وقديماً كانت مقاطعة رومانية، إسمها مشتق من إسم قبيلة إلبرية تُدعى دلماتي "Dalmatae" كانت تعيش في المنطقة الوسطى من الساحل الشرقي من البحر الأدرياتيكي، وخضعت للملوك جنوة عام 823هـ/1420م إلى عام 1170هـ/1757م، ثم أصبحت جزءاً من إلبيريا "Illyrie"، والجزء الأكبر منها حالياً يقع بالجزء الغربي من كرواتيا، والبقية مقسمة بين ألبانيا والبوسنة والهرسك والجبل الأسود وكوسوفو وصربيا؛ وكانت مصر تستورد منها أفضل الأخشاب الصالحة لصناعة السفن؛ إدريس ناصر رانسي، العلاقات العثمانية الأوروبية في القرن السادس عشر، لبنان، بيروت: دار الهادي للطباعة والنشر، ط7، (2007م)، 21، هامش (3).

<sup>(2)</sup>- لازار: كان حاكماً صربياً في العصور الوسطى، ولد حوالي عام 730هـ/1329م، وتوفي عام 791هـ/1389م، أنشأ أكبر وأقوى ولاية على أراضي الإمبراطورية الصربية المنحلة، سُميت بـ"ولاية لازار"، وحكمها من عام 776هـ/1373م وحتى وفاته في معركة "كوسوفو" عام 791هـ/1389م أثناء قيادته لجيش مسيحي مكون من تشكيلات عسكرية قادمة من صربيا والمجر وكوسوفو والبوسنة وبلغاريا وكاتالونيا وألبانيا وولاشيا لمواجهة الدولة العثمانية بقيادة السلطان مراد الأول (761-791هـ/1360-1389م)، وانتهت المعركة دون انتصار واضح، على الرغم من أن الجانيين تكبدوا خسائر فادحة، وكانت أكثر تدميراً للصرب وحلفائهم المسيحيين.

lihan Türkmen; "Osmamli Devleti'nin Emrinde Bir Sırp Despotu; Stefan Lazareviç A Serbian Despot Under the Heel of the Ottoman Empire: Stefan Lazareviç", *Uluslararası Sosyal Araştırmalar Dergisi*, Cilt: 6, Sayı: 28, (2013), 415-458.

<sup>(3)</sup>- الأفلاق: هي إمارة من إمارات الدانوب، ظهرت في القرن 7هـ/13م، وأصبحت منذ عام 799هـ/1396م تابعة للدولة العثمانية، واستقلت عام 1271هـ/1858م واتحدت مع مولداقيا وكونتا معاً دولة رومانيا الحالية؛ رانسي، العلاقات، 21، هامش (2).

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

وقد عبرت إحدى لوحات مخطوط شهنامه سليم خان عن جزء من المعركة البحرية العثمانية التي انتهت باحتلال جزيرة دوكاجين أشهر جزر دالماتيا في عهد السلطان سليم الثاني 977هـ/1570م، واللوحة منقذة على صفحة رقم (117A)<sup>(2)</sup>، وأبعادها (20×25,5سم)، ومن إنتاج الفنان علي، "لوحة4".

ويظهر في النصف السفلي من اللوحة والذي يمثل مقدمتها جزء من نهر درين<sup>(3)</sup> الذي يصب في مياه البحر الأدرياتيكي حيث تقع جزيرة دوكاجين على شط النهر مباشرة، ومثل بهيئة تشبه المثلث القائم، وعبر الفنان عن المياه به بلون رمادي غامق، والتي جاءت ساكنة غير متحركة أو متموجة، ويحتل هذا الجزء سفينة عثمانية من نوع الغليون<sup>(4)</sup>، ورُسم الغليون كامل الهيئة، كبير

(1) - رائسي، العلاقات، 21.

(2) - Durmaz; Topkapi Sarayi Müzesi, 68, Resim (27).

(3) - نهر درين (Drine): إسم نهر في تركيا الأوروبية قديماً؛ يخرج من جبال ألبانيا، جنوب بلاد الجبل الأسود، يتشكل من نهري درين الأبيض ودرين الأسود اللذين يجتمعان قريباً من بلدة قولاجين. ويصب في البحر الأدرياتيكي، بعد أن يمر في مدينة ليش؛ مونترياس، المعجم، 265.

(4) - الغليون: يُطلق عليه أيضاً "غالليون، غالون، قليون، قاليون"، ويجمع على "غلايين وغلاوين"، والكلمة معربة من أصلها الأسباني "Galeon"، فهو ضرب من المراكب الشراعية الإسبانية الكبيرة الحجم العالية الطرفين المتعددة الطوابق، وصفه "دوزي" بأنه من المراكب عالي الأطراف، كما تصفه المعاجم الإنجليزية والفرنسية بأنه "مركب أسباني ضخم، يمتاز بعظم المقدم والمؤخر"، استخدمته الدول الأوروبية لأول مرة كمنصات بضع مسلحة من القرن 10هـ/16م إلى القرن 12هـ/18م، وبرز كأهم المراكب الحربية الكبرى الرئيسية في الفترة الممتدة من أواخر القرن 9هـ/15م إلى أوائل القرن 11هـ/17م، وكان يشكل أحد أهم وأكبر قطع الأساطيل العثمانية وأوروبية في البحر الأبيض المتوسط، واستمر هذا النوع من السفن يعرف بهذا الإسم حتى أوائل القرن 11هـ/17م ثم عرف فيما بعد حتى أواخر القرن 13هـ/19م باسم "القباق"، ومنه ما كان به خمسة وعشرون مقعداً وتسعة وأربعون مجدافاً، يحرك المجداف الواحد أربعة أو خمسة أشخاص، وطوله (165-168قديماً)، وعرضه (21-22قديماً). ويعمل بالمجداف والشراع، ويحمل مدفعية كبيرة وأربع وسطى وثمانية صغيرة، ويعمل فيه (196) مجدفاً و(100) محارب و(35) بحاراً، بالإضافة إلى أصحاب المهن الأخرى، وكان يُصنع في الدولة العثمانية بمنطقة "فادرغاليماني" أو ميناء السفن الشراعية، الواقعة في مواجهة بحر مرمرة حيث كانت المرفق

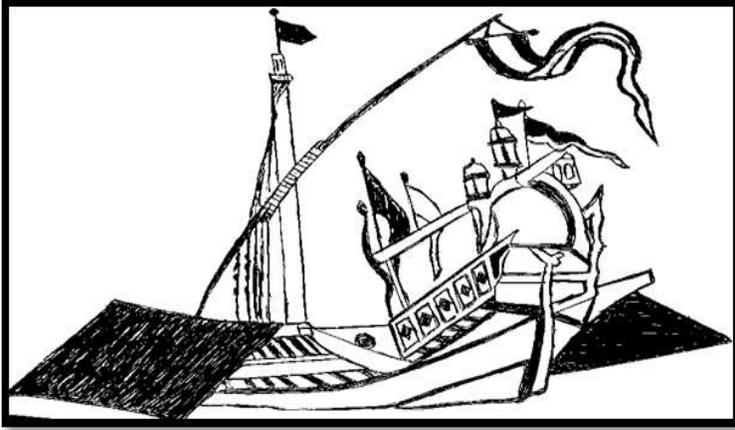
## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

الحجم، ترتفع مقدمته ومؤخرته بحيث لا تلمسان المياه، وهو من أهم ما يميز هذا النوع من السفن، ذا بدن مقعر وعميق قليلاً، ويمكن القول بأنه مكون من طابقين متتاليين متفاوتين في عمقهما وأبعادهما، الطابق الأول وهو السفلي الملاصق لمياه النهر يمتد سقفه بطول إمتداد سطح الغليون، برتقالي اللون زاهي من جانبيه مع استعمال اللون الأبيض في جزء منه، حُدد طرفه العلوي بشريط رفيع مذهب اللون، ومؤخرته اليسرى المطلّة على البحر عبارة عن أضلاع رأسية رفيعة متتالية متقاربة نافذة تُظهر اللون البني للطابق من الداخل، والطابق الثاني العلوي يشبه السابق إلا أنه أقل عمقاً وأصغر حجماً مع استعمال اللون الأحمر بجانبه، ونجد بكل من طرفي الغليون في المؤخرة والمقدمة منحدر عريض وردي اللون غامق بهيئة متوازي أضلاع محدد بخط أسود رفيع، ومن المرجح أن لهما وظائف عدة فبخلاف وظيفتهما في توازن هذا النوع من السفن في النهر نتيجة لأن طرفيه مرتفعين كثيراً عنه، فإنهما يُستعملان في إدخال أو إنزال الجند وما يحملانه من المؤن والأمتعة وأدوات الحرب والمدافع والخيول وغيرها من السفينة أو إليها من اليابسة بكل سهولة ومرونة، كما أنهما يستعملان في تزلق أو نزول الجنود منه إلى مياه النهر سريعاً سواء للصيد أو للهروب من السفينة في حالة مهاجمتها أو إحراقها أو امتلائها بالمياه وغرقها، "لوحة 4"، "شكل 7".

---

القديم للإمبراطور البيزنطي "جوليان"، والذي تحول في منتصف العصر البيزنطي إلى دار لصناعة السفن يسمى "كونتوسكاليون". وقام العثمانيون بتجديدها لتصبح أول دار صناعة سفن خاصة بهم قبل بناء دار الصناعة الجديدة في "قاسم باشا" عام 929هـ/1514م، وكان لمصر أسطول مهيب من الغلايين المعروفة بإسم "قباق"، عددها أحد عشر غليوناً في الفترة ما بين (1246-1254هـ/1831-1839م)، وكان كل منها مجهزاً بمدافع يتراوح عددها ما بين (84-106) مدفعاً، ويسع كل منها ما بين (736-1246) من الأفراد: النخيلي، السفن، 112-114.

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامة سليم خان "دراسة حضارية أثرية"



شكل (7)

وبأعلى النصف الأيمن من سطح الغليون يوجد سُلم معدني مذهب متوسط الطول من أربعة درجات ملقى على الأرضية يُستعمل لسهولة الإرتقاء عليه من السطح إلى الموضع المحدد لجلوس قبطان الغليون وهو أحد قادة البحرية الكبار في الأسطول العثماني، مكون من طبقتين مرتفعتين عريضتين مذهبتين ولون موضع الجلوس بلون بني غامق، يعلوهما تكوين مفرغ معقود بعقد نصف دائري محاط بقماشة سميككة عريضة سماوية اللون زاهية، يعلوه ثلاث فوانيس خاصة بالإنارة وإعطاء الإشارات الضوئية ليلاً، أضلاع كل منها من مادة الزجاج الشفاف وقوائمها من المعدن المذهب وقمتها بهيئة قبة صغيرة مفصصة، ولهذا الحيز جهة اليمين سياج معدني مستطيل الشكل، يصل في إرتفاعه لنهاية مستوى العقد النصف دائري، وثلثيه من أعلى مفرغ تماماً ومحاط باطار معدني مذهب سميك، بينما ثلثه السفلي مصمت، قسمت واجهته الداخلية إلى مستطيلات رأسية متتالية بكل منها شكل لمعين رأسي

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

متوسط الحجم، ويعتلي هذا القسم من الغليون قائدان من القادة الكبار في حالة نقاش دائريينهما، بينما يقف بالقرب منهما إثنان آخرين أقل رتبة متجاورين ومتلاصقين في حالة صمت تام وقد عقد كل منهما يده فوق الأخرى أمام صدره إحتراماً وانصتاً للقائدين، فيما يوجد قائدان من الإنكشارية يقفان بنهاية مقدمة الغليون في حالة إنصات أيضاً، "لوحة4"، "شكل7".

وقد حفل هذا الغليون بسبعة أعلام<sup>(1)</sup> قماشية مرفوعة عليه، والتي يظهر معظمها مثبتاً أعلى سواربها المذهبة بالموضع المخصص لجلوس القبطان والسياح المفرغ عن يمينه، حيث ثلاث أعلام منها متجاورة بأعلى مؤخرة هذا السياج، متوسطة الحجم مثلثة الشكل تتدلى متموجة لأسفل ذات نهايات رفيعة، تنوعت ألوانها ما بين اللون البرتقالي والبني والزيتي بدرجات غامقة زاهية، كما نجد علم آخر مرفرفاً في الهواء بمقدمة السياج وهو من اللونين الزيتي والأحمر معاً، وتنتهي ساريات تلك الأعلام من أعلى بما يشبه رأس السهم المدبب، مع وجود علم صغير للغاية مثلث الشكل أبيض اللون يعلو قمة أحد فوانيس الإضاءة الثلاث، ثم علم ذهبي اللون صغير الحجم مثلث الشكل بمثبت بساريته الذهبية المنتهية بكرة دائرية صغيرة<sup>(2)</sup> بأعلى الصاري

(1) - لا شك أن ما وصلنا من الأعلام البحرية في تصاوير المخطوطات العثمانية يمثل أكثر ما وصلنا منها في تصاوير المخطوطات الإسلامية عامة، وكان القصد من الأعلام التي رفعت فوق السفن العثمانية خاصة الحربية منها هو توصيل الأوامر والإشارات الحربية، حتى وصفت هذه الأعلام مع الموسيقى العسكرية بأنها تقوم بدور سلاح اللاسلكي الإشارة حالياً، هذا بخلاف أهميتها ككثرة عدد ما وصلنا منها ولتنوع أشكالها وألوانها وزخارفها، والمواضع التي رفعت فيها، ناهيك عن الموضوعات المختلفة التي مثلت فيها، وإن كان يُؤخذ في عين الإعتبار، بساطة تلك الأعلام في بعض التصاوير، وثنائها في تصاوير أخرى، بما في ذلك من دلالات حربية وسياسية وفنية متنوعة؛ عبد النور، المعارك الحربية، 258؛ عبد الناصر ياسين، الأعلام البحرية "تاريخها، ومهامها، وتصاويرها في المخطوطات والفنون الإسلامية القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، ط1، (2008م)، 63.

(2) - كانت نهايات ساريات الأعلام العثمانية تصنع من المعدن المذهب، وأخذت في البداية شكل قلب يعلوه طرف مدبب، وفي النصف الثاني من القرن 11هـ/17م وفيما بعد ذلك، أصبحت هذه القمة على هيئة كرة معدنية ذهبية؛ ياسين، الأعلام، 75، هامش (1).

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

الرئيسي للغيون القائم بمنتصفه، وأخيراً نجد علم آخر بنهاية الصاري الثاني المائل من مؤخرة الغليون لمقدمته، وهو يتدلى عن طريق حبلين يتصلان بعارضة خشبية على يمينها ويسارها كتلتان دائريتان ذهبيتا اللون، ويتميز بأن قماشته طويلة بشكل لافت وتُرفرف بتموج ملحوظ وتنتهي بطرف مدبب، وهي من اللون الأبيض في المنتصف والأسود بالجانبين، "لوحة4"، "شكل6".

وتبزع في النصف العلوي من اللوحة الخيام العثمانية المقامة على شط نهر درين تنصدها بوضوح خيمة إثنان من كبار قادة تلك الحملة في نقاش دائر بينهما، بينما تتوزع بقية الخيام في الخلفية حيث جميعها مقامة على تلال متتالية متوسطة الارتفاع، فيما نجد بيمين اللوحة قلعة ساحلية مكونة من مجموعة من الأبراج المستطيلة الهيئة والمسقط، ذات طابقين أو ثلاث، وجميعها مسقفة بسقف مخروطي مثلث الشكل من اللون الوردي والبني والأحمر، يربط بينها أسوار أقل إرتفاعاً تنتهي بشرفات ضخمة مستطيلة الشكل يقف خلف بعضها جنود الإنكشارية العثمانيين، وتتخلل جدران الأبراج والأسوار وكذا الشرفات فتحات مزاغل رأسية ضيقة رفيعة، فيما يعلو سقف أحد الأبراج علم قماشي أحمر اللون مثلث الشكل، "لوحة4".

ثالثاً: المعركة البحرية العثمانية بجزيرة قبرص<sup>(1)</sup> في الفترة ما بين عامي (977- 978هـ/1570-1571م).

(1) - قبرص: هي ثالث أكبر جزيرة في البحر الأبيض المتوسط بعد جزيرتي "صقلية" و"سردينيا"، وكان لموقعها الإستراتيجي أثراً هاماً كونها تتوسط القارات الثلاث: أوروبا وآسيا وأفريقيا، حيث تقع في الشمالي الشرقي من البحر المتوسط، وتبعد عن الساحل السوري بمقدار (90كم)، والساحل المصري بمقدار (300كم)، والساحل التركي بمقدار (60كم)، والساحل اليوناني بمقدار (360كم)، وتبلغ مساحتها حوالي (925كم<sup>2</sup>)، وعاصمتها هي نيقوسيا، وتتألف من سلسلة جبلية توازي الساحل الشمالي لها، ومرتفعات في الوسط والجنوب الغربي، إضافة إلى السهول الساحلية التي تحيط بها، وقد لفتت إليها أنظار المحاربين وأصحاب الأطماع التوسيعية على مدار تاريخها الطويل، قال عنها البعض: "أن قبرص هي مفتاح آسيا الغربية"، وقد فتحها المسلمون عام 38هـ/658م،

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

كانت قبرص عام 977هـ/1570م تابعة لإدارة البندقية<sup>(1)</sup>، وكانت هناك معاهدات بينها وبين الدولة العثمانية، وسادت أجواء التفاهم والسلام بينهما، إلا أن القراصنة البندقيين اتخذوا من قبرص مقراً ومركزاً لهم، ينطلقون منها فيستولون على السفن التجارية العثمانية، وينهبونها ويأسرون من بها، ومن ذلك مهاجمتهم على السفينة التي تنقل المسئول عن أمور مالية مصر، كما بدءوا بالتعرض للسفن التي تحمل الحجيج والتجار من وإلى الآستانة مروراً بمصر وبلاد الشام<sup>(2)</sup>، وهكذا تأثرت التجارة البحرية العثمانية بسببهم، كما كانت قبرص هي العقبة التي تعترض السفن العثمانية التجارية التي تمر في البحر الأبيض منها إلى بلاد الشام ومصر وتونس والجزائر، يُضاف إلى ذلك أن السيطرة عليها تتسم بأهمية بالغة بالنسبة للملاحة في شرقي آسيا والهند، كما استهوى زعيم اليهود في إستانبول "جوزيف ناسي"<sup>(3)</sup> السلطان سليم

---

وشيدوا بها الكثير من المنشآت والمرافق؛ عبد المنعم ماجد، العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، بيروت: مكتبة الجامعة العربية، (1966م)، 85-86؛ أحمد عثمان، تاريخ قبرص، القاهرة، (1997م)، 23، 126-135.

<sup>(1)</sup> - كانت جزيرة قبرص تحت تبعية حكام البندقية منذ عام 894هـ/1489م، وفي سبيل حمايتها عقد البنادقة مع المماليك بمصر إتفاقية بحيث يقومون بدفع جزية لهم مقابل حمايتها، وبعد سقوط حكم المماليك جدد البنادقة هذه الإتفاقية مع العثمانيين عام 923هـ/1517م، ثم عقدوا صلحاً مع السلطان "سليمان القانوني" بعد معركة "بيروزة" عام 947هـ/1540م، وكانوا يدفعون (30) ألف عملة ذهبية سنوياً لخزينة الدولة العثمانية؛ سيد محمد السيد محمود، تاريخ الدولة العثمانية "النشأة والإزدهار وفق المصادر المعاصرة والدراسات التركية الحديثة"، القاهرة، ط1، 2007م، 256.

<sup>(2)</sup> - خليفة، تحفة الكبار، 153.

<sup>(3)</sup> - ألدون جوزيف ناسي: كان هذا اليهودي يسمى أول الأمر "دون ميجيه"، برتغالي الأصل، قام بدور بارز في سياسة الدولة العثمانية بعد أن وطد علاقاته بالسلطان "سليم الثاني"، الذي كان مسرفاً في شرب الخمر، والإنغماس في الملذات، وفي ظل ذلك الجو تمتع ذلك اليهودي بنفوذ كبير وطاق، وزين للسلطان غزو جزيرة "ناكسوس Naxos"، وتم للعثمانيين الإستيلاء عليها عام 975هـ/1567م، وخلصوا حاكمها الدوق الواحد والعشرين من الأسرة الحاكمة وهي أسرة "كروسي Crispi"، وعينوا عليها ذلك اليهودي، ولم تمض سنوات معدودة حتى تجاسر وأعلن نفسه دوقاً عليها، ولم تقف أطماعه عند هذا الحد بل زين للسلطان فتح قبرص

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

الثاني بأهمية الجزيرة كمزرعة لأجود أنواع الكروم الصالحة لصناعة النبيذ، بخلاف أن موقعها بعيد نسبياً عن البندقية ومُحاط بالأراضي العثمانية مما يُسهل الوصول إليها، كما يجعلها على مقربة من القواعد البحرية ومراكز القوى البرية العثمانية، "خريطة3".

ولكل ما سبق عازمت الدولة العثمانية على ضم قبرص إليها بشكل نهائي، لاسيما وأنه في 20 شوال عام 977هـ/27 مارس 1570م أرسلت الدولة مندوباً إلى البندقية يطلب تسليم قبرص إستناداً إلى الحقوق التاريخية، ولكن مجلس شيوخ البندقية رفض هذا الطلب<sup>(1)</sup>، ومن ثم وبعد مُضي ما يقارب السنة والنصف على تولية السلطان سليم الثاني الحكم بدأ يخطط لغزو قبرص<sup>(2)</sup>، إعتقاداً منه أن حكومة الجمهورية القبرصية قد غدت من الضعف بحيث لم يعد في مقدورها الوقوف في وجه قواته الحربية، ووجد السلطان تأييداً لمشروعه الحربي من غالبية القادة العسكريين<sup>(3)</sup> ومنهم الوزير "لالا مصطفى

---

على أمل أن يأخذها إقطاعاً له، وكان من بين الأسانيد التي ساقها اليهودي للسلطان أن نبئذ قبرص لا يضارعه نبئذ في العالم؛ علي، مصر والدولة العثمانية، 155، هامش (2).

<sup>(1)</sup> - جلال يحيى، العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، الإسكندرية، (1982م)، 429.

<sup>(2)</sup> - مما لاشك فيه أن الاستيلاء على جزيرة قبرص كان في المخطط الحربي للسلطان سليمان القانوني (926-974هـ/1520-1566م)، ولكنه كان يؤجل تنفيذ هذا المشروع، وأثر عليه غزو جزيرة رودس مقر الفرسان الإسبتارية؛ لأن خطرهم كان أشد من خطر البنادقة في قبرص، ثم شُغل بالجهات الثلاث التي حارب فيها، وهي الجبهة الأوروبية والجبهة الآسيوية والجبهة البحرية في حوض البحر المتوسط، ثم حدث أن مد فرسان القديس "يوحنا" نشاطهم الصليبي إلى الحوض الشرقي للبحر المتوسط بعد أن كان قد أجلاهم القانوني عن جزيرة رودس عام 928هـ/1522م وانتقلوا إلى جزيرة مالطة، فكانوا يهاجمون السفن العثمانية ويقطعون خطوط المواصلات البحرية بين موانئ الأناضول والشام ومصر ويلوذون للاحتماة بجزيرة قبرص، وقد أزعج هذا النشاط العدواني السلطان سليمان واتخذ قبل موته الإستعدادات اللازمة للاستيلاء على قبرص عام 972هـ/1564م، ولكن لم تتخذ العمليات الحربية شكل الهجوم المباشر على الجزيرة حتى وفاته عام 974هـ/1566م؛ علي، مصر والدولة العثمانية، 155.

<sup>(3)</sup> - كان للصدر الأعظم "محمد صوقوللو" رأياً آخر تبعاً للموقف الدولي الراهن، إذ كان يفضل أن توجه الدولة قواتها لمحاربة "فيليب الثاني" ملك إسبانيا في حوض البحر المتوسط؛ فهو في رأيه خصم عنيد دخل في صراع

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

باشا<sup>(1)</sup> الذي صار قائداً للحملة البرية، والوزير "دامادا بيالي باشا"<sup>(2)</sup> الذي أصبح قائداً للأسطول البحري، وكلفهما بغزوها، "خريطة3".

وفي 11 ذي الحجة 977هـ/15 مايو 1570م تحرك الأسطول العثماني من مدينة استانبول<sup>(1)</sup>، وعندما علم البنادقة بأمر تلك الحملة البحرية، أرسلوا

مرير مع سكان بلاد المغرب العربي، وكانت المتاعب تحيط به من كل اتجاه، وهو في هذا الوضع المحفوف بالأخطار لن يستطيع أن يركز قواته ضد السلطان العثماني، إلا أن السلطان سليم الثاني لم يأخذ بهذه الأسانيد التي ساقها إليه الصدر الأعظم وصمم على المضي قدماً في مشروع غزو جزيرة قبرص؛ علي، مصر والدولة العثمانية، 156.

<sup>(1)</sup> - لالا قره مصطفى باشا: (908-988هـ/1500-1580م)، قائد عسكري، وصدر أعظم، أصله ألباني وقيل بل بوسني، زوجته هي الأميرة "فاطمة خاتون" أخت السلطان المملوكي "قنصوة الغوري"، خرج من الحرم السلطاني برئاسة بلوك، وبعد ذلك أصبح "أمير أخور ثاني" أي رئيس الإسطبل لكفائه الشخصية، ثم بعد ذلك صار "جاشنكيرباشي" أي رئيس دائرة الإشراف على الأكل، وعقب ذلك أصبح "لالا" أي معلم ومرابي أولياء العهد من أبناء السلاطين، مع شغله إمارة سنجق "صفد"، تولى مناصب عدة ومنها أنه كان والي إيالة دمشق في الفترة ما بين (971-976هـ/1563-1569م)، وحينما سقطت جزيرة قبرص وصارت آيالة عثمانية كان هو أول حاكم عثماني لها، وهو من أسرة "صوقوللو" العريقة، وابن عم الصدر الأعظم "محمد صقوللو باشا"، وكان يأمل في تنحيته ليحتل منصبه هو، لوجود نزاع بينهما؛ كما كان المؤدب السابق للسلطان سليم الثاني، وقدم خدمات جمة إليه، ويمكن القول أنه ضمن له العرش، وبسر له أن يتغلب في نزاعه مع أخوته، وكان أذكي وأمكر رجل في عهده؛ يلماز أوزتونا، موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية السياسي والعسكري والحضاري، مج2، تعريب: عدنان محمد سلمان، لبنان، بيروت: الدار العربية للموسوعات، ط1، (2010م)، 363؛ بجوي إبراهيم أفندي، التاريخ السياسي والعسكري للدولة العثمانية، ج1، ترجمة: ناصر عبد الرحيم حسين، القاهرة: المركز القومي للترجمة، (2015م)، 481-480.

<sup>(2)</sup> - دامادا بيالي باشا: دامادا "Damat": تعني الصهر أو النسب الذي تزوج بنت السلطان، وكان متزوجاً من "گوهرخان سلطان" الابنة الثانية للسلطان سليم الثاني، من أكبر أمراء البحر العثمانيين، ولد 922هـ/1515م، وتوفي 985هـ/1578م، كرواتي الأصل، انخرط في خدمة القصر في إسطنبول، وخرج منه برتبة "قبوجي باشي"، وبعد ذلك رقي إلى رتبة "قبطان" مع منصب أمير سنجق "غليبولي"، ونال في فترة حياته شهرة في القيادة البحرية لذا عين كبيراً لأمراء البحر، وظل في هذا المنصب الرفيع ستة عشر عاماً، قام بعدة غزوات في البحر المتوسط، وانتصر في عدة معارك ضد الجمهوريات الإيطالية، وانتصر على الأسطول الأسباني فيها وأغرق منه (40) أو (50) سفينة، وحاصر جزيرة مالطا 972هـ/1565م وفشل في فتحها لدخول فصل الشتاء وتدفق المساعدات من الأوروبيين عليها، وفيما بعد دخل الديوان وأصبح وزير قبة بمرتبة الوزير الثاني: أوزتونا، موسوعة، مج2، 363؛ أفندي، التاريخ، ج1، 479-480.

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

رسلاً إلى بابا روما "بيوس الخامس"<sup>(2)</sup> يرجونه مساعدتهم<sup>(3)</sup>، وشاع الأمر في أوروبا وتكون في 21 ذي الحجة 977هـ/25 مايو 1570م حلف من دول إيطاليا وأسبانيا وصقلية والبندقية ومالطة وغيرها ضد الغزو العثماني، وتم تجهيز أسطول بحري على عجل وأُرسل مع بعض الجنود لمساعدة أمراء الجزيرة، فيما إستعد العثمانيون خير إستعداد للبنادقة لمعرفةهم بقوة أساطيلهم البحرية وقوتهم القتالية في البحر، ووضع إحتمال المساعدات التي قد ترد من ممالك وكيانات أوروبا المسيحية للمساعدة، فصنعت السفن وجهزت جميع لوازمها وفق الأمر السلطاني ووتراكت في موانئ البلاد العثمانية الكثير

(1) - شارك في هذه الحملة عدد من مشاهير القادة العثمانيين مثل "إسكندر باشا" حاكم الأناضول، و"حسن باشا" حاكم قرمان، و"برهام باشا" حاكم سيواس، و"مصطفى باشا" حاكم مرعش، و"خير الدين باربروسا باشا"، و"عروج باشا"، و"قيليج علي باشا"، وغيرهم، خليفة، تحفة الكبار، 154.

(2) - بيوس الخامس: ولد في بوسكو بيميلان عام 1504هـ/1504م، وتم انتخابه بابا لروما عام 973هـ/1566م، وتوفي عام 979هـ/1572م، درس اللاهوت والفلسفة لمدة ستة عشر عاماً، كان كثير التصديق على الفقراء، كما قام بترتيب تشكيل الرابطة المقدسة، وهي تحالف من الدول الكاثوليكية لمكافحة تقدم الدولة العثمانية في أوروبا الشرقية، وعلى الرغم من تفوقها في العدد، إلا أن العصبة المقدسة هزمت العثمانيين في معركة ليبانتو عام 978هـ/1571م.

Artaud De Montor; History of the Popes; Pope Pius V, the Father of Christendom in Dublin Review, London, (1866), 273.

(3) - كانت البندقية يحدوها أمل كبير في الظفر بمساعدات حربية فعالة تنهال عليها من دول أوروبا، وبخاصة إسبانيا والباباوية وولايات إيطاليا، ووجدت تشجيعاً من البابا "بيوس الخامس"، فقد وعدها بتدبير اعتمادات مالية لتجهيز اثني عشرة سفينة حربية، كما أذن لها في فرض ضريبة العشور على رجال الدين في البندقية لمساندتها في المجهود الحربي، واتصل بإسبانيا والإمارات الإيطالية لتقديم مساعدات عسكرية لها، كما فكر فيها هذا البابا في الإتصال بشاه فارس وإمام اليمن رغبة منه في إثارة مشكلات سياسية للسلطان العثماني في الجهات الشرقية، فينصرف عن مشروع غزو قبرص، وقد كثرت الأقاويل في الدوائر الأوروبية عن قرب تكوين حلف أوروبي ضد العثمانيين لردعهم والقضاء على غرورهم، ولكن لم تخرج هذه الأقاويل عن نطاق الأمان، ولم تر الجزيرة أثراً للحملة أو نجدات خفت إليها إلا القليل؛ علي، مصر والدولة العثمانية، 156-157.

Grant. A.J.A.; A history of Europe, part II, London, (1929), 532.

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

من الأطعمة<sup>(1)</sup>، وأعد العثمانيون (400) سفينة بحرية لقتالهم بقيادة "بيالي باشا" وتأهبوا لمواجهتهم، وكانت القوة العثمانية قد وصلت لـ (100000) مقاتل، منهم (60000) مقاتل بري و(40000) مقاتل بحري<sup>(2)</sup>.

وظهر الأسطول العثماني للإستطلاع قريباً من ميناء "لارنكا"<sup>(3)</sup> على الشاطئ الجنوبي لجزيرة قبرص في رمضان 977هـ/ يونيو 1570م<sup>(4)</sup>، ولم يتمكن الحلف الأوروبي من عمل شيء في حينه لإنقاذ قبرص من العثمانيين الذين نزلوها بقوة كاسحة، حيث نفذت القوات العثمانية إلى الجزيرة بسهولة ويسر، وفي 18 محرم 978هـ/ 1 يوليو 1570م وصلت إلى مياه ميناء "ليماسول"، وفي اليوم الثاني نزل الجنود إلى البر، وهاجموا قلعة "لافتاري" واستولوا عليها، وبعد ذلك توجهوا نحو العاصمة "نيقوسيا"<sup>(5)</sup> التي كان بداخلها عشرة آلاف جندي بنديقي، وعدد (15) مدفعاً، واختلفت البنادقة بشأن مواجهة الأسطول العثماني أم انتظار قدومه، ولكن إذا واجهوا المدفعية العثمانية ستنفذ القوة الدفاعية لهم، لذا قرروا الإنسحاب إلى القلاع، وانتظار الدعم والمساعدات الأوروبية، وبدأ حصار نيقوسيا في

(1) - خليفة، تحفة الكبار، 154.

(2) - محمد فؤاد كوبرلي، قيام الدولة العثمانية، ترجمة: أحمد السعيد سليمان، القاهرة، (1967م)، 411-412؛ علي، مصر والدولة العثمانية، 156-157؛ خليفة، تحفة الكبار، 154.

(3) - لارنكا: مدينة في جزيرة قبرص، تقع على الشاطئ الجنوبي لها، وتعد ثاني أكبر ميناء بها، وتشتهر بواجهتها البحرية الغنية بأشجار النخل، ويبلغ عدد سكانها 72,000 نسمة، وهي من المدن السياحية المميزة، لكونها تتميز بطبيعة خلابة؛ أحمد عثمان، قبرص، 14.

(4) - يحيى، العالم الإسلامي، 429-430.

(5) - نيقوسيا (Nicosia): أو "لفوكشا"، عاصمة جزيرة قبرص وأكبر مدينة بها، وهي العاصمة الوحيدة في العالم المُقسمة إلى نصفين بحد فاصل باللون الأخضر، وذلك بين القبارصة الأتراك والقبارصة اليونانيين. وقد تم بنائها من قبل البندقية في العصور الوسطى، مما جعلها تتميز ببنية عمرانية فريدة إلى جانب موقعها الإستراتيجي وطبيعتها الخلابة؛ عثمان، قبرص، 14.

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

14 صفر 978هـ/22 يوليو 1570م، وصمدت القوات الإيطالية بجسارة للدفاع عنها، وهنا قرر العثمانيون تحت قيادة "لالا مصطفى باشا" حفر خنادق بإتجاه جدران المدينة المبنية حديثاً، وبعد حصار استمر (45) يوماً نجح العثمانيون في إقتحامها في 29 ربيع الأول 978هـ /9 سبتمبر 1570م، وذلك بعد أن استنفذ المدافعون عن القلعة ذخيرتهم، وتبع ذلك مذبحه لسكان المدينة البالغ عددهم (20000) نسمة، مع أسر النساء والأولاد لبيعهم كعبيد، ونهب كل ما يقع تحت أيديهم، وحرق الأديرة التي صادفوها، وتوالى سقوط المدن والمواني القبرصية تباعاً، ثم توجه العثمانيون بعدها إلى قلعة "ماغوسا" وبعد حصار ومناوشات عديدة نجحوا أخيراً في الاستيلاء عليها، وإجمالاً إستمر القتال بين العثمانيين والبنادقة في حوالي (13) شهراً، سقطت فيها القلاع الواحدة تلو الأخرى، ورسى الأسطول العثماني بعد إنتهاء مهمته، حيث توقفت ساحة المعارك في 10 ربيع الأول 979هـ /1 أغسطس 1571م، وفي نهاية الأمر لجأت البندقية إلى عقد مفاوضات للسلام مع العثمانيين في مقابل التخلي عن قبرص لهم، مع دفع جزية تُقدر بـ (300000) دوقه، وفيما بعد نقلت الدولة العثمانية لقبرص عدداً كبيراً من سكان الأناضول، حيث كان عدد القبارصة (120) ألف نسمة، وإرتفع إلى (360) ألف نسمة، وكان العثمانيون يُطلقون على جزيرة قبرص "يشيل آدة" أي "الجزيرة الخضراء"، واستمرت السيطرة العثمانية عليها (307) عام، حتى تنازلت عنها لبريطانيا عام 1296هـ /1878م مقابل مبلغ مالي يُقدر بحوالي (92000) جنيه إسترليني<sup>(1)</sup>.

(1) - كوبرلي، قيام الدولة العثمانية، 445: خليفة، تحفة الكبار، 155-156.

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

أ. محاصرة قلعة ليماسول<sup>(1)</sup> عام 977هـ/1570م.

يشتمل مخطوط "شهنامه سليم خان" على لوحة منفذة بصفحة واحدة تحت رقم (102B)<sup>(2)</sup>، أبعادها (26,2×21سم)، ومن إنتاج الفنان "عثمان"، عبرت عن محاصرة قلعة "ليماسول"<sup>(3)</sup> بجزيرة قبرص في 18 محرم 978هـ/1 يوليو 1570م وتقع القلعة بالقرب من الميناء القديم في قلب المركز التاريخي لمدينة ليماسول، على إرتفاع (7م) من سطح البحر، وقد أُعيد بنائها والإنتهاء

(1)- ليماسول (Limassol): بالتركية (Limosun أو Limasol)، ثاني أكبر مدينة في قبرص من حيث المساحة، تطل على خليج أكروتيري بالساحل الجنوبي لجزيرة قبرص، وهي عاصمة محافظة ليماسول، وكانت وكرًا للقراصنة الذين يغربون على بلدان شرق المتوسط وينهبون ممتلكات المسلمين، وبسبب تلك القرصنة أصبح حكام المدينة أكثر ثراءً بسبب ما يدفعه القراصنة لهم مقابل تسهيلاتهم للقرصنة، ثم قام الملك "جانوس" بغارة على الإسكندرية بمصر حيث احتلها لثلاث أيام وعاث فيها نهباً، ولذلك فقد وصلت قوة عسكرية مملوكية إلى ليماسول واحتلتها عام 827هـ/1424م، وبعد عام غزوا قبرص مرة أخرى بقوات أعظم، فدمروا فاماغوستا ولازنكا، ثم وصلوا إلى ليماسول، حيث احتلوا القلعة دون صعوبة، وحرقوا العديد من الأماكُن ونهبوا بعضها ثم عادوا إلى القاهرة عام 829هـ/1426م، وأخذ "جانوس" سجيناً إلى القاهرة، وفي عام 892هـ/1489م صارت قبرص تحت حكم البندقية والذين اهتموا فقط بجباية الضرائب واستغلال ثروات البلاد، كما دمروا قلعة ليماسول المهددة لتجارهم البحرية مع المماليك؛ محمود خالد السخني، النشاط البحري لدولة المماليك في البحر المتوسط، مخطوط رسالة ماجستير، جامعة دمشق، كلية الآداب: قسم التاريخ، (2012م)، 149، 191، 207-208.

(2)- Durmaz; Topkapi Sarayi Müzesi, 66, Resim (26).

(3)- كشفت الدراسات والحفائر الأثرية داخل القلعة أنه تم بناؤها على أطلال كاتدرائية بازيليك مسيحية في وقت مبكر من القرن الرابع للميلاد، ويُرجح أنها الكاتدرائية الأولى في مدينة ليماسول، وأول إشارة رسمية إلى تاريخ حصن ليماسول يعود لعام 631هـ/1228م، خلال إشراك "فريدريك الثاني" لألمانيا في شئون قبرص، وقد تسببت الأضرار الناجمة عن الهجمات المتواصلة للمدينة من قبل جمهورية جنوة والمماليك وكذلك الزلازل بالتناوب على ترميمها وإعادة بنائها، وفي عام 941هـ/1538م إستولى العثمانيون على ليماسول وقلعتها، وبعد ذلك إستطاع حاكم البندقية من إستعادة السيطرة على القلعة فتقرر هدمها من أجل تجنب الإستيلاء عليها مرة أخرى حيث تم الإنتهاء من هدمها عام 970هـ/1567م، بعد الإستيلاء العثماني على قبرص عام 979هـ/1576م، وأدمجت بقايا القلعة القديمة في القلعة العثمانية الجديدة والتي استكملت عام 998هـ/1590م، وأصبحت موطناً لمتحف العصور الوسطى في قبرص الذي يحتوي على العديد من الأضرحة والأواني الخزفية التي تعود لذلك العصر؛ السخني، النشاط البحري، 208.

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

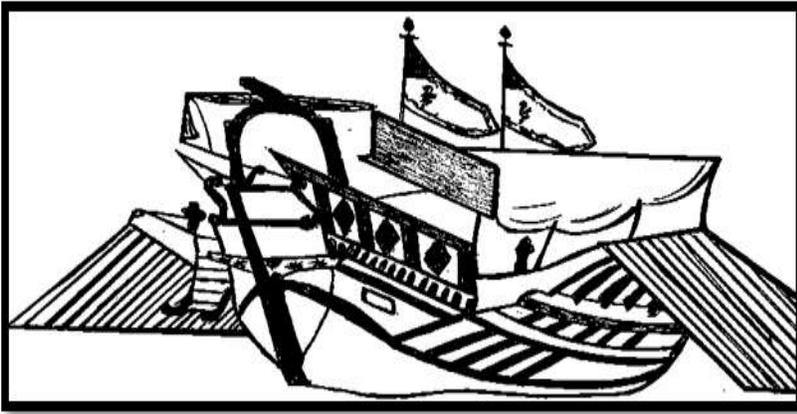
منها عام 998هـ/1590م في عهد السلطان مراد الثالث (982-1004هـ/1574-1595م)، "لوحة5"، "خريطة3".

ويظهر في الثلث السفلي من اللوحة والذي يمثل مقدمتها جزء من مياه البحر حيث تشرف ليماسول على الشط مباشرة، ويمتد هذا الجزء إلى منتصف يسار اللوحة بهيئة ضيقة متعرجة، وقد عبر الفنان عن المياه الساكنة به غير المتحركة أو المتموجة بلون رمادي غامق، ويحتل المقدمة غليون ضخيم كبير الحجم، طرفيه مرتفعان لا يلمسان المياه، ذا بدن مقعر وعميق بشكل واضح، ويمكن القول بأنه مكون من ثلاثة طوابق متتالية متفاوتة في عمقها وأبعادها، الطابق الأول "السفلي" ملامس لمياه البحر وهو أكبر تلك الطوابق وأكثرها عمقاً، يمتد سقفه بطول إمتداد سطح الغليون، يرتقالي اللون زاهي من الخارج، حُدد الثلث العلوي منه ومنتصفه بكنار رفيع أحمر اللون، وبنهايتها جهة اليمين خمسة خطوط رأسية متتالية متقاربة من نفس اللون، كما يوجد بمنتصف هذا الجزء كوة<sup>(1)</sup> نافذة مستطيلة الشكل صغيرة الحجم، ذات أضلاع بنية اللون قاتمة محددة بخط أسود رفيع، وأغلب الظن أنها كانت تُستعمل كنافذة للتهوية والإضاءة بخلاف وظيفتها الأساسية وهي إنطلاق البارود من إحدى فوهات المدافع منها، يؤكد على ذلك هيئتها والمعالجة الفنية في رسم اتجاهها، ولذا فمن المرجح بشكل كبير أن هذا الطابق كان مخصصاً لتشيون المدافع به يدل على ذلك كبر حجمه وعمقه الواضح، أما الطابقين الثاني والثالث فهما أقل عمقاً وأقصر إمتداداً لثلاثي

(1) - كوة: الجمع "كوى، وكوات"، تعني الثقب في الحائط أو الجدار يدخل منها الهواء والضوء، وهي أيضاً فتحة صغيرة في أعلى الجدار لإطلاق القذائف، ويقصد بالكوة في المصطلح الأثري: فتحة صغيرة نافذة في السور لإدخال النور والهواء، واعتاد المعمار المسلم أن يجعل هذه الكوات عادة في الأجزاء العلوية من الجدران حتى لا تكون سبباً في كشف عورات الناس؛ رزق، مصطلحات، 256-257.

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

سطح الغليون، والواجهة المطللة على البحر بالمقدمة عبارة عن أضلاع رفيعة متتالية متقاربة نافذة تُظهر اللون الأسود المطلي به داخل الطابق الثاني "الأوسط"، بينما تُظهر اللون البني لداخل الطابق الثالث "العلوي" من الغليون، ومن المرجح أنهما كانا مخصصين لإقامة الفرسان والبحارة، مع جعل العلوي منهما للقادة والريان وغيرهم، وبكل من جانبي البدن منحدر عريض أحمر اللون شبه متوازي أضلاع محدد بخط أسود رفيع، فيما كان البدن به خطوط طولية متتالية متقاربة رأسياً بلون أغمق قليلاً، "لوحة 5"، "شكل 8".



شكل (8)

ويشبهه سطح الغليون إلى حد كبير مثيله باللوحة السابقة مع بعض الإختلافات الجوهرية منها أن القماشة الزرقاء هنا مفردة وتمثل أحد أشرعة الغليون وكذا ساتراً لموضع جلوس الريان المعقود بأعلاه مع خلوه من

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

الفوانيس أو القناديل الزجاجية، كما نجد شراعاً آخر مفتوحاً أبيض اللون يعلو سطح الغليون العريض العاجي اللون، محمول على ستة سوارى رفيعة سوداء اللون، أربعة منها بالمقدمة، وإثنان بالمؤخرة والذي ينتهي كل منهما من أعلى بعلم قماشي مثلث الشكل متوسط الحجم، قمته العليا منفضة بلون طوبي غامق، بينما بقية قماشته سوداء اللون، حددت أطرافه من الداخل بتمشيرات رفيعة مذهبة، ورُسم بمنصفه شكل لتنين مجنح صغير الحجم بهيئة رأسية، فيما تنتهي السارية بصليب مذهب ذو قمة مكورة صغيرة الحجم، وكان الصليب بخلاف التنين المرسوم بالعلمين معبراً عن أن الغليون ليس عثماني بل هو تابع للأسطول البندقي بقبرص وقد تركه أصحابه فراراً من الجيش العثماني، كما يؤكد على ذلك أيضاً وجود سلم الغليون العاجي اللون متديلاً بالمؤخرة تجاه البحر وليس مرفوعاً داخل البدن مما يُعبر عن استعماله في عملية هروب الجنود البنادق والقبارصة، وأخيراً فإنه توجد حلية زرقاء اللون زاهية مثلثة الشكل منفرجة أسفل موضع جلوس الریان محلاة ببعض رموز أوروبية مذهبة دقيقة الحجم، "لوحة 4، 5"، "شكل 7، 8".

فيما يظهر في يسار اللوحة جزء من مؤخرة غليون عثماني بني اللون قاتم مشوب باللون الأسود، مع تحديد جانبي موضع جلوس الریان بضلعين مستطيلين برتقالي اللون، محدد كل منهما بخط عريض أسود اللون، فيما كان موضع الجلوس ذاته من درجة واحدة مرتفعة مستطيلة الشكل زرقاء اللون زاهية، ويوجد علم قماشي مرفوع أعلى المؤخرة يشبه علمي الغليون الأوروبي مع إستبدال زخرفة التنين المجنح بالهلال والنجمة شعار العثمانيين، وأطرافه من الداخل محلاة بنقاط متتالية مطموسة دقيقة الحجم مذهبة، وهو طوبي اللون غامق وبدايته بُنية اللون قاتمة، وفُتح بمؤخرة بدن الغليون

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

مدخل مستطيل الشكل يهبط منه معبرة خشبية سميكة عاجية اللون غامقة، استعملت في عبور الجياد العثمانية من داخل بدن الغليون إلى اليابسة لتنضم إلى الجيش البري العثماني الذي استطاع النزول على شط الميناء، وقد استقبلها أصحابها من الفرسان بالترحاب حتى أننا نُشاهد أحدهم يعانق جواده ويلف ذراعيه حول رقبتة، "لوحة 5".

واليابسة عبارة عن مجموعة من التلال المتتالية من اللون الوردي والأخضر والسماوي بدرجات فاتحة، فيما تتناثر بعض أشجار الصنوبر<sup>(1)</sup> الخضراء اللون ذات السيقان الرأسية المستقيمة الرشيقة المتوسطة الطول المنتهية من أعلى بثلاث فروع قصيرة تحمل القمة ذات التدرجات الهرمية المتتالية والمتداخلة من أوراق كثيفة خضراء اللون رأسية تتجه لأعلى، والتلال الوردية محتلة من الجيش البري العثماني ويظهر جلياً القائد العام له "اللامصطفى باشا" ومعه بعض القادة والعساكر وجنود الإنكشارية بأزيائهم ذات الألوان الزاهية وغطاء الرأس المميز لهم، وغالبيتهم مترجلين والقليل منهم يمتطون صهوات الجياد، ويستعملون البنادق والحرب وجعب السهام، فيما نجد بمقدمة التلال السماوية اللون بعض من أفراد الجيش البندقي والقبرصي في حالة دفاع عن القلعة يمتطون صهوات الجياد، ويتميزون بأزيائهم وقبعاتهم الأوروبية، يستعملون الحراب الطويلة، وأحدهم يرفع سارية رفيعة تنتهي بعلم قماشى سماوي اللون به زخرفة مذهبة،

<sup>(1)</sup> - شجر الصنوبر: تعد شجرة الصنوبر من الأشجار دائمة الخضرة، والتي تنتهي إلى العائلة الصنوبرية، ويوجد أكثر من 115 نوعاً منها في العالم، ويتراوح إرتفاعها ما بين 10-80 م، وتفضل أشجار الصنوبر النمو في المناطق التي تكون تربتها رملية جيدة التصريف، ويُعد الموطن الأصلي لها في الجزء الشمالي من الكرة الأرضية، والذي يتمتع بمناخ معتدل الحرارة، وعلى الرغم من ذلك فهي تنتشر في جميع أنحاء العالم، وتزرع في الحدائق والمنزهات نظراً لشكلها الجمالي، كما تُزرع الأنواع القصيرة منها في الحدائق المنزلية؛ عامر عبد الفتاح الكيلاني، الموسوعة الطبيعية، عمان، (2014م)، 153-154.

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

ومنتهياً بصليب مذهب صغير الحجم، فيما تبرز من نهاية تلك التلال جزء من قلعة ليماسول بأبراجها الضخمة الرشيقة الأسطوانية المسقط وأسقفها الهرمية الشكل، فتحت بحوائطها فتحات رأسية رفيعة قصيرة، يعلوها سارية علم رفيعة طويلة تنتهي بعلم قماشى سماوي اللون، وقد استعمل اللون الوردى والعاجي والبني والأزرق والطوي والسماوي بدرجات متفاوتة في رسم تفاصيل تلك القلعة، "لوحة 5".

ب. محاصرة قلعة ماغوسا<sup>(1)</sup> عام 978هـ/1571م.

بعد سقوط عاصمة قبرص "نيقوسيا" بأيدي العثمانيين واصلت السفن الحربية العثمانية طريقها إلى جزيرة "ماغوسا" عام 978هـ/1571م، وكانت تحمل مائة ألف جندي، وتم حصارها مرتين، حتى تم الإستيلاء عليها في 10 ربيع الأول 979هـ/ 2 أغسطس 1571م، ومن ناحية أخرى قام مواطنو "ماغوسا" والحامية البندقية لها بقيادة القائد "ماركو أنطونيو براجادين" بمقاومة بطولية دفاعاً عن عنها<sup>(2)</sup>، وقد بلغ عددهم حوالي (8500) رجل مع

(1) - ماغوسا: أو ماغوصة أو فاماغوستا أو ماغوستا، مدينة قبرصية، تنتمي للقسم الشمالي من جزيرة قبرص، مساحتها لا تتجاوز (200كم<sup>2</sup>)، تحدها شمالاً وشرقاً بقية أراضي قبرص الشمالية، وغرباً منطقة خاضعة للأمم المتحدة، وجنوباً البحر الأبيض المتوسط، وعرفت ماغوسا حضارات عديدة إغريقية ومصرية وفينيقية رومانية وبيزنطية ثم عربية وعثمانية إلى حدود القرن 14هـ/19م لتحتلها بريطانيا، وبعد استقلالها عام 1961م شهدت المدينة صدامات عنيفة بين الأتراك واليونانيين، وبعد سيطرة اليونانيين عليها عام 1974م وإعلان انضمامهم لليونان. قام الأتراك باسترداد ماغوسا وهاجر قسم من اليونانيين بشكل طوعي منها بحكم سيطرة الأتراك عليها، وهي حالياً تحت السيطرة التركية ويديرها الأتراك، ونشاطها الإقتصادي يقوم على السياحة والفلاحة، ومن أهم معالمها القلعة وجامع لالا مصطفى باشا.

Stephen Turnbull; the Ottoman Empire 1326-1699, Oxford, (2003), 58.

(2) - وضعت قيادة الحامية خطتها على تركيز العمليات الحربية في الدفاع عن "ماغوستا" لعدة أسباب منها: أنها أكبر موانئ الجزيرة، وكان بقاؤها في يد الحامية يجعل وصول المساعدات والنجدة العسكرية إلى الجزيرة أمراً مستطاعاً، كما أن هذا الميناء يهدد مؤخرة الجيش العثماني وأمنه تهديداً خطيراً، والأهم من ذلك أن قيادة الحامية رأت ضرورة الاستفادة من الاستحكامات العسكرية المشيدة حول القلعة والتي كانت غاية في المناعة

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

تسعين قطعة مدفعية، إضافة إلى أنهم إستلموا كميات كبيرة من المؤن والذخائر، وإنضم إليهم (1600) جندي بندي آخرون، كما اشترك في أعمال الدفاع المدنيون من أهل الجزيرة من رجال الدين والنساء والشيوخ والصبية، وعملوا جنباً إلى جنب في رفع الأحجار وترميم الأسوار وبناء المتاريس وحفر الخنادق، وأدى هذا إلى حصارها من قبل العثمانيين لمدة عام تقريباً، وتحديداً من 15 ربيع الثاني 978هـ/ 16 سبتمبر 1570م وحتى 10 ربيع الأول 979هـ/ 2 أغسطس 1571م حيث استجمع العثمانيون كل قواهم، واستعانوا بأسطول ضخم مكون من (168) قطعة بحرية من جميع الأحجام مزودة كل منها بمدافع ضخمة، فأحاطوها وشددوا الحصار عليها، ومع ذلك فقد افتقروا إلى القوة البحرية لحصار الجزيرة كاملةً من جهة البحر، فيما كان البنادقة قادرين على الحصول على إمدادات وتعزيزات جديدة من جهة البحر، أما الجيش البري البالغ عدده ما يزيد عن (25) ألفاً فكان بقيادة القائد جنبلات<sup>(1)</sup>، وهو ابن التسعين عاماً، واستطاع هذا الكهل أن يضع خطة حصار محكمة، فأنزل الجيش البري عن طريق البحر، وحاصر القلعة من جهة البر، وبدأوا في حفر شبكة ضخمة من الخنادق المتقاطعة بطول ثلاثة أميال حول القلعة مما وفر المأوى للقوات العثمانية، بينما اندفع الأسطول البحري وسد جميع المنافذ، وفي الوقت نفسه تعثرت مبادرة "محمد صوقولو باشا"<sup>(2)</sup>

---

والقوة بحيث جعلت من الثغر قلعة حصينة، وأطلق عليه اسم "البلد المنيع"، و"أمنع المدن كلها"؛ علي، مصر والدولة العثمانية، 158.

(1) - سبق تعريف تلك الشخصية في هامش (31) من تلك الدراسة.

(2) - محمد صوقولو باشا: شغل مكانة بارزة في تاريخ الصدور العظماء في الدولة العثمانية، وهو من أصل صقلي، ومن مواليد قرية "صوقل" في البوسنة عام 1506هـ/ 1506م، أخذ يترقى في المناصب حتى أصبح قائد البحرية العثمانية ثم الصدر الأعظم، وعلى الرغم من الخدمات الجليلة التي أسداها للدولة، إلا أن الشوائب علق

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

لتحقيق سلام مُنفصل مع البندقية، عرض فيه التنازل عن محطة تجارية في ماغوسا إذا تخلت البندقية عن الجزيرة، لكنها بتشجيع من استيلاءهم الأخير على إحدى مدن مملكة ألبانيا بخلاف المفاوضات الجارية لتشكيل رابطة مسيحية رفضت ذلك السلم<sup>(1)</sup>، "خريطة 3".

وبناءً عليه واصل العثمانيون إصرارهم لإحراز النصر، فدارت معركة طاحنة من حائط إلى حائط، ومن زاوية إلى زاوية، حتى وصل العثمانيون بعد جهد جهيد إلى باب القلعة الرئيسي، وكان محصناً تحصيناً فنياً، فقد وضع البنادق على المدخل دولاباً ضخماً يدور آلياً ذا نصال حادة، يهدد كل من يقترب منه بالموت المحقق، وأمام هذا الواقع المرير، لم يجد جن بلاط بدأً إلا التضحية بنفسه، لإقتحام الباب الرئيسي، فاسحاً بذلك المجال أمام جنوده لإحتلال هذا الموقع الحصين، وفي نهاية المطاف اخترق العثمانيون التحصينات ودخلوا القلعة، وتم القبض على القائد "براجادين"، وقطع أذنيه وأنفه، وبعد أن أُلقي به في السجن لمدة أسبوعين تم جره حول الجدران بأكياس من التراب والحجر على ظهره، وبعدها رُبط عارياً في عمود في الساحة الرئيسية وسُلخ حياً<sup>(2)</sup>، وتبع ذلك مذبحة لمعظم المسيحيين المتبقين في المدينة، هذا على الرغم من

---

بتصرفاته، ومن بينها نهمه إلى المال وتقاضيه للرشاوي من حكام الولايات العثمانية عند تجديد تعيينهم سنوياً، وقد قتل في 987هـ/1579م نتيجة مؤامرة، وباختفائه عن مسرح الأحداث السياسية فقد منصب الصدارة نفوذه، ولم يشغل هذا المنصب شخصية قوية إلا بعد قرن من الزمان بتعيين "محمد كوبريللي": "أوزتونا، موسوعة تاريخ، مج2، 431.

(1) - عبد العزيز الشناوي: أوروبا في مطلع العصور الحديثة، ج1، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، (1977م)، 766-768؛ علي، مصر والدولة العثمانية، 159.

(2) - هذه الحادثة حقيقية وتم تصويرها في إحدى لوحات مخطوط "شهنامه سليم خان" في الصفحة رقم (125B).  
Fetvacı; "Others and Other", 97, Fig (6).

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

موافقة القائد العثماني سابقاً على أنه مقابل استسلام المدينة، سيضمن للمسيحيين ممراً آمناً إلى جزيرة كريت<sup>(1)</sup>.

ويحتوي مخطوط "شهنامه سليم خان" على لوحتين منفصلتين<sup>(2)</sup>، كلاً منها منفذة على صفحة واحدة، الأولى بصفحة برقم (119A)، وأبعادها (31,5 × 19 سم)، والثانية بصفحة برقم (122A)، وأبعادها (20,2 × 22,5 سم)، وكتاتهما من إنتاج فنان مجهول الإسم، وتعبيران عن بعض تفاصيل الحصار البحري والبري العثماني لقلعة "ماغوسا"، فهما من نوعية اللوحات الدعائية التاريخية، دعائية كونهما تُعبيران عن فكرة الجيش العثماني المغوار الذي لا يُهزم ولا يُكسر مهما كانت قلاع العدو حصينة براً وبحراً، وهي الفكرة التي دائماً وأبداً ما كان العثمانيون يرغبون في توطيدها لدى حلفائهم وأعدائهم على حد السواء، وتاريخية كونهما تنقلان لنا حدثاً تاريخياً هاماً وهو حصار قلعة "ماغوسا"، بحيث نشاهد في اللوحة الأولى حصار العثمانيون للقلعة ومحاولة الاستيلاء عليها بضررها بالمدافع ومدى ما تتمتع به من المنعة والتحصين، لوحة 6"، بينما اللوحة الثانية المشابهة لها تعبر عن تمكن العثمانيين من الاستيلاء التام عليها أخيراً وتحطيم جزء من أسوارها الحصينة، لوحة 7"، "شكل 9".

وفي كتا اللوحتين تعمد الفنان تقسيم كلاً منهما إلى قسمين أمامي وخلفي عن طريق خط وهمي قوامه حد اليابسة الممتد في وسط اللوحة تقريباً، يسيطر على القسم الأمامي باللوحة الأولى منهما حالة من الهدوء والاستقرار

(1) - محمد جميل بهم، فلسفة التاريخ العثماني "أسباب انحطاط الامبراطورية العثمانية وزوالها"، بيروت، (1954م)، 255-258؛ الشناوي، أوروبا، ج 1، 769؛ علي، مصر والدولة العثمانية، 159-161.

(2) - عبد النور، المعارك الحربية، 50، لوحة (12).

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

النسبي أو عدم المبالاة التي يشعر بها العثماني المنتصر، وقد وقف ستة أشخاص على مسافات متباعدة زوجان زوجان يتشاوران فيما بينهم ويتناقلون أنباء نجاحهم في الهجوم على القلعة القابعة في القسم العلوي من اللوحة، لوحة 6"، بينما يموج هذا القسم من اللوحة الثانية بمشاهد من عمليات إعدام وذبح القادة البنادقة أمام القائد "لالا مصطفى باشا" الجالس في خيمته وأمامه القائد البندقي "براجادين" راکعاً وأحد الجنود الانكشارية يقطع أذنيه وأنفه بسيفه البتار، لوحة 7".

على يسار هذا القسم من اللوحتين ربوة مرتفعة بلون أخضر فاتح تتوزع عليها الخيام العثمانية المزركشة بالأعلام والرايات والملونة بألوان زاهية تعبيراً عن الانتصار والزهو، ومنها خيمة القائد العثماني "لالا مصطفى باشا" سواء أكان متواجداً بها أو خالية منه، مع تناثر أزواج من المدافع العثمانية على مسافات متباعدة إمعاناً في الحصار، بلغ عددها في كلتا اللوحتين ثمانية مدافع، وجوار كل زوج منها برميل البارود المخصص لهما وهو أسطواني الشكل منتفخ من منتصفه، وتلك المدافع تشبه مدفعي قلعة نهر الطويل بجزائر البصرة السابق وصفهما إلا أنها أصغر حجماً وتخلو من العجلة الدائرية المحركة لكل منهما، "لوحة 3"، "شكل 5"، وقد وجهت فوهاتنا نحو القلعة بالقسم العلوي من اللوحة لتُطلق قذائفها الحارقة التي تسببت في إشعال النيران بها ودلت عليها ألسنة اللهب وكتل الدخان المتصاعدة في الأعلى مع تطاير أشلاء المدافعين عنها، وقد تعمد الفنان رسمها خارج الإطار العلوي للوحة، ربما ليدلل من خلالها على هول وزخم حادثة إحراق القلعة على مسافة بعيدة، بينما تدك المدفعية الموزعة حول القلعة أسوارها التي دمرت الألغام برجين من أبراجها تماماً باللوحة الأولى، لوحة 6، 7".

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

فيما يشغل الجزء الأيمن من هذا القسم مسطح مائي ساكن متوسط العرض، لونت مياهه بلون رمادي غامق، يمتد رأسياً لنهاية اللوحة من أعلى، ويوجد به زورق صغير في اللوحة الأولى بالقرب من أسوار القلعة كان يستعمله البنادق في سواء في الفرار من القلعة أو توفير بعض السلع والمعدات الحربية الخفيفة لهم، وقد اختفى في اللوحة الثانية حيث سقوط القلعة وعدم الحاجة إليه، وهو في هيئته يشبه زوارق البصرة إلا أنه أصغر منها ويخلو من موضع جلوس رئيس الملاحين، وتم طلائه باللون الرمادي الغامق مع تحديده بخط أسود رفيع، لوحة 6، 7".

بينما شغلت قلعة "ماغوسا" النصف العلوي من اللوحة، وقد أُحيطت بالمياه من كل جانب، ونجح الفنان في إعطاء صورة مقربة عن الوحدات المعمارية لها بحيث بدت ككتلة معمارية ضخمة ممتدة على مساحة واسعة من اليابسة بما تشتمل عليه من الأبراج والأسوار والثكنات والمباني التي غلب عليها التسقيف الجملوني بخلاف بعض القباب، وما تحتويه الحوائط من فتحات النوافذ والمزاغل والمداخل، وقد برز من القلعة جهة اليمين وداخل الماء برجاً إسطواني المسقط كان يستخدم لأغراض المراقبة والدفاع، كما يُحسب

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"



شكل (9)

للفنان أنه كان دقيق الملاحظة في رسمه للجدران وقد تداعت إثر انفجار الألغام التي زرعها الأتراك أسفلها، وكذا تعمدته رفع العلم التركي الأحمر اللون في موضعين مختلفين بالقلعة ليدل على انتصاره واستيلائه عليها باللوحه الثانية، مع تطاير ثلاثة من جثممين البنادق من داخل القلعة تجاه اليابسة المتقدمة لواجهتها الأمامية وقد عبرت الممر المائي المحيط بها من تلك الجهة إمعاناً في إظهار مدى تأثير شدة ضرب القلعة بالمدافع العثمانية، وعلى الرغم من ذلك يشاهد بعض جنود البنادق ما زالوا متمركزين في مواقعهم بين التكنات والمباني باللوحه الأولى، "لوحة 6، 7"، "شكل 9".

رابعاً: المعركة البحرية العثمانية في نفاين بالمورة عام 979هـ/1572م.

بعد الهزيمة البحرية العظمى التي مُني بها الأسطول العثماني وتدمير سفنه بشكل كبير في معركة ليبانتو<sup>(1)</sup> عام 978هـ/1571م بعهد السلطان سليم الثاني،

(1)-ليبانتو: كارثة بحرية حلت بالأسطول العثماني على أيدي القائد الفذ "دوان جوان" في البحر الأدرياتيك عام 978هـ/1571م ولا تزال هذه المعركة مصورة على جدران الفاتيكان ومقر الدوقية في البندقية، وكانت بين العثمانيين وتحالف أوروبي بزعامة إسبانيا والبندقية "تحالف العصبة المقدسة"، وقد انتهت بهزيمة العثمانيين

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

قرر العثمانيون بعدها القيام بمعركة بحرية يعيدون فيها جزءاً من أمجادهم البحرية وذلك بعد عام واحد من هزيمتهم وتحديداً في صيف عام 989هـ/1572م، إذ أبحر الأسطول العثماني من استانبول إلى البحر المتوسط بعدد (250) سفينة، وتقابل مع جيش البنادقة في ركن المورة بالقرب من ميناء نفاين، "خريطة4".

وقد عبرت إحدى لوحات مخطوط شهنامه سليم خان عن جزء من المعركة البحرية العثمانية التي إنتهت بإحتلال هذا الميناء، وهي منفذة على صفحتين متقابلتين برقيي (130B-131A)<sup>(1)</sup>، ومن إنتاج فنان مجهول الإسم، بحيث يأخذ الشكل العام للصفحتين شكل الحرف اللاتيني(S)، وتم الربط بينهما عن طريق مياه البحر بمقدمة كل صفحة منهما، وعبر الفنان عن المياه به بلون رمادي فاتح والتي جاءت ساكنة غير متحركة أو متموجة، كما تضمنت الصفحتان بعض من الغلايين التي زخمت بكثير من الأعلام، "لوحة 8[أ،ب]".

والصفحة اليمنى منها برقم (130B)، وأبعادها (27×18,8سم)، وفي النصف السفلي من الصفحة والذي يمثل المقدمة رسم جزء من البحر الأيوني الذي يصب في مياه البحر الأدرياتيكي، حيث يُطل ميناء نفاين على شطه مباشرة،

وتدمير أسطولهم؛ وتسميها المصادر العثمانية "ابنه بختي-الحظ العائر"، تلك المعركة التي استغرقت خمس ساعات، وقعت في الطرف الشمالي لخليج باتراس على الساحل الغربي لليونان: حيث أبحرت القوات العثمانية غرباً من قاعدتهم البحرية في "ليبانتو" ولاقت قوات الرابطة المقدسة، وكان من نتائجها إعطاء الرابطة المقدسة سيطرة مؤقتة على البحر المتوسط، وحماية روما من الغزو العثماني ومنع توغله في أوروبا، كما كانت آخر معركة بحرية كبرى تدور بالكامل بين سفن بمجاديف، وواحدة من أكثر المعارك البحرية حسماً في التاريخ: أوزتونا، موسوعة تاريخ، مج 2، 152؛ أوغلي، الدولة العثمانية، مج 1، 413؛ عبد النور، المعارك الحربية، 200، هامش (1).

(1) - عبد النور، المعارك الحربية، 87، لوحة (30).

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

ويحتل هذا الجزء غليوناً عثمانياً فحماً بكامل هيئته، كبير الحجم، ترتفع مقدمته ومؤخرته بحيث لا تلمسان المياه، ذا بدن مقعر وعميق قليلاً، وهو يشبه في تفاصيله الغليون العثماني في معركة دوكاجين ومثيله الأوروبي بمعركة ليماسول السابق ذكرهما مع غلبة اللون البرتقالي المشوب باللون الأحمر بدرجات زاهية عليه، كما أنه أكثر طولاً وإنسيابية، "لوحة 4، 5"، "شكل 7، 8"، ويعتلي سقفه سبعة من القادة والجنود المسلح بعضهم بالبنادق، وقد وقف الغليون والجنود في سكون تام، مما يشير إلى أنه لم يشترك بعد في المعركة، كما ظهر جزء صغير من غليون خلفه<sup>(1)</sup>، وقد حفل هذان الغليونان بالأعلام المرفوعة عليهما، والجزء الظاهر من الغليون الأول، يُمثل جزءاً من مؤخرته، ومرفوع على هذا الجزء ثلاثة أعلام متشابهة، أولهما يعلو فانوساً للإضاءة، والآخر من أمامه يعلو نهاية عارضة خشبية ممتدة في وضع أفقي، أما الثالث فيعلو جزءاً صغيراً من عارضة شراع غير ظاهر، وجميع قماشات هذه الأعلام صغيرة الحجم، مثلثة الشكل، حمراء اللون، وهي مرفوعة على سوار قصيرة. ويلاحظ أن قماشة العلم الذي يعلو الفانوس تغطي كامل السارية، أما قماشة العلمين الآخرين فيظهر منها جزء صغير من أسفل السارية<sup>(2)</sup>، "لوحة 8 [أ]"، "شكل 10".

أما الغليون الآخر الكامل الهيئة فقد ارتفع عليه أحد عشر علماً، إذ يعلو صارمها الرئيسي علم قماشى مذهب مثبت في سارية متوسطة الارتفاع، وهو مستطيل الشكل ذا طرف مدبب، ولهذا الصاري عارضة شراع ضخمة بها علمان قماشيان عند طرفها الأيسر، أحدهما مثلث الشكل صغير الحجم مثبت أعلاها بواسطة سارية قصيرة، أخضر اللون زاهي يتخلله خطوط متعرجة

(1) - عبد النور، المعارك الحربية، 87.

(2) - ياسين، الأعلام، 80، شكل (8).

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

زيتية اللون داكنة، وبأسفل هذا العلم يظهر علم آخر متدلي من العارضة بواسطة حبلين ينتهيان بعارضة تخرج منها قماشة كبيرة الحجم طويلة حمراء اللون، ينقسم طرفها إلى شعبتين أو لسانين، وعلى يمين الصاري السابق صاري آخر ثانوي يقع في نهاية مقدمة الغليون ويرتفع عليه علم له سارية قصيرة، غير ظاهرة من قماشته الصغيرة الحجم المثلثة الشكل السوداء اللون، فيما نجد علمان قماشيان عند الطرف الأيسر من عارضة شرع هذا الصاري، أحدهما مثبت أعلى العارضة، بواسطة سارية صغيرة، وهو صغير الحجم مثلث الشكل أسود اللون، وبأسفل هذا العلم علم آخر يتدلى من العارضة بواسطة حبلين ينتهيان إلى عارضة قصيرة مثبت فيها قماشة كبيرة الحجم وردية اللون زاهية، طرفها ذا لسانين أو شعبتين، "لوحة 8 [أ]", "شكل 10".

ويظهر في مؤخرة هذا الغليون موضع جلوس الربان يعلوه عقد نافذ ملفوف حوله قماشة شراع كبيرة حمراء اللون زاهية، ويتقدمه حاجز سلم، يرتقي



شكل (10)

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

درجاته اثنان من القادة العثمانيين، ومرفوع أعلى بداية هذا الحاجز علم قماشى كبير له سارية متوسطة الإرتفاع يظهر جزء كبير منها، وهو مستطيل الشكل أحمر اللون محدد بخط أسود رفيع، ويوجد بنهاية ثلثه الداخلى شريط رأسى ذا أرضية ذهبية اللون زاهية تشغله خطوط حمراء مجدولة، ويلاحظ أن جزء من نهاية هذا العلم متوارى خلف الحاجز، وبالإضافة إلى ما تقدم يعلو موضع الربان ثلاثة فوانيس، أحدها في المنتصف أكبر من الآخرين، وبأعلى كل فانوس منها علم قماشى صغير الحجم مثلث الشكل، ذا سارية قصيرة جداً، وعلم الفانوس الكبير أخضر داكن، أما علمي الفانوسين الآخرين فمن اللون الوردى، وهناك علم قماشى آخر متوسط الحجم مثلث الشكل يظهر بين فانوسين من الفوانيس السابقة، له سارية متوسطة الإرتفاع، يظهر جزء كبير منها أسفل قماشة العلم، جدير بالذكر أن جميع الأعلام ذات الساريات الرفيعة السوداء اللون، يظهر بأعلاها كتل ذهبية اللون، دائرية الشكل، لبعضها طرف علوي مدبب، أما العلمان الكبيران الحجم، المتدليان عن طريق الحبال، فعلى جانبي عارضة كل منهما كتلتان ذهبيتا اللون، كرويتا الشكل<sup>(1)</sup>، "لوحة 8[أ]"، "شكل 10".

وفي النصف العلوي للصفحة تظهر التلال المتتالية ذات اللون السماوي والابيض والرمادي بدرجات فاتحة، التي تقاطرت على يمينها أرتال القادة والفرسان والجنود العثمانيين، وقد امتطى أفرادها صهوات جيادهم، ويرتفع بينهم علم قماشى ضخيم كبير الحجم أحمر اللون غير مفرد، فيما يظهر على يسار التلال جزء من عمائر الجزيرة بأسقفها الجملونية، والمشملة على مسجد ذا مئذنة عثمانية الطراز تتخذ هيئة القلم الرصاص<sup>(2)</sup>، "لوحة 8[أ]".

(1) - ياسين، الأعلام، 80-81، شكل (8).

(2) - عبد النور، المعارك الحربية، 87.

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

والصفحة اليسرى برقم (131A)، وأبعادها (18×27سم)، ويظهر البحر في مقدمتها، به غليون بنديقي كبير الحجم غير مكتمل الهيئته، وهو وإن كان يشبه مثيله باللوحات السابقة إلا أنه يختلف بشكل جوهري في لونه البني الداكن، يعتليه مجموعة من قادة وجنود البندقية، وهناك جزء من غليون آخر أسود اللون مشوب باللون الرمادي القاتم، له سياج علوي متوسط العرض وردي اللون زاهي، وترتفع سبعة أعلام على الغليون الأول، تتشابه في أشكالها ومواضع رفعها الأعلام المرفوعة على الغليون العثماني المكتمل بالصفحة السابقة، مع اختلاف الألوان والزخارف، ويرتفع على جزء من عارضة صارية هذا الغليون سارية متوسطة الطول تنتهي بعلم قماشي مستطيل الشكل ذا طرف مدبب، أزرق اللون قائم، يحدده من الخارج خط رفيع أبيض اللون، ومثلها من الداخل، وبالطرف الأيمن لهذه العارضة يوجد علم قماشي آخر كبير الحجم يتدلى بواسطة حبلين، مقسوم طرفيه إلى شعبتين أو لسانين، ذا لون بُني داكن محدد بخط أسود سميك، ويتخلله أشرطة أفقية، بها زخرفة مجدولة مذهبة<sup>(1)</sup>، "لوحة 8[ب]".

ويظهر في مؤخرة هذا الغليون تكوين معماري يتقدمه حاجز سلم، يرتقي درجاته مجموعة من البنادق، ويرتفع علم البندقية عند بداية مقدمة هذا الحاجز، ولهذا العلم سارية متوسطة الارتفاع، أما قماشته فهي كبيرة الحجم، مربعة الشكل، تنتهي من الخارج بثلاث زوائد مستطيلة الشكل بنية اللون قائمة يسبقها خط رأسي متعرج الهيئته أبيض اللون، والجزء المربع من هذا العلم أحمر اللون تتناثر عليه وحدات زخرفية مذهبة ببيضاوية الشكل صغيرة

(1) - ياسين، الأعلام، 82، شكل (9).

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامة سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

الحجم، فيما يشغل كامل مساحته شكل لصليب<sup>(1)</sup> كبير الحجم أزرق اللون قاتم، له أربعة أذرع متساوية، وفي منتصفه شكل مربع صغير الحجم أحمر اللون له إطار أبيض، ويظهر أعلى نهاية هذا التكوين المعماري ثلاثة فوانيس، أحدها في المنتصف يتميز بضخامة حجمه وارتفاعه، وقد رفع علم أعلى كل فانوس من هذه الفوانيس، وهي أعلام ذات قماشات صغيرة الحجم، مثلثة الشكل، مثبتة في ساريات قصيرة، والعلم الذي يعلو الفانوس الكبير له قماشة سوداء اللون، يتخللها شريط ضيق قوامه خطوط ذهبية اللون خفيفة، ورغم صغر حجم قماشة هذا العلم، فهي أكبر من قماشتي علمي الفانوسين الجانبيين، أما العلمين الآخرين فهما في مستوى أقل انخفاضاً من العلم السابق، ويغلب اللون البني الداكن على قماشتهما، ويلاحظ أنه مرسوم صليب بكل منهما، تماًلاً لأذرع مساحة القماشة، وهي بيضاء أو ذهبية اللون، ولما كانت هذه القماشة مثلثة الشكل، فقد كان الذراعان الجانبيان أطول من الذراعين الآخرين<sup>(2)</sup>، "لوحة 8 [ب]".

وأخر الأعلام المرفوعة على هذه السفينة يظهر في نهاية عارضة بالتكوين المعماري، وهو قماشتي صغير الحجم مثلث الشكل، يشغلها بالتبادل أشرطة مائلة يتناوب فيها اللونين الأسود والأبيض المشوبين بصفرة، ويتوج جميع الأعلام المرفوعة على الساريات قمم ذهبية اللون، على هيئة كتل كروية

(1) - من المتعارف عليه والمعهود أن الصليب كان يميز أعلام مالطة وجنوه؛ أما البندقية فكانت أعلامها ترسم عليها أسد القديس مارك أحياناً مجنحاً وبدون أجنحة تارة أخرى، وقد أمسك في يمينه الإنجيل وفي يسراه عصا مرفوعة لأعلى؛ أما علم البابوية فرسم عليه مفتاحان متقاطعان، وعلم البرتغال كان يرسم عليه التاج، وعلم إسبانيا كان يزخرف بدرع، أما جنوه فكان علمها يزين برسم قلعة وأحياناً صليب.

Fevzi Kurtoglu F: Türk Bayrağı ve Ay yıldız, (Türk Tarih Kurumu yayım, Vn, 4), Ankara, (1938), 150-152.

(2) - ياسين، الأعلام، 82، شكل (ب).

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

الشكل، لبعضها نهايات مدببة، على أن العلم الكبير المربع الشكل والمشغول بالصليب، فهو يتميز عنها بأنه متوج بشكل صليب، في نهايته العلوية كتلة كمثرية الشكل قاعدتها متجهة إلى أعلى، أما بالنسبة للعلم المتدلي بواسطة الحبلين، فله كتلتين كرويتين على جانبي عارضته<sup>(1)</sup>، "لوحة 8[ب]".

وتظهر اليابسة في النصف العلوي من الصفحة، وبها مجموعة من القوات العثمانية في إمتداد لا نهائي وقد اشتبكت طلائعهم مع جنود البنادقة، الذين تركوا مدافعهم على الساحل وألقوا بأنفسهم في البحر، وبدأوا يسبحون طلباً للنجاة، في حين تحاول مجموعة من زملائهم نجدتهم وإنقاذهم بإلقاء الحبال إليهم وجذبهم إلى الغليون في مشهد يغلب عليه الواقعية، ومن خلفهم مجموعة أخرى من الفرسان العثمانيين، من الملاحظ أنه يرتفع بينهم العلم العثماني، وهو علم ضخيم، يتميز بقماشة كبيرة غير منشورة، ذات لون أحمر<sup>(2)</sup>، "لوحة 8[ب]".

(1) - ياسين، الأعلام، 82-84، شكل (9).

(2) - عبد النور، المعارك الحربية، 78-79.

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

خامساً: المعركة البحرية العثمانية بتونس<sup>(1)</sup> عام 982هـ/1574م.

شكلت دول العالم الإسلامي على الدوام حجر الزاوية في المطامع الأوروبية، ولم تكن دول المغرب العربي بمنأى عن ذلك الصراع وتلك الأطماع، التي لم تتوقف حتى بعد وفاة البابا "بيوس الخامس"<sup>(2)</sup> بل استمرت طوال عهد خليفته البابا "غريغوريوس الثالث عشر"<sup>(3)</sup> لذا قام بتشجيع أميرال البحر النمساوي العتيد "دون جوان"<sup>(4)</sup> على شن العدوان ضد تونس، ووعده بعروشها إذا استطاع احتلالها واستعادتها من أيدي العثمانيين، وقد حرك ذلك الوعد أطماع هذا الأميرال فحرك أسطوله في الذكرى الثانية لمعركة "ليبانتو" 978هـ/1571م، واصطحب معه السلطان "مولاي أبو العباس الحفصي" الذي كان قد لجأ إلى

(1) - أولت الدولة العثمانية اهتماماً بالغاً في ضم تونس إلى سيادتها، لأهميتها الإستراتيجية، وتوسطها بين الجزائر وليبيا، وقربها من إيطاليا وجزيرة مالطا مقر فرسان القديس يوحنا حلفاء إمبراطور أسبانيا، فضلاً عن الإمكانيات الهائلة التي توفرها موانئها في التحكم بالمواصلات البحرية في البحر المتوسط، رابحة محمد خضير عيسى الجبوري، "القائد العثماني سنان باشا وجهوده في استعادة اليمن وتونس 1568-1574م"، العراق، مجلة جامعة تكريت للعلوم، مج 18، ع(1)، كانون الثاني (2011م)، 366.

(2) - سبق تعريف تلك الشخصية في هامش (77) من تلك الدراسة.

(3) - غريغوريوس الثالث عشر: ولد في مدينة بولونيا عام 911هـ/1502م، وتوفي عام 992هـ/1585م وله من العمر (83) عاماً، ودفن في كاتدرائية القديس بطرس بروما، درس القانون وتخرج عام 937هـ/1530م، ثم تدرج في المناصب حتى وصل إلى منصب البابوية عام 979هـ/1572م.

(4) - دون جوان: (954-986هـ/1547-1578م)، ولد في مدينة رانسبون، هو الإبن غير الشرعي للملك "شارل الخامس"، وعمه "فليب الثاني" ملك أسبانيا والذي كلفه عام 977هـ/1570م بإذلال المسلمين في الأندلس بإقليم غرناطة تحديداً، فذاقوا منه الأمرين حتى لم يترك أمامهم سوى أحد خيارين الموت أو الهجرة، وقد أذاق العثمانيون هزيمة موجعة في معركة ليبانتو البحرية عام 978هـ/1571م، وفي عام 983هـ/1576م قاد المعارك ضد الفلمنك وقهرم فيها؛ محمود السيد الدغيم، "أضواء على تاريخ البحرية الإسلامية العثمانية حتى نهاية عهد سليم الثاني"، من كتاب الحضارة الإسلامية وعالم البحار- بحوث ودراسات، ندوة اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، (1993م)، 430، هامش (126).

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامة سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

حامية الملك "فيليب الثاني"<sup>(1)</sup> في قلعة "حلق الوادي" وشجعه على غزو تونس ومساعدته في إستعادة عرشه<sup>(2)</sup>، وأقلعت السفن يوم 10 جماد الثاني 981هـ/ 7 أكتوبر 1573م، وكان مجموعها (138) سفينة حربية إضافة إلى عدد كبير من الفرقاطات<sup>(3)</sup> والزوارق التي تقل على متنها (27500) مقاتل باتجاه شواطئ تونس، منهم (13000) جندياً إيطالياً، و(9000) جندياً إسبانياً، و(5500) جندياً ألمانياً، وقُبيل مساء اليوم التالي ظهرت السفن الإسبانية ترفع شارة الصليب على أشرعتها قرب أرصفة قلعة "حلق الوادي" التي كانت خاضعة بالفعل للإحتلال الإسباني<sup>(4)</sup>، وفي اليوم التالي أنزل الأميرال جنوده وقواته إلى الشاطئ، وهناك تفاوضوا مع السلطان الحفصي "أبو العباس" حول مقاسمته

(1) - الملك فيليب الثاني: (934-1006هـ/1527-1598م). هو ابن الملك "شارل الخامس"، عمل على تعزيز مكانة إسبانيا السياسية والعسكرية، وكان من أهم الشخصيات البارزة في عصره لذا تولى عرش نابولي وصقلية وإسبانيا وإنجلترا والبرتغال وتشيلي، فحصل على مختلف ألقاب تلك الأراضي مثل: الدوق والكونت، وأدت سياساته المتطرفة إلى تورط إسبانيا في الحرب ضد العثمانيين (979-986هـ/1571-1578م)، وبلغت محاكم التفتيش في عهده ذروتها؛ محمد عبده حتامه، التهجير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملك فيليب الثاني (1527-1598م)، عمان: الجامعة الأردنية، ط1، (1982م)، 11-24.

(2) - أحمد بن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تونس، (1963م)، 19.

(3) - الفرقاطات: مفردتها فرقاطة "Frikate"، وهي من السفن الخفيفة؛ يبلغ عدد مقاعدها ما بين (10) إلى (17) مقعداً، ويحرك مجدافها شخصان أو ثلاثة، وهي من السفن التي تجري في الأنهار أيضاً، تستوعب السفن الصغيرة منها في وقت الحروب ثمانين مقاتلاً؛ نبيل عبد العي رضوان، "تطور الأسطول العثماني في ظل الحضارات البحرية للبحر المتوسط"، مجلة المؤرخ المصري -بحوث ودراسات، جامعة القاهرة: كلية الأداب، ع(20)، يوليو (1998م)، 239.

(4) - تعرضت قلعة "حلق الوادي" إلى غزو من إمبراطور أسبانيا "شارل الخامس" (922-964هـ/1516-1556م) وذلك عام 932هـ/1535م، وبعد معركة قوية وقصيرة تمكنت القوات الأسبانية وبمساعدة السلطان المخلوع "الحسن بن محمد الحفصي" من إحتلال ميناء "حلق الوادي" والبلاد التونسية لاسيما وأنه لم تكن هناك حامية عثمانية تحصن هذا الميناء وقاموا بتعين "الحسن الحفصي" سلطاناً على تونس تحت حماية إمبراطور أسبانيا شرط أن يتنازل عن ميناء حلق الوادي لغرض إقامة حامية أسبانية فيه؛ يحيى بو عزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج1، الجزائر، ط1، (1965م)، 138.

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

ملكه مقابل إعادته على عرشه، إلا أنه رفض وأثر الإنسحاب والتنازل عن حكمه لأخيه "مولاي محمد الحفصي"<sup>(1)</sup> الذي وافق على شروط الأسبان، ثم تحرك الأسبان مباشرة بخطى سريعة نحو مدينة "تونس" فوصلوها يوم 14 جماد الثاني 981هـ / 11 أكتوبر 1573م بعد أن هجرها سكانها وغادرتها حاميتها العثمانية المتواضعة ودخلها الغزاة الإسبان، وانطلق الجنود يطوفون شوارع المدينة لأيام عديدة ينهبون منازلها<sup>(2)</sup>.

وفيما بعد قرر الأميرال ترك حامية أوروبية قوية في تونس، وعاد هو إلى نابولي في يوم 27 جماد الثاني 981هـ / 24 أكتوبر 1573م، ولدى وصوله إليها أُستقبل استقبال الأبطال، على أن الملك "فيليب الثاني" لم يعينه على تونس بل جعله نائباً عنه في ميلانو، وبدلاً منه عين الجنرال الميلاني "سير بيلوني" حاكماً على تونس وأصبح قائداً رسمياً للقوات الإسبانية وبقي تحت إمرته (8000) جندياً، نصفهم من الجنود الإسبان والنصف الآخر من الجنود الإيطاليين، واحتفظت قلعة "حلق الوادي" بوضع الإدارة الذاتية برئاسة

(1) - مولاي محمد الحفصي: هو أبو عبدالله محمد بن الحسن، السلطان الرابع والعشرون للحفصيين وآخر سلاطينهم، لقب بـ"الأمير المدلل"، رضخ لشروط الإسبان في اقتسام عرش تونس، وعقد حلفاً معهم فأقاموا بالبلاد، تولى العرش عام 981هـ / 1573م بعد أن رفض أخوه "مولاي أحمد" الشروط التي وضعوها لمساعدته على استرجاع ملكه من العثمانيين، وفيما بعد نجح العثمانيون بمساعدة التوانسة في مهاجمة القوات الإسبانية المتمركزة في حصن "حلق الوادي" وكذا في العاصمة التونسية، فكان النصر حليفاً لهم وتشتت شمل الإسبان، وسبق الفتى المدلل أسيراً إلى تركيا عام 982هـ / 1584م؛ ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق محمود شمام، تونس: المكتبة العتيقة، (1967م)، 175-176.

(2) - أحمد توفيق المدني، حرب الثلاث مئة سنة بين الجزائر وأسبانيا (1492-1792م)، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (1968م)، 391؛ تركي عباس، "إضاءات حول شخصية بيلرباي الجزائر قليج علي (976-995هـ/ 1568-1587م)"، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، مج 8، ع 4، الجزائر، (2020م)، 114-115.

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

قائدها "كاربرا"، ومن الناحية العسكرية كانت القلعة مرتبطة بنظام دفاع مدينة تونس<sup>(1)</sup>.

وبناء على ما سبق فقد وصل وفد من تونس إلى استانبول لنقل أخبار جرائم وانتهاكات الإسبان والحفصي تجاه الشعب التونسي، وهنا أصدر السلطان سليم الثاني أوامره لوزيره "قوجا سنان باشا"<sup>(2)</sup> والقائد البحري "قليج علي باشا"<sup>(3)</sup> بالتوجه إلى تونس لاستعادتها وفتحها نهائياً<sup>(4)</sup>، كما أصدر

(1) - الدغيم، "أضواء"، 413-414.

(2) - قوجه سنان باشا: أحد أهم الشخصيات البارزة في تاريخ الدولة العثمانية طوال صراعاتها المحتدمة من أجل إرساء دعائمها ومد سلطانها شرقاً وغرباً، وهو من أصل ألباني، كان والده يعمل فلاحاً، وهناك عدة مصادر تشير إلى أنه كان إيطالياً مسيحياً اسمه (سيبون سيكال)، وقع في أسر الأتراك فأسلم وحسن إسلامه، وكان سنان قد قدم إلى الدولة العثمانية مع مجموعة من الشباب المجندين تحت نظام الدوشرمة العثماني، فتدرج في سلك المناصب العثمانية وترقى في عدة وظائف ما بين مناصب سياسية وعسكرية، وشارك في عدد من الحملات العثمانية لغزو العراق واليمن وتونس وغيرها، وكان يتصف بالقسوة والغلظة ما جعله عرضة للوقوع في العديد من الأخطاء وسبب له الكثير من القلاقل التي أدت به في بعض الأحيان إلى النفي، ولم يطل منفاه حتى عاد بعد أسابيع قليلة لمواصلة أعماله واستئناف مجهوداته حتى أنه وصل لقمة الهرم الوظيفي في الدولة العثمانية حيث تولى منصب الصدر الأعظم خمس مرات، وكانت وفاته عام 1004هـ/1596م، ودفن باستانبول: الجبوري، "القائد العثماني"، 351-384.

(3) - قليج علي باشا: من بين الشخصيات العسكرية البارزة في تاريخ البحر الأبيض المتوسط خلال (10هـ/16م)، وهو يوازي في مكانته "خير الدين بابروسا"، حيث يعتبر من أهم ممثلي السلطة العثمانية في الجزائر، فهو أميرال الأسطول العثماني، ينحدر من منطقة كلابريا جنوب إيطاليا، ويقع تاريخ ميلاده في الفترة ما بين (908-916هـ/1500-1508م)، فيما كانت وفاته عام 995هـ/1587م، ودفن في منطقة البسفور، وله مسجد بإسمه في إستانبول والعديد من القلاع العسكرية في مختلف أرجاء الدولة العثمانية، كان مسيحي الديانة ثم أثناء أسره وعمله جندياً في الأسطول العثماني قرابة (14) سنة أعلن إسلامه، وإن كان البعض يرى أنه برغم اعتلائه لأقوى وأخطر المناصب العسكرية البحرية العثمانية فإن إسلامه كان ظاهرياً فقط، وأنه كان يمارس الديانة المسيحية سراً، ودلوا على ذلك بكونه كان يبالغ في المعاملة الحسنة للأسرى المسيحيين، وقد شهد أهم العزوات البحرية العثمانية بالمغرب وتونس والجزائر والأندلس خلال النصف الثاني من القرن (10هـ/16م): عباس، "إضاءات"، 107-125.

(4) - كانت هناك حملة سابقة لغزو تونس والاستيلاء عليها عام 977هـ/1569م في عهد السلطان "سليم الثاني" بقيادة "قليج علي باشا" والذي بدأ في تنظيم حملته العسكرية لتحرير تونس من الإحتلال الأسباني، حيث توجه

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

أوامره إلى بقية الأقاليم بتحضير الجنود والذخيرة والمؤن<sup>(1)</sup>، وقد أكد على المكلفين بالخدمة في الأناضول وروملي بالاشتراك في السفر بحراً، وأحضر المجدفين اللازمين للأسطول وأندر من لا يحضر من المجدفين بالفصل من مناصبهم على أن لا يسند إليهم أي عمل مستقبلاً، وفي 23 محرم 982هـ/ 15 مايو 1574م أقلع الأسطول العثماني من استانبول، وكان يتكون من (260) سفينة حربية، و(15) ماعوناً<sup>(2)</sup>، و(15) غليوناً قاصدة المياه التونسية، ومرت في طريقها بإيطاليا، فغزت عدداً كبيراً من القلاع والبلدان، منها جزيرة "صقلية"، نظراً لوقوفها حجر عثرة أمام الانتصارات العثمانية ومساندتها للقوى المعادية، وبذلك ذاعت أخبار قدوم القوات العثمانية في أنحاء أوروبا، وإستطاعوا إستعادة قلعة حلق الوادي وصارت تونس وقتذاك إيالة

---

على رأس جيش قوامه خمسة آلاف جندي مسلح بالبنادق، وستة آلاف جندي كان قد جمعهم من منطقة القبائل ورجال زواوة بالجزائر، وبعد وصوله إلى تونس وجد في مواجهته ثلاثين ألف رجل، لكنه علم أن معظم الجيش الحفصي من الموالين والطالبين لنجدته منذ شهر، ومع بداية المعركة انضمت إليه القوات التونسية، وفر من بقي منهم تجاه الحصون المسيحية، واستطاع بذلك تصفية النفوذ الإسباني مؤقتاً واخذ البيعة للسلطان العثماني؛ عباس، "إضاءات"، 110-109.

(1) - بدأت الإستعدادات الحثيثة من طرف الدولة العثمانية لإسترجاع تونس، حيث شرع "قليج علي" أثناء وجوده في إستانبول بشرح الأوضاع العامة لشمال أفريقيا وتونس خاصة، وهذا بالنظر لخبرته الكبيرة في حوض البحر المتوسط من جهة ومن جهة أخرى لتشديد الضغط على الحكم الإسباني الذي صار يُشكل خطراً على الوجود العثماني في المنطقة، وهو ما قوبل بالإيجاب، حيث صدرت الأوامر السلطانية بتجهيز أدوات الأسطول من جنود ومدافع وآلات الحرب والجهاد؛ عباس، "إضاءات"، 115.

(2) - الماعونا: والجمع مواعين وماعونات، وهو نوع من السفن المسطحة التي كانت تستخدم لنقل الفحم، كما كانت تستخدم أيضاً في إفراغ حمولات السفن الكبيرة التي لا ترسو عند أرصفة الموانئ، واليوم يطلق هذا اللفظ على السفن الصغيرة التي تقوم بالرحلات البحرية قرب سواحل إسبانيا والسواحل القريبة منها في شمالي إفريقيا، وقد استخدم العثمانيون والأوروبيون هذا النوع من السفن كمراكب حربية منذ تاريخ مبكر، حيث أشار "ياقوت الحموي" إليها وقال أنها كانت معروفة لدى العثمانيين عن طريق البنادقة، وكانت تتسم بأن لها سارتان أو ثلاث سوار، يبلغ طولها (195) قدماً، وعرضها (33) قدماً، وكانوا يجهبونها بعدد (24) مدفعاً، وحمولتها (600) جندي؛ النخيلي، السفن، 136-137.

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

عثمانية، ودخلت في عداد الوجاقات كالجزائر وطرابلس الغرب، بعدها عاد هو والقائد "قيليج علي باشا" بالأسطول إلى إستانبول، ومعهم ما غنموه من الغنائم والأموال<sup>(1)</sup>.

أ. معركة قلعة حلق الوادي عام 982هـ/1574م.

هي المعركة البحرية التي وقعت عام 982هـ/1574م فيما بين العثمانيين والإسبان، وقام خلالها العثمانيون بإعادة فرض سيطرتهم على تونس والاستيلاء عليها بعدما احتلها الإسبان، وعرفت هذه المعركة بهذا الإسم نسبة إلى تلك القلعة التي كانت تقع أمام مدينة تونس، وكان حولها خندقاً متصلًا بالبحر، عرضه (30 ذراعاً)، وعمقه (10 أذرع)، كما كانت صغيرة الحجم محكمة من الداخل، وقد عملت إسبانيا طيلة (43) عاماً على تقويتها وزيادة منعتها، وأذاعوا أنه يمكن الاستيلاء على كافة الشواطئ العربية وفرض سطوتهم عليها عن طريق هذه القلعة التي لم يكن لها مثيل في قوتها وصغرها<sup>(2)</sup>.

وقد وصل الأسطول العثماني بقيادة "سنان باشا" و"قيليج علي باشا" إلى حلق الوادي يوم 28 محرم 982هـ/ 20 مايو 1574م، وأخرج عساكره إلى البر دون أي مقاومة تُذكر، وفي الوقت نفسه وصل الوالي العثماني لتونس "حيدر باشا" من القيروان، كما وصلت قوة من الجزائريين بقيادة "رمضان باشا"، وقوة من طرابلس الغرب بقيادة "مصطفى باشا"، بخلاف متطوعين من مصر، ليبدأ القتال في ربيع الأول 982هـ/ يوليو 1574م، فنصبوا خيامهم وأقاموا استحكاماتهم الحربية ووجهوا المدافع نحو القلعة، وكلف "حيدر باشا" و"مصطفى باشا" الجنود الإنكشارية ومتطوعي مصر بمحاصرتها حصاراً

(1) - الدغيم، "أضواء"، 415: الجبوري، "القائد العثماني"، 370.

(2) - خليفة، تحفة الكبار، 167-168.

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

محكماً من جهة البحر، ونجح العثمانيون في الهجوم والإستيلاء عليها وأخذها بقوة السيف بعد ثلاثة وأربعين يوماً من القتال المتواصل ليل نهار والعراك المستمر وذلك في 6 جمادى الأولى 982هـ / 24 أغسطس 1574م<sup>(1)</sup>.

وقام القادة العثمانيون بقتل (6000) جندي من حاميتها، وأسر نحو (2000) منهم، وغنم منها الكثير من آلات الحرب وذخائرها وحوالي (5000) مدفعاً جيداً لا مثيل لها، قد جلب كل واحدٍ منها من قلعة مختلفة، وتم نقلها كلها إلى سفن الأسطول العثماني، ولما كان إزالة تلك القلعة أصوب من بقائها في نظريهم، أمروا بوضع أربعين لغماً من البارود في خنادق متفرقة حُفرت أسفلها، ودمروها تدميراً، وبعد استيلائهم على باقي الاستحكامات العسكرية دخلوا تونس في رمضان من تلك السنة، وأقيمت الخطبة بإسم السلطان العثماني وضُربت السكة بإسمه، وعُين أحد القواد محافظاً عليها وأبقى معه قوة كافية لحفظ الأمن والأمان بها، بعد أن تم ترتيب الحكومة بها وجعلوا لها ما يناسبها من القوانين<sup>(2)</sup>.

ويحتوي مخطوط "شهنامه سليم خان" على لوحة تمثل حصار قلعة "حلق الوادي"، عمل الفنان "لقمان"، منفذة على صفحتين متقابلتين برقي (147b-148a)<sup>(3)</sup>، ومن إنتاج فنان مجهول الإسم، وقد ظهرت في هاتين الصفحتين مياه البحر المتوسط، بداخلها مجموعة من غلايين الأسطول العثماني، وتظهر على اليابسة القوات العثمانية وخيامها وعتادها، "لوحة 9 [أ، ب]".

(1) - خليفة، تحفة الكبار، 166-167؛ الجبوري، "القائد العثماني"، 370.

(2) - خليفة، تحفة الكبار، 166-167؛ الجبوري، "القائد العثماني"، 370.

(3) - Fetvacı; "The Production", 308, Fig (37).

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

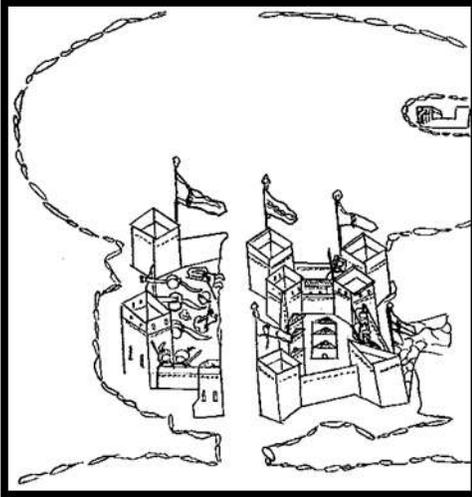
والصفحة اليمنى منها برقم (147B)، وأبعادها (19,5×26,7سم)، يتضح فيها أن القلعة كانت تتكون من كتلتين معماريتين يفصل فيما بينهما ممر مائي رأسي الهيئة مستطيل الشكل، يمثل جزءاً من المحيط المائي -البحر المتوسط-الذي يحيط بقسميها الحصن، وربما كانت جغرافية المكان هي من فرضت عليها تلك التسمية "حلق الوادي"، كونها تتألف من كتلتين من اليابسة يخترقهما ممر مائي، وقد أقيمت القلعة بقسميها على تلك اليابسة، وهي متوسط الإرتفاع، رُسمت أبراجها وأسوارها باللون العاجي الغامق الزاهي، بينما لونت أرضيتها باللون الأخضر الفاتح، وهو اللون الذي استخدم في التعبير عن اليابسة المحيطة بها في تجسيد واضح لطبيعة الأراضي التونسية التي يغلب عليها الخضرة، مع استخدام اللون الوردي الفاتح في زخرف وتلوين أحد الأضلاع الأربعة من الداخل في كل برج من الأبراج، ربما ذلك إشارة إلى أن ذلك الضلع يمثل الواجهة الرئيسية بكل برج بما يتضمنه من المدخل، كما نلاحظ أيضاً أن القسم الأيمن من القلعة ملاصق لليابسة من جانبه الأيمن، حيث تصطف فرق ومجموعات الجنود والانكشافية العثمانيين لحصار ذلك الجانب من القلعة تمهيداً لاقتحامها والاستيلاء عليها، بينما يُطل من جهاته الثلاث الأخرى على البحر المتوسط، أما القسم الأيسر من القلعة فتحيط به المياه من جميع جوانبه، كما لو كان جزيرة وسط المياه، "لوحة 9 [أ]", "شكل 11".

القسم الأيمن: يأخذ تخطيطاً مستطيل الشكل رأسي الهيئة، وبأركانها الأربعة أربعة أبراج مستطيلة المسقط، كما يتقدم برجي الخلفية برجان آخران، وبهذا بلغت أعداد الأبراج به ستة، وجميعها متشابهة الهيئة والأبعاد، مكعبة الشكل من أعلى، فيما عدا البرج الأيمن الأمامي الذي يتخذ هيئة مثلثة المسقط، والأسوار الواقعة بين الأبراج مستطيلة الشكل، يصل

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

ارتفاعها إلى ارتفاع ثلثي الأبراج، وهي بسيطة مصممة خالية من فتحات المزاغل وغيرها، وفي منتصف أرضيته ثلاث أستراحات متتالية مستطيلة الشكل عاجية اللون، كل منها ذي سقف جملوني طوبي اللون، "لوحة 9 [أ]"، "شكل 11".

القسم الأيسر: يحتوي على برجين فقط بالجانب الأيسر منه، وهما يشبهان في الارتفاع والهيئة والأبعاد مثيلاتها بالقسم الأيمن، وفي يسار الأرضية به نجد اثنان من جث العدو مقطوعي الرأس، فيما نجد ثلاثة من جنود العثمانيين يقفون خلف السور الأمامي لهذا القسم، وكل منهم مدجج بالسلاح، كما نجد ثلاثة مدافع كانت تتجه نحو اليابسة بالقسم الأيسر من الصفحة، حيث نجد مخيم العثمانيين بتلك الجهة، فيما نجد مدفعين بتلك اليابسة يتجهان صوب القلعة، "لوحة 9 [أ]"، "شكل 11".



شكل (11)

ويعلو ممشى القلعة بقسميها خمسة أعلام متقاربة في الأحجام، منها أربعة بالقسم الأيمن وواحد بالقسم الأيسر، كما وأنها متشابهة الهيئة، بعضها من لون واحد وهو البرتقالي الزاهي، أما بقية الأعلام فقد تنوعت ألوانها ما بين البرتقالي والأخضر والأصفر مشوبة باللون الزيتي والنبيتي والأحمر بدرجات داكنة، وهي معلقة في نهاية سواري معدنية مذهبة متوسطة الطول،

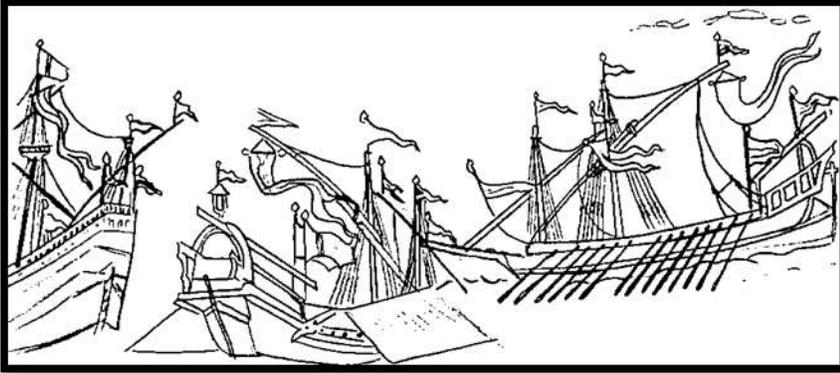
تنتهي من أعلاها بما يشبه رأس السهم المنطلق، "لوحة 9 [أ]"، "شكل 11".

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

وفيما يتعلق بالسفن العثمانية الحربية التي ظهرت بمقدمة تلك الصفحة فقد ظهر في البحر ثلاث سفن مختلفة الأحجام، إثنان منها كاملين، والآخر لا يظهر منه سوى جزء من مقدمته، وقد غلب عليها اللون الأحمر والموف والرمادي بدرجات زاهية، كما ازدانت بالعديد من الأعلام والرايات المرفوعة على سوارى بسيطة تنتهي غالبيتها بكتلة دائرية الشكل ذهبية اللون، وتم رفع عشرة أعلام على الماعون بالمقدمة، موزعة في مواضع مختلفة، ولهذا الماعون عدد (14) مجدافاً، كما أن له صاريان بنهايته، الصاري الرئيسي يعلوه علم قماشى صغير الحجم مثلث الشكل يميل لونه إلى البني، ويظهر مربوطاً في هذا الصاري عارضة شراعة كبيرة الحجم، يرتفع قرب نهايتها اليمنى علم مثبت فيها، مثلث الشكل أحمر اللون، وبأسفل هذا العلم يظهر علم كبير، يتدلى من العارضة عن طريق حبلين متصلين بعارضة خشبية على يمينها ويسارها كتلتان دائريتان ذهبيتا اللون، وتتصل بهذه العارضة قصاصة من القماش ذات لون عنبري زاهي، وهي كبيرة الحجم ينتهي طرفها بهيئة لسانين أو شعبتين، أما الصاري الآخر فيعلوه علم قماشى صغير الحجم مثلث الشكل بني اللون، كما يظهر مربوطاً في هذا الصاري عارضة شراعه صغيرة، يتدلى علم من طرفها الأيسر، بواسطة حبلين، ينتهيان بعارضة صغيرة مثبت فيها قماشة العلم، وهي على نحو قماشة العلم المتدلي من عارضة الشراع الرئيسي السابق وصفه - من حيث الشكل، وإن كانت القماشة هنا أصغر حجماً وذات لون بني، كما يظهر قرب نهاية مقدمة السفينة، علم قماشى صغير الحجم، مستطيل الشكل بني اللون، وأخيراً يظهر حاجزان مرتفعان عند

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

مؤخرة هذه الماعون، ويرتفع علم قماشي متوسط الحجم أحمر اللون أعلى يمين بداية الحاجز الأيمن<sup>(1)</sup>، "لوحة 9[أ]", "شكل 12".



شكل (12)

ويظهر متقدماً الماعون السابق غليون كبير الحجم، رُفِع عليه ثمانية أعلام، تتميز أيضاً في توزيعها وأشكالها، بالتنوع نفسه الذي شاهدناه في الأعلام السابقة، مع ملاحظة ظهور علمين أعلى جانبي بداية الحاجزين المؤديين لموضع جلوس الريان، والعلم الذي يعلو بداية الحاجز الأيسر ظهر بكامله، أحمر اللون يتخلله شريط رأسي ضيق ذهبي اللون، أما العلم الذي في الناحية المقابلة اليمنى فظهر جزء منه، وهو أسود اللون، أما الغليون الثاني في هذه الصفحة، فيظهر جزء منه خلف الغليون السابق، يعلوه ستة أعلام، أربعة منها مثلثة الشكل صغيرة الحجم، منها ثلاثة حمراء اللون، وواحد أسود اللون، أما العلم الخامس فمخروطي الشكل، أسود اللون، فيما يتدلى العلم السادس البنفسجي اللون عن طريق حبلين من عارضة شرع

(1) - ياسين، الأعلام 78-79.

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

أحد الصواري، وقماشته كالعادة كبيرة الحجم وذات لسانين أو شعبتين،  
"لوحة 9[أ]", "شكل 12".

والصفحة اليسرى رقم (148A)، وأبعادها (27×19,5سم)، ويتضح فيها  
اليابسة وقد تناثرت عليها بعض خيام القوات العثمانية، وقد تسلحت هذه  
القوات بأنواع مختلفة من العتاد والأسلحة مع إستعمال المدافع ذات اللون  
البي الغامق، وفيما يتعلق بالسفن العثمانية الحربية التي ظهرت بمقدمة  
تلك الصفحة فقد ظهر في البحر خمس سفن مختلفة الأحجام، ثلاث منها  
كاملة منها اثنان من سفن الغليون والثالث من سفن الماعون، أما الآخرين  
فيظهر جزء من كل منهما وهما من نوعية سفينة الماعون، وقد غلب عليها  
اللون الأحمر بدرجات زاهية، كما ازدانت بالعديد من الأعلام والرايات  
المرفوعة على سواري بسيطة تنتهي غالبيتها بكتلة دائرية الشكل ذهبية  
اللون، حيث نشاهد جزء من ماعون صغير، رفع على أربعة من صواريه  
أعلام قماشية صغيرة الحجم، مثلثة الشكل، حمراء اللون باهت، كما يوجد  
بنهاية طرف مقدمة الماعون علم صغير يشبه الأعلام السابقة، ويظهر من  
خلف الماعون السابق ماعون آخر أكبر حجماً، رفعت عليه تسعة أعلام  
موزعة في مواضع مختلفة، وله صاريان، الصاري الرئيسي بالمنتصف ويعلوه  
علم قماش صغير الحجم مثلث الشكل بني اللون، ويظهر مربوطاً في هذا  
الصاري عارضة شراعة كبيرة الحجم، يرتفع قرب نهايتها اليمنى علم قماشي  
مثلث الشكل أخضر اللون، وبأسفل هذا العلم يظهر علم كبير، يتدلى من  
العارضة عن طريق حبلين متصلين بعارضة خشبية على يمينها ويسارها  
كتلتان دائريتان ذهبيتا اللون، ويتصل بهذه العارضة علم قماشي كبير  
الحجم بني اللون، طرفيه بهيئة لسانين أو شعبتين، أما الصاري الآخر، فهو  
بالقرب من مقدمة الماعون، يعلوه علم قماشي صغير الحجم مثلث الشكل  
بني اللون، كما يظهر مربوطاً في هذا الصاري عارضة شراعه صغيرة، يتدلى

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

من طرفها الأيسر علم قماشى بني اللون بواسطة حبلين ينتهيان بعارضة صغيرة، وطرفيه بهيئة لسانين، كما يظهر قرب نهاية مقدمة الماعون، علم قماشى صغير الحجم، مستطيل الشكل حدوده الخارجية حمراء اللون، أما من الداخل فهو ذهبية اللون، وأخيراً يظهر حاجزان مرتفعان عند مؤخرة هذ الماعون، يُمثلان حاجزي سلم يؤدي إلى موضع جلوس الريان؛ ويرتفع أعلى يمين بداية الحاجز الأيمن علم قماش متوسط الحجم، ذا شكل مخروطي متعدد الألوان، تبدأ عند قاعدة العلم بلون مخضر، يليه شريط رأسي ذهبي اللون، ثم مساحة كبيرة سوداء اللون، كما أن هناك علمان آخران أحدهما يعلو نهاية الطرف الخلفي من الحاجز الأيمن، أما الآخر فهو يعلو فانوس زجاجي يتوج أعلى موضع جلوس الريان، وهما متماثلان في الشكل والحجم، فلكل منهما قماشة صغيرة الحجم، مثلثة الشكل، وأحدهما أحمر اللون، والآخر فأسود اللون<sup>(1)</sup>، "لوحة 9[ب]"، "شكل 13".



شكل (13)

(1) - ياسين، الأعلام 74-75.

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

ويظهر مع الماعونين السابقين غليونان كبيران، يبدو بينهما إلى الخلف جزء من ماعون آخر صغير، وهناك علمان يرتفعان عليه، أحدهما عند مقدمته، وهو مثبت في سارية قصيرة، وله قماشة صغيرة مثلثة الشكل حمراء اللون، ويتوج ساريتة الكتلة الدائرية الذهبية اللون، أما العلم الآخر، فهو يتدلى من الطرف الأيسر لعارضة شراع صاري بالقرب من مقدمة الماعون، وهو على نفس شاكلة الأعلام السابقة التي تتدلى من الصواري عن طريق الحبال، وقماشته كبيرة الحجم، حمراء اللون زاهية، تنتهي بلسانين أو شعبتين، ويلاحظ وجود كتلتين دائريتين ذهبيتين على جانبي العارضة هذا العلم، "لوحة 9[ب]"، "شكل 13".

أما الغليونان الكبيران، فأحدهما يتصدر المنظر، وهو أصغر حجماً من الغليون الآخر، وقد رفع عليه ستة أعلام، فيظهر مربوطاً في الصاري الرئيسي عارضة شراعه يعلو طرفها الأيمن، علم قماشية ذهبي اللون صغير الحجم، مثلث الشكل، ذو إطار خارجي أحمر اللون، ويظهر من أسفل هذا العلم، علم آخر يتدلى عن طريق حبلين من العارضة نفسها، ينتهيان بعارضة العلم، وهي تنتهي عن اليمين واليسار بكتلتين دائريتين مذهبتين، ومثبتت في هذه العارضة، قماشة كبيرة الحجم خضراء اللون، لها نهاية من شعبتين، ويبدو قرب نهايتها من أعلى شريط من بدوائر مذهبة صغيرة الحجم، كما أن هناك صارياً ثانوياً عند مقدمة الغليون، يعلوه علم قماشية صغير الحجم، مثلث الشكل، أحمر اللون باهت، ومثبت في هذا الصاري عارضة شراع يتدلى منها علم بواسطة حبلين، ولهذا العلم قماشة كبيرة حمراء اللون تنتهي بلسانين<sup>(1)</sup>، "لوحة 9[ب]"، "شكل 13".

(1) - ياسين، الأعلام 76-77.

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

ويظهر في مؤخرة هذا الغليون حاجزان ينتهيان بموضع جلوس الربان، ويوجد أعلى بداية الحاجز الأيمن علم قماشي متوسط الحجم، مخروطي الشكل، أخضر اللون يتوسطه شريط رأسي ذهبي اللون، أما العلم القماشي الأخير في هذه المجموعة، فهو يعلو الفانوس الزجاجي الذي يرتفع فوق موضع جلوس الربان، وهو صغير الحجم ذهبي اللون له إطار أحمر اللون، ويختر الغليون الآخر كذلك بنفس هذا التنوع من الأعلام، وقد رفع عليه سبعة أعلام، فيعلو صاربه الرئيسي علم قماشي مثلث الشكل، أحمر اللون، ومربوط في هذا الصاري عارضة شراع صغيرة الحجم، يظهر أعلى طرفها الأيمن، علم قماشي صغير الحجم، مثلث الشكل، ذهبي اللون له إطار خارجي أحمر اللون، كما يظهر أسفل هذا العلم، علم آخر يتدلى من هذه العارضة، عن طريق حبلين، وهو كعادة هذه النوعية من الأعلام، يتميز بقماشته كبيرة حمراء اللون ذات شعبتين أو لسانين، أما الصاري الثاني، فهو صاري ثانوي، يظهر عند مقدمة الغليون، ويعلوه علم قماشي صغير الحجم، مثلث الشكل، أحمر اللون، كما يتدلى علم من عارضة شراع هذا الصاري، وهو مماثل للعلم المتدلي من عارضة شراع الصاري الرئيس، وإن كانت قماشته أصغر حجماً، خضراء اللون، والعلمان الأخيران على هذا الغليون، أحدهما يظهر أعلى بداية الحاجز الأيمن، الذي ينتهي إلى موضع جلوس الربان، وهو على شاكلة العلمين الآخرين اللذين ظهرا في هذا الموضع بالسفن السابقة، أما العلم الآخر فهو يعلو الفانوس الزجاجي الذي يرتفع موضع جلوس الربان<sup>(1)</sup>، "لوحة 9[ب]"، "شكل 13".

(1) - ياسين، الأعلام 77-78.

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

ب. حصار حصن البستيون عام 982هـ/1574م.

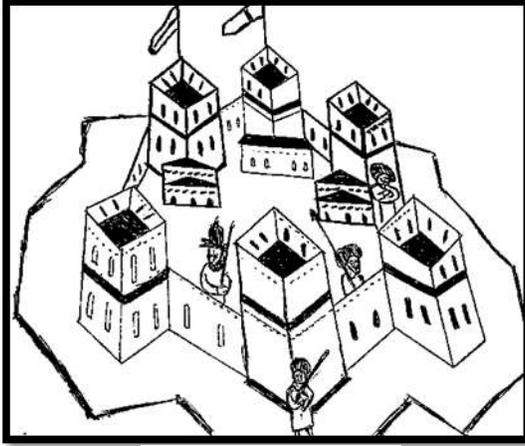
في الوقت الذي كان فيه الجيش العثماني محاصراً لحصن حلق الواداي قامت فرقة منه بمحاصرة مدينة "تونس"، وهنا فر الأسبان الموجودين بها ومعهم السلطان الحفصي "محمد بن الحسن" إلى حصن "البستيون"، الذي بالغ الأسبان في تحصينه وجعله من أمنع الحصون في الشمال الإفريقي، فتوجه العثمانيون بعد تجمع قواتهم إلى حصار ذلك الحصن، وضيقوا الخناق على أهله من كل جهة، وشدد القائد "سنان باشا" في حصاره عليه حتى استطاع إقتحامه<sup>(1)</sup>.

وقد عبرت إحدى لوحات مخطوط شهنامه سليم خان عن محاصرة هذا الحصن عام 982هـ/1574م، منقذة على صفحة واحدة برقم (150A)<sup>(2)</sup>، وأبعادها (28,5×19,5سم)، ومن إنتاج فنان مجهول الاسم، ومما يُلاحظ على هذه اللوحة فصل الفنان الواضح بين قسميها الأمامي والخلفي بواسطة خط وهي يمثله نهاية التلال الممتدة بهيئة أفقية، كما وأن الفنان قد تعمد خلوها من رسوم السفن الحربية، لأنه أراد التعبير عن فكرة نجاح العثمانيين بالفعل في اقتحام الحصن واستيلائهم عليه بشكل تام، فضلاً عن ضيق المسطح المائي المرسوم باللوحة أمام الحصن مما لم يُتج معه رسم أي سفينة به، وكذا رغبة الفنان في التركيز على تخطيط الحصن وتفصيله المعمارية، وتوزيع بعض من أفراد التشكيلات العسكرية العثمانية المحاصرين له والتي

(1) - خليفة، تحفة الكبار، 166-167.

(2) - Fetvacı; "The Production", 309, Fig (38).

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"



شكل (14)

إصطفت حوله وبداخله  
ومعهم مجموعة من الأسرى  
الأسبان المميزين بأزيائهم  
وقبعاتهم الأوروبية،  
"لوحة 10"، "شكل 14".

والقسم السفلي من اللوحة  
والذي يمثل مقدمتها عبارة  
عن يابسة بنفسجية اللون  
باهته من مجموعة من التلال

المتوسطة الإرتفاع، يتوسطها حصن البستيون، ومثل المسطح المائي حوله  
كقناة عريضة متكسرة تحيط به متبعة تخطيطه السداسي من الخارج،  
فكان أشبه بجزيرة تحيط بها المياه من جميع الجهات، ورسمت المياه  
الساكنة به بلون رمادي غامق، "لوحة 10"، "شكل 14".

أما عن تخطيط الحصن ذاته فقد رُسم على شكل هندسي سداسي  
الأضلاع، يشتمل على ستة أبراج متساوية الإرتفاعات والأبعاد ومتشابهة في  
التخطيط العام يقع كل منها بزاوية من زوايا الحصن الست، وكل منها ذا  
مسقط مستطيل الشكل، يتكون من طابقين متتاليين يتوجهما سقف  
مكشوف مسور بسور عريض مرتفع يحيط به، إستعمل لأغراض الدفاع  
والمراقبة، وقد بدا الطابق السفلي أكثر إرتفاعاً من الطابق العلوي، يفصل  
فيما بينهما من الخارج رفرف حجري بسيط، وإذا كان الحصن بأبراجه قد  
رُسم باللون البصلي المشوب باللون العاجي فإن أرض السطح العلوي لكل

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

برج قد رُسمت باللون الطوبي القاتم المشوب باللون البني الغامق، ويربط فيما بين الأبراج وبعض أسوار الحصن التي امتدت بهيئة مستطيلة الشكل، والتي يصل ارتفاعها لنهاية إرتفاع الطابق الأول "السفلي"، ويلاحظ أن الأبراج والأسوار بها فتحات مزاعل طولية رأسية رفيعة تسعمل للتهوية والإضاءة، فيما خلت جميعها من الشرافات، أما أرضية الحصن من الداخل فقد رسمت بنفس لون اليايسة، ويوجد بها جهة الأبراج الخلفية أربع استراحات للجنود بهيئة مباني مستطيلة الشكل، أفقية الهيئة قليلة الإرتفاع من طابق واحد، مسقفة كل منها بسقف جملوني باللون الطوبي القاتم، وبمنتصف كل واجهة أمامية منها فتحة باب موزع على جانبها فتحات النوافذ، بخلاف وجود استراحة بالمنتصف أكبر حجماً كانت مخصصة لكبار القادة والضباط، وبداخل الحصن يوجد بعض من الجنود العثمانيين يقفون خلف الأسوار ومعهم الحراب الطويلة والبنادق والسيوف تأميناً له بعد نجاحهم في الاستيلاء عليه، ويعلو برجي الحصن الخلفي إثنان من السواري الرفيعة السوداء اللون تحمل في نهايتها علم عثماني تأكيداً على نجاح عملية الإقتحام والإستيلاء على الحصن، وهو من القماش، متوسط الحجم أحمر اللون مع تهشيرات أو خطوط أفقية بسيطة مذهبة بالمنتصف، وتنتهي السارية من أعلى بما يشبه نهاية السهم المدب، "لوحة 10"، "شكل 14".

أما عن النصف العلوي من اللوحة وهو المعبر عن المؤخرة فقد شهد حرص الفنان على إظهار طبوغرافية حصن البستيون، حيث رسمت اليايسة من تلال ومرتفعات بلون أخضر فاتح، فضلاً عن رسوم العمائر الدينية كالمساجد ذات القباب والمآذن، والمدنية التي عبر عنها من خلال رسوم المنشآت والمنازل، والحربية من خلال رسم سور الحصن الذي يتخلله الأبراج والبوابات، "لوحة 10".

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

### النتائج:

1. وفق فنانو المخطوط في تلك اللوحات من تسجيل الملامح الجغرافية والطبيعية لتلك البلاد من البحار والأنهار والتلال وبعض الأشجار المتنوعة، مع رسم تفصيلي للقلاع مما يعزز بوضوح أدق التفاصيل والتكتيكات العسكرية لإقتحام تلك القلاع والحصون.
2. كانت الحروب البحرية التي عبرت عنها اللوحات بمثابة توطيد وتثبيت دعائم الوجود العثماني حول البحر المتوسط والخليج العربي لأغراض تأمينية، وحماية للمصالح العثمانية لاسيما بأطراف سواحل شط العرب، بخلاف التوسع الإقليمي لتلك الدولة، وهنا يتضح مدى أهمية السفن والأسطول أثناء المواجهات الحربية البحرية المختلفة الأهداف.
3. أكدت اللوحات على أن مهمة الأسطول والسفن الحربية لا تقف عند المناورات والحروب فقط وإنما تشمل تأمين نقل الجند والخيول والمدافع والرسوبهم في المناطق الإستراتيجية من أرض العدو أو المعركة، كما برهنت على أن فن القتال البحري ما هو إلا إمتداد لفن القتال البري.
4. المعارك الحربية البحرية التي تعرضت لها الدراسة كانت تدور أحداثها باستخدام قطع حربية بحرية سواء أكانت صغيرة كالزورق أو كبيرة كالغلايين الفرقاطات والمواعين، يجمعها كافةً على أنها كانت تجري قرب الموانئ والشواطئ والقلاع البحرية أو الساحلية للسيطرة عليها وتسهيل دخول الجيوش البرية إلى الأراضي الداخلية للدولة، بل إنه يمكن القول بدون مبالغة أن فن القتال الحربي العثماني البحري لاسيما في القرن 10هـ/16م كان يعتمد على تضاريس ساحة القتال البرية.

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

5. كان للعمارة الحربية ظهور ملموس وواضح بتلك اللوحات، وتنوعت ما بين القلاع والأبراج، وكلاهما معاً، والذي راعى الفنان فيه البعد الثالث والمنظور، كما يلاحظ التأثير العثماني في الأسقف الجملونية لغالبيتها، وقد روعي في رسم تلك القلاع احاطتها بخندق مليء بالمياه، وتبدو الحصون ذات الأسوار مرسومة بالتفصيل مع الإهتمام باظهار فتحات المزاغل، وكانت اليابسة حول القلاع محاطة بالقادة العثمانيين، وكان اطلاق المدافع من الخنادق يشير إلى أن المعركة على وشك البدء، وغالباً ما نشاهد بمقدمة اللوحات أو منتصفها الخيمة السلطانية محاطة بالخيام الأخرى من كل ناحية.

6. هذه الدراسة لم تقتصر على الحملات والمعارك البحرية العثمانية التي دارت رحاها في البحار فقط بل شملت تلك التي تمت في الأنهار أيضاً ومنها اللوحات الخاصة بـ"المُدَيَّة" بإقليم البصرة، وقد فرضت طبيعتها الجغرافية لتلك ضرورة الإستعانة بالزوارق النهرية الصغيرة الحجم الخفيفة الحركة والتي هي أشبه ما تكون بالسفن التجارية لنقل البضائع أو تلك المخصصة للإحتفالات وليست سفن أسطول تُصنع خاصة لغزو العدو، ومن هنا كانت تلك السفن أقل من نظيرتها في دوكاجين وليماسول ونفارين وحلق الوادي وغيرها، "لوحة 1، 2، 4".

7. أكدت اللوحات الخاصة بتلك الحروب البحرية بمخطوط الدراسة على أن تلك الشعوب التي تم غزوها ومحاربتها وإحتلال أراضيها سواء العربية منها أو الأوروبية كانوا يمثلون حتماً تهديداً للمصالح العثمانية لذا كان يتم تصويرهم على أنهم أعداء ما يضيفي شرعية دينية على محاربتهم وغزوهم.

8. إتضح من المعالجة الفنية للوحات محل الدراسة والتي سجلت بعض من المعارك الحربية مدى نضج الأسلوب الفني لمدرسة التصوير العثماني سواء من حيث التكوينات الفنية أو الألوان المستعملة، كما عكست مدى التوازن

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

الواضح والعلاقة المتناسقة بين رسوم الأشخاص وبين التوزيع العام لعناصر الموضوع حيث منح الأفراد حيزاً محدوداً ولكنه كان واضحاً بما فيه الكفاية، هذا بخلاف الواقعية في رسم الأشخاص والتعبير عن ملامحهم ورسوم العمائر والسفن الحربية وعناصرهما والأزياء والخيام والألات الموسيقية وغيرها، وكل ما سبق يثبت مدى إهتمام وتمكن الفنان عثمان وفريقه الفني من التفاصيل الدقيقة لكل عنصر من عناصر اللوحة.

9. أظهرت تلك اللوحات إمكانيات الأسطول البحري العثماني في حالتي الحرب والحصار، من حيث تحطيم أسطول العدو، أو إجباره على البقاء في موانئه دون أن تتاح له فرصة التحرك.

10. ساهمت تلك اللوحات في إعطاء صورة مقربة لبعض أنواع السفن الحربية خلال القرن 10هـ/16م سواء فيما يخص القطع البحرية العثمانية أو مثيلاتها الأوروبية.

11. عبرت اللوحات عن حرفية الفنان عثمان وفريقه الفني حيث كان باستطاعته احتواء كل الشخصيات والتفاصيل ووحدات الرسم في اللوحات وتوزيعها في المقدمة والمنتصف والخلفية، بخلاف التوازن الواضح بين الخطوط المائلة والافقية، كما نلاحظ التقارب بين الجنود والخيام والسفن والقلاع في هذا التصوير الفسيح باللوحات، وهو استعراض وتوضيح رائع للسياسة المتبعة في الحصار والهجوم.

12. أثبتت تلك اللوحات حقيقة أن السلطان "سليم الثاني" لم يقم بقيادة أي من المعارك سواء البحرية أو البرية بنفسه بل كانت تلك المهمة الخطيرة تؤول للصدر الأعظم وقبطان البحرية العثمانية وكبار قادتها.

13. تعكس رسوم هذه السفن مهارة فنانيها حيث نجحوا إلى حد كبير في رسم هذه السفن التابعة للأساطيل العثمانية في تلك الفترة الزمنية، كما

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامة سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

وفقوا في تزويدها بظهر الحيوية والحركة من خلال الشرع التي انتفتحت بفعل الرياح والأعلام التي ترفرف على صواربها فبدت وكأنها تبحر بالفعل على صفحة الماء.

14. اهتم الفنان باظهار محتويات وعناصر القلاع والحصون المتنوعة في لوحاته، مع توضيح السور الحربي المحيط بها ذو الشرافات، والمدعوم بمجموعة من الأبراج الحربية ذات القمم المخروطية، وما بها من فتحات المزاغل المستطيلة والفتحات الدائرية التي يخرج منها فوهات المدافع، بخلاف سكنات الجنود التي يسقفها أسقف جملونية.

15. يلاحظ في غالبية تلك اللوحات أن البحر أو النهر غالباً ما كان يُرسم في مقدمة اللوحة ليكون اول ما تقع عليه العين.

16. ظهور العديد من الرسومات التي توضح تفصيلات للعديد من المنازل والبحار والأنهار والتلال والمرتفعات الجبلية والعمائر الأوروبية في المناطق التي غزاها العثمانيون.

17. اللوحات محل الدراسة أكدت على واقعية الفنان العثماني في صدق تمثيل البيئة التي تدور عليها أحداث المعارك إلا أنه بدراستها يمكن التأكيد لاسيما فيما يخص لوحات البصرة على أنه لا يُستبعد مطلقاً اشتراك فنانين من البلاد العربية (مصر - الشام - العراق) في تنفيذ تلك اللوحات<sup>(1)</sup>.

18. اللوحات التي ظهر فيها مناظر الإعدام والذبح يمكن من خلالها قراءة قصصها بوضوح، فهي تجسيدا لضراوة الفتح العثماني على تلك القلاع والحصون؛ حيث الجثث المتنوعة والرؤوس المقطوعة والمتناثرة على الأرض كمبرر لضرورة تنفيذ الغزو العثماني، ومما هو جدير بالملاحظة أنه على الرغم

(1) - عبد النور، المعارك الحربية، 272.

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

من الطبيعة الدرامية للحدث وكونه يجسد أحداث صراع واقتتال إلا أن حركة المياه لم تكن على نفس المستوى من التعبير عن ديناميكية الحدث أو مأساويته، فقد رسمت المياه بشكل هادئ خالي من الأمواج.

19. كانت الأعلام مناسبة لأحجام السفن بها، وتلاحظ أن غالبيتها جاءت بسيطة وخالية من أية نفوش أو نصوص كتابية، وإن الزخم الشديد في تمثيلها بغالبية تلك اللوحات تشهد على الاهتمام الشديد برسمها، وتُسجل لمنفذها نقطة في هذا الاتجاه، ويلاحظ أن اللون الأحمر كان هو السائد في ألوان الأعلام المرفوعة على السفن العثمانية، كما أنه كان لون العلمين المحمولين من القوات البرية كذلك، مما يُرجح أن الفنان قصد من ذلك الإشارة إلى علم الدولة العثمانية، أما بالنسبة للأعلام المرفوعة على بعض السفن الأوروبية، فقد غلب على لونها السواد، وقد شغل بعضها بالصلبان، كما عمد الفنان إلى رسم أعلام مرفوعة فوق الفوانيس الزجاجية للسفن، وإذا كان للألوان المنبعثة من هذه الفوانيس دور في الإشارات البحرية الليلية، وللأعلام دور في الإشارات البحرية النهارية، فانعكاس ضوء هذه الفوانيس ليلاً على هذه الأعلام، يساعد على ظهورها كذلك<sup>(1)</sup>.

(1) - ياسين، الأعلام، 84.

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

### المصادر والمراجع:

- 1- ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق محمود شمام، تونس: المكتبة العتيقة، (1967م)،
- 2- أبو الحمد محمود فرغلي، تصاوير المخطوطات في عصر الأيوبيين، مخطوط رسالة ماجستير، جامعة القاهرة: كلية الآثار، قسم الآثار الإسلامية، (1981م).
- 3- أحمد بن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تونس، (1963).
- 4- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاث مئة سنة بين الجزائر وأسبانيا (1492-1792م)، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (1968م).
- 5- أحمد عثمان، تاريخ قبرص، القاهرة، (1997م).
- 6- إدريس ناصر رائسي، العلاقات العثمانية الأوروبية في القرن السادس عشر، لبنان، بيروت: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ط7، (2007م).
- 7- أسماء شوقي أحمد دنيا، الأزياء في تصاوير المخطوطات التركية العثمانية حتى نهاية القرن 13هـ/19م "دراسة أثرية فنية مقارنة"، مخطوط رسالة دكتوراة: جامعة القاهرة، كلية الآثار، قسم الآثار الإسلامية، (2019م).
- 8- أكمل الدين إحسان أوغلي، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، مج1، ترجمة، سعداوى صالح، إستانبول: مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بإستانبول، (1999م).
- 9- الصفصافي أحمد المرسي، الدولة العثمانية والولايات العربية، مجلة الدارة، مج8، ع(4)، السعودية: دار الملك عبد العزيز، (1983م).
- 10- ايناس سعدي عبدالله، تاريخ العراق الحديث (1258-1918م)، بغداد، (2014م).

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

- 11- بجوي إبراهيم أفندي، التاريخ السياسي والعسكري للدولة العثمانية، ج1، "من عهد السلطان سليمان القانوني حتى عهد السلطان سليم الثاني"، ترجمة: ناصر عبد الرحيم حسين، القاهرة: المركز القومي للترجمة، (2015م).
- 12- بكر محمد إبراهيم، الدولة العثمانية، القاهرة: مركز اليا للناشر والإعلام، ط1، (2007م).
- 13- تركي عباس، "إضاءات حول شخصية بيلرباي الجزائر قليج علي (976-995هـ/ 1568-1587م)"، الجزائر: مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، مج8، ع4، (2020م).
- 14- جلال يحيى، العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، الإسكندرية، (1982م).
- 15- جمال محفوظ، فن الحرب عند العرب في الجاهلية والإسلام، بيروت: المؤسسة العربية للطباعة والنشر، ط1، (1987م).
- 16- حاجي خليفة، تحفة الكبار في أسفار البحار، ترجمة: دمحم حرب ود. تسنيم حرب، دار البشير للثقافة والعلوم، ط1، (2017م).
- 17- حسام طعمة ناصر ومشتاق عيدان عبيد، المدينة (جزائر البصرة) في العهد العثماني 1546-1718م، كربلاء: مركز تراث البصرة، (2015م).
- 18- حسن محمد نور عبد النور، صور المعارك الحربية في المخطوطات العثمانية "دراسة أثرية فنية"، مخطوط رسالة ماجستير، جامعة القاهرة: كلية الأثار، قسم الأثار الإسلامية، (1989م).
- 19- حسين علي عبيد المصطفى، البصرة في مطلع العهد العثماني دراسة في التاريخ الاجتماعي والعمراني 1546-1668م، دمشق، (2012م).
- 20- درويش النخيلي، السفن الإسلامية على حروف المعجم، (1974م).

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

- 21- رابحة محمد خضير عيسى الجبوري، القائد العثماني سنان باشا وجهوده في استعادة اليمن وتونس 1568-1574م، العراق، مجلة جامعة تكريت للعلوم، مج 18، ع(1)، كانون الثاني (2011م).
- 22- ربيع حامد خليفة، فن الصور الشخصية في مدرسة التصوير العثماني، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، ط1، (2006م).
- 23- روبيرمانتران، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ترجمة: بشير السباعي، القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، (1993م).
- 24- س. موستراس، المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، ترجمة: عصام محمد الشحادات، بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر، ط1، (2002م).
- 25- ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، بيروت: دار العلم للملايين، (1960م).
- 26- سعاد ماهر، البحرية في مصر الإسلامية وأثارها الباقية، القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، (1967م).
- 27- سمية حسن إبراهيم، صور الإحتفالات في المخطوطات العثمانية، مخطوط رسالة دكتوراة، جامعة القاهرة: كلية الآثار، قسم الأثار الإسلامية، (1983م).
- 28- سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، الرياض: مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، (2000م).
- 29- سيد محمد السيد محمود، تاريخ الدولة العثمانية "النشأة والإزدهار وفق المصادر المعاصرة والدراسات التركية الحديثة"، القاهرة، ط1، (2007م).
- 30- شمس الدين الأنصاري الدمشقي، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، بطبروغ: المطبعة الأكاديمية الإمبراطورية، (1865م).

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

- 31- عاصم محمد رزق، مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، القاهرة: مكتبة مدبولي، ط1، (2000م).
- 32- عامر عبد الفتاح الكيلاني، الموسوعة الطبيعية، عمان، (2014م).
- 33- عباس العزاوي، موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين، ج4، بيروت: الدار العربية للموسوعات، ط1، (2004م).
- 34- عبد العزيز الشناوي: أوروبا في مطلع العصور الحديثة، ج1، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، (1977م).
- 35- عبد القادر ده ده أغلو، السلاطين العثمانيون، تعريب: محمد جان، تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، ط1، (1999م).
- 36- عبد المنعم ماجد، العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، بيروت: مكتبة الجامعة العربية، (1966م).
- 37- عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، (1973م).
- 38- عبد الناصر ياسين، الأعلام البحرية "تاريخها، ومهامها، وتصاويرها في المخطوطات والفنون الإسلامية، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، ط1، (2008م).
- 39- علي ظريف الأعظمي، مختصر تأريخ البصرة، بيروت، (2013م).
- 40- فاضل مهدي بيات، دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني "رؤية جديدة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية"، ليبيا-بنغازي: دار المدار الإسلامي، ط1، (2003م).
- 41- فطين أحمد فريد علي، مصر والدولة العثمانية، القاهرة، ط1، (2004م).
- 42- محسن أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربي (1514-1914م)، القاهرة، (1977م).

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

- 43- محمد جميل بهم، فلسفة التاريخ العثماني "أسباب انحطاط الامبراطورية العثمانية وزوالها"، بيروت، (1954م).
- 44- محمد حمزة إسماعيل الحداد، المدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، ط3، (2008م).
- 45- محمد عبده حتامله، التهجير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملك فيليب الثاني (1527-1598م)، عمان: الجامعة الأردنية، ط1، (1982م).
- محمد فريد، تاريخ الدوة العلية العثمانية، بيروت: دار الجبل، (1977م).
- 46- محمد فؤاد كوبرلي، قيام الدولة العثمانية، ترجمة: أحمد السعيد سليمان، القاهرة، (1967م).
- 47- محمود إبراهيم حسين، الفنان في العصور الإسلامية، القاهرة، ط1، (2010م).
- 48- محمود خالد السخني، النشاط البحري لدولة المماليك في البحر المتوسط، مخطوط رسالة ماجستير، جامعة دمشق، كلية الآداب: قسم التاريخ، (2012م).
- 49- محمود السيد الدغيم، "أضواء على تاريخ البحرية الإسلامية العثمانية حتى نهاية عهد سليم الثاني"، من كتاب الحضارة الإسلامية وعالم البحار، (بحوث ودراسات)، ندوة اتحاد المؤرخين العربي، القاهرة، (1993م).
- 50- منى السيد عثمان مرعي، رسوم العمائر المدنية في إستانبول من خلال تصاوير المخطوطات العثمانية، مخطوط رسالة ماجستير، جامعة القاهرة: كلية الآثار، قسم الأثار الإسلامية، (2002م).
- 51- نبيل عبد الحي رضوان، تطور الأسطول العثماني في ظل أبرز الحضارات البحرية للبحر المتوسط، مجلة المؤرخ المصري "دراسات وبحوث في التاريخ والحضارة"، جامعة القاهرة: كلية الآداب، قسم التاريخ، ع20، (يوليو 1998م).

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

- 52- نعيمة الشيشني، "التصوير الإسلامي التركي"، مجلة عالم الفكر، ع3، مج 16، (1985م).
- 53- نيقولاي ايفانوف، الفتح العثماني للأقطار العربية 1516-1674م، ترجمة: يوسف عطا الله، لبنان، بيروت: دار الفارابي، ط1، (1988م).
- 54- وليد علي خليل، فئات الصناعات والعمال في العصور الإسلامية الوسطى، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، ط1، (2017م).
- 55- يحي بو عزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج1، الجزائر، ط1، (1965م).
- 56- يلماز أوزتونا، موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية السياسي والعسكري والحضاري، مج2، تعريب: عدنان محمد سلمان، لبنان، بيروت: الدار العربية للموسوعات، ط1، (2010م).
- 57- Edmond Malaj; the Dukagjini Family during the middle Age, Geographic, Extension of the Lands and Some features, *Studia Albanica, Year; LIV*, Academy of Sciences of Albania, 2017.
- 58- Emine Fetvacı: "The Production of the Şehnâme-i Selîm Hân", *Muqarnas* 26(2009).
- 59- Emine Fetvacı: "Others and Other Geographies in the Şehnâme-i Selîm Hân", *Osmanlı Araştırmaları, the Journal of Ottoman Studies*, XL (2012).
- 60- Emine Fetvacı: Picturing History at the Ottoman Court, Indiana University, (2013).
- 61- Esin Atil: the Art of the Book, Turkish Art, (1980).

المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان  
"دراسة حضارية أثرية"

---

- 62- Esin Atil: the Age of Sultan Suleyman the Magnificent, New York, (1987).
- 63- Fevzi Kurtoglu F: Türk Bayrağı ve Ay yıldız, (Türk Tarih Kurumu yayım, Vn, 4), Ankara, (1938).
- 64-Filiz Çağman: La Miniatur Turque (L, art En Turqueie), (1981).
- 65- Géza Fehér: Turkish Miniatures from the Period of Hungary's Turkish Occupation, Corvina Press Magyar Helikon Budapest, (1978).
- 66- Giancarlo Casale: the Ottoman Age of Exploration, Oxford University, (2010).
- 67- Grant. A.J.A.; A history of Europe, part II, London, (1929). 68- İhan Türkmen; Osmanlı Devleti'nin Emrinde Bir Sırp Despotu; Stefan Lazareviç a Serbian Despot Under the Heel of the Ottoman Empire: Stefan Lazareviç, *Uluslararası Sosyal Araştırmalar Dergisi, Cilt: 6, Sayı: 28*, (2013).
- 69- International Hydrographic Organization, Limits of Oceans and Seas, (*Special Publication N.23*), 3rd edition, (1953).
- 70- Nigar Anafarta: Hünername Minyatürleri ve Sanatçıları, İstanbul, (1969).
- 71- Norah Titley; Miniatures from Turkish Manuscripts "A Catalogue and Subject Index of Painting in the British Museum", the British Library, (1981).
- 72- Nurhan Atasoy, Filiz Çağman: Turkish Miniature Painting, İstanbul, (1974).

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

---

73- Serpil Bađci, And Others; Ottoman Painting, Ministry of Culture and Tourism, Turkey: Ankara, (2010).

74- Sinem Durmaz; Topkapi Sarayi Müzesi Kütüphanesinde Bulunan A.3595 Envanter Numarali Şehaame-i Selelim Han Minyatürlerinde Figür Anlayisi, Yüksek Lisans Tezi, T.C; Kastamonu Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü Sanat Ve Tasarım Ana Sanat Dalı, (2022).

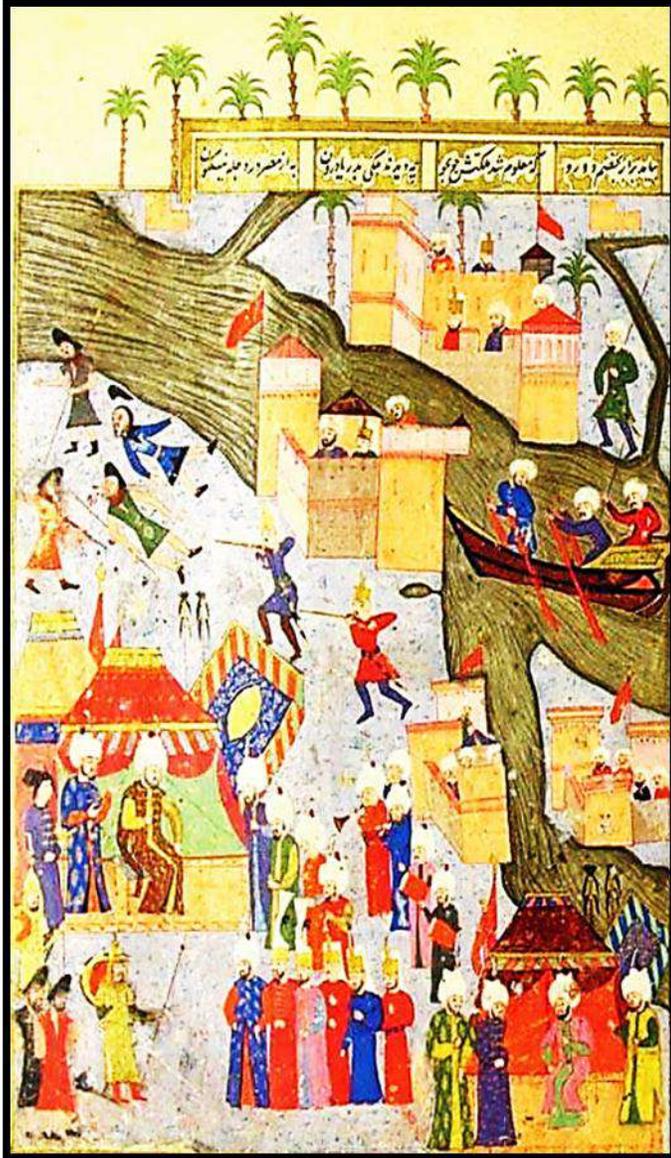
75- Stephen Turnbull; the Ottoman Empire 1326-1699, Oxford, (2003).

76- Suut Kemal Yetkin: L, Anciee Peinture Turque du Xlle au XVIIIe siècle, (1970).

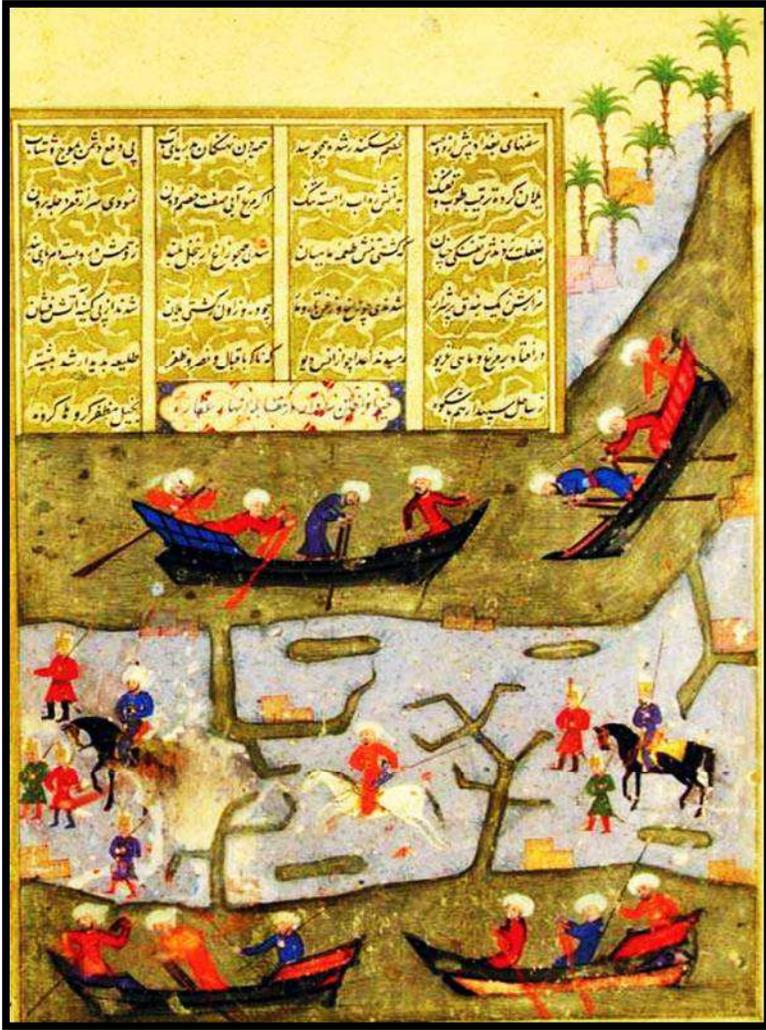


المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان  
"دراسة حضارية أثرية"

(1)



## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

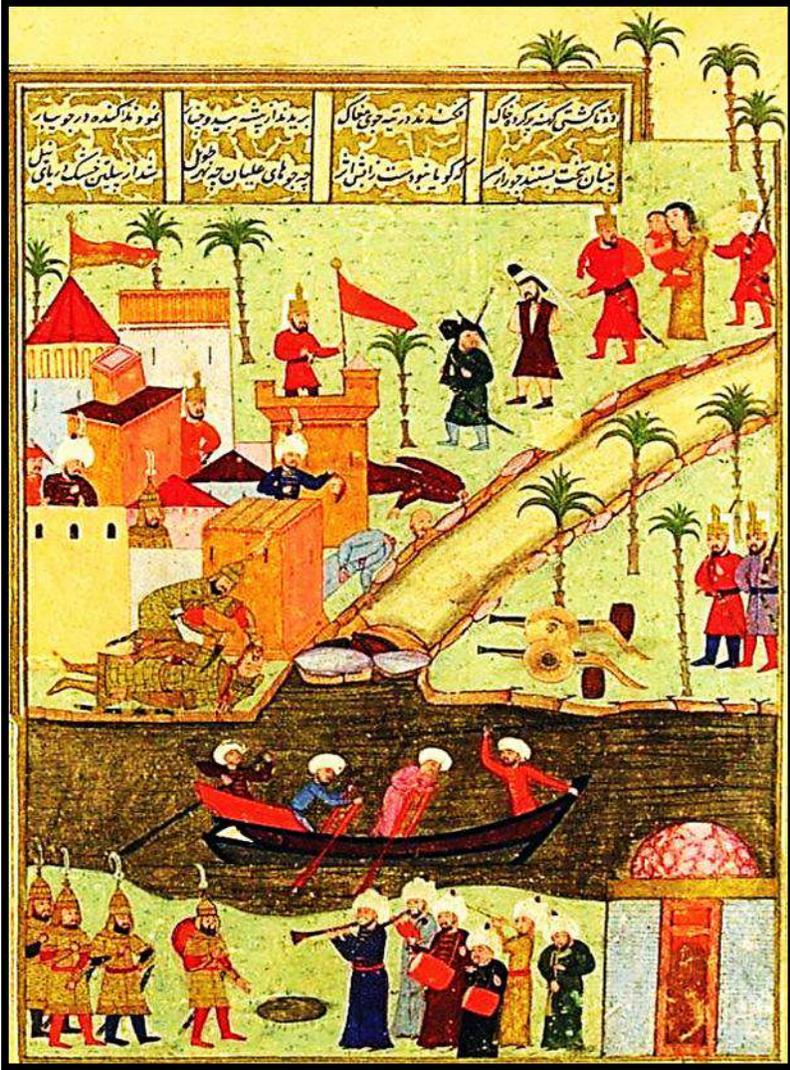


(ب)

لوحة [1-ب] تعبر عن محاصرة العثمانيون لنهر صالح بـ"المدينة" بالبصرة، من مخطوط "شهنامه سليم خان" المحفوظ بمكتبة متحف طويقابوسراي باستانبول تحت رقم (A3595)، والمؤرخ بعام 1581/هـ988م، صفحتي رقم (41B-42A)، نقلاً عن:

Fetvacı; "Others and Other Geographies", 84, Fig (1).

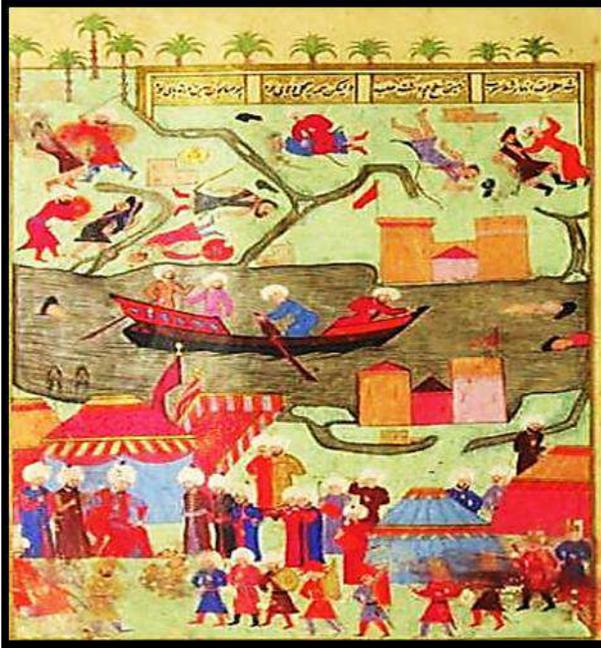
## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"



لوحة (2) تعبر عن احتلال العثمانيون لنهر صالح بـ"الغدنيته" بالبصرة، صفحته رقم (43A)، من المخطوط السابق، نقلًا عن:

Durmaz; Topkapi Sarayı Müzesi Kütüphanesinde Bulunan A. 3595, Resim (12)

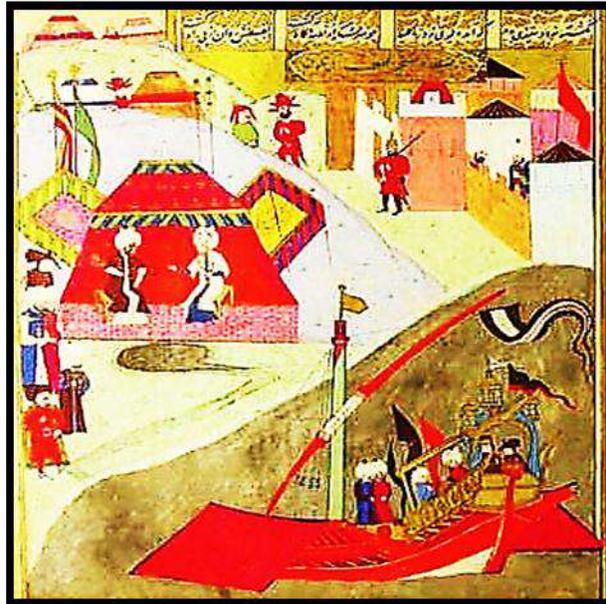
## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"



لوحة (3) تعبر عن  
احتلال العثمانيون لنهر  
الطويل بـ"المدينة"  
بالبصرة، صفحة رقم  
(45B)، من المخطوط  
السابق، نقلاً عن:  
Fetvacı; "The  
Production of the  
Şehname-I Selim  
Hân", 297, Fig  
(14).

لوحة (4) تعبر عن  
احتلال العثمانيون  
لجزيرة دو كاجين،  
صفحة رقم (117A)،  
من المخطوط السابق،  
نقلاً عن:

Durmaz;  
Topkapi Sarayı  
Müzesi  
Kütüphanesinde  
, 68, Resim (27).



المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان  
"دراسة حضارية أثرية"

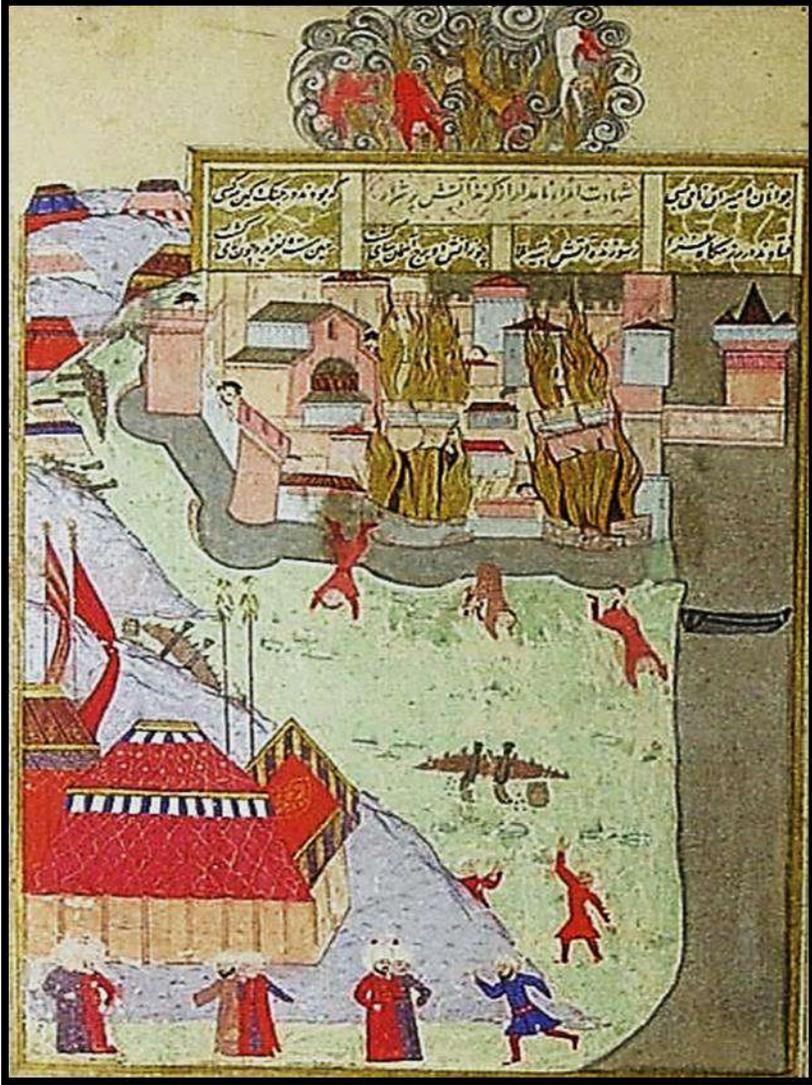


لوحة (5) تعبر عن احتلال العثمانيون لجزيرة ليماسول بقبرص، صفحة رقم (102B)

من المخطوط السابق، نقلاً عن:

Durmaz; Topkapi Sarayı Müzesi Kütüphanesinde, 66, Resim (26)

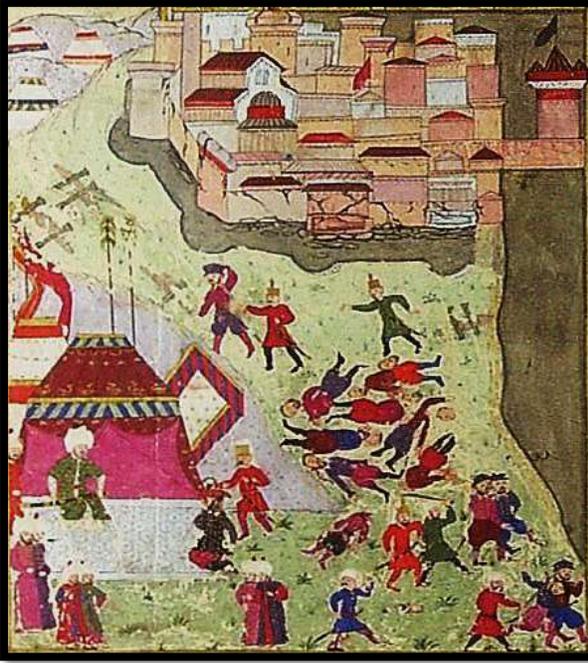
المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان  
"دراسة حضارية أثرية"



لوحة (6) تعبر عن محاصرة العثمانيون لجزيرة ماغوسا، صفحة رقم (119A)،  
من المخطوط السابق، نقلاً عن:

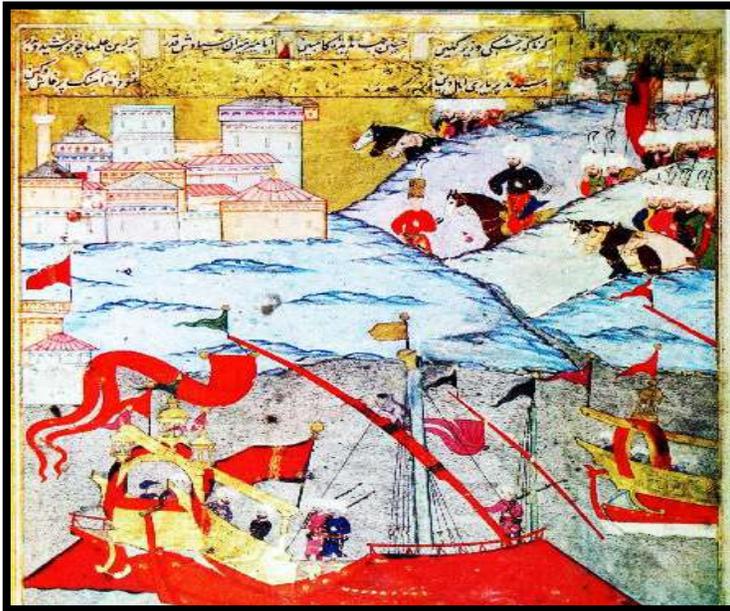
Durmaz; Topkapi Sarayı Müzesi Kütüphanesinde, 70, Resim (28)

## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"

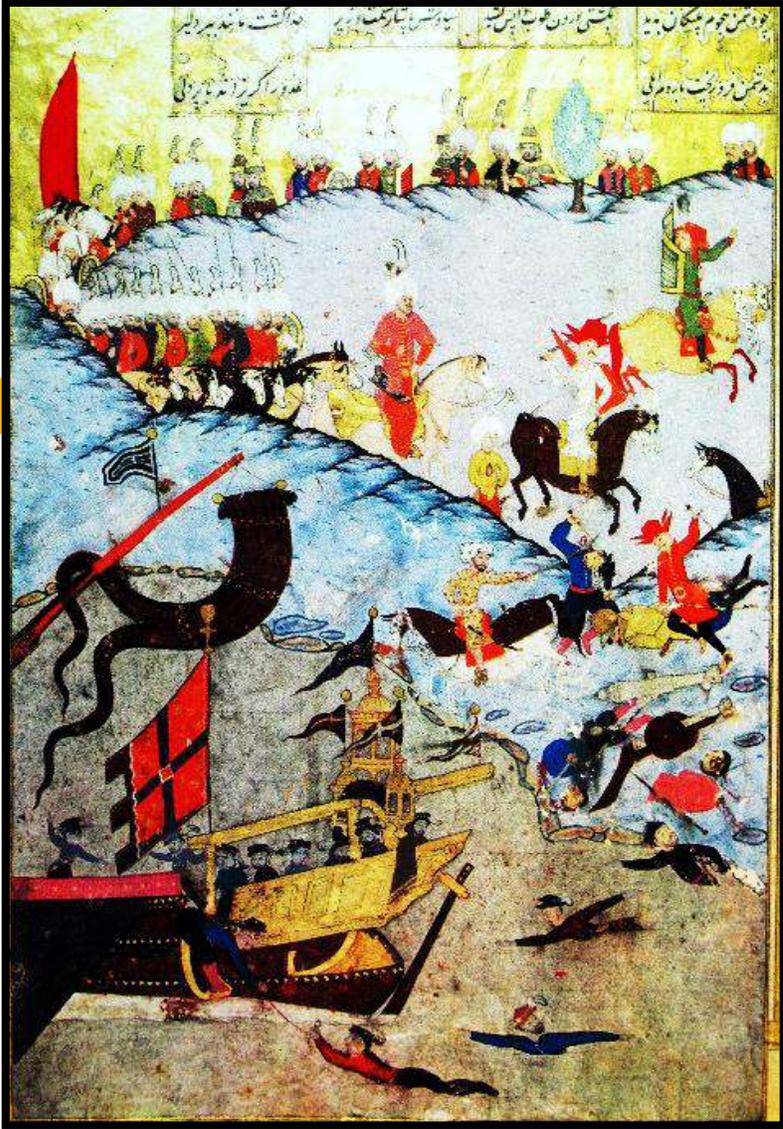


لوحة (7) تعبر عن احتلال  
العثمانيون لجزيرة  
ماغوسا، صفحة رقم  
(122A)، من المخطوط  
السابق، نقلًا عن:  
Durmaz; Topkapi  
Sarayi Müzesi  
Kütüphanesinde,  
72, Resim (29).

(١)



## المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان "دراسة حضارية أثرية"



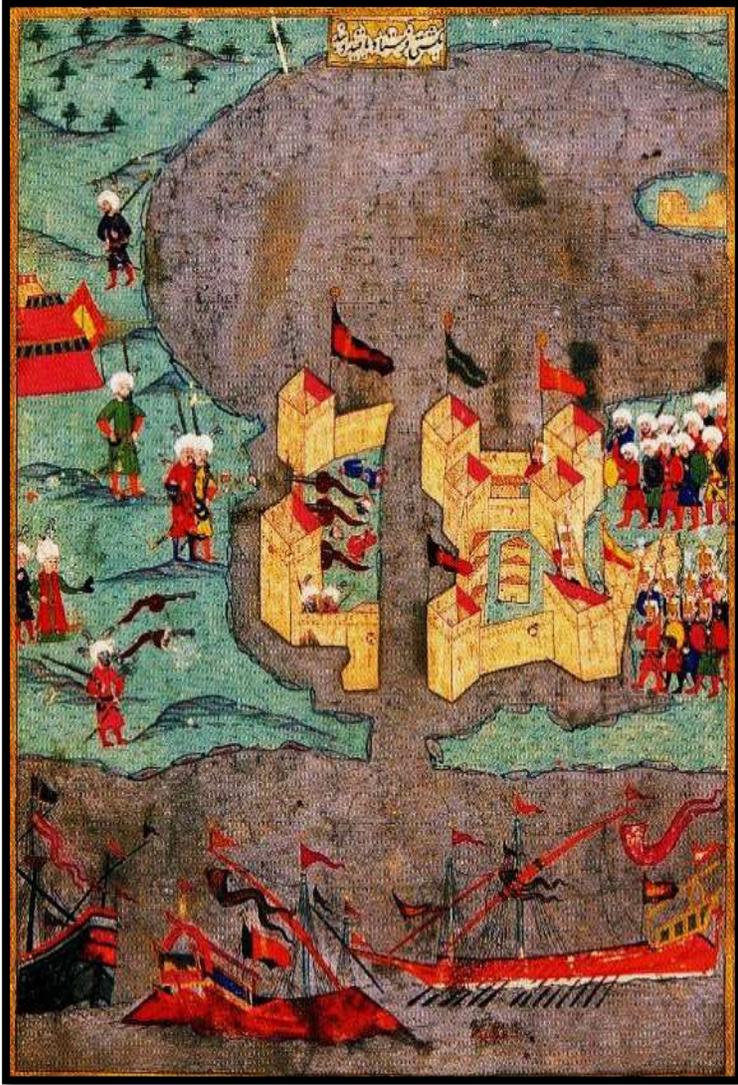
(1)

لوحة (8 أ-ب) تعبر عن احتلال العثمانيون لجزيرة نفارين، صفحتي رقم (130B-131A)،  
من المخطوط السابق، نقلاً عن:

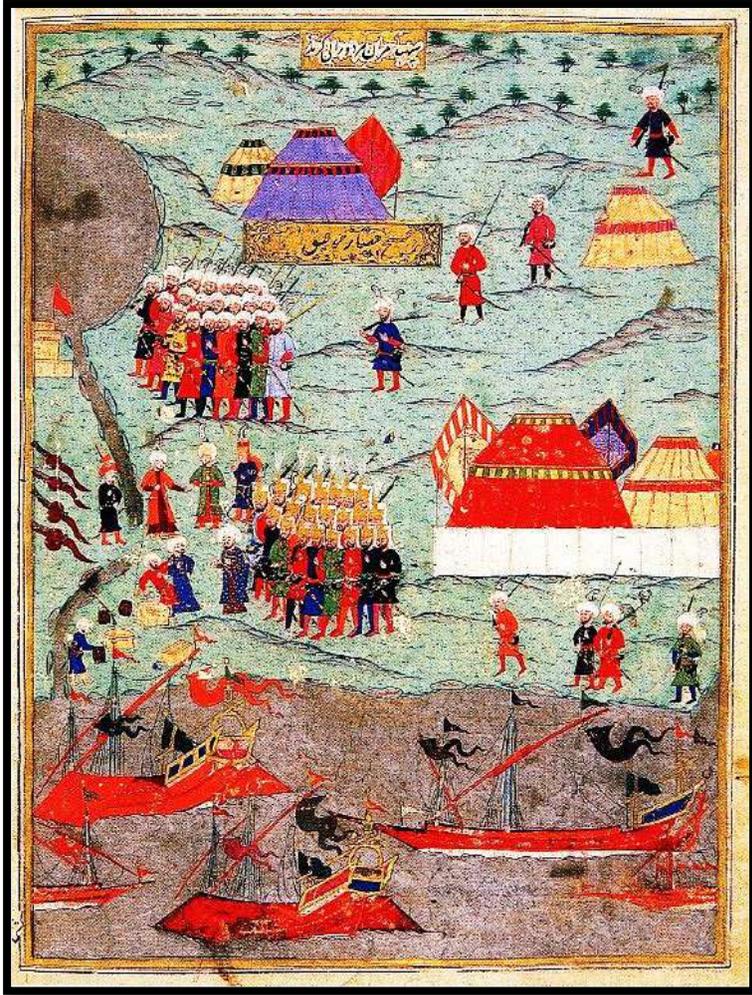
Durmaz; Topkapi Sarayı Müzesi Kütüphanesinde, 76, Resim (31)

المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان  
"دراسة حضارية أثرية"

(١)



المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان  
"دراسة حضارية أثرية"

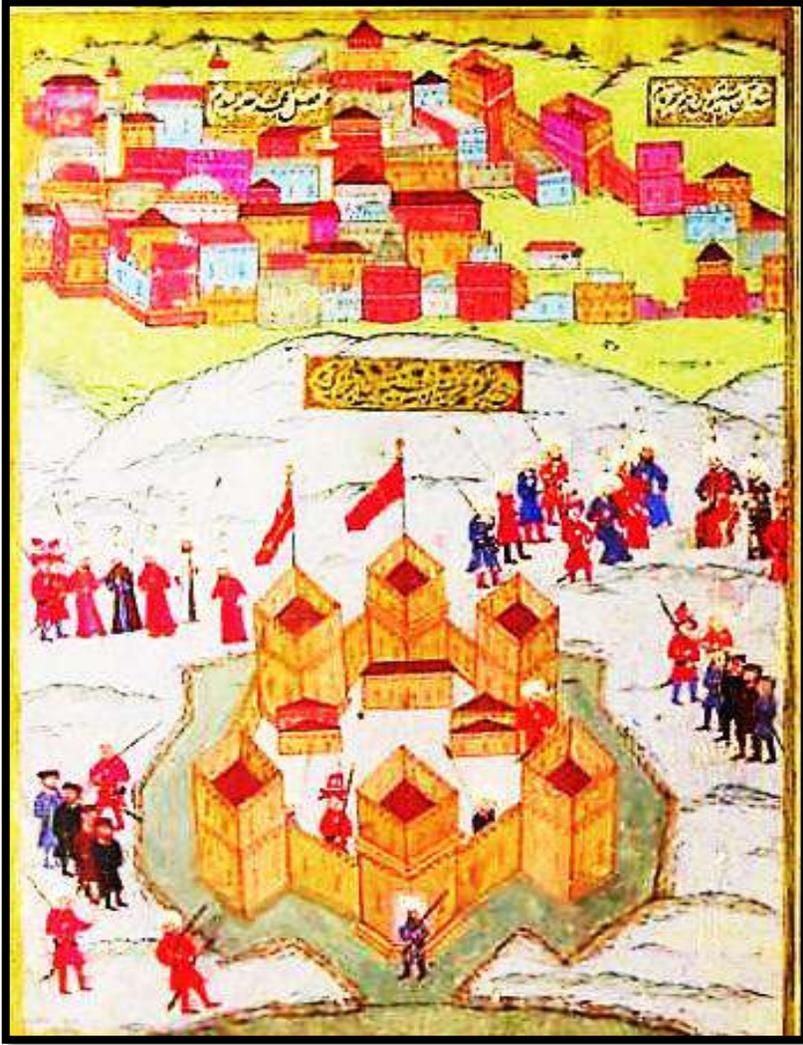


(ب)

لوحة (9 [أب]) تعبر عن احتلال العثمانيون لقلعة "حلق الوادي" بتونس، صفحتي رقم (147B-148A)،  
من المخطوط السابق، نقلاً عن:

Fetvacı; "The Production of the Şehnâme-i Selim Hân", 308, Fig (37).

المعارك الحربية البحرية العثمانية في ضوء مخطوط شهنامه سليم خان  
"دراسة حضارية أثرية"



لوحة (10) تعبر عن احتلال العثمانيون لحصن البستيون بتونس، صفحة رقم (150A)  
من المخطوط السابق، نقلاً عن:

Fetvacı; "The Production of the Şehname-i Selim Hân", 309, Fig (38).

1. تطور صلاحيات منصب قائد البحرية العثمانية على ضوء كتاب "تحفة الكبار" لحاجي خليفة (1167هـ/1754م)
2. التراث التسموي للمنشآت الدفاعية لمدينة الجزائر بين التأثر والتأثير - دراسة وصفية تحليلية
3. المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)
4. الحملات البحرية الأوروپية على جزائر الغرب، وحملات الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعية قوّات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاداً.
5. الحروب البحرية بين الجزائر العثمانية ومملكة الإنجليز "حملة روبرت مانسيل وألسير هاري نيل أنموذجاً" دراسة مقارنة "

تطور صلاحيات منصب قائد البحرية العثمانية على ضوء كتاب  
"تحفة الكبار" لحاجي خليفة (1167هـ/1754م)

تطور صلاحيات منصب قائد البحرية العثمانية على ضوء كتاب  
«تحفة الكبار» لحاجي خليفة (ت 1167هـ / 1754م)  
powers development of the Ottoman Navy commander 's  
position in the light of the book "tuhfat alkibar"  
by Hajji Khalifa (d. 1167 AH / 1754 AD)

دة/ ليلي غويني

جامعة البليدة 2 - لونيبي علي

ghouini.leila08@gmail.com

ملخص:

يتناول هذا البحث موضوعا مهما جدا في تاريخ الإدارة والجيش العثماني، فهو يسلط الضوء على منصب قائد البحرية العثمانية، المسمى "القبطان" أو "الربان"، الذي ارتبط بتطور القوة البحرية للدولة خلال أزهى عهدها، وكان يتطلب فيميتولاه مهارات قيادية كبيرة وخبرة في العمليات البحرية. وقد بدأت أهمية هذا المنصب تزداد خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر، اللذان شكلا فترة حاسمة في تاريخ الدولة العثمانية، نتيجة توسع رقعتها الجغرافية، خاصة في البحر الأبيض المتوسط. لذا، فقد تولى قائد البحرية قيادة الأسطول وإدارة العمليات البحرية وضمان الدفاع عن السواحل العثمانية، وتنظيم التدريبات البحرية للجنود والبحارة، وتسيير ميزانية الأسطول وموارده، ولأهمية هذا المنصب سيتم التطرق إليه من خلال ما دونه المؤرخ "حاجي خليفة"، في كتابه الموسوم بـ "تحفة الكبار في أسفار البحار"، لما ذكره من معطيات مهمة، إذ إنه أسهب في الحديث عنه فسرده أسماء الربانة الذين مروا على قيادة الأسطول، وبين مهامهم وإنجازاتهم، فكان كتابه مؤرخا لهؤلاء

## تطور صلاحيات منصب قائد البحرية العثمانية على ضوء كتاب "تحفة الكبار" لحاجي خليفة (1167هـ/1754م)

القادة العظام الذين كان لهم فضل كبير في تطوّر البحريّة العثمانية وفيما حقّقه من انتصارات على أعدائها.  
كلمات مفتاحية: قائد البحرية العثمانية، الربابنة، القبطان، حاجي خليفة، تحفة الكبار.

### Summary:

This study addresses a highly significant topic in the history of Ottoman administration and military. It sheds light on the position of the Ottoman naval commander, known as "Kapudan" or "Ra'ban," which was closely tied to the development of the state's naval power during its golden eras. This position required exceptional leadership skills and expertise in naval operations. Its importance began to increase during the 15th and 16th centuries, which marked a critical period in Ottoman history due to the empire's geographical expansion, especially in the Mediterranean.

As such, the naval commander led the fleet, managed naval operations, ensured the defence of Ottoman coasts, organized naval training for soldiers and sailors, and managed the fleet's budget and resources. Due to the significance of this position, it will be addressed through the writings of the historian "Haji Khalifa" in his book titled Gift to the Greats on Maritime Voyages, which contains valuable insights. Haji Khalifa extensively discussed this subject, listing the names of the captains who commanded the fleet, detailing their duties and achievements.

## تطور صلاحيات منصب قائد البحرية العثمانية على ضوء كتاب "تحفة الكبار" لحاجي خليفة (1167هـ/1754م)

His book stands as a historical record of these great leaders who significantly contributed to the development of the Ottoman navy and its victories over its enemies.

**Keywords:** Ottoman naval commander, captains, Kapudan, Haji Khalifa, Gift to the Greats.

### مقدمة:

ارتبط تاريخ منصب قائد البحرية العثمانية بتطور القوة البحرية للدولة خلال أزهى عهودها. وقد كان له تأثير كبير على الحروب والنزاعات البحرية. يتجلى دوره في قيادة العمليات البحرية وتوجيه السفن في المعارك، مما ساهم في تعزيز قوة الدولة العثمانية في المياه الإقليمية والدولية. ومن أهمية هذا المنصب أن صاحبه يتولّى قيادة السفن وينظم الطاقم ويدير العمليات الحربية، ويخطط للمعارك ويسهر على القيام بالمناورات المطلوبة ليحقق الفوز، كما أن عليه التصرف الجيد لمجابهة الأزمات والتحديات التي قد تواجهه، ومن أوجه أهميته مساهمة تجاربهم ومعارفهم في تطوير النظام البحري العثماني وتحقيق الانتصارات بحسب خبرة ومهارة متولّي المنصب، كما أنه كان عليه التنسيق مع باقي السلطات، مثل: القادة العسكريين والضباط. لضمان تحقيق الأهداف الإستراتيجية المسطرة من الباب العالي، بالإضافة إلى دور الربابنة في تعزيز التجارة من خلال تأمين الطرق البحرية. فمن مهام الربان الرئيسية حماية الأهداف التجارية للدولة العثمانية، وهو يمثل الركيزة الأساسية التي تبين قوة وسيطرة الدولة العثمانية، وتوسّعها في البحر الأبيض المتوسط وبحر إيجه. منه فيتطلب فيمن يتولى منصب القائد البحرية مهارات قيادية كبيرة

## تطور صلاحيات منصب قائد البحرية العثمانية على ضوء كتاب "تحفة الكبار" لحاجي خليفة (1167هـ/1754م)

وخبرة في العمليات البحرية. وقد بدأت أهمية هذا المنصب تزداد خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر، اللذان شكلا فترة حاسمة في تاريخ الدولة العثمانية، التي عرفت فيهما توسعا ملحوظا في البحر الأبيض المتوسط خاصة. لذا، فقد تولى قائد البحرية قيادة الأسطول وإدارة العمليات البحرية وضمن الدفاع عن السواحل العثمانية، وتنظيم التدريبات البحري للجنود والبحارة، وتسيير ميزانية الأسطول وموارده.

وعليه فقد أولى حاجي خليفة إهتماما كبيرا في كتابه لإعطاء صورة واضحة عن منصب القائد وتطور صلاحياته عبر الزمن.

### أولا: التعريف بحاجي خليفة وكتابه "تحفة الكبار"

هو: مصطفى بن عبد الله، القسطنطيني، اشتهر بلقبين: فعلماء بلده كانوا يسمونه "كاتب جلي" أو "شلي"، أما أهل الديوان فأطلقوا عليه "حاجي خليفة" أو "الحاج خليفة"، فكلمة "حاجي" نسبة لأدائه فرائض الحج، وكلمة "خليفة" أطلقت عليه لما كان معاونا ووكيلا في إدارة المالية، وكان أبوه عبد الله أحد رجالات الجند، عمل بفرقة الجيش المنتقاة المعروفة بالسلحدار، ولد مصطفى في ذي القعدة سنة 1017هـ/1609م باستانبول (القسطنطينية)، تلقى تعليمه على أيدي علماء عصره، كالقاضي زاده أفندي، الذي قرأ عليه التفسير وكتاب إحياء علوم الدين وكذلك شرح المواقع والدرر والطريقة المحمدية<sup>(1)</sup>، كما تتلمذ على يد الشيخ الأعرج مصطفى أفندي الذي قرأ عليه كتب الأندلسية، وهداية الحكمة حتى الباب الرابع وشرح ملخص الهيئة، كما

(1) - محمد دراج: الجزائر في المصادر العثمانية دراسة للمصادر ونصوص نموذجية مترجمة من التركية إلى العربية، دار الوراق للدراسات والنشر، الجزائر، 2017م، ص ص 112-113.

## تطور صلاحيات منصب قائد البحرية العثمانية على ضوء كتاب "تحفة الكبار" لحاجي خليفة (1167هـ/1754م)

أخذ أيضا دروسا على الشيخ ولي الدين المنتشاوي الواعظ، واستفاد من دروس الشيخ كحي محمد أفندي الذي كان يدرس بجامع أيا صوفيا والسليمانية، وفي مجال التّصوّف تتلمذ عن عبد الله الكردي بأيا صوفيا<sup>(1)</sup>.

أما عن مساره المهني ففي بداية حياته، وفي سن الرابعة عشر تطوّع في فرقة الجيش التي يعمل بها والده، والتحق أيضا بمكتب "أناضولي محاسبه قلعي"، الخاصّ بالمحاسبة - كما يظهر من عنوانه- فاشتغل كاتبها<sup>(2)</sup>. كما عاصر حاجي خليفة أحداث عصره، وشارك فيها مع الجيش العثماني، ومن ذلك مشاركته في الحملة على الحدود الشرقية للأناضول ما بين سنتي (1033-1045هـ/ 1623م- 1635م)، وتخلّف عنها في فترة قصيرة جدا ليشترك في الحملة الأولى على أباطة باشا المنتقض على الباب العالي ما بين أواخر سنة 1033هـ/ 1624م إلى سنة 1038هـ/ 1628م، والتي تزامنت مع وقعة قيصرية في نهاية سنة 1033هـ/ أوائل أكتوبر 1624م، ومنها: مشاركته في قتال الفرس وحصار بغداد الذي كان في 7 شوال من سنة 1035هـ/ 12 نوفمبر 1625م، وكان حاجي خليفة في هذه المعركة رفقة والده عبد الله، الذي توفي بعدها بالموصل في ذي القعدة 1035هـ/ أوت 1625م، عقب انهزام الجيش عن بغداد، وبعد ذلك التحق بمكتب مراقبة فرق الخيالة "سواري باش مقابلة قلعي"، كما شارك في الحملة الثانية ثم الثالثة على أباطة باشا، والتي كان فيها حصار أرضروم "أرزن الروم" ما بين 16 ربيع الأول و22 المحرم من 1037هـ/ منتصف سبتمبر إلى 25 نوفمبر 1627م و5- 21 سبتمبر 1628م، وفي أواخر ربيع الثاني

(1) - محمد دراج، المرجع السابق، ص ص 112-113.

(2) - عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج12، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، د ت، ص ص 262-263؛ يوسف إلياس سرقيس: معجم المطبوعات العربية والمعربة، ج2، د ط، مطبعة سرقيس، مصر، 1928م، ص ص 732-733.

## تطور صلاحيات منصب قائد البحرية العثمانية على ضوء كتاب "تحفة الكبار" لحاجي خليفة (1167هـ/1754م)

1037هـ/ أوائل ديسمبر 1628م على إلى إستانبول، ولم يتوقف نشاطه عند هذا الحدّ، بل شارك في قتال الفرس في الجيش الذي يقوده الصدر الأعظم خسرو باشا في أوائل شوال 1038هـ/ أواخر ماي 1629م، والتي كانت أبرز أحداثها حملة همذان أواخر سنة 1039هـ/ أوائل جانفي 1630م، ومن 22 صفر إلى 8 ربيع الأول 1040هـ/ 30 سبتمبر إلى 15 أكتوبر 1630م، شارك في حصار بغداد، ثم عاد إلى استانبول منتصف سنة 1041هـ/ 1630م، وما بين سنتي 1043- 1045هـ/ 1633- 1635م شارك في الحملة الكبرى التي قادها السلطان العثماني مراد الرابع بنفسه على بلاد فارس، والتي تمّ فيها فتح إريوان في 22 صفر 1045هـ/ 7 أوت 1635م<sup>(1)</sup> وكان خلال هذه الحملات يعمل على لقاء العلماء ومجالستهم وعقد مناظرات معهم فزاد هذا من معرفة العلمية<sup>(2)</sup>.

وقد استغل حاجي خليفة هذه الحملة الكبرى التي شارك فيها لتأدية شعائر الحجّ، عندما كان الجيش يقضي فصل الشتاء في حلب، فذهب إلى مكة ما بين سنتي (1633- 1634م) واستغلّ الفرصة للاطلاع على خزائن الكتب الكبرى وحوانيت الكتبيين في حلب ومكة، الذي أصبح همّه الشّاغل، إذ عكف بعد عودته إلى استانبول في رجب 1045هـ/ ديسمبر 1635م، على زيارة خزائنها والاطلاع على ما بحوزة الورّاقين من كتب، وتدوين عناوينها، كما كان مهتمّاً بإنشاء مكتبته الخاصّة عن طريق اقتناء الكتب، خاصّة أنّه كان ميسور الحال، حيث أنفق ما جمعه من مال وما ورثه عن والده لاقتناء آلاف الكتب<sup>(3)</sup>، وقد

(1)- كحالة، المرجع السابق، ص ص 262-263؛ سركيس، المرجع السابق، ج2، ص ص 732-733؛ م. ت. هوتسما، وآخرون: موجز دائرة المعارف الإسلامية، ج 11 مراجعة وإشراف حسن حبشي، وآخرون، ط1، مركز الشارقة للإبداع الفكري، 1998م، ص 371.

(2)- محمد دراج، المرجع السابق، ص113.

(3)- المرجع نفسه، ص 113.

## تطور صلاحيات منصب قائد البحرية العثمانية على ضوء كتاب "تحفة الكبار" لحاجي خليفة (1167هـ/1754م)

شغل حاجي خليفة بالإضافة إلى مشاركاته العسكرية منصب رئيس كتبة أسرار السلطان مراد الرابع، ووزيره للمالية، وكان ضمن لجنة إصلاح أمور المالية ومراقبتها في السلطنة في عهده واستقال عنها سنة 1055هـ/1641م، وبعد ثلاث سنوات عيّن في وظيفة "الخليفة الثاني" - أي المساعد- في نفس المكتب، أمّا عن التدريس، فقد امتهنه في أخريات حياته<sup>(1)</sup>. وكانت وفاته في 27 ذي الحجة سنة 1167هـ/1754م<sup>(2)</sup>.

وقد احتلّ مكانة علمية كبيرة وله إنتاج العلي وافر، حيث خُلف كتباً في علوم عديدة، منها: كتاب "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون"، وهو من أهم وأشهر مؤلفاته، ضمّنه رصيда مهما مما أُلّف في مختلف العلوم، بلغ نحو 14500 كتاباً، ربّما أبجدياً، واهتمّ بأحوال مصنفها ووفياتهم، جمعه من خزائن مختلفة في مدة عشرين سنة، وسوّده في شهرين من شهور سنة 1058هـ / 1647م، وفي علم التراجم، وترك كتاب "سَلْم الوصول إلى طبقات الفحول"، وكتاب "ميزان الحق" في التّصوّف، وله كتاب "تحفة الأخيار في الحكّم والأمثال والأشعار"، وكتب باللغة التركية كتاب "تقويم التواريخ"، وهو عبارة عن جداول تاريخية لغاية سنة 914هـ/1508م، كما كتب في التاريخ مؤلف سماه: "فذلّكة أقوال الأخيار في علم التاريخ والأخبار"<sup>(3)</sup>.

وفيما يخصّ كتابه الموسوم بـ: "تحفة الكبار في أسفار البحار"، فيعد من بين الكتب المهمة التي دوّنت التاريخ البحري للدولة العثمانية، وعرّجت على الجوانب

(1) - كحالة، المرجع السابق، ج12، ص ص 262-263؛ سركيس، المرجع السابق، ج2، ص ص 732-733:

هوتسما، وآخرون، المرجع السابق، ج11، ص 372.

(2) - المرجع نفسه، ج12، ص 263.

(3) - المرجع نفسه، ج12، ص 263؛ سركيس، المرجع السابق، ج2، ص 733.

## تطور صلاحيات منصب قائد البحرية العثمانية على ضوء كتاب "تحفة الكبار" لحاجي خليفة (1167هـ/1754م)

بعض الثّقافية والأدبية خلال القرن السابع عشر ميلادي، فبعد أن شارك مؤلفه في حرب كريت الّتي بدأت سنة 1055هـ/ 1645م، رأى أن يدوّن الأحداث والوقائع في البرّ والبحر الّتي مرّت بالدولة العثمانية منذ بداية عهدها إلى عام 1067هـ/ 1656م، الّذي يمثّل السنّة الّتي بدأ فيها تأليفه، وقد دفعه إلى هذا المشروع ما رآه في حياته من انتكاسات وهزائم للعثمانيين وطغيان الأعداء عليهم في عصره، وما ارتكبه من أخطاء في التّدبير، فأراد سرد سيرة القبوطانات والريابنة الشجعان الّذين مروا بتاريخ الدّولة من نشأتها، بهدف تنبيه وإيجاد حلول لتفادي هزائم أخرى، خاصة بعد ما تعرض له العثمانيون في جزيرة كريت<sup>(1)</sup>.

كان هذا الكتاب من بين الكتب التي طبعت في فترة مبكرة، إذ طبع في اسطنبول سنة 1141هـ/ 1728م، ثم طبع مرة أخرى في لندن سنة 1831م، وبما أنّ الكتاب دوّن باللغة العثمانية، فقد ترجم للإنجليزية من طرف جيمس ميتشل (James Mitchell)<sup>(2)</sup>. وترجم للعربية من قبل كلّ من الباحثين محمد حرب وتسليم حرب، وهي الطبعة المعتمدة في هذا البحث.

احتوى كتاب "تحفة الكبار" على جزأين، ابتداءً الجزء الأوّل بمقدّمة تطرّق فيها إلى مواضيع عديدة، منها: اكتشاف الكرة الأرضية وتوضيحها، وتبيان سواحل بلاد الأرناؤوط، والجزر القريبة من سواحلها، والأماكن الحدودية مع بلاد الكفر، وتطرّق إلى بعض المواضيع الاجتماعية الّتي اشتملها عنوان "أحوال

(1) - حاجي خليفة: سلم الوصول إلى طبقات الفحول، تح محمود عبد القادر الأرناؤوط، إشراف وتق أكمل الدين إحسان أوغلي، مكتبة إرسیکا، إسطنبول- تركيا، 2010م، ص 20 (مقدمة المحقق).

(2) - ادوارد كرنيليوس فاندريك: اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، تصحيح محمد علي الببلاوي، دط، مطبعة التّأليف الّهلال، مصر، 1896م، ص 378؛ هوتسما، وآخرون، المرجع السابق، ج 11، ص 3376.

## تطور صلاحيات منصب قائد البحرية العثمانية على ضوء كتاب "تحفة الكبار" لحاجي خليفة (1167هـ/1754م)

النَّاس"، ولم يغفل الحديث عن سواحل إيطاليا وفرنسا وإسبانيا، ثم بدأ في المواضيع الأساسية للكتاب في هذا الجزء، التي جعلها تسعة أقسام، أشار في القسم الأول إلى عدة حملات من الحملات التي خاضتها الدولة العثمانية، ابتداء من حملة إينوز، وصولاً إلى حملة أحمد بك كمانكش، وتطرق في القسم الثاني إلى أحداث عديدة من "أيام خير الدين باشا الأولى"، إلى "ذهاب خير الدين بك إلى حلب"، وفي القسم الثالث تحدّث عن أمور تتعلق في الأغلب بخير الدين باشا وحروبه في الجزائر وفي غيرها، أمّا القسم الرابع، فقد احتوى على حملات قادها ربابنة آخرون، مثل بياله باشا ومحمد باشا وسان باشا وبيري راييس وغيرهم من الربابنة، فيما شمل القسم الخامس، على ذكر معارك وغزوات وحملات قادها في الأغلب بيالة باشا، واحتوى القسم السادس على حملات، ابتداء من حملة أزدهانة أو أزدخان، وصولاً إلى فتح ولاية تونس والاستيلاء عليها، أمّا القسم السابع، فقد تحدّث فيه عن الربابنة الذين ظهروا قرب سفن كريت ثم تطرّق إلى مجموعة من الحملات البحرية، وركّز في القسم الثامن على حملة كريت وبين سببها ثم أشار إلى حملات أخرى غيرها، ونفس الأمر كان في القسم التاسع والأخير من هذا الجزء<sup>(1)</sup>.

أمّا الجزء الثاني، فقد ركّز فيه على ما تعلّق بموضوع نظام البحرية وأمور الأسطول والبحار، واحتوى على خمسة أقسام، القسم الأول عنوانه بـ "يحكي عن الربابنة في الدولة العثمانية منذ إنشائها إلى أيامنا هذه"، ويقصد بها طبعا الزمن الذي يعيش فيه المؤلّف، وقد جعله وكأنه تراجم للربابنة الذين تداولوا

(1) - حاجي خليفة، تحفة الكبار في أسفار البحار، ج1، تح وترجم محمد حرب وتسليم حرب، ط1، دار البشير للثقافة والعلوم، د م ن، 2017م، ص ص 65، 84، 105، 124، 135، 152، 169، 188، 195.

## تطور صلاحيات منصب قائد البحرية العثمانية على ضوء كتاب "تحفة الكبار" لحاجي خليفة (1167هـ/1754م)

على البحرية العثمانية، القسم الثَّاني: "أحوال الأشخاص الآخرين في الترسانة والجنود المقيدون بحكم الربانية"، صنف فيه معاوني الربانة والأشخاص الدَّاخلين تحت حكمهم ونظامهم، القسم الثَّالث: "خروج الأسطول إلى البحر للحملة وفقا للنظم والقوانين"، بين فيه القوانين العامَّة للبحرية العثمانية وأسطولها، القسم الرابع: "يعرف المعركة البحرية وفق القوانين"، وهو قريب في موضوعه من سابقه، القسم الخامس: تحدث فيه "عن أنواع سفن الأسطول المختلفة ورجاله"<sup>(1)</sup>.

وقبل الخوض في الحديث عما ذكره وأسهب فيه حاجي خليفة حول الموضوع قيد الدراسة وجب علينا التطرق إلى مفهوم قائد البحرية.

### ثانياً: مفهوم قائد البحرية (الريان- القبطان)

عند البحث في المعاجم اللغوية عن مصطلحيّ "الربانة"، و"القبطان"، نجد أنّ منصب "الربانة"، مفردتها "رَبَّان"، وهي مشتقة من الفعل "رَبَّنَ"، وربَّان كلّ شيء: جميعه ومعظمه، أيّ أنّ صاحب هذا المنصب هو الذي أخذ بجميعه، والربَّان، هو قائد المركب أو السّفينة ورئيس أو ربّيس الملاحين، ويجمع مصطلح "رَبَّان"، على ربانة وربابين وربّانيّين<sup>(2)</sup>، وقد شرّحه ابن الأزهري، فقال: «رَبَّان

(1) -حاجي خليفة، المصدر السابق، ج2، ص ص 219، 229، 233، 236، 238.

(2) - رينهارت بيتر أن دُوزي: تكملة المعاجم العربية، ج8، ترجمة وتعليق محمد سليم النعيمي، ط1، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 2000م، ص 202 و ج10، ص 248؛ أحمد تيمور: معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية، ج3، إعداد وتحت إشراف حسين نصّار، ط1، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة- مصر، 2001م، ص 317؛ أحمد مختار عمر، وآخرون: معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، ج1، ط1، عالم الكتب، القاهرة- مصر، 2008م، ص 391؛ أحمد مختار عمر، وآخرون: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج2، ط1، عالم الكتب، د م ن، 2008م، ص 851.

## تطور صلاحيات منصب قائد البحرية العثمانية على ضوء كتاب "تحفة الكبار" لحاجي خليفة (1167هـ/1754م)

السَّفِينَة: الَّذِي يُجْرِيهَا، وَيُجْمَع: رِبَابِينَ، قَلْتُ: وَأَطَّنْتُ دَخِيلاً»<sup>(1)</sup>، ونفس المعنى ذكره ابن سيده<sup>(2)</sup>، وتطرق إليه الزبيدي في عدة مواضع، واعتبره "العالم في سفر البحر"، باعتبار أنه من يُجْرِي السفينة ويدبّر أمرها ويقوم علمها، وبه يهتدي ركبها إلى المراسي وغيرها، وذكر أنه يمكن أن يكون أصل الكلمة "رَبَانِي"، وهي منسوبة إلى "الرب"، لعلمه بما في باطن البحر من شعوب وغيرها، ومن تصريفاتها قولهم: "تَرَبَّنَ" إذا صار رَبَّانًا<sup>(3)</sup>.

وقد ذهبت بعض المصادر، ومنهم: ابن سلام والصاحب بن عبّاد والزمخشري والمديني والصّاغاني والزبيدي، أنّ أصل الكلمة ينسب لرجل من قبيلة قضاة وقيل من الأزد، يسمّى "رَبَّان بن حُلّوان بن عمّران بن الحافي بن قضاة"، ويكْتَبُ: "أبا جَرْم"، وكان يدعى: "عِلاف"، وهو أوّل من أنشأ الرّجال، وإليه تنسب الرّجال العلافية<sup>(4)</sup>.

(1) - أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري: تهذيب اللغة، ج15، تح محمد عوض مرعب، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، 2001م، ص 154.

(2) - أبو الحسن علي بن إسماعيل ابن سيده المرسي: المخصص، ج5، تح خليل إبراهيم جفال، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، 1996م، ص 228.

(3) - محمّد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، ج5، تح جماعة من المختصين، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 2001م، ص 602؛ ج35، ص 72.

(4) - أبو عبيد القاسم بن سلام: كتاب السلاح فصل من كتاب الغريب المصنف، تح حاتم صالح الضامن، ط2، مؤسسة الرسالة والنشر والتوزيع، 1985م، ص 21؛ إسماعيل بن عباد: المحيط في اللغة، ج2، تح محمد حسن آل ياسين، ط1، عالم الكتب، بيروت- لبنان، 1994م، ص 53؛ أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري: الفائق في غريب الحديث والأثر، ج3، تح علي محمد الجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعرفة، لبنان، دت، ص 204؛ أبو موسى محمد بن عمر الأصبهاني المدني: المجموع المغيبي في غربي القرآن والحديث، ج2، تح عبد الكريم العزباوي، ط1، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جدة، مكة المكرمة- المملكة العربية السعودية، 1988م، ص 491؛ رضي الدين الحسن بن محمد الصّغاني: العباب الزاخر واللباب الفاخر، ج1، تح فير محمد حسن، ط1، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، د م ن، 1978م، ص 481؛ الحسيني، المرجع السابق، ج24، ص 181.

## تطور صلاحيات منصب قائد البحرية العثمانية على ضوء كتاب "تحفة الكبار" لحاجي خليفة (1167هـ/1754م)

أمّا مصطلح "قبطان"، وهي كلمة رومية، جمعها: "قباطين"، مشتقة من الفعل: "قبط"، تعني: ربان أو رئيس أو رئيس السفينة، وهو قائد الأسطول، ويسمّى من يتولاها "قبطان باشا" عند العثمانيين، وتنطق عندهم بالدال بدل الطاء، فتصبح "قبودان باشا"، وقد تكتب أيضا: "كبطان"<sup>(1)</sup>. وعرف في القاموس المسمّى "رفيق العثماني" كما يلي: «قبودان: قائد، قبطان، ربان. قبودان باشي: وزير البحر. أمير الماء»<sup>(2)</sup>.

أمّا اصطلاحا، فيعتبر منصب قائد البحرية العثمانية، المعروف أيضا بمنصب الربابنة والقبطان أو القبودان، الذي يُعني بقيادة السفن الحربية<sup>(3)</sup>، أو أمير البحر، أحد المناصب المهمة والحساسة التي ساهمت في تشكيل القوة البحرية للدولة العثمانية، أنشأ بعد قيامها بقليل، بسبب الحاجة لحماية حدودها البحرية، فكان لكل سفينة رئيس منح مع مرور الزمن لقب باشا، وأطلق عليه لقب قودان أو ربان، وفي القرون الأولى من قيامها جمع هذا المنصب بين وظيفتين: وظيفة القائد العام للأسطول وحاكم ولاية، ويصبح بهذه الصفة الأخيرة بيلربك. وكان قائد البحرية عضوا في الديوان الهمايوني ويعتبر واليا بحريا يتلقّى أوامره من الصدر الأعظم والسلطان العثماني<sup>(4)</sup>.

(1) - أن دُوزي، المرجع السابق، ج 8، ص 178؛ أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج 3، ص 1768؛ ف. عبد الرحيم؛ معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، ط 1، دار القلم، دمشق، 2011م، ص 163؛ تيمور، المرجع السابق، ج 5، ص 94.

(2) - أمين خوري؛ رفيق العثماني، دط، مطبعة الآداب، بيروت- لبنان، دت، ص 227.

(3) - كانت السفن البحرية العثمانية المشكلة للأسطول أنواعا، فمنها السفن المجذافية وهي أنواع كبيرة وصغيرة، ومنها السفن الشراعية وكانت إمّا ذات عمودين أو ثلاث أعمدة. لمزيد عن هذا الموضوع. انظر: نبيل عبد الحي رضوان: «تطور الأسطول العثماني في ظل أبرز الحضارات البحرية للبحر المتوسط»، مجلة دراسات وبحوث في التاريخ والحضارة، ع 20، كلية الآداب جامعة القاهرة، 1998م، ص ص 238-247.

(4) - عبد العي رضوان، المرجع السابق، ص 247.

## تطور صلاحيات منصب قائد البحرية العثمانية على ضوء كتاب "تحفة الكبار" لحاجي خليفة (1167هـ/1754م)

كانت تأتي بعد رتبة "قبودان باشا"، رتب بحرية أخرى، مثل: "قبودانه (Kapudane)"، ويعرف أيضاً بأدميرال البحرية العثمانية، ورتبة "أمين الترسانة (Emini Tersane)"، وهو الذي ينوب عن قبودان باشا في الإدارة البحرية وتحديدًا في الإشراف على بناء السفن وإصلاحها وتسليمها، ورتبة "كتخدا الترسانة (Tersane kethudasi)"، وهو المسؤول عن انضباط الترسانة، وبالإضافة إلى هؤلاء توجد مناصب أخرى مثل: كاتب قاليون، وناظر السركي. وكان في السفينة عمّال، منهم: "اللّوند" وهم البحارة الأقوياء، المجدفون، قاليون جلاز وهم العاملون المؤقتون في السفن الشراعية، فبيارلار، وهم المسؤولون عن الشعار الموجود في أشرعة السفينة، "صنعت كارلر"، أي المهنيون القائمون على أعمال الترميم التي تحتاجها السفينة، وغيرهم من العمال<sup>(1)</sup>.

### ثالثًا: مكانة قائد البحرية عند حاجي خليفة

تتضح مكانة قائد البحرية العثمانية (الريان- القبطان) عند حاجي خليفة، بشكل خاص في القسم الأول من الجزء الثاني لكتاب "تحفة الكبار"، وإن كانت الأقسام الأخرى من هذا الجزء تخدم هذه الفكرة بطريقة أو بأخرى. فقد عرّف في بداية القسم الأول بالوظيفة التي تحدث عنها فيه وهي "قابودان"، حيث تعني رئيس وقائد القوم، وأنها تختلف عن كلمة "قيتان" الإيطالية، مشيرًا إلى أنّ جلّ الكلمات المستعملة في أمور السفن والبحري من أصول إسبانية أو إيطالية أو رومية، استخدمها المسلمون كما سمعوها، ويبيّن أنّ الربابنة بعد فتح استانبول استولوا على مقاطعة "غليبولي" فأصبح يعين عليها كرابنة إمّا

(1) - عبد العي رضوان، المرجع السابق، ص ص 247 - 252.

## تطور صلاحيات منصب قائد البحرية العثمانية على ضوء كتاب "تحفة الكبار" لحاجي خليفة (1167هـ/1754م)

بعض الوزراء أو من كانت خدمتهم تساوي خدمة حكام الأقاليم، أعطيت لهم ولاية الجزائر ثم الوزارة<sup>(1)</sup>.

وبعد ذلك أورد حاجي خليفة مجموعة من أسماء الربانة الذين تولّوا المنطقة المذكورة، رتبهم وفق زمن تولّهم للوظيفة، عددهم خمسة وخمسون ربّانا (55)، كان أوّل ربّان معاصرا لفتح القسطنطينية التي أصبحت تعرف باستانبول، وهو "سليمان بك الملقّب بـ: "الطا أو غلي"، وآخر ربّان ذكره هو "محمد باشا"، تولّى بعد سنة 1066هـ/ 1656م<sup>(2)</sup>.

نلاحظ من خلال ما ذكر حاجي خليفة تركيزه على تبيان الفترة التي تولّى فيها الربّان، أحيانا يكتفي بذكر السنة فقط، وأحيانا يشير إلى التاريخ الكامل، بل وإلى بعض الأحداث المرتبطة بذلك، أو يشير إلى اسم السلطان وقتذاك، مثل قوله أنّ "داود باشا الثاني"، تولاها في عهد السلطان بايزيد"، وأنّ الربان "جعفر بك"، عين في عهد السلطان سليم، ومنهم: "علي باشا المعروف بابن المؤذن"، الذي أصبح ربانا بعد اعتلاء السلطان سليم العرش سنة 875هـ/ 1470م، لكن تركيزه على ذكر السنة لا يبدأ إلّا مع الربان الخامس "مسيح باشا"<sup>(3)</sup>، الذي تولّى سنة 884هـ/ 1479م. ومثلما أشار إلى سنة التولية، تحدّث عن العزل، فالربان "خليل باشا البوسنوي"، تولّى في 18 جمادى الأولى 1003هـ / 1594-1595م، وعزل سنة 1006هـ/ 1597-1598م، و"جعفر باشا"، عزل سنة

(1) - حاجي خليفة، تحفة الكبار، ج2، ص 219

(2) - المصدر نفسه، ج2، ص ص 219، 228.

(3) - مسيح باشا هو وزير السلطان بايزيد، كان من خدام السلطان محمد خان، تولى إمارة كليبولي، ثم صار من الوزراء في الدولة الباييزيدية ثم تقاعد بإمارة قلبه سنة 888هـ/ 1483م وتولى الوزارة العظمى بعد فتح قرون توفي سنة 907هـ/ 1501م. أنظر عنه: حاجي خليفة: سلم الوصول، ج3، ص 333.

## تطور صلاحيات منصب قائد البحرية العثمانية على ضوء كتاب "تحفة الكبار" لحاجي خليفة (1167هـ/1754م)

1016هـ/ 1607-1608م، و"داود باشا" بقي في المنصب أربعين يوماً ثم عزل وأعيد إلى ولاية بلاد الروم، و"حسن باشا المعروف في استانبول بحسن جلبي من الجه"، و"ي في 18 شوال 1035هـ/ 1625م، وعزل سنة 1041هـ/ 1631-1632م، و"فضلي باشا"، عين في جمادى الآخرة سنة 1057هـ/ 1646م، وعزل في ذي القعدة من نفس السنة، و"محمد باشا" تولى في 3 شوال 1059هـ/ 1648م، وعزل في 11 شوال 1060هـ/ 1649م<sup>(1)</sup>.

ومن بين المواضيع التي أشار إليها صاحب تحفة الكبار عند سرده قائمة الربابنة في القسم الأول، ذكر وفياتهم، علماً أنه لم يوردها للجميع، فالربابنة الثمانية الأوائل لم يذكر وفياتهم، وكذا بعض الربابنة الآخرين، والذين أشار إلى وفياتهم، اختلف في الطريقة والتفاصيل، فالريان علي باشا بن أحمد باشا (ت 1030هـ)، والريان مصطفى باشا سلاحدار (ت 1052هـ)، اكتفى بالإشارة إلى سنة وفاتيهما باستخدام كلمة "مات". فيما أشار أنّ منهم من استشهد، أمثال الريان علي باشا المعروف بابن المؤذن (ت 979هـ/ 1571-1572م)، الذي استشهد عند هزيمة الأسطول العثماني، والريان موسى باشا الأول استشهد في 15 ذي الحجة 1056هـ/ 1646م، واستشهد الريان أحمد باشا في 18 رجب 1059هـ/ 1649م<sup>(2)</sup>.

ومنهم من ذكر أنه "قُتل"، أمثال: الريان درويش باشا الذي قتل من قبل السلطان سنة 1015هـ/ 1606م، والريان مصطفى باشا الذي قتل سنة 1042هـ/ 1632-1633م، بينما كان دفتر دارا، والريان رجب باشا الذي قتل في شوال 1041هـ/ 1631م، وجعفر باشا المقتول سنة 1045هـ/ 1635-1636م، والريان

(1) - حاجي خليفة، تحفة الكبار، ج2، ص ص 219\_227.

(2) - المصدر نفسه، ج2، ص ص 221، 223، 225، 227.

## تطور صلاحيات منصب قائد البحرية العثمانية على ضوء كتاب "تحفة الكبار" لحاجي خليفة (1167هـ/1754م)

بياله باشا<sup>(1)</sup> الذي اتهم بعد عودته من حملته خطأ أنه أخذ أموالاً في تونس فقتل في 5 محرم 1053هـ / 1643م، ويوسف باشا قتل في 5 ذي الحجة 1055هـ / 1646م دون سبب إثر مزاح؟!، والريان ابن عمار الذي قتل وهو محاصر، ولم يشر حاجي خليفة إلى السنة، ومحمد باشا: قتل سنة 1066هـ / 1655-1656م. بالإضافة إلى جعفر بك الذي صلب في عهد السلطان سليم ظلماً سنة 926هـ / 1519-1520م<sup>(2)</sup>.

ويضيف بعض التفاصيل الأخرى المرتبطة بالوفاة، فالريان محمد باشا الطويل (ت بعد 998هـ / 1580م)، أشار أنّ وفاته كانت بعد عودته من سفره إلى المغرب، وحسن باشا أولوج، توفي بعد عودته من سفرته إلى المغرب التي كانت سنة 998هـ / 1589-1590م، وبياله باشا (ت 975هـ / 1567-1568م)، دفن في فناء جامع الموجود في "قاسم باشا"، وقليج علي باشا (ت 983هـ / 1576-1587م)، دفن في فناء جامع في "طرب قابي"، وسنان باشا جغالة أوغلو، ذكر أنه توفي في إيران وهو قائد للحملة عليها، دون الإشارة إلى التاريخ، أمّا حسن باشا المعروف بحسن جلبي من الجبه، فمات في بكيشهر، ولم يذكر التاريخ، ومصطفى باشا بن جانبلاط، توفي في أرضروم سنة 1046هـ / 1636-1637م، ومات سيواش باشا سمو 1065هـ / 1655-1656م وهو وزير أعظم، ومات بكير باشا عند عودته في قليون في أوائل محرم 1054هـ / 1644م<sup>(3)</sup>.

(1) - بياله باشا كان من عبيد بعض الأكابر، تولى القبودانية مع الوزارة. أنظر عنه: حاجي خليفة: سلم الوصول،

ج1، ص 390.

(2) - حاجي خليفة، تحفة الكبار، ج2، ص ص 220-222، 224-226.

(3) - المصدر نفسه، ص ص 220-222، 224-226.

## تطور صلاحيات منصب قائد البحرية العثمانية على ضوء كتاب "تحفة الكبار" لحاجي خليفة (1167هـ/1754م)

والأمر اللافت للنظر أنه يورد كيفية الترميز لوفيات بعض الربابنة باستخدام الطريقة المشرقية لترتيب الحروف الأبجدية بحساب الجمل، فخير الذين باشا (ت 953هـ/ 1546م) وفاته بحساب الجمل هي: "مات رئيس البحر"، والريان سنان باشا أخورستم باشا (ت 961هـ/ 1553م)، رمزه "غاص الريان في بحر الرحمة"، وبياله باشا (ت 975هـ/ 1567-1568م)، رمزه بحساب الجمل: "تعرض بياله باشا لأجله فجأة"، ودرويش باشا (ت 1015هـ/ 1606-1607م)، رمزه: "قتل السلطان درويش". ولو قمنا بإعادة حساب هذه الرموز لوجدنا أنّ بعضها صحيحة، وبعضها قد تكون خاطئة بحسب اجتهادنا<sup>(1)</sup>.

والملاحظ من خلال ما ذكره من معلومات حول هذه الثلثة من الربابنة الذين ترجم لهم، أنّ هذا المنصب كان يخضع لعدد من الاعتبارات، سواء في طريقة اختيار الرّبان، التي قد تخضع للشهرة التي احتلها قبل تولّيه، إذ إنّ منهم من ذاع صيته سواء في الأعمال البحرية السابقة له وبطولاته الجهادية، كما أنّ من الربابنة من كان متوليا لمناصب عليا في الدولة العثمانية وعلى رأسها منصب الصّدر الأعظم، أو مناصب سياسية أخرى، ومنهم من ارتقى لمثل تلك المناصب عقب ما حققه من نجاحات وإنجازات في منصب الربابنة، أي أنّ منصب الربابنة كانت له علاقة وثيقة بمختلف مناصب الدولة العثمانية.

### رابعاً: من يستحق تولي منصب الريان:

يعتبر منصب الريان من المناصب الحساسة التي أولى السلاطين العثمانيون أهمية بالغة في اختيار من توكل له هذه المهمة، إذ يتم انتقاؤهم بعناية ودقة،

(1)- حاجي خليفة، تحفة الكبار، ج2، ص ص 220-222. وانظر: الملحق رقم (01).

## تطور صلاحيات منصب قائد البحرية العثمانية على ضوء كتاب "تحفة الكبار" لحاجي خليفة (1167هـ/1754م)

فكانوا ممن تولوا مناصب إدارية أو عسكرية فتكونت لديهم خبرات في الأمور أو ممن اشتهروا بالشجاعة والحنكة والإنجازات في مجال البحرية. وعليه يمكن تقسيمها إلى:

### 1. التولي من خلال مناصب الدولة:

يتضح أنه من الربانة من كان تولى مناصب مهمة قبل أن يصبح قبودانا، أو وصل إليها بعد ذلك، أهمها منصب "الصدر الأعظم"، والوزارة، أو "حكام الأقاليم والإيالات التابعة للدولة العثمانية"، فالقبطان الثالث "محمود باشا"، كان يشغل منصب "الصدر الأعظم"، قبل توليه للقبطانية، وممن شغل هذا المنصب أيضا "أحمد باشا بن هرسك"<sup>(1)</sup>، الذي عزل عن منصبه ثم أعيد إليه سنة 917هـ/ 1511- 1512م، وكان تولى الربانية سنة 910هـ/ 1504- 1505م، ثم أصبح محافظا لغاليبولي سنة 872هـ/ 1467- 1468م، وكان "محمد باشا الطويل" وزيرا أعظما في "سكتوار"، وتولى "درويش باشا"، هذا المنصب في 15 محرم 1015هـ/ 1606- 1607م، لكنه لم يسافر، وقد كان تولى الربانية في 15 شعبان 1014هـ/ 1605م، وتولى "خليل باشا"، منصب الصدر الأعظم في 9 محرم 1026هـ/ 1617م، أمّا "علي باشا بن أحمد باشا"، فكان آخر الوظائف التي شغلها "الصدر الأعظم"، تولاه سنة 1029هـ/ 1619م، وتولى "رجب باشا" وظيفة قائمقام والصدر الأعظم، وشغل "سيواش باشا" الصدر الأعظم بعد توليه الربانية، وكذلك الأمر بالنسبة لـ: "مراد باشا"، وعين

(1) - أنظر عنه: زين الدين عبد الباسط بن أبي الصفاء الظاهري: نيل الأمل في ذيل الدول، ج8، تح عمر عبد السلام تدمري، ط1، المكتبة المصرية للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، 2002م، ص 18.

## تطور صلاحيات منصب قائد البحرية العثمانية على ضوء كتاب "تحفة الكبار" لحاجي خليفة (1167هـ/1754م)

"مصطفى باشا الشهير بعازف المزمار"، قائمقام ووزيرا أعظما بعد عودته توليه الربانية<sup>(1)</sup>.

وممن شغل منصب الوزارة قبل توليه الربانية "أحمد باشا كدك"، و"مسيح باشا"، و"بياله باشا"، الذي أصبح الوزير الثالث من الخاصة سنة 975هـ/1567-1568م، و"سنان باشا جغالة أوغلو"<sup>(2)</sup>، الذي سلّمت له الوزارة بعد عزله عن الربانية، و"خليل باشا البوسنوي"، وزير وصهر السلطان، و"علي باشا بن أحمد باشا"، الذي كان مما تولاه "وزارة الديوان"، لما كان في محافظتي المورة وقبرص، وممن تولى الوزارة أيضا: "رجب باشا"، و"موسى باشا" الربان الأربعون، وجمع "محمد باشا" بين الوزارة ورئاسة ولاية طمشوار<sup>(3)</sup>.

ومن الوظائف الأخرى التي تولها الربانة، "العمل في القصر السلطاني"، دون تحديد نوعية العمل، وممن ذكر عنهم هذا: "بياله باشا"<sup>(4)</sup>.

وكان "علي باشا المعروف بابن المؤذن"، قائدا للإنكشارية في "سكتوار"، وكان "مصطفى باشا"، قائدا للإنكشارية في "خوتن"، وكان "موسى باشا" الربان الواحد والأربعون، كاتب الإنكشارية ثم آغا وحدات الإنكشارية فقائدا لهم قبل توليه الربانية<sup>(5)</sup>.

(1) - حاجي خليفة، تحفة الكبار، ج2، ص ص 219، 220، 222-225، 227.

(2) - أنظر عنه: محمد أمين ابن فضل الله الحموي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج2، دط، دار

صادر، بيروت- لبنان، دت، ص ص 85-87.

(3) - حاجي خليفة، تحفة الكبار، ج2، ص ص 219، 220، 222، 223، 224، 226، 228.

(4) - حاجي خليفة، تحفة الكبار، ج2، ص ص 225-226.

(5) - المصدر نفسه، ج2، ص ص 221، 224، 226.

## تطور صلاحيات منصب قائد البحرية العثمانية على ضوء كتاب "تحفة الكبار" لحاجي خليفة (1167هـ/1754م)

وكان "مصطفى باشا بن قايا باشا المسقى برويز"، نائبا لجغالا أوغلو"، بينما شغل "درويش باشا"، منصب رئيس البساتين السلطانية ثم عزل عنها وتولى الربانية ومن بعدها أصبح صدرا أعظما -كما تمت الإشارة إليه- ونفس المنصب أي "رئيس البساتين" شغله "رجب باشا"، قبل توليه الوزارة، وتولاه أيضا "جعفر باشا" قبل توليه الربانية، وكان "حسن باشا المعروف باستنبول بحسن جلي من الجة"، رئيسا للإسطبلات السلطانية، وبعد عزله من منصب الربانية سنة 1014هـ / 1605م، وُجّه لبلاد الروم ليسوس الجنود، وشغل "حسين باشا" أيضا منصب "أمير إسطنبولان السلطان" قبل توليه الربانية، وكان أيضا نائبا في الترسانة، وبعد توليه ولاية مصر أصبح قائدا لقوات الحراسة في كريت<sup>(1)</sup>.

ومن المناصب منصب "السلحدار"، تولاه "سيواش باشا" قبل الربانية، وكذلك الأمر بالنسبة لـ"يوسف باشا"، ومن المناصب "رئيس الترسانة"، تولاه "ابن عمار"<sup>(2)</sup>.

ومن الوظائف التي تولاهها الربانية قبل أو بعد توليهم، "حكام الأقاليم والإيالات"، فقد كان "علي باشا بن أحمد باشا"، حاكما لدمياط خمسة عشر سنة، ثم أصبح حاكم اليمن سنة 1011هـ / 1602م، وواليا على تونس عامين، وتولى "حسين باشا" سنة 1045هـ / 1635-1636م ولاية مصر، وكان "بكير باشا"، حاكم رودس قبل الربانية، وكان "بييقل مصطفى باشا"، حاكما في بلاد الروم ومشاركة في حملة كريت، وكان "علي باشا" حاكم رودس، و"محمد باشا بن شاويش" على ولاية سيواس وعزل عنها ليصبح ربانا، وتولى "مصطفى باشا

(1) -حاجي خليفة، تحفة الكبار، ج2، ص ص 222، 224، 225.

(2) - المصدر نفسه، ص ص 225، 226.

## تطور صلاحيات منصب قائد البحرية العثمانية على ضوء كتاب "تحفة الكبار" لحاجي خليفة (1167هـ/1754م)

المعروف بعازف المزمارة، إقليم أرضروم بعد توليه الصدر الأعظم، وتولى "كنعان باشا"، منطقة "سيلستره"، أمّا "سيدي أحمد باشا"، فتولى الربانية في شوال 1066هـ/1656م، ثم في صفر من نفس السنة أصبح واليا على البوسنة<sup>(1)</sup>.

### 2. التولي من خلال الشهرة والإنجازات:

استطاع عدد من الشخصيات المشهورة في مجال الجهاد الوصول إلى منصب قائد البحرية، وذلك من خلال ما قامت به من بطولات جهادية في البحر، حتى وإن كان ذلك بشكل شخصي ليس بإعاز من الدولة العثمانية، وذاع صيتها في الباب العالي، ولا يحسن المقال دون ذكر مثال فنذكر أشهر شخصية بحرية تولت هذا المنصب من خلال شهرتها ألا وهي "خير الدين باشا"<sup>(2)</sup> الشهير بخير الدين بربروس<sup>(3)</sup>، الذي كان هو وإخوته وأشهرهم "عروج" من المجاهدين ضد الاحتلال الإيبيري للسواحل المتوسطية، وكان خير الدين أوّل من عين باي لرباي في إيالة الجزائر واستمر في الحكم مدة ستة أعوام 1520-1544م<sup>(4)</sup>.

كما ركّز المؤلف أيضا على الأعمال التي قام بها الربانة في ولايتهم للربانية، والتي كانت في معظمها الخروج للبحر الأبيض المتوسط لحمايته أو المشاركة

(1) -حاجي خليفة، تحفة الكبار، ج2، ص ص 223، 225، 226 - 228.

(2) - المصدر نفسه، ج2، ص ص 220.

(3) - هو خير الدين بربروس ولد في جزيرة "مدلي" في الأرخيبيل 877هـ/1470م، هاجم مع أخيه عروج الإسبان في مدينتي بجاية والجزائر وتمكن من الإنتصار عليهم عدة مرات منها تدمير الأسطول الإسباني أمام الجزائر 925هـ/1519م انتقامًا لمقتل أخيه عروج وكذا مهاجمته للمدن الإسبانية ورفع الحصار عن "نيس" سنة 949هـ/1544م، توفي في 952هـ/1547م. أنظر عنه: بسام العسلي: خير الدين بربروس (والجهاد في البحر) 1470-1547م، ط1، دار النفائس، 1980م، ص ص 19-20.

(4) - أنظر أيضا: عن خير الدين وجهاده البحري: بسام العسلي، المرجع السابق، ص 114.

## تطور صلاحيات منصب قائد البحرية العثمانية على ضوء كتاب "تحفة الكبار" لحاجي خليفة (1167هـ/1754م)

مع الأسطول العثماني في بعض المعارك المهمة، فسليمان بك المعروف بـ "الطا أوغلي"، قدّم خدمات كثيرة منها: إنزال السفن من البر إلى البحر عند فتح القسطنطينية (استانبول)، وقام "يونس الخاص"، بفتح إينوز بعد استتمام السلطان محمد الفاتح فتحته العظيم، كما تولى أمر الأسطول بأمر من السلطان، وقام "محمود باشا" بتجهيز السفن لفتح "آغريبوز"، وكُلّف "أحمد باشا كدك"، بالذهاب إلى "كفه" و"آزاق" سنة 880هـ/ 1475-1476م، وقام بعد عودته بفتح "بولية"، أمّا "مسيح باشا"، فقد فتح "رودس"، وبعد عودته سلمت له محافظة "كليبولي"، ووصل "كويكو سنان باشا" بثلاثمائة قطعة بحرية إلى أولونية، ونهب سواحلها، وتوجّه "داود باشا الثاني"، سنة 898هـ/ 1492-1493م، لفتح "إينه بختي" لنجدة جزيرة "ميديلي"، فوصلها سنة 907هـ / 1501-1502م، وخرج أحمد بك كمانكش"، بالأسطول سنة 940هـ/ 1533 - 1534م، وقام "بياله باشا"، بفتح جربة سنة 876هـ/ 1559-1560م، وأتى برمان "أنابولو"، واستولى على "ساقيز" سنة 973هـ/ 1565-1566م، واشترك "علي باشا المعروف بابن المؤذن"، في فتح قبرص<sup>(1)</sup>.

وخرج "سنان باشا جغالة أوغلو"، في البحر مرتين إلى "ديجة" سنة 999هـ/ 1590-1591م، ونهبها، وتوجه بالأسطول في ولايته الثانية إلى "إينه بختي" سنة 1007هـ/ 1598-1599م، وفي السنة الموالية أي 1008هـ/ 1599-1600م ذهب إلى "مسنة"، وفي سنة 1012هـ/ 1603-1604م ذهب إلى الإسكندرية،

(1) - حاجي خليفة، تحفة الكبار، ج2، ص ص 219 - 221.

## تطور صلاحيات منصب قائد البحرية العثمانية على ضوء كتاب "تحفة الكبار" لحاجي خليفة (1167هـ/1754م)

وأمر بإحضار الخزينة، ثم عيّن قائدا للحملة على إيران وهو ريان سنة 1013هـ /  
1604-1605م<sup>(1)</sup>.

أمّا "خليل باشا البوسنوي"، فقد خرج إلى البحر الأبيض المتوسط سنة 1596م مدافعا عنه، وسافر "مصطفى باشا بن قايا باشا المسمى برويز"، إلى البحر بالأسطول وهو نائب، وسافر "جعفر باشا" مرتين وأحضر سنة 1015هـ/ 1606-1607م خزانة مصر من الإسكندرية، وذهب سنة 1016هـ/ 1607-1608م إلى "أوارين" لحراستها، أمّا "حافظ أحمد باشا"، فقد ذهب سنة 1017هـ/ 1608-1609م إلى الإسكندرية وأحضر خزينة مصر وإيراداتها، وبينما كان الأسطول فيها هجمت سفن القراصنة المقاتلة على السفن المصاحبة لقوافل السفن المصرية فهزمتها في رودس واستولى على عدة سفن، ولما وصل الريان وجد السفن مهزومة وبعد عودته إلى الباب العالي عزل<sup>(2)</sup>.

وقام "خليل باشا" في المرات الأربع التي تولى فيها الريانية بأعمال جليلة، فقد ذهب في ولايته الأولى بالأسطول إلى البحر الأبيض المتوسط وقام بحملة "جهنم السوداء" ولما رجع عزل، وفي ولايته الثانية وصل إلى مالطة وخرج مرة أخرى للحراسة في 1024هـ/1614م، وفي ولايته الثالثة ذهب إلى البحر الأسود وحضر إلى خوتن لإقامة الجسر، وفي الولاية الرابعة جاء بالأسطول "استانبول" وكان رجب باشا قد ذهب إلى البحر الأسود كقائد، أما هو فقد ذهب إلى البحر الأبيض المتوسط في 1038هـ/ 1628-1629م وهكذا احتل مكانه وأنقذ كرامته<sup>(3)</sup>.

(1)-حاجي خليفة، تحفة الكبار، ج2، ص 222.

(2)-المصدر نفسه، ج2، ص ص 222، 223.

(3)- المصدر نفسه، ج2، ص ص 223، 224.

## تطور صلاحيات منصب قائد البحرية العثمانية على ضوء كتاب "تحفة الكبار" لحاجي خليفة (1167هـ/1754م)

أما "محمد باشا"، فقد خرج إلى البحر سنة 1020هـ/ 1611-1612م وقام بحراسته وذهب إلى رودس سنة 1022هـ/ 1613م بالأسطول فاستولى العدو على تسع قطع بحرية فقل راجعا وعزل عن منصبه، وقام "علي باشا بن أحمد باشا" في ولايته الثانية بالخروج للبحر المتوسط لحراسته سنتي (1027-1028هـ/ 1617-1618م)، وحارب "رجب باشا" "القازان" أواخر رمضان 1031هـ/ 1621م أربع مرات وهو نائب، وبعد أن أصبح ربانا قام بحراسة البحر الأبيض المتوسط في خروجه الأول وذهب إليه المرة الثانية لإجلاس الخان على العرش، وفي الحملة الثالثة حارب مائتي سفينة روسية وتغلب عليها. وخرج "حسن باشا جلبي من الجه"، مرتين للبحر، وصل في حملته الأولى في البحر الأبيض المتوسط إلى الخليج وسافر في الثانية إلى البحر الأسود ليجلس "جانبك كيراي" على العرش<sup>(1)</sup>.

أما "مصطفى باشا بن جانبلاط"، فقد ذهب إلى البحر المتوسط واستولى على سفينتين من سفن الإسبان ورجع ليصبح حاكما على بلاد الروم ثم ذهب لنجدة "روان" ليسوق العساكر، وذهب "جعفر باشا" إلى البحر الأبيض المتوسط في حملته الأولى ووقف أمام غاليون للأعداء وكاد أن يؤسر، وفي حملته الثانية إلى البحر المتوسط أيضا لم يستطع القيام بأي شيء، وسافر "حسين باشا" في ولايته الأولى إلى "روان" تحت رعاية السلطان وكان كتخدا بياله، وفي ولايته الثانية ذهب للبحر الأسود وأسندت إليه حراسة "أوزي" في جمادى الأولى 1050هـ/ 1640م، وذهب "مصطفى باشا سلاحدار"<sup>(2)</sup>، مع السلطان

(1) - حاجي خليفة، تحفة الكبار، ج2، ص ص 223، 224.

(2) - سلاحدار مصطفى باشا الرومي العثماني، والي مصر، من تصانيفه: منشآت سلاحدار مصطفى باشا. أنظر عنه: علي الرضا قره بلوط، أحمد طوران قره بلوط: معجم التاريخ "التراث الإسلامي في مكتبات العالم المخطوطات والمطبوعات"، ج5 ط1، دار العقبة، قيصري- تركيا، 2001م، ص 374.

## تطور صلاحيات منصب قائد البحرية العثمانية على ضوء كتاب "تحفة الكبار" لحاجي خليفة (1167هـ/1754م)

مراد في حملة بغداد، أمّا "سيواش باشا"، فقد ذهب إلى أزاك بالأسطول سنة 1051هـ/1641م، لكنه رجع ولم يتمكن من الاستيلاء عليها فعزل<sup>(1)</sup>.

وخرج "بياله باشا" بالأسطول إلى البحر المتوسط قاصدا السواحل المعادية واستطاع الاستيلاء على سفينة محملة بالخشب، وذهب "بكير باشا" بالأسطول للبحر الأبيض المتوسط وفي حملة أخرى ذهب لشواطئ قلبوني، أمّا "يوسف باشا" فذهب إلى كريت بالأسطول واستولى على حصن "خانيا" سنة 1055هـ/1644م، ووصل "موسى باشا الأول" إلى كريت سنة 1056هـ/1645م، فأحاط به قليون القتال أمام أغريوز، فيما توجه "موسى باشا الثاني"، إلى كريت أيضا وبينما كان ينقل جنود الأسطول وبلاد الروم ظل مُحاصراً في أنابولو فعزل عن منصبه، وخرج "فضلي باشا" بالقاليونات من استانبول في جمادى الآخرة 1057هـ/1646م ووصل إلى كريت مارا بـ "ساقيز"، وذكر حاجي خليفة أنّ الربان "ابن عمار" وصل بالأسطول إلى المضيق بحوصر<sup>(2)</sup>.

أمّا "أحمد باشا"، فخرج بالقاليونات والأسطول الكبير في ربيع الآخر 1059هـ، فبوغت بالقتال في "فوجه" ووصل إلى كريت وكان يأمل أن يهاجم حصن سودا، فاستشهد، وساعد "علي باشا" كريت في حملته الأولى، وفي حملته الثانية أخذت منه عدة سفن فعزل من عمله بعد سنة، وذكر أنّ "محمد باشا بن شاويش" وصل بالأسطول إلى كريت واستولى على حصنها ولما وصل رودس وعزل عن عمله وسجن هناك<sup>(3)</sup>.

(1) - حاجي خليفة، تحفة الكبار، ج2، ص ص 224، 225.

(2) - المصدر نفسه، ج2، ص ص 221، 226.

(3) - المصدر نفسه، ج2، ص ص 226، 227.

## تطور صلاحيات منصب قائد البحرية العثمانية على ضوء كتاب "تحفة الكبار" لحاجي خليفة (1167هـ/1754م)

أمّا "مصطفى باشا عازف المزمار"، فقد خرج بالأسطول وقاتل الأعداء في المضيق ووصل إلى كريت وأنقذ حصن "منكشة" من حصار الكفار، وواصل "كنعان باشا" محاربة الأعداء في المضيق لكنه انهزم وذهب إلى "قواله"، وقام "سيدي أحمد باشا" بحراسة المضيق عدة أسابيع ثم رجع وقام بخدمات في الترسانة<sup>(1)</sup>.

وما يميز هذا المنصب أنه قابل للتجديد لعدة مرات حيث أنّ بعضاً من هؤلاء الربابنة المذكورين تولى هذه الوظيفة أكثر من مرّة، منهم: "سنان باشا جغالة أوغلو"، الذي تولى الربانية مرتين، في الأولى أصبح ربانا على منطقة "وان" التي كان يحكمها بعد حسن باشا أولوج، ثم عزل عنها سنة 1003هـ/1595م، وتولى المرة الثانية سنة 1007هـ/1598-1599م، ومنهم: "خليل باشا"، الذي تولى أربع مرات، الأولى سنة 1018هـ/1609-1610م، والثانية سنة 1023هـ/1614م، أمّا الثالثة والرابعة لم يذكر حاجي خليفة سنواتها، ومنهم: "علي باشا بن أحمد باشا"، ذكر المؤلف عنه أنّه عين ربانا ثم عزل في عهد السلطان مصطفى باشا، وأن ولايته الثانية كانت سنة 1027هـ/1617-1618م، وتولى "حسين باشا" مرتين أيضاً، الأولى في 4 محرم 1044هـ/1634م، والثانية أصبح فيها ربانا مكان مصطفى باشا سلاحدار، وقد يكون ذلك سنة 1050هـ/1640م باعتبار ما ذكره من أحداث بعد توليه<sup>(2)</sup>.

سادسا: نفوذ وسلطات منصب القائد:

تطرق حاجي خليفة إلى عدة نقاط في أقسام الجزء الثاني تخدم تطوّر صلاحيات منصب الربابنة أو قائد البحرية العثمانية، فالقسم الثاني سلت

(1) - حاجي خليفة، تحفة الكبار، ج2، ص ص 227، 228.

(2) - المصدر نفسه، ج2، ص ص 222، 223، 224، 225.

## تطور صلاحيات منصب قائد البحرية العثمانية على ضوء كتاب "تحفة الكبار" لحاجي خليفة (1167هـ/1754م)

الضوء فيه على الجانب البشري حيث يعدد ويعرّف بالأشخاص والجنود الذين يدخلون تحت إمرة الريان، وهم نوعان، الأول: "العزّاب"، وهم مختلف الأشخاص الذين يسهرون على ما يخصّ سدّ جزور السفينة أو صناعة السدادات والتّجارون وغيرهم. والثاني، هم: "البكوات"، أي: حكام الأقاليم والزعماء وأصحاب الإقطاعيات، الذين يتواجدون بمختلف الإيالات والولايات والسناجق، وعلى رأسها ولاية غليبولي<sup>(1)</sup>.

وبين في القسم الثالث، مختلف التّظم والقوانين التي تكون تحت نفوذ القائد التي تتحكم في خروج الأسطول إلى البحر للحملة، ومحطّات ذلك، إذ إنّ أوّل محطة ينطلق منها هي منطقة "بشيكطاش"، ثم يصل إلى "يدي كوله"، التي يبقى بها يومين أو ثلاث بغرض تحميل الجنود، ثم يتوجّه إلى "أرجلي"، وعندما يخرج من "بحر مرمرة"، يذهب إلى "أكلينليك" و"غليبولي"، ثم يورد شروط المبيت في هذه المحطّات وما يجب على الأسطول أن يلتزم به ويتزوّد به، وكيف يسير في أوقات الليل والنهار<sup>(2)</sup>.

وفي القسم الرابع، يركّز على صلاحيات القائد في تطبيق قوانين المعركة البحرية وقدرته في ذلك، وهدفه من خلاله هو تبيان الأخطاء التي وقع فيها الربابنة السابقون، حتّى يتفادها ربابنة عصره، ويذكر من المواقف غرق سفينة جعفر باشا القيادية في "كسنديرة"، واستشهاد "موسى باشا" في "أغريبوز"<sup>(3)</sup>.

وخصص القسم الخامس، للحديث عن "أنواع سفن الأسطول المختلفة ورجاله" فيتضح مدى حجم سلطة القائد وقدرته على معرفة تفاصيل العامة

(1) - حاجي خليفة، تحفة الكبار، ج2، ص ص 229 - 232.

(2) - المصدر نفسه، ج2، ص ص 233 - 235.

(3) - المصدر نفسه، ج2، ص ص 236 - 237.

## تطور صلاحيات منصب قائد البحرية العثمانية على ضوء كتاب "تحفة الكبار" لحاجي خليفة (1167هـ/1754م)

والخاصة للجانب المادي والبشري، فذكر أنواع السفن السائرة بالمجديف، ومنها: الفرقاطة، والبركندة، والقالفية، وقادرغا، وباشتارده. وذكر من السفن ما يسمى "قاليون"، وبها أنواع مختلفة، وقد استعملها الكفار- كما ذكر- في الأغلب. ثم ركّز عن سفينة "ماوونا"، وذكر أبعادها وبعضها من مميزاتا، والسفينة المسماة "باشتاره"، وذكر أيضا خصائصها، وفعل نفس الشيء مع سفينة "القادرغا"<sup>(1)</sup>.

وفي القسم السادس، نلمس صلاحيات القائد في حقه في التصرف المالي، تطرق فيه إلى ما يحتاجه الأسطول من مستلزمات ونفقات، فركّز في البداية على جسم السفينة، ثم ذكر من أين أنواع الأخشاب المستخدمة ومن أين تجلب، ووصف المسامير المختلفة، وإلزامية تجديد حدائد مرساة السفينة، وتطرق إلى الحبال المستخدمة سواء كانت غليظة أو رفيعة، وإلى الأشرعة على تعدد أشكالها وأحجامها، وإلى القوانين التي يخضع لها تجديد الشراع، والأقمشة اللازمة له، وأين تنسج، وأشار إلى غطاء مؤخرة السفينة المسمى بالخيمة، وإلى القناديل التي وجب أن تزود بها، وإلى المدافع، والبارود، والأعلام، والزيت والرصاص، ومقياس عمق البحر المسمى "الأسكانديل"، وإلى الخريطة والبوصلة، وغيرها من المستلزمات والأمرورية<sup>(2)</sup>.

ويمثل القسم السابع، أحد الركائز التي وضعها حاجي خليفة للربابنة الذين عاصروهم أو الذين سيأتون بعدهم، وهدفه من خلاله تقديم مجموعة من النصائح لعلها تساهم في تحسين مستوى الأسطول العثماني وازدهاره وتقدمه، وقد قدّم فيه أربعين نصيحة نستخلص منها أهمية هذا المنصب واتساع نفوذه وصلاحياته الكبيرة فهو الرجل الأول في البحر<sup>(3)</sup>.

(1) - حاجي خليفة، تحفة الكبار، ج2، ص ص 238-240.

(2) - المصدر نفسه، ج2، ص ص 241-247.

(3) - المصدر نفسه، ج2، ص ص 248-253. وانظر: الملحق رقم (02).

## تطور صلاحيات منصب قائد البحرية العثمانية على ضوء كتاب "تحفة الكبار" لحاجي خليفة (1167هـ/1754م)

خاتمة:

نستخلص مما سبق:

أن مكانة الريان كانت تتحدّد من خلال الأعمال والإنجازات التي قام بها خلال مدة تولّيه لقيادة الأسطول العثماني، وهي في مجملها بحسب ما ذكره حاجي خليفة: الخروج للبحر لحماية المياه الإقليمية للدولة، أو توسعتها، وخاصة في البحر الأبيض المتوسط وبحر إيجه، كما عمل الريابنة على المساهمة في مختلف الحملات البحرية التي عرفتها الدولة العثمانية آنذاك، ومن خلال هذه الأعمال يتحدد مصير الريان واستمراريته في منصبه فيعملوا شأنه ويغدوا من رجالات الدولة المهمّين، وقد تكون سببا في إحالته لمناصب أعلى مثل منصب الصّدر الأعظم. وقد تؤول هزيمة الريان أو سوء تسييره إلى قصر مدّة توليه، فيتم عزله، ومنهم من يتهم بالخيانة فيقتل. ومن الأمور البارزة أنّ من هؤلاء من تولّى أكثر من مرّة، يعزل ويحول لمهام أخرى، ثم يعود للمنصب وهكذا دواليك.

**تطور صلاحيات منصب قائد البحرية العثمانية على ضوء كتاب  
"تحفة الكبار" لحاجي خليفة (1167هـ/1754م)**

الملاحق:

الملحق رقم (01): جدول يمثل وفيات بعض الربابنة بحساب الجمل من  
خلال كتاب "تحفة الكبار"

الربان	رمزه	الحساب	النتيجة	ج 2، ص
خير الدين باشا	"مات رئيس البحر"	م = 40، أ = 1، ت = 400، ر = 200، أ = 1، ي = 10، س = 60، أ = 1، ل = 30، ب = 2، ح = 8، ر = 200	953	220
سنان باشا أخورستم	غاص الربان في "بحر الرحمة"	ب = 2، ح = 8، ر = 200، أ = 1، ل = 30، ر = 200، ح = 8، م = 40، ت = 400.	961	221
بياله باشا	تعرض بياله باشا لأجله فجأة	ت = 400، ع = 70، ر = 200، ض = 800، ب = 2، ي = 10، أ = 1، ل = 30، هـ = 5، ب = 2، أ = 1، ش = 300، أ = 1، ل = 30، أ = 1، ج = 3، ل = 30، هـ = 5، ف = 80، ج = 3، أ = 1، ة = 400.	نتيجة خاطئة	221
درويش باشا	قتل السلطان درويش	ق = 100، ت = 400، ل = 30، أ = 1، ل = 30، س = 60، ل = 30، ط = 9، أ = 1، ن = 50، د = 4، ر = 200، و = 6، ي = 10، س = 300.	نتيجة خاطئة	222

**تطور صلاحيات منصب قائد البحرية العثمانية على ضوء كتاب  
"تحفة الكبار" لحاجي خليفة (1167هـ/1754م)**

الملحق رقم (02): جدول يبين مواضيع النَّصائح الواردة في القسم السابع  
من الجزء الثاني

الرقم	فحوى النصيحة	الرقم	فحوى النصيحة
01	الاستشارة وعدم الاستبداد بالرأي	21	كيفية التصرف إذا كان أسطول الكفار قريبا من بلاد الروم أو سواحل الأناضول
02	صناعة السفينة	22	كيفية التصرف إذا كانت سفينة العدو من نوع قاليون
03	مسلتزمات السفينة	23	غير موجودة
04	الحراسة	24	عدم مغادرة الربان القائد سفينته عند المعركة
05	توزيع سفن الأسطول	25	كيف يتصرف الربان الباشا عند المعركة
06	وجوب الرسو في ساحل بلاد الروم أو شاطئ الأناضول وعدم تجاوزه	26	ما يجب أن يخرج من سفن عند الاقترام
07	صلاة الفجر	27	الجدافون
08	ضرورة أن يكون رؤساء البحر قد مارسوا الحملة إلى الجزائر أو الجولان	28	سفن الاستخبارات
09	الجدافين	29	كيفية التصرف إذا تعرضت السفينة لإطلاق القنابل والرصاص

**تطور صلاحيات منصب قائد البحرية العثمانية على ضوء كتاب  
"تحفة الكبار" لحاجي خليفة (1167هـ/1754م)**

10	ترتيب سفينة القيادة	30	كيفية التصرف عند الاستيلاء على سفينة العدو
11	تقسيم الأسطول	31	كيفية التصرف إذا تضرر جسم السفينة الذي تحت الماء
12	التجسس على العدو	32	خاصة برجال المدفعية
13	كيفية التصرف في مدينة خالية من أسطول الكفار	33	البارود
14	التزود بالماء- صلاة المغرب	34	حرق أشعة العدو
15	وقت إيقاد القناديل	35	الجنود المرتزقة
16	التنقل بين الجزر	36	الكاليون
17	كيفية التصرف عند الذهاب إلى سواحل الأناضول أو بلاد الروم	37	الخفة والسرعة
18	كيفية التصرف عند انتشار الضباب	38	نهب جزر الخليج وبناء القلاع
19	الاهتمام بتلقي علوم البحر	39	فتح الحصون
20	امتحان الرؤساء والبحارة في علوم البحر	40	الاطلاع على أحداث حملات السلاطين القدماء وفتوحاتهم

## تطور صلاحيات منصب قائد البحرية العثمانية على ضوء كتاب "تحفة الكبار" لحاجي خليفة (1167هـ/1754م)

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً- المصادر:

1. الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد: تهذيب اللغة، ج15، تح محمد عوض مرعب، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، 2001م.
2. الأصمهاني، أبو موسى محمد بن عمر المدني: المجموع المغيث في غريب القرآن والحديث، ج2، تح عبد الكريم العزباوي، ط1، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جدة، مكة المكرمة- المملكة العربية السعودية، 1988م.
3. حاجي خليفة، تحفة الكبار في أسفار البحار، ج1، 2، تح وتر محمد حرب وتسليم حرب، ط1، دار البشير للثقافة والعلوم، د م ن، 2017م.
4. حاجي خليفة، سلم الوصول إلى طبقات الفحول، ج1، 3، تح محمود عبد القادر الأرنؤوط، إشراف وتق أكمل الدين إحسان أوغلي، مكتبة إرسिका، إسطنبول- تركيا، 2010م.
5. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد: الفائق في غريب الحديث والأثر، ج3، تح علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعرفة، لبنان، د ت.
6. ابن سَلام، أبو عبّيد القاسم: كتاب السلاح فصل من كتاب الغريب المصنف، تح حاتم صالح الضامن، ط2، مؤسسة الرسالة والنشر والتوزيع، 1985م.
7. ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي: المخصص، ج5، تح خليل إبراهيم جفال، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، 1996م.

## تطور صلاحيات منصب قائد البحرية العثمانية على ضوء كتاب "تحفة الكبار" لحاجي خليفة (1167هـ/1754م)

8. الصَّغاني، رضي الدين الحسن بن محمد: العباب الزاخر واللباب الفاخر، ج1، 24، تح فير محمد حسن، ط1، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، د م ن، 1978م.
9. الظاهري، زين الدين عبد الباسط: نيل الأمل في ذيل الدول، ج8، تح عمر عبد السلام تدمري، ط1، المكتبة المصرية للطباعة والنشر، بيروت- لبنان 2002م.
10. ابن عباد، إسماعيل: المحيط في اللغة، ج2، تح محمد حسن آل ياسين، ط1، عالم الكتب، بيروت- لبنان، 1994م.
11. ابن فضل الله، محمد أمين الحموي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج2، دط، دارصادر، بيروت- لبنان، دت.
12. مرتضى الزبيدي، محمد الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، ج5، 35، تح جماعة من المختصين، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 2001م.

ثانيًا- المراجع:

1. الكتب
1. أحمد مختار عمر، وآخرون: معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، ج1، ط1، عالم الكتب، القاهرة- مصر، 2008م.
2. معجم اللغة العربية المعاصرة، ج2، 3، ط1، عالم الكتب، د م ن، 2008م.
3. بلوط، علي الرضا قره، أحمد طوران قره بلوط: معجم التاريخ "التراث الإسلامي في مكتبات العالم المخطوطات والمطبوعات"، ج5 ط1، دار العقبة، قيصري- تركيا، 2001م.
4. تيمور، أحمد: معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية، ج3، 5، إعداد وتح حسين نصّار، ط1، دارالكتب والوثائق القومية، القاهرة- مصر، 2001م.

## تطور صلاحيات منصب قائد البحرية العثمانية على ضوء كتاب "تحفة الكبار" لحاجي خليفة (1167هـ/1754م)

5. دراج، محمد: الجزائر في المصادر العثمانية دراسة للمصادر ونصوص نموذجية مترجمة من التركية إلى العربية، دار الوراق للدراسات والنشر، الجزائر، 2017م.
  6. دُوْزِي، رينهارتُ بيتر أن: تكملة المعاجم العربية، ج8، 10، ترجمة وتعليق محمد سليم النعيمي، ط1، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 2000م.
  7. خوري، أمين: رفيق العثماني، دط، مطبعة الآداب، بيروت-لبنان، دت.
  8. سركيس، يوسف إلياس: معجم المطبوعات العربية والمعربة، ج2، دط، مطبعة سركيس، مصر، 1928م.
  9. عبد الرحيم، ف: معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، ط1، دار القلم، دمشق، 2011م.
  10. العسلي، بسام: خير الدين بربروس (والجهاد في البحر) 1470-1547م، ط1، دار النفائس، 1980م. فاندريك، ادوارد كرنيليوس: اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، تصحيح محمد علي الببلاوي، دط، مطبعة التأليف الهلال، مصر، 1896م.
  11. كحالة، عمر رضا: معجم المؤلفين، ج12، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، دت.
  12. هوتسما، م. ت، وآخرون: موجز دائرة المعارف الإسلامية، ج11 مراجعة وإشراف حسن حبشي، وآخرون، ط1، مركز الشارقة للإبداع الفكري، 1998م.
- 2- المقالات:
1. رضوان، نبيل عبد الحي: "تطور الأسطول العثماني في ظل أبرز الحضارات البحرية للبحر المتوسط"، مجلة دراسات وبحوث في التاريخ والحضارة، ع20، كلية الآداب جامعة القاهرة، 1998م.

التراث التسموي للمنشآت الدفاعية لمدينة الجزائر بين التأثير والتأثير  
- دراسة وصفية تحليلية-

---

التراث التسموي للمنشآت الدفاعية لمدينة الجزائر بين التأثير  
والتأثير-دراسة وصفية تحليلية-

The toponymic legacy of Algiers' defense structures,  
a descriptive and analytical study

د. مليكة صالح

مركز الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية بوهان crasc

m.salhi@crasc.dz

---

ملخص :

ضلت التحصينات الدفاعية بمدينة الجزائر في الفترة العثمانية عقبة أمام كل محاولات الغزو والاحتلال الأوروبي، كما ساهمت في الحروب البحرية مما جعل سلطات دولة الجزائر تعزز المدن الساحلية التي تقع على الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط خاصة العاصمة الجزائر بمنشآت دفاعية كالحصون والأبراج والقلاع والرباطات وكذلك الأسوار والأبواب، فتأثرت هذه التحصينات بالثقافة العسكرية العثمانية وأثرت في الثقافة المحلية، وهذا الموضوع غير مدروس كثيرا من حيث التسمية وأصولها الخارجية أو المحلية وكيف أثرت بدورها في تسميات أخرى للحصون والقلاع التي عرفتها الجزائر وبلاد المغرب عموما. وهذا ما نحاول دراسته في هذه الورقة العلمية التي تهدف إلى معرفة طبيعة ودلالة المنظومة التسموية للمنشآت الدفاعية لمدينة الجزائر في الفترة العثمانية.

## التراث التسموي للمنشآت الدفاعية لمدينة الجزائر بين التأثير والتأثير - دراسة وصفية تحليلية-

---

كلمات مفتاحية: الأبراج العسكرية، الحصون، القلاع، الطوبونيميا، الأنوماستيك، مدينة الجزائر.

### **Abstract :**

The defensive fortifications in Algiers during the Ottoman period remained an obstacle to all attempts of European invasion and occupation, and contributed to naval wars, which made the authorities of the Algerian state reinforce the coastal cities located on the southern bank of the Mediterranean Sea, especially the capital Algiers, with defensive facilities such as fortresses, towers and castles, as well as walls and gates, so these fortifications were influenced by the Ottoman military culture and influenced the local culture, and this topic is not much studied in terms of naming and its foreign or local origins and how it in turn affected other names for the forts and castles that Algeria knew and the Maghreb countries, Amo This is what we are trying to study in this scientific paper, which aims to know the nature and significance of the naming system of Algiers' defense facilities in the Ottoman period.

**Keywords:** Military Towers, Fortresses, Castles, Toponymy, Onomastics, Algiers.

## التراث التسموي للمنشآت الدفاعية لمدينة الجزائر بين التأثر والتأثير

### - دراسة وصفية تحليلية -

عرفت الجزائر في بداية القرن السادس عشر الميلادي 16م سلسلة من التغيرات والأحداث خاصة على الصعيد الخارجي والدولي وكان أهمها الهجومات الأوروبية على سواحلها طمعا في احتلالها والسيطرة على البحر الأبيض المتوسط، وهنا لم تبقى الجزائر مكتوفة الأيدي وسارعت بطلب النجدة والتدخل من السلطة العثمانية التي لم تتوانى في تقديم الدعم والدفاع عن سواحلها. ومنذ أن وطئت أقدام العثمانيين الجزائر اهتموا كرد فعل أولي للتصدي لهذه الهجومات ببناء منشآت دفاعية وعسكرية على السواحل أو بالقرب منها، فتنوعت هذه التحصينات في طرق بنائها على حسب المهام التي تقوم بها، ويشير الباحثين أن هذه المنشآت الدفاعية لم تكن ذات فن وجمال نظرا لوظيفتها العسكرية المنوطة بها وهي الدفاع والهجوم،<sup>(1)</sup> وبذلك كانت تتطلب القوة والصلابة، وتركزت هذه التحصينات على طول الساحل الجزائري، لكن في هذه الورقة البحثية اکتفينا بتقديم المنشآت الدفاعية في مدينة الجزائر لما تمثله من أهمية سياسية و باعتبارها "دار الجهاد" و"المحروسة" و"مدينة الألف مدفع"، بالإضافة إلى تعدد المنشآت العسكرية فيها،<sup>(2)</sup> حيث مثلت هذه الأخيرة دورا رئيسيا في استتباب الأمن والاستقرار في مواجهة الحملات البحرية الأوروبية على السواحل الجزائرية، كما تفنن الحكام العثمانيون في تنويعها لتعدد أدوارها. وفي هذه الورقة العلمية أردنا دراسة هذه المنشآت من حيث الجانب التسموي لها، فلقد تطرقت مختلف الدراسات الأكاديمية والبحثية إلى التحصينات الدفاعية وتناولت مختلف الجوانب سواء الجانب الهندسي

(1) - رفيق تلي: أسوار وأبواب مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، حوليات جامعة قلمة للعلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد 15، العدد 02، ديسمبر، 2021، ص 20.

(2) - هجرة تملكيش: التحصينات الدفاعية بمدينة الجزائر في العهد العثماني حصن تامنفوست نموذجا، مجلة الاتحاد العام للأثريين العرب، الاتحاد العام للأثريين العرب واتحاد الجامعات، 2016، المجلد 17، العدد 01، ص-ص 336-333.

## التراث التسموي للمنشآت الدفاعية لمدينة الجزائر بين التأثر والتأثير

### - دراسة وصفية تحليلية -

للبناء وحتى التاريخي وكذلك الأثري، وكانت تذكر تسمية هذه المنشآت دون التعمق فيها والإرث التسموي لها، وهل له علاقة مع الحملات البحرية ام له علاقة مع السلطة العثمانية أم أنه من نتاج محلي. وهنا أردنا توضيح الموروث التسموي للعمارة العسكرية وتركيبته البنيوية وتاريخه وخاصة دلالاته. قبل التطرق للجانب التسموي للمنشآت الدفاعية في مدينة الجزائر، أردنا أن نعرّج على الجانب المصطلحي للمنشآت الدفاعية، التي تنوعت بين البروج والأسوار والأبواب و الطبانات أو البطاريات والثكنات، " فالعمارة الدفاعية هي مجموعة من المنشآت والموانع الاصطناعية التي أقيمت لتقوية موقع ما، وحمايته من الهجمات المعادية، ومنع العدو من التفوق وفرض السيطرة على المكان"،<sup>(1)</sup> حيث عرفت العمارة الدفاعية تنوعا في مدينة الجزائر كما ذكرنا سابقا فنجد: "الأبراج فمن حيث المصطلح وهي برج الشيء (بفتحتين) ظهر وارتفع، والبرج (بفتح الباء والراء) سعة العين وحسنها والجميل ذو الوجه الوضاء، والتبرج إظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال، والبرج (بضم الباء وسكون الراء) جمع أبراج وبروج، أي القصر المحصّن، والبرج أيضا البيت الذي يبني على سور المدينة أو سور القلعة أو مربعا يعتصم به المقاتلون"<sup>(2)</sup>. أما السور فتضمن تعريفه حسب المصطلح الأثري المعماري بالجدار العالي الضخم الذي يحيط بالبناء لحمايته،<sup>(3)</sup> فذكرت المصادر التاريخية أن الأسوار من أساسيات البناء المعماري القديم منها ما هو متعلق بالمظهر الجمالي للمدينة ومنها ما يشكل سدا منيعا لإيقاف المتغيرات الطبيعية كالفيضانات والعواصف ومنها ما هو حماية للمدن من التعرض

(1) - عثمان مفتاح : طبانة حلق الوادي بمدينة الحراش (الفترة العثمانية) اكتشاف ومحافظة على تراث أثري

ورد الاعتبار، مجلة الدراسات الأثرية، المجلد13، العدد02، جامعة الجزائر2، 2015، ص 253.

(2) - عاصم رزق: معجم المصطلحات للعمارة الإسلامية، مادة: الباب، ط 01، مكتبة مدبولي، مصر، 2000، ص

ص-244-259.

(3) - عاصم رزق: معجم المصطلحات للعمارة الإسلامية، ص -ص 244-259..

## التراث التسموي للمنشآت الدفاعية لمدينة الجزائر بين التأثر والتأثير

### - دراسة وصفية تحليلية-

للغزو والعدوان،<sup>(1)</sup> وهذا الأخير ما وجدناه في السواحل الجزائرية وبالرغم بما تميّزت به هذه الأسوار ودورها الدفاعي إلا أنها لا تسمح بالتوسع العمراني داخل المدينة، هذا ما جعل البيوت متراصة وعالية البناء والطرق والأزقة ضيقة، بينما الأبواب أو بيبان وهو المدخل الرئيسي وما تُسدّ به فتحته من خشب ونحوه، واصطلاحا هو الفتحة القائمة في سور المدينة أو الحصن أو الخان أو في واجهه المباني،<sup>(2)</sup> وفي صدد حديثنا عن الأبواب في مدينة الجزائر لمسنا قيمتها ومدى أهميتها في ظل السلطة العثمانية فكانت الأبواب متقنة الصنع فهي مصنوعة من الخشب ومُصَفَّحة بالحديد وذات مصاريع حديدية تغلق قبل غروب الشمس وتفتح بعد طلوعها.<sup>(3)</sup> أما الطبانة Tabbana فهي كلمة تركية الأصل أو بطارية المدافع (وحدة تقنية في مكان وضع المدافع) وكلمة طبوخانة مركبة من كلمتين طوب وتعني المدفع وخانة مكان وضع المدفع،<sup>(4)</sup> وهناك من يرى أن كلمة طبوخانة Tabhane هي محل التجميل والراحة وكان مرفقا في العادة بالمشافي يقضي فيه المريض فترة من الوقت حتى يعود الى وضعه الطبيعي،<sup>(5)</sup> وحسب الآثار الموجودة وما اطلعنا عليه من دراسات فالتعريف الأول هو الأقرب إلى الصحة بحكم أن هذه المنشآت دفاعية وهو دورها الأساسي. وأخيرا الثكنة والتي يطلق عليها "دار الانكشارية" يقيم

(1) - بن عتو بلبروات : المنشآت الدفاعية بمدينة الجزائر ومينائها خلال العهد العثماني، مجلة الحضارة، المجلد 11، العدد 14 ، جامعة وهران 2، ص ص 58-157.

(2) - عاصم محمد رزق: المرجع السابق، ص 259.

(3) - علي عبد القادر حليبي : مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م، المطبعة العربية لدار الفكر الاسلامي، ط01، الجزائر، 1972، ص -ص 232-234.

(4) - Ben cheneb, Mohamed : Mots Turks et persans conservés dans le parler algérien, Thèse complémentaire doctorat en lettres, Jules Carbonel imp. Libraire .éditeur, Alger, 1922, p 57.

(5) - سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة فهد الوطنية، الرياض، 2000، 147.

## التراث التسموي للمنشآت الدفاعية لمدينة الجزائر بين التأثر والتأثير

### - دراسة وصفية تحليلية-

داخلها أكثر من أوجاق أو وحدة عسكرية<sup>(1)</sup>، ويقصد بها المراكز المخصصة لإقامة الجنود وفيه يخضعون لقوانين ونظم، وتحتوي كل ثكنة على مجموعة أوجاقات والغرف وكل منها تضم ثلاث أفراد.<sup>(2)</sup> إن تناول الجانب المصطلحي للمنشآت الدفاعية يجعلنا نقف على التنوع في المعمار الأثري في الفترة العثمانية وإن كانت تفتقد إلى الجانب الجمالي بحكم وظائفها لكن الجانب الغير مدروس بكفاية في الموضوع هو تسمية هذه المنشآت والموروث الثقافي لها، فما هي دلالاتها واستعمالاتها ؟

### البنية التسموية والإحصائية للمنشآت الدفاعية: جدول رقم 01: أسماء المنشآت الدفاعية

أسماء الثكنات	أسماء الأبراج والحصون	أسماء الطبانة أو البطارية	أسماء الأبواب
- ثكنة باب عزون	- برج الفنار	- طبانة الأندلس	- باب عزون
- ثكنة المكررين	- برج رأس عمار	- طبانة الجامع الكبير	- باب الوادي
- ثكنة أسطى موسى	القديم	- طبانة قاع السور	- باب الدزيرة

(1) - Henri Klein : Les casernes des janissaires, feuilles d'el djézair, Alger, 1937, p91.

(2) - أرزقي شويتام: دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي في الفترة العثمانية ( 1830-1519)، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ط01، الجزائر، 2007، ص 27.

## التراث التسموي للمنشآت الدفاعية لمدينة الجزائر بين التأثير والتأثير

### - دراسة وصفية تحليلية -

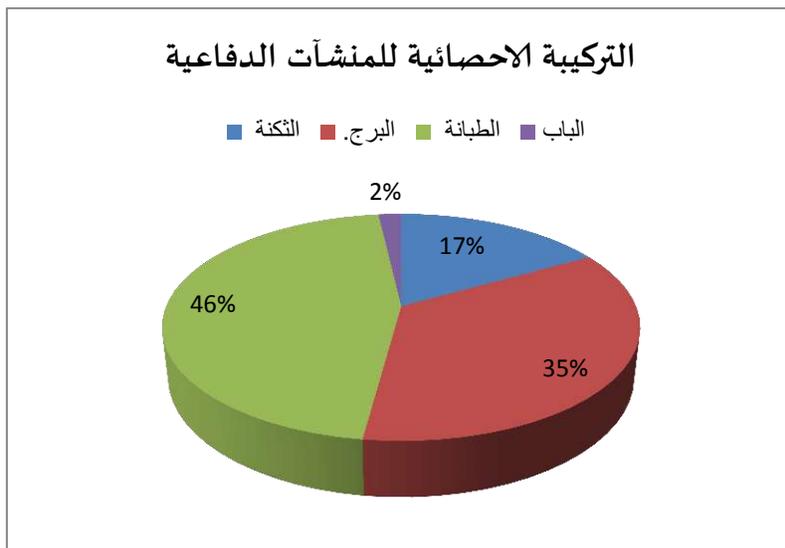
- باب الديوانة	- طبانة باب البحر	- برج رأس عمار	- ثكنة صالح باشا
- باب الجديد	- طبانة المارستان	الجديد	وعلي باشا.
	- طبانة العسل	- برج مايين	- ثكنة بالي
	- طبانة باب الحديد	- برج السردين	أو السفلانية
	- طبانة سيدي رمضان	- برج القومان	- ثكنة أسكي
	- طبانة باب الوادي	- برج الجديد	السفلي
	- طبانة الحمام المالح	- برج محمد باشا	- ثكنة يني العليا
	- طبانة رأس عمار	- برج مولاي حسن	- ثكنة الخراطين
	- طبانة بتبا مرزوق	- برج القنطرة	- ثكنة الدروج
	- طبانة أرناؤوط مامي	- برج ستي تاكليت	- ثكنة الجديدة
	- طبانة رحي الريح	- برج قامة الفول	- ثكنة القديمة
	- طبانة سركاجي	- برج مرسى النبان	
	- طبانة حومة	- برج سيدي فرج	
	السلاوي	- برج باب عزون	
	- طبانة مرسى الذبان	- برج واد خنيس	
	- طبانة قامة الفول	- برج واد الحراش	
	- طبانة الطابية	- برج الكيفان	
	- طبانة سيدي الكتاني	- برج الحمير	
	- طبانة جنان لأغا	- برج تامفوست	
	- طبانة العلي	- برج ابن زهرة	
	- طبانة صهاريج الدوم	- برج البحر	
	- طبانة واد خنيس	- برج الجمرك	
	- طبانة حلق الوادي		
	- طبانة الحمير		
	- طبانة المستودع		
	- طبانة القلعة		

## التراث التسموي للمنشآت الدفاعية لمدينة الجزائر بين التأثر والتأثير

### - دراسة وصفية تحليلية -

	- طبانة الحمراء - طبانة عيون بني مناد	
--	--	--

بتصرف الباحثة: مليكة صالحى ، فيفري 2023.



**المصدر:** الباحثة صالحى مليكة، 2023، من خلال المصادر والمراجع

فحسب الدراسة الإحصائية وجدنا أن الأسماء المتعلقة بالطبانة (البطارية) أكثر عدداً ثم تلتها أسماء الأبراج والثكنات وأخيراً الأبواب، وقد يعود تعدد الأسماء إلى تعدد المباني والمنشآت، وهناك تحصينات دفاعية لم يطلق عليها أي تسمية مثل الأسوار فاهتموا بتسمية الأبواب الخاصة بالمدينة والأبراج والطبانات والثكنات الموجودة في مدينة الجزائر، أما بالنسبة لمورفولوجية أسماء هذه المنشآت فتنوعت بين أسماء مركبة وأسماء معقدة .

**جدول رقم 02: مورفولوجية أسماء التحصينات الدفاعية**

أسماء المنشآت الدفاعية	أسماء معقدة	أسماء مركبة
------------------------	-------------	-------------

## التراث التسموي للمنشآت الدفاعية لمدينة الجزائر بين التأثر والتأثير - دراسة وصفية تحليلية-

البحرية		
أسماء الأبراج	12	11
أسماء الطبانة	21	09
أسماء الثكنة	03	08
أسماء الباب	00	05
المجموع	36 اسما معقدا	33 إسما مركبا

بتصرف من : الباحثة مليكة صالحى ، مارس 2023.

استعملت السلطة والساكنة أسماء متنوعة منها ما هو محلي وما هو أجنبي أو عثماني(تركي)، واستندت على التسمية المعقدة والتسمية المركبة مثال: برج رأس عمار القديم: فكلمة "برج" هو الاسم العام Générique و"رأس عمار القديم" هو الاسم المحدد Spécifique المتكوّن من ثلاثة أسماء: رأس وتعني اسم معلم، وعمار اسم أنثروبونيم (اسم شخص) ، و قديم: هو إسم متنوع.

أما عن الأسماء المركبة مثل "طبانة العسل" فاسم طبانة هو الاسم العام، والعسل اسم محدد، أما عن البنية التسموية للأسماء الخاصة بالمنشآت الدفاعية من حيث الحقل الدلالي لها فقد وجدنا:

### الحقل الدلالي لأسماء المنشآت الدفاعية :

نقصد بالحقل الدلالي للأسماء أي رمزية ودلالة الاسم ومعناه، حيث وجدنا في هذه الدراسة الإحصائية أن غالبية الأسماء دلّت على الاشخاص (الأنثروبونيم) ، فمن الطبيعي أن يخلّد المجتمع والسلطة أسماء لعبت دورا بارزا في صنع الأحداث في تلك الفترة وفي ذلك المكان.

## التراث التسموي للمنشآت الدفاعية لمدينة الجزائر بين التأثر والتأثير - دراسة وصفية تحليلية -

### جدول رقم 03: الحقل الدلالي لأسماء المنشآت الدفاعية

أسماء متنوعة	أسماء هجيونيم <sup>(3)</sup>	أسماء هيدرونيم <sup>(2)</sup>	أسماء أورونيم <sup>(1)</sup>	أسماء نبات	أسماء حيوانات	أسماء أشخاص
30	05	10	02	01	03	18

المصدر: الباحثة صالحى مليكة، مارس 2023.

بالإضافة إلى الأسماء المتنوعة لأن المجتمع كان في ذلك الوقت يهتم بالتفاصيل البسيطة والمحيطه به لذلك وجدنا أسماء متنوعة مثل : ثكنة الخراطين، طبانة العسل، باب الديوانة... إلخ، أما الأسماء المتعلقة بالتضاريس (أورونيم) فلم تكن بشكل كبير وربما راجع لطبيعة المنطقة الساحلية وخلوها من التضاريس، بالإضافة إلى الأسماء المتعلقة بالمياه الهيدرونيم والتي غالبيتها يحمل تسمية " البحر " أو " واد ". هنا نستنتج أن المجتمع الجزائري هو المسيطر على موضوع التسمية و تمت هذه العملية انطلاقا من الواقع ولم تكن تخضع لأي سياسة أو سلطة

من خلال النتائج الإحصائية التي تحصلنا عليها وجدنا:

1. أن النظام التسموي كان يعتمد بدرجة متميزة على تسمية المنشآت الدفاعية انطلاقا من الوسط المعاش ومن هذه الأسماء نجد:  
 ثكنة المكررين: سُميت بالمكررين والمقرئين نسبة الى مقرئي القرآن الكريم والمكررين له لحفظه في إحدى المساجد القريبة من الثكنة،<sup>(1)</sup> وذكرت

(1) - أورونيم: الاسماء المتعلقة بالتضاريس مثل: الجبل ، الكدية ، القارة .

(2) - هيدرونيم: الاسماء المتعلقة بالماء مثل: الواد ، العين ، ... إلخ .

(3) - هجيونيم: الاسماء المتعلقة بالمقدسات مثل: الزاوية ، سيدي ، لالة... إلخ .

## التراث التسموي للمنشآت الدفاعية لمدينة الجزائر بين التأثير والتأثير

### - دراسة وصفية تحليلية -

بعض المؤلفات بأن تسميتها ماكرون بالنسبة للفظائر التي كان يتناولها الجنود الأتراك من كبار السن،<sup>(2)</sup> هذه التسمية ربما بعيدة نوعا ما عن الحقيقة وذكر المؤرخ الفرنسي دوني بأن التسمية خاطئة وأن الصواب في ذلك هو المقرئين أو المكررين.<sup>(3)</sup>

ثكنة الخراطين: وتعود التسمية لمهنة الخراطة فمن عادة المدن الإسلامية كانت النهج مخصصة للصباغين والحدادين والنجارين والخراطين فتسمى الشوارع حسب المهن والدكاكين الموجودة بها.<sup>(4)</sup>  
باب الديوانة: وسميت كذلك "باب السردين" لأنها كانت مخصصة للتجارة البحرية والصيد البحري.<sup>(5)</sup>

ثكنات الدروج: وتعني السلالم وقد سميت بثكنة الدروج لأن مدخلها يقع عند نهاية الدرج،<sup>(6)</sup> وهي بالقرب من شارع الدوامس.<sup>(7)</sup>

برج القومان: أو كما يسمى برج الحبال لكون الطابق السفلي منه يستعمل كمخزن لحفظ الحبال المستخدمة في المراكب.<sup>(8)</sup>

برج الفنار: وهي كلمة محلية وتعني المنارة حيث بناها الإسبان سنة 1510م في وسط جزيرة طبرة،<sup>(1)</sup> أما في المعاجم فنجد معنى الكلمة هو مصباح

(1) - داود ميمم : ثكنات الجيش الانكشاري بمدينة الجزائر- دراسة تاريخية ومعمارية وفنية للثكنة العليا-، مجلة الدراسات الأثرية، المجلد 13، العدد 02، معهد الآثار جامعة الجزائر 2، ص 270.

(2) - Henri Klein : op cit, p 91.

(3) - Jean Deny : Les registres de soldes des janissaires conservé à la B.N.A, revue africaine, n 61, p 217.

(4) - نور الدين عبد القادر: صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها الى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، 2006، ص 134.

(5) - علي عبد القادر حليمي: المرجع السابق، ص 234.

(6) - بن عتوب بلبروات: المرجع السابق، ص 157.

(7) - Henri Klein : op cit, p 91.

(8) - رفيق تلي: المرجع السابق، ص 540.

## التراث التسموي للمنشآت الدفاعية لمدينة الجزائر بين التأثر والتأثير

### - دراسة وصفية تحليلية-

قوي الضوء ينصب على سارية عالية أو شبه برج مرتفع لإرشاد السفن في البحار.<sup>(2)</sup> برج القنطرة: وتسمى قنطرة الحراش "والقنطرة -بفتح القاف وسكون النون - جمع قناطر مرتفعة من البنيان على شكل عقد وجسر مقوس يبني فوق النهر للعبور عليه"،<sup>(3)</sup> وبطبيعة الحال الحراش يوجد به واد كبير يسمى واد الحراش وهذا ما استدعى بناء منشآت تتوافق مع خط سير المياه.<sup>(4)</sup>

برج تامنفوست: تعددت الآراء حول التسمية وما هو متفق عليه أنها كلمة أمازيغية، وهناك من ذكر أن معناها الأيدي الثمانية، وهناك من فسرها بالجهة الشرقية بينما يميل غالبية الباحثين إلى تفسيرها بالجهة اليمنى، وحين احتلت فرنسا الجزائر قامت بتحريف التسمية بجعلها كاب ماتيفو.<sup>(5)</sup>

طبانة حومة السلأوي: سميت حومة السلأوي أو حي السلأوي نسبة إلى مدينة سلا بالمغرب الأقصى فكان هذا الحي توجد به سوق البلايغية (صناعة الأحذية) وتصنع فيه أنواع الأحذية من الجلد المطلق ومن الفيلاي المجلوب من تافيلالت بجنوب المغرب الاقصى.<sup>(6)</sup>

(1) - بن عتو بلبروات: المرجع السابق ، ص157.

(2) - محمد عثمان محمد: معجم المعاني الجامع، د.ت ، ص 734

(3) - عاصم محمد رزق: المرجع السابق، ص 259.

(4) - عثمان مفتاح : أبراج الجزائر القائمة - برج القنيطرة بالحراش نموذجا- ، مجلة الدراسات العسكرية، المركز

الوطني للدراسات بالبحث في التاريخ العسكري المجلد 03، العدد01، ص -ص 105-120

(5) - هجيرة تملكيش: المرجع السابق، ص 336.

(6) - نور الدين عبد القادر: المرجع السابق، ص 134.

## التراث التسموي للمنشآت الدفاعية لمدينة الجزائر بين التأثر والتأثير

### - دراسة وصفية تحليلية -

طبانة سرکاجي: وأطلق عليها هذا الاسم لأنها كانت تتواجد بالمدخل الجنوبي لسجن سرکاجي، وكلمة سرکاجي بالتركية تعني الرجل الصارم والحارس الشديد.<sup>(1)</sup>

طبانة القلعة: وتعود الى حصن القصبة والتي تسمى القلعة وكانت محصنة بالأبواب والأسوار والطبانات.<sup>(2)</sup>

برج الزوبية: (حصن النفايات) حيث كان في هذا المكان حفر لردم نفايات المدينة وسي هذا البرج فيما بعد برج الجديد،<sup>(3)</sup> وهنا نستنتج أن المكان تم تحويله من مردم للنفايات إلى موقع له مكانة في التحصينات الدفاعية.

برج وطبانة مرسى الذبان: كان السكان المحليون يطلقون على برج مرسى الذبان ( ميناء النيص) وكلمة النيص بلغة العربية بينما كان يطلق عليها السكان ( مرسى الذربان) والذربان بلهجة العامية هو حيوان من القوارض يهاجم العدو بأشواكه، وأطلق هذا الاسم لكثرة كمية الفضلات التي تتركها هذه الحيوانات ووجدت هذه التسمية في المصادر العربية مثل أبو عبيد البكري،<sup>(4)</sup> هنا نستنتج أن تسمية مرسى الذبان ربما قد حرفت من التسمية الأصلية مرسى الذربان ووجود هذا الحيوان في السواحل الجزائرية .

(1) - علي خلاصي: القلاع والحصون في الجزائر، مطبعة الديوان، الجزائر، 2008، ص 59.

(2) - لطيفة بورابة : مباني قلعة الجزائر العثمانية(دراسة تاريخية أثرية)، مجلة علوم الانسان والمجتمع المجلد 03، العدد 03 ، جامعة محمد خيضر، بسكرة ، 2014، ص 166.

(3) - Henri Klein : Fortifications Extérieures, les feuillets d'el-djezair, 1910, V02, N02, P-P 34-37

(4) - GRAMMONT (H. - D. de) : Histoire des rois d'Alger, par Fray Diego de Haëdo, abbé de Fromesta , Revue Africaine, -éditeur, Adolphe Jourdan- libraire, N 25, 1881, p-p 78-79.

## التراث التسموي للمنشآت الدفاعية لمدينة الجزائر بين التآثر والتأثير

### - دراسة وصفية تحليلية-

2. والتمسنا من نتائج الدراسة الإحصائية أن النظام التسموي ركّز بدرجة كبيرة على تخليد الشخصيات بترسيخ اسمها حيث ارتبطت أسماء الشخصيات في غالبية المنشآت، بمن قام بعملية البناء والتشييد ومثال عن ذلك:

باب عزون: وهو مسمى نسبة إلى أحد الثوار من الأهالي اسمه عزون، ثار التواجد العثماني في الجزائر واستشهد في إحدى الثورات القائمة ضد حكمه، ويعتبر باب عزون من أهم أبواب المدينة.<sup>(1)</sup>

ثكنة أسطى موسى: سميت بهذه التسمية نسبة للمهندس المعماري موسى الأندلسي الذي كلف بإنجاز لشبكة مياه الحامة وكان مقيما في هذه الثكنة.<sup>(2)</sup>

طبانة أرناؤوط مامي: وهو اسم أحد رياس البحر في نهاية القرن السادس عشر ميلادي 16م وهو قبطان بحري منشق وهو من المرتدين الأوروبيين من ألبانيا جاء إلى الجزائر مع إلحاقها للسيادة العثمانية.<sup>(3)</sup>

3. بالإضافة إلى الأسماء المتعلقة بالهيدرونيم فهي كثيرة وكلها تدل على البحر والواد ونجد مثلا عن ذلك باب الوادي فهو نسبة للوادي الذي يمر بجانبها وتفتح نحو الشمال أو نحو الطريق التي تمر بجبل بوزريعة،<sup>(4)</sup> و برج واد خنيس و برج واد الحراش و باب البحر و برج واد الحمير.

<sup>(1)</sup> - علي عبد القادر حلبي: المرجع السابق، ص 234.

<sup>(2)</sup> - حنيفي هلايلي: أضواء جديدة حول ثكنات الجيش الانكشاري في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية، مجلة الحوار المتوسطي، مخبر البحوث والاستشرافية في حضارة المغرب الاسلامي، المجلد 09، العدد 03، 2019، ص 68.

<sup>(3)</sup> - Bennassar, Bartolomé: Les noms des renégats, revue nuevo mundo, 2015.

<sup>(4)</sup> - علي عبد القادر حلبي: المرجع السابق، ص 233.

## التراث التسموي للمنشآت الدفاعية لمدينة الجزائر بين التأثر والتأثير

### - دراسة وصفية تحليلية -

4. أما الاسماء المتعلقة بالأورونيم والنبات فهي ضئيلة جدا كبرج الكيفان وكلمة الكيفان بالعامية تعني الكهف أو الجبل ويدل أن المنطقة التي بني عليها البرج كانت جبلية، أما طبانة قامة الفول أو كما نجدها في بعض المؤلفات قلّة الفول أو قانة الفول.<sup>(1)</sup>

5. أما فيما يخص بالتسميات الدينية (Hagionymes) وهي موجودة مثل برج "سيدي فرج" و"سيدي رمضان" حيث تعود تسمية هذه الشخصيات الى شخصيات أجنبية قادمة من الاندلس ومن جنوب أوروبا وكان لها دور فعال وبارز في الجزائر المحروسة،<sup>(2)</sup> بالإضافة الى التسمية الدينية المحلية مثل : "ستي تاكليت" امرأة مقدسة سوداء من الأمازيغ.<sup>(3)</sup>، ونجد طبانة سيدي الكتاني نسبة لقرب هذه الطبانة من ضريح الولي الصالح سيدي الكتاني.<sup>(4)</sup>

6. كما شهد الموروث التسموي للمنشآت الدفاعية أسماء أجنبية دخيلة على لغة المجتمع الجزائري غير أنه وظفها واستعملها ومن بين هاته الأسماء وجدنا " طبانة المارستان"، فكلمة المارستان بفتح الميم والراء وسكون السين والجمع المارستانات وهو اصطلاح فارسي مُعرب يتكون من مقطعين أحدهما "بيمار" بمعنى مريض والآخر "ستان" وتعني البيت وهنا نرى للكلمة وجهين مارستان وبيمارستان وهي بيت المريض أو المشفى.<sup>(5)</sup>

7. كل التسميات التي رأيناها كانت وليدة الواقع المعاش ومرتبطة ارتباطا وثيقا بالهجومات والمعارك البحرية فمنها من خلدت أسماء الشخصيات التي

(1) - Henri Klein : Fortifications...op cit, p36.

(2) - عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، دار مكتبة الحياة، ط01، الجزائر، 1965، ص -ص 274-280.

(3) - Henri Klein : Fortifications...op cit, p37

(4) - Albert Devoux : les édifices religieux de l'ancien Alger, typographie bastide, 1870, p22.

(5) - عاصم محمد رزق: المرجع السابق، ص 259.

## التراث التسموي للمنشآت الدفاعية لمدينة الجزائر بين التأثير والتأثير

### - دراسة وصفية تحليلية -

كانت محورا رئيسيا في الحكم والتسيير وكانت السبب في بناء هذه التحصينات لمواجهة المعارك البحرية، ومنها من خلّدت أسماء دخيلة عن المجتمع الجزائري لكن لها علاقة مباشرة بالمكان وفاعليته في المعارك البحرية لتبيّن مدى التأثير الحاصل على المجتمع الجزائري .

8. من النتائج التي سجلناها وجود التكرار للأسماء في المنشآت الدفاعية مثل: ثكنة باب عزون -برج باب عزون- باب غزون، وكذلك تسميات أخرى مثل باب البحر، باب الوادي، وهذا التكرار لم يأتي عشوائيا بل لأهمية الأسماء ودورها في تلك المرحلة وسير الأحداث .

9. ومن النقاط التي لاحظناها وكانت مهمة هو تعدد التسمية للمكان الواحد ومن بين الأمثلة وهي كثيرة وجدنا برج ستي تاكليت الذي سمي برج أربعة وعشرون 24 ساعة وسمي برج باب الواد وبرج الباني وبرج الأمة،<sup>(1)</sup> بالإضافة إلى برج "السلطان قلاصي" الذي سمي "برج الامبراطور" و"برج الطاوس" و"برج مولاي حسن"، "برج نجمة" وسمي ببرج "الثغريين" و"برج محمد باشا"،<sup>(2)</sup>

ومن الأمثلة أيضا "برج باب عزون" والذي سمي "برج تافورة" وأيضا "البرج الابيض" و"برج السفيد"،<sup>(3)</sup> وأيضا "طبانة أرناؤط مامي" والتي سُميت "طبانة صباط الحوت" و"طبانة سبع تبارن" وتعني هذه الكلمة الأخيرة أي "تبرنة" وهي إسبانية الاصل وتعني الحانة.<sup>(4)</sup>

(1) - Henri Klein : Fortifications...op cit, p37

(2) - Safia Benselama-Messikh : Les fortifications ottomanes d'Alger (1516-1830), Valencia, Espagne, 2015, p-p 125-132

(3) - علي عبد القادر حليبي: المرجع السابق، ص 234.

(4) - علي خلاصي: المرجع السابق، ص 59.

## التراث التسموي للمنشآت الدفاعية لمدينة الجزائر بين التأثر والتأثير

### - دراسة وصفية تحليلية-

ونستنج بأن تعدد التسمية لم يُشكل اختلافا بل كان كل مكان يعرف بعدة تسميات، لكن الشيء الغير موجود في الكتابات متى بدأ تداول كل اسم للمكان الواحد، فكل اسم يختلف عن الآخر تماما وهذا يبين اختلاف الحقب التاريخية وربما اختلاف الوافدين على المنطقة، فمعروف أن الانسان يسمي المكان حتى يفرض عليه سيطرته كما ذكر ذلك ابراهيم عطوي: " لقد فرضت الشعوب المحتلة أنظمتها الخاصة بأسماء المواقع الجغرافية على الأراضي التي استولت عليها".<sup>(1)</sup>

10. من أهم النتائج أن لك مكان موروث مادي وآخر معنوي يخص الجانب التسموي له وهذا الأخير يقودنا لمعرفة خفايا كثيرة من الجانب التاريخي والأنثروبولوجي للمجتمع في تلك الفترة التي عاشها، وفي الأخير يمكن أن نقول بأن التراث التسموي للمنشآت البحرية والدفاعية كان متنوع وتأثر بكل التغييرات التي مرّت على المكان لك الساكنة المحلية في الأخير كانت دائما تركز على التسمية المحلية والحفاظ على الموروث الثقافي الخاص به .

### Bibliographie :

- Atoui, Brahim. *l'odonymie d'alger : passé et présent .quels enseignements?*

Édité par p.n.r (nomination et dénomination). oran: crasc, (2005).

<sup>(1)</sup> - Brahim Atoui, l'odonymie d'Alger : passé et présent .quels enseignements?, crasc ,Oran , 2005,p 27.

## التراث التسموي للمنشآت الدفاعية لمدينة الجزائر بين التأثر والتأثير - دراسة وصفية تحليلية -

---

- ben cheneb, mohamed. *'mots Turks et persans conservés dans le parler algérien*. Vol. thèse complémentaire doctorat en lettres. jules carbonel imp. Libraire .éditeur, 1922.

- bennassar, bartolomé. «les noms des renégats.» *revue nuevo mundo*, 2015.

- Benselama-Messikh, Safia. «Les fortifications ottomanes d'Alger (1516-1830) .» Édité par Universitat Politècnica de València. Valencia, Espagne, Oct 2015,. 125-132.

- d de ghammont, h. Édité par adolphe jourdan libraire -éditeure. *revue africaine* 25 (1881): 78-79.

- deny, jean. «les registres de soldes des janissaires conservé à la B.N.A.» *revue africaine*, n° 61 (1920): 217.

- devoulx, albert. *les édifices religieux de l'ancien alger*. typographie bastide, 1870.

- klein, henri. «fortifications extérieures.» *les feuillets d'el-djezair* 02, n° 02 (1910): 34-37.

- klein, Henri. «les casernes des janissaires.» *feuilles d'el djézair* récapitulatif (1937): 91.

## التراث التسموي للمنشآت الدفاعية لمدينة الجزائر بين التأثير والتأثير - دراسة وصفية تحليلية-

- أرزقي شويتام. دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي في الفترة العثمانية ( 1830-1519). المجلد 01. الجزائر: دار الكتاب العربي للطباعة و النشر، 2007.

- بلبروات بن عتو. المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني. تحرير أطروحة دكتوراه. وهران: كلية العلوم الانسانية جامعة وهران، 2007.

- بن عتو بلبروات. "المنشآت الدفاعية بمدينة الجزائر ومينائها خلال العهد العثماني". مجلة الحضارة، رقم 14 (شعبان 2010/1431): 58-157.

- حنيقي هلايلي. "أضواء جديدة حول ثكنات الجيش الانكشاري في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية." تحرير مخبر البحوث الدراسات الاستشراقية في حضارة المغرب الاسلامي. مجلة الحوار المتوسطي 09، رقم 03 (جانفي 2019): 68.

- داود ميمن. "ثكنات الجيش الانكشاري بمدينة الجزائر- دراسة تاريخية ومعمارية وفنية للثكنة العليا." تحرير معهد الآثار. مجلة الدراسات الأثرية (جامعة الجزائر 2) 13، رقم 02 (ديسمبر 2015): 270.

- رفيق تلي. "التحصينات الدفاعية لمدينة الجزائر خلال العهد العثماني دراسة الأبراج أنموذجا." مجلة الدراسات الانسانية والاجتماعية (جامعة وهران 2) 11، رقم 01 (جانفي 2022): 540.

- —. "أسوار وأبواب مدينة الجزائر خلال العهد العثماني." حوليات جامعة قلمة

للعلوم الانسانية والاجتماعية، ديسمبر، 2021: 20.

- سهيل صابان. المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية. الرياض: مكتبة فهد الوطنية، 2000.

## التراث التسموي للمنشآت الدفاعية لمدينة الجزائر بين التأثير والتأثير - دراسة وصفية تحليلية-

- عاصم محمد رزق. معجم المصطلحات للعمارة الاسلامية، مادة: الباب. المجلد 01. مصر: مكتبة مدبولي، 2000.
- عبد الرحمن الجيلالي. تاريخ الجزائر العام. المجلد 01. الجزائر: دار مكتبة الحياة، 1965.
- عثمان مفتاح. "أبراج الجزائر القائمة - برج القنيطرة بالحراش نموذجا-". تحرير المركز الوطني للدراسات بالبحث في التاريخ العسكري الجزائري. مجلة الدراسات العسكرية 03، رقم 01 (جانفي 2021): 105-120.
- عثمان مفتاح. "طبانة حلق الوادي بمدينة الحراش (الفترة العثمانية) اكتشاف ومحافضة على تراث أثري ورد الاعتبار." مجلة الدراسات الأثرية آثار 13، رقم 02 (ديسمبر 2015): 253.
- علي خلاصي. القلاع والحصون في الجزائر. الجزائر: مطبعة الديوان، 2008.
- علي عبد القادر حليبي. مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830 م. المجلد 01. الجزائر: المطبعة العربية لدار الفكر الاسلامي، 1972.
- لطيفة بورابة. "مباني قلعة الجزائر العثمانية (دراسة تاريخية أثرية)". مجلة علوم الانسان والمجتمع 03، رقم 03 (سبتمبر 2014): 166.
- محمد عثمان محمد عثمان. "مجم المعاني الجامع". بلا تاريخ. 734.
- نور الدين عبد القادر. صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها الى انتهاء العهد التركي. دار الحضارة، 2006.

## التراث التسموي للمنشآت الدفاعية لمدينة الجزائر بين التأثر والتأثير - دراسة وصفية تحليلية -

---

- هجيرة تملكيشت. "التحصينات الدفاعية بمدينة الجزائر في العهد العثماني حصن تامنفوست نموذجا". تحرير الاتحاد العام للآثارين العرب واتحاد الجامعات العربية. مجلة الاتحاد العام للآثارين العرب 17، رقم 01 (2016): 333-336.

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م).

The Ottoman and Portuguese naval battles in the waters of the Red Sea and the Arabian Gulf (1526 AD-1559 AD).

د. عمر جبري محاضر (أ)

قسم التاريخ جامعة محمد البشير الإبراهيمي-برج بوعربريج  
amardjebri@gmail.com/amar.djebri@univ-bba.dz

ملخص:

في خضم الأوضاع المتريفة بمياه الخليج العربي والبحر الأحمر وخلال التهديد البرتغالي المتواصل على البلاد الإسلامية والأماكن المقدسة في الحجاز، مع تضرر التجارة العربية هناك رأت الدولة العثمانية ضرورة التغيير من إستراتيجيتها في العالم الإسلامي، خصوصا مع تزايد التحالف الإسباني والبرتغالي ضد المسلمين في العالم العربي، علما أن دخول العثمانيين لمنطقة الخليج العربي كان في النصف الثاني من القرن السادس عشر للميلاد، هذا الحدث جعلهم يقفون وجها لوجه في مواجهة البرتغاليين، الذين سيطروا على المنطقة منذ عام 1507م، أين دخل القائد البرتغالي ألفونسو دي ألبوكيرك لمياه الخليج العربي على رأس حملة بحرية، مسيطرا بذلك على موانئ الساحل العماني وجزيرة هرمز والبحرين عام 1507م.

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

ليزداد النشاط البرتغالي البحري في مياه الخليج والبحر الأحمر ما بين عام 1550م و1551م، يقوم بعدها البرتغاليون بعدة محاولات لإخراج العثمانيين من المنطقة، فقد حاولوا أيضا طردهم من المناطق التي وطئوها بتخريبهم لموانئ القطيف والإحساء، قيامهم بربط علاقات سياسية وعسكرية مع شيوخ القبائل العربية المناوئة للحكم العثماني هناك في أطراف مدينة البصرة وحدود شبه الجزيرة العربية، بتشجيعهم لهم على الوقوف وجها لوجه ضد العثمانيين، كل هذه الظروف وغيرها دفعت بالعثمانيين إلى مواجهة البرتغاليين في مياه البحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي، مسخرين بذلك أساطيلهم البحرية التي قادها خيرة ضباط البحرية العثمانية أمثال: ييري ريس و سيدي علي ريس وعلي ميرال ريس وسلمان ريس بداية من عام 1526م إلى غاية عام 1559م، باذلين بذلك جهودا كبيرة في صد الغزو البرتغالي عن هذه المناطق الإسلامية.

سنحاول إذن من خلال هذه الورقة البحثية أن نرصد أهم المعارك البحرية التي خاضها العثمانيون مع الغزاة البرتغاليين في مياه البحر الأحمر والخليج العربي خلال القرن 16م، مبرزين بذلك أهم النتائج والانعكاسات السياسية والعسكرية والاقتصادية من هذه المعارك البحرية على منطقة الخليج العربي والعالم الإسلامي؟، كما سنعتمد في دراستنا هذه على المنهج الوصفي التحليلي والمقاربة بالأحداث التاريخية في إطارها الزماني والمكاني.

كلمات مفتاحية: المعارك البحرية، العثمانيين، البرتغاليين، البحر الأحمر، الخليج العربي، الأسطول البحري.

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

---

### Summary:

In the midst of the deteriorating conditions in the waters of the Arabian Gulf and the Red Sea, and during the continuous Portuguese threat to the Islamic countries and the holy places in the Hijaz, with the damage to Arab trade there, the Ottoman Empire saw the need to change its strategy in the Islamic world, especially with the increasing Spanish and Portuguese alliance against Muslims in the Arab world. The entry of the Ottomans into the Arabian Gulf region was in the second half of the sixteenth century AD, and this event made them stand face to face in the face of the Portuguese, who had controlled the region since 1507 AD, where the Portuguese commander Alfonso de Albuquerque entered the waters of the Persian Gulf at the head of a naval campaign, controlling Thus, the ports of the Omani coast, Hormuz Island and Bahrain in 1507 AD. The Portuguese maritime activity increased in the waters of the Gulf and the Red Sea between 1550 AD and 1551 AD, after which the Portuguese made several attempts to expel the Ottomans from the region. They also tried to expel them from the areas they had set foot in by sabotaging the ports of Qatif and Al-Ahsa, as they linked political and military relations with the sheikhs of the Arab tribes opposed to the Ottoman rule. There, on the outskirts of the city of Basra and the borders of the Arabian Peninsula, by encouraging them to stand face to face against the Ottomans, all these circumstances and others prompted the Ottomans to confront

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

---

the Portuguese in the waters of the Red Sea, the Arabian Gulf and the Indian Ocean, harnessing their naval fleets, which were commanded by the finest Ottoman naval officers, such as: Piri Reis and Sidi Ali Reis, Ali Miral Reis and Salman Reis, from 1526 AD until 1559 AD, making great efforts to repel the Portuguese invasion of these Islamic regions. So, through this research paper, we will try to monitor the most important naval battles that the Ottomans fought with the Portuguese invaders in the waters of the Red Sea and the Arabian Gulf during the 16th century AD, highlighting the results and repercussions of these naval battles on the region?.

**key words:** Naval battles, the Ottomans, the Portuguese, the Red Sea, the Persian Gulf, the naval fleet.

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

### عناصر الدراسة:

- أ. الحملة العثمانية على البحر الأحمر بقيادة سلمان ريس ودوافعها عام 1526م.
- ب. التحالف العثماني الهندي في معركة ديو وانعكاساته السياسية والاقتصادية عام 1538م.
- ج. حملة البصرة بالخليج العربي وأبعادها الاقتصادية بقيادة السلطان سليمان القانوني عام 1534م.
- د. حملة بيرى ريس على مضيق هرمز بالخليج العربي ودوافعها وانعكاساتها السياسية عام 1552م.
- هـ. حملة إعادة الأسطول العثماني المحاصر بميناء البصرة بقيادة مراد ريس ثم سيد علي ريس عام 1553م.
- و. حملة بكرك الإحساء مصطفى باشا على حاكم جزيرة البحرين مراد ريس أسبابها ونتائجها عام 1559م.
- أ. التحضيرات العسكرية للعثمانيين بالبحر الأحمر بقيادة سلمان ريس عام 1526م لماذا وكيف؟:

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

### مقدمة:

أمام تلك الأوضاع المتردية في منطقة الخليج العربي والبحر الأحمر والتهديد المتواصل من طرف البرتغاليين على البلاد الإسلامية والأماكن المقدسة في الحجاز، تضرر التجارة المحلية هنالك رأت الدولة العثمانية ضرورة تغيير استراتيجياتها في العالم الإسلامي خصوصا مع تزايد التحالف الإسباني والبرتغالي ضد العالم العربي<sup>(1)</sup>، بعد أن أخذت الأحداث التاريخية منحنا خطيرا بتقارب القوة الصفوية المهزومة في موقعة جالديران<sup>(\*)</sup> من البرتغاليين وتوقيعهم للاتفاقية معهم عام عرفت باتفاقية هرمز عام 1515م، تعهد فيها البرتغاليون بمساعدة الشاه إسماعيل الصفوي على غزو كل من البحرين والقطيف والوقوف معه ضد الدولة العثمانية بالخليج العربي.

والإشكالية المطروحة هي نظرا لتعدد حلفاء البرتغاليين وأعداء العثمانيين من أحباش في ساحل شرق إفريقيا وصفويين في مياه الخليج العربي ومشيخات عربية أبت إلا أن تسائر مصالحها الخاصة على حساب المسلمين، كيف تعامل العثمانيون مع هذه الأوضاع المضطربة لحماية حدودهم الجنوبية وإنقاذ مصادر التجارة المحلية المهددة بالزوال من طرف البرتغاليين وحلفائهم في مياه البحر الأحمر والخليج العربي؟.

(1) - فؤاد شهاب، الإستراتيجية العثمانية في الثلث الأول من القرن السادس عشر للميلاد، مجلة الوثيقة، الكويت: السنة (1992)، العدد 21، ص 52.

(\*) - جالديران: هي منطقة هضبية تقع في شرق مدينة تبريز الإيرانية دارت فيها معركة تسمى بمعركة جالديران عام 1514م بين الجيش العثماني بقيادة السلطان سليم الأول والجيش الصفوي بقيادة الشاه إسماعيل الصفوي، حيث انتهت المعركة بهزيمة القوات الصفوية وانسحابها من المعركة، للمزيد أنظر: يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، مج 01، ج 01، ترجمة عدنان محمود سلمان، مراجعة محمد الأنصاري، مؤسسة فيصل للتمويل: تركيا، (1988)، ص 261.

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

\*. تجسيد الإستراتيجية العثمانية في المنطقة:

لقد شرع العثمانيون في تنفيذ استراتيجياتهم السياسية والعسكرية والاقتصادية لحماية حدودهم الجنوبية في العالم الإسلامي، باستعادة طرق التجارة فضموا بلاد الشام إلى حكمهم عام 1516م ثم مصر عام 1517م ليبسطوا بذلك نفوذهم السياسي والعسكري على مياه البحر الأحمر، مع دخول بلاد الحجاز سلميا إلى حظيرة العثمانيين و مناطق اليمن الى غاية سواحل شرق إفريقيا بعد ضم سواكن ومصوع وهرر<sup>(1)</sup>، انعكست لهذه الأحداث نتائج بالغة الأثر على الاقتصاد العثماني ما ينبغي ضرورة توفير الوسائل المالية الكفيلة لتوسيع رقعة نفوذ الحكم العثماني، حيث يحتل الاقتصاد في سياسة سلاطين الدولة العثمانية أهمية عظمى<sup>(2)</sup>، لكننا لا نجزم كل الجزم بأن الأهمية الاقتصادية لوحدها هي من كانت دافعا في توسعات العثمانيين وفي فتوحاتهم بالعالم العربي.

هذا ما جعل السلطان سليمان القانوني يشن حربا ضروسا على بلاد الفرس ويحاصر بعدها البرتغاليين في البحار الشرقية والخليجية، فلولا إدراكه للواردات التي سيجبها من تجارة الشرق لما جند جيشه وأعد عدته لهته الحرب الضروس، إذ بلغت إيرادات ولاية مصر لوحدها عام 1527م بمقدار: 116.533.944 أقة<sup>(\*)</sup> ومصروفها أيضا مقدر ب: 25.843.402 أقة والفرق

(1) - نبيل عبد الحي رضوان. الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية بعد افتتاح قناة السويس، تهامة: جدة، دن، (1983)، ص 12.

(2) - أندري كلو، سليمان القانوني، ترجمة البشير بن سلامة، دار الجيل: بيروت، لبنان، (1991)، ص ص 56-57.

(\*) - الأقة: هي قطعة نقدية صغيرة الحجم مصنوعة من معدن الفضة وزن 0.723 غراما وكل أقة تحتوي على مائة ألف درهم عثماني، أنظر: أندري كلو، المرجع نفسه، ص 68.

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

الذي يكون واردا للدولة هو 70.695.690 أقة<sup>(1)</sup>، هذا من مجموع إيراداتها العامة والمقدرة ب: 477.431.468 أقة<sup>(2)</sup>، لذلك خصصت الدولة العثمانية من ميزانيتها العامة مبلغ 1.966.732 أقة، لبناء أسطول بحري قوي والذي يعد النواة الأولى لتنفيذ إستراتيجيتها العسكرية والاقتصادية انطلاقا من قاعدة ميناء السويس بمصر عام 1531م<sup>(3)</sup>.

بهذا واصل العثمانيين استعداداتهم العسكرية لمواجهة الخطر البرتغالي في مياه البحر الأحمر حيث ثبت حسين الرومي<sup>(4)</sup>، كحاكم لمدينة زبيد باليمن من طرف الوالي العثماني "خاير بك" الذي يعد أول والي عثماني بمصر، لتجرد الدولة العثمانية حملة بحرية بقيادة سلمان ريس عام 1526م من أجل إعادة ربط الموانئ اليمنية الواقعة تحت نفوذ الزيديين إلى حظيرة العثمانيين في ولاية مصر ثم تعقب البرتغاليين هناك، إلا أن هذه الحملة لم تحقق النتائج المرجوة منها لكونها لم تتمكن من فرض سيادة العثمانيين على هذه الموانئ فعليا، كما أنها لم تنجح في مواجهة البرتغاليين أيضا<sup>(5)</sup>، الذين ازداد نشاطهم التجاري والعسكري في موانئ البحر الأحمر و موانئ شرق افريقيا لينتقل بعدها إلى موانئ الخليج العربي.

(1) - خليل ساحلي أغلو، من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني، منشورات منظمة المؤتمر الإسلامي: اسطنبول، (2000)، ص 131.

(2) - الأرشيف العثماني، تصنيف كامل كاجي، البحرية، رقم 5628، (1531م)، نقلا عن: خليل ساحلي أغلو، المرجع نفسه، ص 133.

(3) - الأرشيف العثماني، المصدر نفسه.

(4) - ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج 04، تحقيق وتقديم محمد مصطفى زيادة، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، (1960)، ص 195.

(5) - محمد السبليطي، الصراع الدولي في البحر الأحمر الدولة العثمانية والأئمة في تاريخ اليمن الحديث، المنتدى الجامعي للنشر، صنعاء، اليمن، (2002)، ص 40.

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

كذلك قام البرتغاليون بتجريد حملة بحرية أخرى على جزيرة البحرين عام 1521م والهدف منها هو طرد ملك الإحساء والقطيف الشيخ مقرن بن جابر، كسر شوكته التي أصبحت تهدد الوجود البرتغالي هناك بحيث نجح البرتغاليون في ذلك بعد وضعهم للإدارة الجمارك البحرية تحت إمرة الحاكم العام للبرتغال في هرمز مع انتقال السلطة الإدارية إليهم هناك<sup>(1)</sup>، رغم قيام المحافظ الهرمزي بتدبير حركة تمردية كبيرة ضدهم بسبب خسارته لمصادر الدخل الشخصي له في عدة أماكن من موانئ الخليج العربي، حيث وقعت ثورة الجمارك في شهر نوفمبر عام 1521م، بكل من هرمز ومسقط وصحار والبحرين وتم إخماد هذه الثورات نهائياً إلى غاية عام 1523م، ليتم إعادة جزيرة البحرين إلى حظيرة البرتغاليين من جديد<sup>(2)</sup>.

خلال ذلك واصل العثمانيون من تطوير إمكانياتهم البحرية بعد أن اتضح لهم خطورة الغزو البرتغالي في البحار الشرقية والخليجية، خاصة بعد تفكك القوى السياسية المحلية بشبه الجزيرة العربية ما دفع بالسلطان سليمان القانوني إلى تعيين سليمان باشا الخادم بيلربكا على إيالة مصر، الذي كان له الدور الكبير في تشييد الأسطول البحري بميناء السويس بمصر عام 1532م، المكون من ثمانين سفينة بحرية تحت إشراف خير من جمهورية البندقية (Venise)، بحيث قام الصدر الأعظم سليمان باشا بالتوجه مع أسطوله إلى مضيق عدن باليمن بجنوب البحر الأحمر للتعرف على جميع فعاليات السفن البرتغالية المتمركزة في المحيط الهندي<sup>(3)</sup>.

(1) - أحمد بوشرب، مساهمة المصادر والوثائق البرتغالية في كتابة تاريخ البحرين خلال النصف الأول من القرن السادس عشر، مجلة الوثيقة: السنة 02، العدد 04، الكويت، (1984)، ص 123.

(2) - نونو بي سلفا، صفحات من الغزو البرتغالي للبحرين، مجلة الوثيقة: السنة 04، العدد 08، الكويت، (1986)، ص 128.

(3) - أحمد بوشرب، مساهمة المصادر والوثائق البرتغالية في كتابة تاريخ البحرين، المرجع السابق، ص 125.

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

ب. التحالف العثماني-الهندي في معركة ديو وانعكاساته السياسية والعسكرية عام 1538م:

تعتبر هذه الحملة العثمانية هي الحملة الثانية التي تخرج من ميناء السويس بمصر بعد حملة الأمير حسين الكردي الأولى عام 1509م، من أجل محاربة الخطر البرتغالي في مياه المحيط الهندي وهي حملة بحرية جد ضخمة نظرا لأهميتها الإستراتيجية لدى العثمانيين، حيث تكونت من حوالي ثمانين سفينة حربية من مختلف الأنواع والأحجام سواء من برشة أو غريان<sup>(1)</sup> تحمل حوالي عشرين ألف جندي تحت قيادة سليمان باشا والي مصر، الذي غادر مع أسطوله من ميناء السويس بمصر يوم 27 جويلية 1538م، لتتجه بعدها إلى ميناء ديو بالهند، والإشكالية التي نطرحها في هذا الباب هي: ما أسباب تحضير الدولة العثمانية لهذه الحملة الضخمة على ميناء ديو بالهند؟ وما نتائج حملة ديو سياسيا وعسكريا واقتصاديا على الدولة العثمانية؟.

إن سبب تجهيز العثمانيين لهذه الحملة على ميناء ديو عام 1538م يعود إلى الظروف التالية:

- تزايد الخطر البرتغالي في مياه البحر الأحمر وبحر العرب عقب فشل حملة الأمير حسين الكردي الأولى عام 1509م، امتداد النفوذ العثماني إلى مياه الخليج العربي بعد فتح بلاد العراق عام 1534م، زيادة التعاون البرتغالي الصفوي ضد الدولة العثمانية في المنطقة سياسيا وعسكريا وفق مخطط محكم<sup>(2)</sup>.

(1) - إسماعيل سرهنك، حقائق الأخبار عن دول البحار، ج2، ط01، المطبعة الميرية: مصر، (1896)، ص 38.  
(2) - فالج حنظل، العرب والبرتغال في التاريخ، ط01، منشورات المجمع الثقافي، أبوظبي، (1997)، ص 334.

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

-قتل البرتغاليين للسلطان بهادر شاه حاكم كجرات<sup>(\*)</sup> عام 1537م بسبب اتصاله بالعثمانيين وطلبه النجدة منهم ضد الخطر البرتغالي المتواجد هناك<sup>(1)</sup>، حيث خلف السلطان بهادر شاه في حكم مدينة كجرات ابنه السلطان "محمود بيكر مظفر شاه" بعدما نصبه البرتغاليون بدل أبيه هذا ما أثار غضب السلطان سليمان القانوني نفسه.

لذلك رأى السلطان سليمان القانوني ضرورة السيطرة على بلاد اليمن فصدرت الأوامر السلطانية لسليمان باشا الخادم والي مصر، بتجهيز حملة بحرية كبيرة استعان فيها بخبراء فنيين من بنادقة لبناء السفن الحربية أين اكتملت تجهيزات الأسطول الحربي في ميناء السويس عام 1537م، لكن هذه الحملة تحولت عن هدفها الأساسي والذي هو إعادة الاعتبار لحركة التجارة الإسلامية بمياه المحيط الهندي، لتدخل بعدها في صراع عسكري-سياسي بين العثمانيين والقوى المحلية باليمن من بني طاهر لأجل إخضاع بلاد اليمن تحت حكم الدولة العثمانية<sup>(2)</sup>.

حيث اختلفت المصادر التاريخية في تحديد أسباب هذه الحملة وظروفها، فالمؤرخ النهروالي كتب لنا فصلاً كاملاً بعنوان: "في ذكر توجه سليمان باشا إلى عدن وقتله لصاحب عدن غدراً وأخذها منه جبراً وقهراً"، حيث يذكر لنا النهروالي بأن سليمان باشا الطواشي والي مصر وقائد الحملة البحرية العثمانية نحو الهند، حين توجهه من ميناء جدة قصد المرور بعدن غدراً

<sup>(\*)</sup> - كجرات: أو جوجيرات كما أطلق عليها في المصادر التاريخية القديمة والحديثة هي مدينة تقع في الجهة الشمالية الغربية للساحل الهندي، من الأسماء التي أطلقت عليها كذلك اللاروايكاريوسومانتوأوفير ومن أهم مراكزها التجارية بروج وتانة وديو وسفاله وسندات وسومنتاوصيمور، أنظر: أحمد عبد الحميد الشامي، المرجع السابق، ص 109.

<sup>(1)</sup> - فالج حنظل، المرجع السابق، ص 334.

<sup>(2)</sup> - نفسه، ص 399.

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

بحاكم عدن "عامر بن داوود الطاهري" الذي وصفه لنا بأحسن الأوصاف بقوله: (وكان شاباً كريماً جواداً حليماً مُحسناً إلى الناس، باسطاً لهم وجه اللطف والإيناس، يعظم الشرع الشريف ولا يخرج عن حكمه، ويوقر من وَفَدَ إليه من العلماء ويكرمه لعلمه، إلى غير ذلك من الخصال الجميلة، والخلال الحسننة الجليلة، والشهادة له بكرم أصله، وجودة فضله ووصله)<sup>(1)</sup>.

أما المؤرخ الموزعي ففند لنا هذا الطرح السابق للنهروالي حين ذكر لنا بأن الأوضاع الداخلية في بلاد اليمن عامة وعدن خاصة كانت غير مستقرة، فلم ينتظم حالها إطلاقاً ما دفع بالعثمانيين لإرسال حملة بقيادة سليمان باشا الطواشي لتطهيرها بقوله: (فهناك دماء تُسْفَك ومحارم تُهْتَك وأموال تنهب ومدامع تُسْكَب، فلما علم السلطان سليمان القانوني بهذه الأحوال وحالة الاختلال التي عمت الديار اليمنية، وجه سليمان باشا بجيوش عظيمة وعُدد جسيمة إلى الهند لحرب الإفرنج البرتغال إخوان الكفر والضلال، وأمر قائد الحملة أن يعرج على ديار اليمن ليصلح منها ما فسد ويطفى نار الفتن، لأن السلطان عامر بن داود آخر ملوك بني طاهر في اليمن، قد راسل الأبواب العلية مخبراً بتغلب الإمام شرف الدين وولده المطهر، على أكثر الديار اليمنية وطلب من السلطان المعظم سليمان خان أن يمدّه بعساكر سلطانية لمحاربة هؤلاء المخالفين في اليمن، مع بذل الطاعة للسلطان سليمان، ودخوله تحت نظر سلطة آل عثمان)<sup>(2)</sup>.

(1) - قطب الدين النهروالي، البرق اليمني في الفتح العثماني، منشورات دار اليمامة للنشر والتوزيع: المملكة العربية السعودية، (1967)، ص ص 80-81.

(2) - الموزعي القاضي شمس الدين عبد الصمد بن إسماعيل بن عبد الصمد، دخول العثمانيين الأول إلى اليمن: الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان، تحقيق عبد الله محمد الحبشي، ط 01، منشورات المدينة: بيروت، (1986)، ص ص 24-25.

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

لقد كان دخول حاكم مدينة كوجرات "بهادر شاه" في علاقات سياسية وتجارية جديدة مع البرتغاليين تمثلت في منحهم لموانئ ومدن هامة في كجرات وقيامه بمهادنة البرتغاليين لتأمين خطرهم، سببا كافيا لجعل سلطان الهند "همايون بادشاه ابن بابريادشاه"<sup>(\*)</sup> يوجه حملة عسكرية من الهند للقضاء على حاكم كجرات، غير أن البرتغاليين تدخلوا لإنقاذ بهادر شاه مقابل أن يمنحهم هذا الأخير بنادرا ومدنا في كجرات فحصل لهم بذلك فوائد كثيرة وعظم أمرهم<sup>(1)</sup>.

إن مواجهة سلطان الهند "همايون بادشاه" لخطرين كبيرين هما الخطر الماغولي المتمركز من ناحية البر والخطر البرتغالي المتمركز من ناحية البحر، دفعه إلى الاستنجاد أيضا بالقوة الإسلامية الممثلة في الدولة العثمانية وسلطانها سليمان القانوني عام 1535م، أين أرسل سلطان الهند موفدا إلى الباب العالي باسطنبول ليشرح لهم الحصار المفروض على سفن تجار مسلمي الهند هناك، معاناتهم الدائمة من الخطر البرتغالي حيث وعدهم السلطان بإرسال حملة بحرية لتطهير موانئ الهند المحاصرة من طرف العدو البرتغالي<sup>(2)</sup>، لتصدر الأوامر السلطانية إلى والي مصر سليمان باشا الخادم من أجل توجيه حملة بحرية على ميناء ديو بالهند، هو ما تم تنفيذه بعد صيانة وترميم السفن القديمة وتشديد السفن الجديد عام 1537م.

<sup>(\*)</sup> - السلطان همايون بادشاه بن بابريادشاه: ولد همايون في مدينة كابل عام 1506م وتربي تربية حربية وسياسية وعلمية، عندما توجه أبوه لفتح الهند كان هو مساعده الأيمن وبعد وفاة والده تعرض لمشاكل كبيرة انتهت بفراره إلى البلاط الصفوي عام 1540م، ليعين شيرشاه السوري سلطانا للهند بدلا منه لكن همايون استطاع إن يسترجع ملكه بعد عودته من إيران بعد مدة 15 سنة كاملة من فراره، ليدخل دلهي بجيش صغير منتصرا عام 1555م وهو من أصول ماغولية يجيد اللغة التركية والفارسية، توفي عام 1556م، أنظر: زين الدين الميليباري، تحفة المجاهدين في بعض أحوال البرتغاليين، تحقيق وتعليق محمد سعيد الطريحي، ط01، مؤسسة الوفاء للنشر والتوزيع: بيروت، (1985)، ص 275.

<sup>(1)</sup> - المصدر نفسه، ص ص 275-276.

<sup>(2)</sup> - فالج حنطل، المرجع السابق، ص 334.

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

أين اتجه سليمان باشا بأسطوله من ميناء السويس بمصر إلى ميناء جدة باليمن فوصل في عشرين يوماً<sup>(1)</sup>، ثم توجه الأسطول العثماني بعدها إلى جزيرة كمران أو قمران مروراً بباب المندب فدخل سليمان باشا مدينة عدن التي كان يحكمها السلطان "عامر بن داود الطاهري"<sup>(\*)</sup> الذي فتح باب المدينة للباشا سليمان الخادم، لكن الباشا غدر به وقتله وصلبه على عمود سفينته ثم قطع رأسه وأرسله إلى والي بمصر<sup>(2)</sup>، بحيث ذكر لنا الأميرال إسماعيل سهرنك في حوادث سنة 944 هجرية والموافق لعام 1537م أطوار هذه الحادثة بالتفصيل الدقيق فيقول:

(استغاث بهادر شاه حاكم كجرات من بلاد الهند بالسلطان سليمان القانوني، لتعديات أساطيل البرتغال على بلاده ومنعها للمواصلات التجارية التي كانت بينها وبين الديار المصرية فأصدر السلطان أوامره إلى الخادم سليمان باشا والي مصر... فشيّد ستين غراباً وثلاثين سفينة وجهزهما بالمدافع

(1) - زين الدين الميلباري، المصدر السابق، ص 277.

(2) - عامر بن داود الطاهري: هو أمير مدينة عدن باليمن من قبيلة بني طاهر قتل عام 1538م بأمر من الصدر الأعظم سليمان باشا الخادم، لم يعرف عن السلطان عامر إلا كثرة الأطماع الخارجية على بلاده منذ توليه حكم اليمن، حيث أراد احتلالها كل من حكام المماليك والبرتغاليين إلى غاية تمكن العثمانيين من السيطرة عليها، أين قام سليمان باشا الخادم بقتل سلطانها عامر بن داود الطاهري، قد وصف لنا المؤرخ اليمني قطب الدين النهروالي مؤرخ هذه الفترة بالذات مقتل السلطان عامر فقال عنه: (لما توجه سليمان باشا من جدة قصد المرور بعدن وكان صاحبها يومئذ عامر بن داود ببقية من بني طاهر ملوك اليمن سابقاً، ولم يبق من يده من مملكة أسلافه إلا قلعة عدن... وكان شاباً كريماً جواداً حليماً محسناً إلى الناس باسطاً لهم وجه اللطف والإيثار يعظم الشرع الشريف ولا يخرج عن حكمه ويوقر من وفد إليه من العلماء، ويكرمه لعلمه إلى غير ذلك من الخصال الجميلة... فلما بلغه خبر وصول سليمان باشا للغزو في سبيل الله وقطع جادة الإفرنج عن الأضرار بعباد الله فتح له باب عدن وأمر أن تزين، وجمع له من البلاد ما أراد من الأزواد وتوجه هو ووزيره للسلام عليه إلى الغراب الذي هو فيه فبمجرد أن رأى سليمان باشا باب عدن قد فتح أمر عسكره بدخول عدن وأخذها فلما وصل إليه عامر ألبسه ومن معه خلعا ثم أمر بصلبهم على الصاري... وتوجه إلى الهند لقتال الفرنج الذين في ديو). أنظر: قطب الدين النهروالي، المصدر السابق، ص ص 80-81.

(2) - ابن إياس، المصدر السابق، ج 03، ص 270.

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

والأدوات الحربية في زمن وجيز، ومر في ذهابه إلى الهند بعدن وقتل أميرها عامر بن داود وستة نفر من أصحابه ونصب عليها أحد ضباطه المسمى بهرام بك وترك معه بعض الجنود والمدافع ثم أقلع إلى الهند، ومع ما بذله من مجهود بجهات ديولم يتمكن من طرد البرتغاليين عن تلك الأطراف...<sup>(1)</sup>.

إن قيام الباشا سليمان الخادم بإبادة آل طاهر كلهم ومصادرة أموالهم وممتلكاتهم وانتهاجه لأساليب قمعية وتعسفية معهم بحجة خيانتهم وتواطؤهم مع العدو البرتغالي، واتهامه لآل طاهر بتقديم مختلف التسهيلات العسكرية للبرتغاليين ضد الدولة العثمانية<sup>(2)</sup>، أين قام الباشا سليمان الخادم بعدها بتعيين القائد "بهرام بك" حاكما على مدينة عدن باليمن وإمداده بحوالي ستمائة جندي انكشاري<sup>(\*)</sup>، بذلك يعتبر القائد بهرام بك أول حاكم عثماني على مدينة عدن من بعد حكام بني طاهر لها، بعدها اتجه سليمان باشا مع أسطوله المكون من حوالي مائة سفينة إلى سواحل الهند وعند منطقة الشحر استولى العثمانيون على أسطول برتغالي مكون من ستة سفن، أسروا ما يقارب مائة وستين أسيرا نصرانيا تم ضمهم كمجذفين بالأسطول العثماني على حملة ديولم.

(1) - إسماعيل سرهنك، المصدر السابق، ص 88، 89.

(2) - يلماز أوزتونا، المرجع السابق، ص 327، وأنظر أيضا: فاروق عثمان أباطة، الحكم العثماني في اليمن (1872م-

1918م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، (1979)، ص 141.

(\*) انكشاري: كلمة تركية الأصل مركبة من كلمتين (yani) وتعني الجديد (Cery) بمعنى العسكر أي العسكر الجديد، وهو جيش من المشاة أنشئ في عهد السلطان أورخان عام 1326م أعتمد في تأسيسه على أبناء النصارى البلقان بعد جلبهم صغارا في السن وتعليمهم تعاليم الدين الإسلامي واللغة العربية ثم فنون القتال بعد بلوغهم سن الرشد، كان شعارهم هو: "الإسلام ديننا والسلطان أبونا والثكنة مسكننا"، أنظر: عمر عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ العرب الحديث المشرق العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر: بيروت، (1980)، ص 48، 49، وأنظر كذلك: أرزقيشويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره (1800م-1830م)، دار الكتاب العربي للنشر: الجزائر، (2010)، ص 19.

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

بعد وصول أسطول سليمان باشا إلى سواحل الهند سارع حاكم كجرات السلطان "محمود ابن بهادر شاه" بإرسال الهدايا والمثونة اللازمة للجيش العثماني، كما بعث حاكم مدينة مظفر آباد "خداوند خان" بالهدايا والتحية لسليمان باشا الخادم، مرد كل تلك الهدايا المرسلة له هو تخوفهم منه بعد قتله للسلطان عامر بن داود الطاهر حاكم مدينة عدن باليمن<sup>(1)</sup>.

بذلك يكون الاتفاق والتحالف العثماني-الهندي قد وقع بين سليمان باشا وبين حاكم كجرات محمود ابن بهادر شاه وحاكم مظفر آباد خداوند خان، من أجل محاربة البرتغاليين ومحاصرتهم في قلعة ديو، فبعد حصار دام عشرين يوما على قلعة ديو من طرف العثمانيين وحلفائهم من حكام الهند، سقطت القلعة الخارجية وأوشكت القلعة الداخلية على السقوط كذلك وأصبح موقف البرتغاليين صعبا في قلعة ديو بقيادة أنطونيو داسيلفيريا (Antonio Da Sylveria)، لكن انقلبت موازين الحصار والمعركة بعد وصول دعم برتغالي من القاعدة البحرية بجوا، ما دفع الأساطيل العثمانية والكجراتية المتحالفة إلى التراجع، خاصة بعد تخوف كل من السلطان محمود بيكر مظفر شاه وخداوند خان من غدر سليمان باشا الخادم بهم، مثل ما فعله مع حاكم مدينة عدن باليمن عامر بن داود الطاهري<sup>(2)</sup>.

لقد سارع الباشا سليمان الخادم إلى رفع الحصار البحري عن قلعة ديول لأسباب سياسية أكثر منها عسكرية<sup>(3)</sup>، أين أمر جنوده بالانسحاب الفوري من القلعة ليتجه بعدها إلى ميناء عدن باليمن بعدما وصلته أخبار وصول الدعم العسكري القادم لمساندة القوات البرتغالية المحاصرة في قلعة ديو

(1) - محمد عبد اللطيف البحراني، فتح العثمانيين لعدن، ط01، دار التراث، القاهرة، 1979، ص 154.

(2) - محمد عبد اللطيف البحراني، المرجع نفسه، ص ص 154-155.

(3) - يلماز أوزتونا، المرجع السابق، ص 328.

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

بالهند، هذا ما أعطى فرصة جديدة للبرتغاليين من أجل التحالف مجددا مع القائد خداوند خان حاكم مظفر آباد والسلطان محمود ابن بهادر شاه حاكم كجرات ضد الباشا سليمان الخادم والعثمانيين في البحار الهندية والخليجية. كما أكدت لنا الرسائل التي بعث بها سليمان باشا الخادم إلى حاكم كجرات ومظفر آباد تحميلهم مسؤولية فشل التحالف المبرم بينهم في تحرير ميناء ديو بالهند من قبضة البرتغاليين، رغم طلبهم ليد المساعدة منه في بداية الأمر مع العلم أن أسباب فشل الحملة العثمانية على ميناء ديو بالهند كثيرة في الحقيقة والتي من بينها تطابق سفن الأسطول العثماني المخصصة لمعركة ديو مع خصائص مياه البحر الأبيض المتوسط وليس مع خصائص مياه المحيط الهندي من جهة، إضافة إلى عدم تجانس الجيش المشارك في هذه الحملة من المجذفين وأسرى الحرب البرتغاليين الذين يكونون الحقد الدفين للعثمانيين وهنود كجراتيين، اعتماد العثمانيين على أيادي فنية أوروبية من جمهورية البندقية أيضا لصناعة سفن أسطول الحملة من جهة أخرى، دون إنكارنا لأسلوب الباشا الخاطى في التعامل مع مثل هذه المواقف السياسية والعسكرية<sup>(1)</sup>.

(1) - يظهر لنا جليا بأن شخصية قائد الحملة سليمان باشا الخادم لم تكن لتؤهله لقيادة هذه الحملة فقد سرى إليه ضعف العقل والرأي والتدبير، فلم يكن ذا صلة بالبحرية العثمانية فقد كان من العبيد الخصي الذين عاشوا في القصر السلطاني، كما تميز بميله إلى الغدر وسفك الدماء فما قام به مع أمير عدن عامر بن داود الطاهري بعث الشك والريبة في قلوب حكام ممالك الهند، أعطى صورة سيئة جدا عن الدولة العثمانية في البحار الهندية، أنظر: قطب الدين النهروالي، المصدر السابق، ص 82-84، وكذلك راجع: مصطفى محمد رمضان، العالم الإسلامي في التاريخ الحديث والمعاصر، ج 01، ط 01، دن، القاهرة، (1985)، ص (94،95)، وأنظر عن تحالف البرتغاليين مع حكام بلاد الهند ضد الباشا سليمان الخادم: يلماز أوزتونا، المرجع السابق، ص 328، وللمزيد من الإيضاح كذلك راجع: البحرأوي، المرجع السابق، ص (154،155).

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

\*. انعكاس الحملة العثمانية على السلطة البرتغالية:

لقد أزعجت الحملة العثمانية على ميناء ديو بالهند ملك البرتغال في حقيقة الأمر واعتبرت تهديدا صريحا له على مستعمراته في بحار الشرق، هي التي تمثل مصدرا هاما من مصادر الدخل المالي لخزينة حكومة البرتغال، حيث بعد عودة الأسطول العثماني من معركة ديو إلى ميناء السويس بمصر ترك سليمان باشا الخادم قوة بحرية متمركزة هناك ضمت حوالي خمسمائة جندي وخمس سفن بحرية<sup>(1)</sup>، من أجل إغلاق مدخل البحر الأحمر في وجه السفن البرتغالية كما توجه الباشا سليمان الخادم إلى ميناء الشحر وعدن ومخا باليمن لتعيين القائد الجديد "مصطفى باشا" كوالي على بلاد اليمن، بعد أن تفقد جميع سواحل عمان وحضر موت والتي أخضعها بدوره تحت سلطة الدولة العثمانية، مقدما خلالها مساعدات عسكرية إلى مسلمي اريتريا والصومال من بنادق ومدافع ضخمة، لمواصلة مواجهة الخطر البرتغالي هناك وحلفائه من الأحباش<sup>(2)</sup>.

بعد نهاية مهمة سليمان باشا في ديو توجه مباشرة بأسطوله إلى ميناء جدة في يوم 13 مارس 1539م، بعد أن أمر الديوان العثماني الباشا بالحضور فورا إلى مقر الآستانة بالقصر السلطاني لتقديم تقرير مفصل عن نتائج حملته على ميناء ديو بالهند، أين أجمع الديوان العثماني باسطنبول بأغلبية كبيرة على نجاح حملة الباشا سليمان الخادم على ميناء ديو رغم معارضة البعض لها داخل مقر الديوان العثماني<sup>(3)</sup>، حيث أن تقرير حملة الباشا

(1) - النهروالي، المصدر السابق، ص 84.

(2) - يلماز أوزتونا، المرجع السابق، ص 329.

(3) - بجوي إبراهيم أفندي، تاريخ بجوي إبراهيم أفندي: التاريخ السياسي والعسكري للدولة العثمانية من عهد السلطان سليمان القانوني حتى عهد السلطان سليم الأول، م 01، ط 01، ترجمة وتقديم ناصر عبد الرحيم حسين، المركز القومي للترجمة: القاهرة، (2015)، ص 225، وأنظر أيضا: أوزتونا، المرجع نفسه، ص 330.

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

سليمان الخادم على بلاد الهند وديو موجود في أرشيف "طوب كابي سراي" باسطنبول في علية رمزها: (E) ورقمها: 9663<sup>(1)</sup>.

كرد فعل على حملة ديو قام البرتغاليون بإحراق الأسطول العثماني المتواجد في مياه البحر الأحمر<sup>(2)</sup>، كما أحرق البرتغاليون ميناء سواكن بالحبشة وحاولوا بعدها إحراق مدينة جدة لكنهم فشلوا في تحقيق ذلك، لمهمهم العثمانيون مجددا في معركة مصوع البحرية عام 1540م، كما جهز البرتغاليون حملة بحرية أخرى على القاعدة العثمانية بالسويس عام 1541م، فقد ترتب عن حملة سليمان باشا الخادم على ميناء ديو بالهند نتائج سياسية واقتصادية وعسكرية جد هامة في مياه البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط وساحل شرق إفريقيا كذلك، من خلال انتعاش التجارة العثمانية في هذه الطرق البحرية بين عام 1538م و1550م حسب ما أشارت إليه الدراسات التاريخية التركية الحديثة<sup>(3)</sup>.

أما في الجهة المقابلة من البحر الأحمر فقد تم إحكام السيطرة العثمانية على ميناء عدن باليمن رغم اشتداد الصراع والتنافس بين القادة العثمانيين والأئمة الزيديين هناك، كل هذا جعل مهمة عدن لا تتعدى لأن تكون نقطة حماية فقط للعثمانيين وليس نقطة ارتكاز للانقضاض على الأساطيل البرتغالية

<sup>(1)</sup> - بجوي إبراهيم أفندي، المصدر السابق، ص 330.

<sup>(2)</sup> - النهروالي، المصدر السابق، ص 85.

<sup>(3)</sup> - Ozbaron, S, OsmanliumparatorluguveHindistanYolu, I.U.E.F. TarihDergisi Say, 31 Mart (1977), ist (1978), p. 102.

نقلا عن: محمد عبد اللطيف البحراوي، المرجع السابق، ص 158، وأنظر أيضا: النهروالي، المصدر السابق، ص 280.

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

المتجهة إلى موانئ الهند<sup>(1)</sup>، عليه أخذت الدولة العثمانية في التخطيط للانفتاح على مياه المحيط الهندي من طريق جديد ألا وهو طريق الخليج العربي.

على الرغم مما بذله سليمان باشا الخادم من مجهود في فتح ديو إلا أنه لم يتمكن من ذلك مما أجبره على العودة إلى ميناء السويس بمصر، حيث وصف لنا قائد البحرية البرتغالية "لاجرافير" (La Graviere) في كتابه الذي عنوانه "مذكرات أميرال متقاعد":- (Souvenirs D'un Amiral par le contre-amiral Jurien de la Graviere) حملة الصدر الأعظم سليمان باشا

الخادم على ميناء ديو بقوله: (في سنة 1538م اقترب سليمان باشا من الشاطئ الهندي وأنزل من معه من الجنود اليكجيرية<sup>(\*)</sup> والمدافع وبدأ بالاستيلاء على حصون البرتغال الأمامية بعد عدة مناوشات، ثم أمر بالهجوم على حصن الديو فرده البرتغال بقوة وفقد في تلك المعركة أربعمائة من رجاله، وبينما كان يستعد لهجوم أخر بلغه مجيء الدونانمة<sup>(\*\*)</sup> البرتغالية فأنزل جنوده الى السفن في الحال وترك للأعداء مدافعه، ثم سار إلى كجرات وكانت الرياح تعاكسه إلى أن وصل لمدخل خليج كوشين، ومن هناك ألقع إلى عدن ومنها إلى مخا ثم وصل مدينة السويس سنة 1539م)<sup>(2)</sup>.

(1)- البحراوي، المرجع السابق، ص 159.

(\*)- اليكجيرية: المقصود بها الجيوش الإنكشارية وكانت تكتفي المصادر العربية (اليكجيرية) في العصر العثماني، أما المصادر العثمانية فتكتفيها (يكجيرية) وتقرأ ينجيرية أي النظام الجديد (بني=جديد، جري=نظام). وقد قرأها الأوروبيون كما تكتب لا كما تقرأ فكتبوها انكشارية وهكذا نقلها لنا الكتاب العرب المحدثون، أنظر: محمد سعيد بن عبد الله السويدي، ورود حديقة الوزراء بورود وزارة موالهم في الزوراء: تاريخ العراق من سنة (1161هـ-1202هـ/1748م-1787م)، تحقيق وتقديم عماد عبد السلام رؤوف، دار الزمن للنشر، دمشق، (2012)، ص 51.

\*\* - الدونانمة: يقصد بها الأسطول البحرىبالغة التركية، أنظر: محمود عامر، المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، مجلة دراسات تاريخية، السنة (2012)، العدد 117-118، قسم التاريخ، جامعة دمشق، سوريا، ص 383.

(2)- الهروالي، المصدر السابق، ص 279-280، وأنظر أيضا:

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

من خلال المقاربة التاريخية في فصول هذا البحث نستنتج أهم النتائج السياسية والاقتصادية لحملة سليمان باشا الخادم على ميناء ديو بالهند وهي كما يلي:

-انتعاش الاقتصاد العثماني خاصة والتجارة المحلية عامة في حوض البحر الأبيض المتوسط مع منطقة أقصى شرق آسيا والهند.

- إن هذه الحملة قد هزت وشوهت في الوقت نفسه صورة الدولة العثمانية سياسيا مع حكام مسلمي الهند بسبب قتل سليمان باشا للسلطان عامر بن داوود الطاهري حاكم مدينة عدن باليمن، مما أدى إلى فشل قيام جبهة إسلامية موحدة أمام البرتغاليين في أقصى منطقة شرق آسيا<sup>(1)</sup> وفشل التحالف العثماني الهندي هناك، خصوصا مع تجدد الصراع السياسي والعسكري بين الولاة العثمانيين والأئمة الزيديين على حكم بلاد اليمن قرابة قرن كامل (1538م-1638م)<sup>(2)</sup>.

-بقاء ميناء عدن باليمن نقطة حماية فقط للعثمانيين وليست نقطة ارتكاز للانقضاض على البحرية البرتغالية في مياه المحيط الهندي<sup>(3)</sup>، على الرغم من تعيين السلطان سليمان القانوني لكل من القائدين بهرام بك ومصطفى بك لحكم مدينة عدن وزبيد باليمن، هذا ما يعني إنهاء حكم القوى المحلية

---

JURIEN DE LA GRAVIERE, Souvenirs D'un Amiral par le contre-amiral Jurien de la Graviere, Tome 01, Paris, Librairie De L. Hachette, (1860), p.p. 252-253.

(1) - مصطفى محمد رمضان، المرجع السابق، ص 95.

(2) - فاروق عثمان أباطة، الحكم العثماني في اليمن (1872م-1918م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (1979)، ص 20.

(3) - محمد عبد اللطيف البحراوي، المرجع السابق، ص 159.

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

المناوئة لهم في المناطق الداخلية باليمن والمتمثلة في الإمامة الزيدية ولو حتى مؤقتا.

- بداية تخطيط الدولة العثمانية من أجل الانفتاح على مياه المحيط الهندي من معبر جديد ألا وهو معبر الخليج العربي<sup>(1)</sup>، التي حاولت جاهدة بعد ذلك السيطرة عليه والتحكم في مياهه الإقليمية فيما بعد، بحيث شكل ممرا ذات أهمية اقتصادية وعسكرية لها.

ج. تأسيس العثمانيين لإيالة البصرة بالخليج العربي وأهميتها الاقتصادية والسياسية عام 1538م:

تقع البصرة على شط العرب وعلى بعد أربعمائة وعشرون كلم جنوب شرق بغداد ويقابلها على السواحل الشرقية للخليج العربي موانئ عبدان ومهروبان وسيراف وسيفنز وجنابه وهشم بن عمارة وهرمز وتيز، هي التي ستسمى فيما بعد باسم بوشير وبندرعباس ويعتبر مينائها من بين أهم الموانئ الواقعة في شرق شبه الجزيرة العربية وما جاورها إضافة إلى ميناء الكويت والقطيف<sup>(2)</sup>، لقد تأسست إيالة البصرة في 24 جويلية 1538م لترتبط بها مناطق جنوب العراق والكويت والإحساء والقطيف ونجد وقطر والبحرين وعمان المتصالح وجبل شمrama، بعد قبول شيوخ العرب الحماية العثمانية عليهم<sup>(3)</sup>، والإشكالية المطروحة هي: ما أهمية فتح مدينة البصرة بساحل

(1) - البحراوي، المرجع نفسه، ص 160.

(2) - غسان علي رمال، مجلة دراسات تاريخية، السنة (2012)، العدد 117-118، قسم التاريخ، جامعة دمشق، سوريا، ص 39.

(3) - يلماز أوزتونا، المرجع السابق، ص 343.

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

الخليج العربي بالنسبة للعثمانيين سياسيا وعسكريا؟ وهل سيشكل فتح البصرة والعراق بعدها دعامة أساسية للاقتصاد العثماني؟.

خلال الفترة التي سعت فيها الدولة العثمانية لتوطيد سيطرتها على ساحل شرق إفريقيا ومياه البحر الأحمر وعدن، تمكن البرتغاليون من إحكام قبضتهم العسكرية على المناطق الواقعة بالقرب من جزيرة هرمز والبحرين بالخليج العربي، أين كان هدفهم هو التحكم في تجارة هرمز والخليج العربي حيث بلغت قيمة الضرائب المفروضة على التجار المسلمين في هرمز عام 1528م ما يقارب 60 ألف أشرفي<sup>(\*)</sup>، كما أن أهمية مدينة البصرة لوحدها في التجارة البرتغالية قد بلغت قيمتها عام 1540م حوالي 09 آلاف أشرفي<sup>(1)</sup>، لكن رغبة البرتغاليين في توسيع نشاطهم في شمال الخليج العربي كان سببا كافيا لهم لمساعدة حاكم البصرة الشيخ راشد بن مغامس عام 1529م ضد حاكم شيخ جزيرة غيزيرا (Gezaira)<sup>(\*\*)</sup> بعد إرسالهم للدعم العسكري بقيادة تافريزطشيور دي سوسا، أين تعتبر هذه الحملة هي أول حملة برتغالية إلى رأس الخليج العربي، لكن امتناع حاكم البصرة من تسليم ستة سفن حربية من نوع فيستا (Fustas) ومعها خمسون جنديا روميا، جعل القائد تافيز دي

<sup>(\*)</sup> - الأشرفي: هو من أسماء النقود المتداولة خلال تلك الفترة وأشهرهم الأشرفي البرسبيي نسبة إلى السلطان برسباي، والأشرفي القاتباي نسبة إلى السلطان قنباي والأشرفي الغوري نسبة إلى السلطان الغوري وكذلك الأشرفي العثماني نسبة إلى العثمانيين، أنظر: غسان علي رمال، نفسه، ص 39.

<sup>(1)</sup> - Simao Da Botelho, Cartes Tombo, FF. 76.

نقلا عن: محمد حميد السلطان، البصرة في مرحلة السيطرة البرتغالية على الخليج-دراسة في المصادر، مجلة آداب البصرة، السنة (2012)، العدد 23، مجلد 02، جامعة دلمون: البحرين، ص 638.

<sup>\*\*</sup> - غيزيرا: من المفروض أن تكون إما جزيرة الخضر أو جزيرة عبادان بالقرب من مدينة البصرة سابقا والتي تم فصلها عن الحكم العثماني، ليضمها الشيعة الإيرانيون إليهم ضمن محافظة خوزستان على شاطئ الخليج العربي.

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

سوسا يقوم بإحراق عدد كبير من المراكب والسفن التجارية لمسلمي البصرة في طريق عودته إلى القاعدة البرتغالية بهرمز<sup>(1)</sup>.

اعتبر البرتغاليون طريق بغداد والبصرة بديلاً لطريق الهند الذي سمي بالبرتغالية ب: (Carreira Da India) أين كانت تنقل البضائع من البصرة إلى بغداد ثم إلى تركيا أو بلاد فارس<sup>(2)</sup>، كما ذكرت لنا الوثائق البرتغالية بأن مدينة البصرة كانت تتمتع بحركة تجارية هائلة مع الهند في بداية القرن 16م، تشير لنا الوثائق البرتغالية كذلك إلى الطرق البحرية التقليدية التي تعمل باستمرار من ميناء البصرة إلى ميناء جوا بالهند<sup>(3)</sup>، أشهر البضائع التي كانت تجلب من هناك هي القمح البصراوي والزبدة والتمور والشعير واللؤلؤ البحري، التي تحمل كلها على ظهر سفن صغيرة وسريعة تسمى بالبرتغالية باسم تارادا (Tarràda)<sup>(4)</sup> وتعمل بين خطوط ميناء هرمز والبصرة.

كذلك تذكر لنا الوثائق الأرشيفية لتاريخ البرتغاليين في البصرة بأن الخيول العربية الأصيلة التي تصدر سنوياً إلى ميناء جوا (Goa) بالهند، عبوراً بميناء هرمز تقدر ما بين 600 إلى 800 رأس خيل حيث كانت تجارة الخيول العربية الأصيلة تشكل مصدراً هاماً كذلك لمداخيل خزينة البصرة<sup>(5)</sup>، فقد كان حاكم

(1) - أرنولد وبلسون، المرجع السابق، ص 219.

(2) - D.F. Castro, Cronica Do Vice-rei De Joào De Castro, Lisbon, 1955, p.p. 365-367.

(3) - CartaSimão Da Costa, The Governor Of Goa, 1536, ANTT, A.G, Vol V, Gav xv, p.p. 140-141.

(4) - ذكرت لنا هذه الوثيقة البرتغالية بأن مدينة البصرة في عام 1563م كانت تعد واحدة من بين أكبر منتجي التمور في العالم وهي مشهورة بالعديد من أنواعه، التي تنبت في منطقة القرنة كتمر الخلاص والمرزبان أين يتم تصدير هذه الأنواع إلى الهند ومصر وأوروبا، للمزيد أنظر: الأرشيف الوطني لبحر الزمن الذي أنشأ بلسيون عام 1378م ويعني بالبرتغالية The ArquivoNaciona da Torre do Tambo (ويختصر في كلمة ANTT):

ANNT, Carta Ormuz, FL, 102-126.

(5) - ANTT, op.cit, FL, 88, carta d. Manuel de Lima To D. Joào De Castro, 23 June 1547.

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

البصرة يرسل كل عام ثلاثة خيول عربية لملك هرمز ووزيره ولحاكم البرتغال في هرمز، كما أن الضرائب التي كانت تفرض على السلع الشرقية في البصرة تقدر بنسبة 10٪. أما السلع التي يعاد تصديرها من البصرة إلى بغداد فتقدر نسبة الضرائب المفروضة عليها بنسبة 11٪<sup>(1)</sup>، هذا ما دفع بالقادة البرتغاليين إلى محاولة احتلال مدينة البصرة لأكثر من مرة، مثل محاولة القائد طشيور تافاريز دي سوسا في عام 1529م<sup>(2)</sup> والتي أحرق فيها البرتغاليون عددا كبيرا من القرى بالبصرة.

تعتبر الحملة العثمانية على مدينة البصرة والعراق حملة فرضتها الظروف الاقتصادية والعسكرية كذلك، حيث أن تجربة العثمانيين في ساحل شرق إفريقيا ومياه البحر الأحمر جعلتهم يقدرون مدى أهمية سيطرتهم على مدينة البصرة بالخليج العربي، فان تحكّمهم في شرق الهلال الخصيب وفتحهم للشام ومصر سابقا يجبرهم على إتمام سيطرتهم على طريق الحرير<sup>(\*)</sup>، من تبريز بإيران إللأرضروم ومنها إلى بورصة بالأراضي العثمانية، الذي بجانبه طريق تجارة التوابل الممتد من داخل أراضي البصرة إلى بغداد ثم إلى مدينة حلب وهو الذي كان بمثابة دعامة أساسية للاقتصاد العثماني<sup>(3)</sup>.

(1) - ANTT, A.G, VOL V, Gav xv, p. 141.

(2) - يلماز أوزتونا، المرجع السابق، ص 86، وانظر أيضا: Wilson, A, op.cit, p. 123.

(\*) - طريق الحرير: هو من عناصر التراث الحضاري العالمي بحيث لم يكن هذا الطريق تجاريا خالصا تسلكه القوافل التجارية فقط، بل كان طريقا حضاريا به اتصلت شعوب الشرق مع الغرب وتناقلت الأفكار والخبرات والتجارب في كل الإتجاهات والأنحاء وفي عدة مجالات، للمزيد حول طريق الحرير أنظر: علي أبو عساف، طريق الحرير والطرق التجارية الأقدم، مجلة دراسات تاريخية، السنة (1991)، العدد 39-40، السلسلة 12، ص ص 72-82.

(3) - INALCIK, H, THE OTTOMAN EMPIRE, WEIDE FELD AND NICOLSON, LONDON, 1975, p.p. 128-129.

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

إن فتح العثمانيين للعراق بقيادة السلطان سليمان القانوني عام 1534م ساهم في جعل حاكم مدينة البصرة بالعراق راشد بن مغامس يسارع إلى إعلان ولائه التام للعثمانيين عام 1538م، أين أرسلت بعثة من البصرة إلى اسطنبول يرأسها ابنه مانع ابن راشد بن مغامس ووزيره عامر محمد تطلب موافقة السلطان العثماني على ضم مدينة البصرة إلى حظيرة الحكم العثماني، مع تقديم مفتاح المدينة كرمز من رموز الولاء والطاعة للسلطان وبعض الهدايا الثمينة كذلك، فوافق السلطان العثماني سليمان القانوني على هذا الطلب وقام بتعيين الشيخ راشد بن مغامس واليا على مدينة البصرة جنوب العراق مدى الحياة<sup>(1)</sup>، ذلك تماشيا مع سياسة العثمانيين القائمة على ترك الأمور الداخلية للولايات العربية في أيدي شيوخ القبائل والزعامات المحلية.

ما يبين لنا بأن سكان جنوب أقاليم العراق ومدينة البصرة بالتحديد كانوا ينتظرون قدوم العثمانيين إليهم لإنقاذهم من خطر البرتغاليين هناك، الذين ثبتوا أماكنهم في جزيرة هرمز منذ عام 1515م والتي مثلت لهم معقلا رئيسيا للسيطرة البرتغالية على عمان وشرق شبه الجزيرة العربية آنذاك<sup>(2)</sup>، كما أن إعلان أمراء جزر العراق الواقعة على شط العرب ونهري دجلة والفرات والجزائر (Cezayir)<sup>(\*)</sup> والحويز دخولهم تحت حكم الدولة العثمانية، واستقبال

(1) - الأرشيف العثماني، طوب كايي سراي، رمز العلية: E، رقم العلية: 5466، أنظر أيضا: يلمازأوزتونا، المرجع السابق، ص 90، وراجع كذلك: العزاوي، تاريخ العراق، المرجع السابق، ص 46، وللمزيد أنظر:

J. Hammer, op.cit, Tome 05, p. 204.

(2) - يلمازأوزتونا، المرجع نفسه، ص 86.

(\*) - Cezayir: أو الجزائر والمقصود بها هنا ليس إيالة الجزائر العثمانية الواقعة في شمال منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط، بل هي جزائر العراق وأطلق عليها أيضا اسم الجزائر الجديدة لتفريقها كذلك وتمت السيطرة عليها بواسطة حاكم مدينة البصرة قباد باشا، والجزائر هي منطقة المستنقعات ما بين الكوفة ومنطقة واسط في الشمال والبصرة في الجنوب وتتكون من 300 جزيرة أقيمت عليها العديد من القلاع الحربية، أنظر: مجموعة

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

السلطان العثماني سليمان القانوني لوفود من منطقة البحرين والقطيف، تحمل معها رسائل الترحيب والسعادة بقدوم العثمانيين للعراق ورغبتهم الكبيرة في التعاون معهم لمواجهة الخطر البرتغالي المتمركز بمياه الخليج العربي، جعل أئمة المساجد في العراق تلقي الخطبة باسم السلطان سليمان القانوني كما صكت العملة النقدية باسمه<sup>(1)</sup>، ليعين السلطان العثماني حاكم ديار بكر "سليمان باشا الطويل" واليا جديدا على مدينة بغداد مع إبقائه لحامية عسكرية فيها مكونة من ألف جندي مسلح مع ألف فارس.

كما قسم العثمانيون العراق أيضا إلى أربع مقاطعات إدارية وهي ولاية بغداد وفيها ثمانية عشر سنجق<sup>(\*)</sup>، أو لواء إضافة إلى مركزها وولاية الموصل وفيها ستة سناجق وولاية شهرزور وفيها واحد وعشرون سنجقا التي قسمت كلها ما بين عام 1534م و1550م، أما ولاية البصرة لم يكن فيها أي سنجق بسبب تركيبها العشائري والقبلي وكانت جباية الضرائب فيها تتم بنظام الالتزام فقط، لكن الإجراءات الإدارية والمالية التنظيمية الجديدة للدولة العثمانية في ألويتها بالعراق لم تعجب حاكم مدينة البصرة "راشد بن مغامس"، الذي رفض دفع الضرائب السنوية لخزينة الدولة العثمانية وقام بتمرده على سلطانها

حكمنامة، دفتر الأمور المهمة، ص 34، نقلا عن: صالح العابد، عهد الحكم العثماني الأول والعراق في التاريخ، دار الحرية للنشر، بغداد، (1983)، ص 575.

(1) - أوزتونا، نفسه، ص 88.

(\*) - سنجق: وجمعها سناجق وتطلق على حامل علم الباشا في موكبه، لكن المقصود بها هنا هو أحد التقسيمات الإدارية الموجودة في الدولة العثمانية. وتعني المنطقة أو المقاطعة أو اللواء وكان على رأس كل سنجق عثماني ممثل يسمى بسنجق بك أي متصرف بالعربية. كما قسمت السناجق إلى أقطاعات أطلق على كل واحد منها اسم تيمار وهي الأراضي الممنوحة من قبل الدولة العثمانية لعلية القوم، أنظر: ليلي عبد اللطيف أحمد، الإدارة في مصر في العصر العثماني، المرجع السابق، ص 452، للمزيد راجع كذلك: ايلبيرأورتاي، إعادة استكشاف العثمانيين، ترجمة بسام شيخا، ط 01، مطابع الدار العربية للعلوم ناشرون: بيروت، (2012)، ص 179.

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

سليمان القانوني<sup>(1)</sup>، حيث اعتبر الباب العالي راشد بن مغماس حاكم مدينة البصرة متمردا وخارجا على قوانين ونظم الإدارة العلية<sup>(2)</sup>.

بعد ذلك صدرت الأوامر السلطانية إلى والي بغداد "سليمان باشا الطويل" من أجل التحرك بحرا باتجاه البصرة فتوجه الوالي العثماني بحرا مع مائة وعشرين سفينة حربية<sup>(3)</sup>، كما تحرك القائد العثماني "علي ذو القدير أوغلي" بقوة برية أيضا اجتمعت في منطقة القورنة بالبصرة. بعد بضعة معارك بحرية تمكن العثمانيون من سحق فصائل المتمردين هناك وإحراق سفنهم، لم يجد والي بغداد سليمان باشا صعوبة تذكر في هزيمة قوات البصرة بقيادة "عبد المحسن بن عليان"، البالغ عددها نحو ثلاثة آلاف جندي، حيث كان الدخول العثماني النهائي إلى البصرة يوم 26 سبتمبر 1546م<sup>(4)</sup>، بالرغم من نصيحة الصدر الأعظم "رستم باشا" بعدم فتحها لأنها مدينة مخربة ولا قيمة لها، أين فر حاكمها "راشد بن مغماس" مع حاشيته بعد فتحها إلى منطقة الإحساء<sup>(5)</sup>.

يعتبر وصول العثمانيين إلى مدينة البصرة بجنوب العراق إيذانا بدخول الصراع العثماني البرتغالي مرحلة جديدة من مراحلها تتخللها علاقات متباينة في فترات مختلفة، أين سعت الدولة العثمانية إلى إقامة علاقات جيدة في بعض الفترات، مرد ذلك هو حاجة العثمانيين والبرتغاليين كذلك للعديد من البضائع والسلع المختلفة التي انعدمت بسبب اشتداد الصراع والتنافس بينهما، من مظاهر هذه العلاقات إرسال والي البصرة "محمد باشا" لتاجر

(1) - صالح العابد، المرجع السابق، ص ص 573-575.

(2) - أوزتونا، المرجع السابق، ص 91.

(3) - الأرشيف العثماني، تصنيف كامل كيجي، دفتر الرؤوس المهمة، ص 117، أنظر أيضا: أوزتونا، نفسه، ص 91.

(4) - Gokbilgir, T, RustemPasa, Mad Ist, MilliEgatimFasiniori, (1964), IX, p.p.800-802.

(5) - Ozbaron, S, Da Basra KorefeziSahillerindeOsmanlilar Basra BeylerbeyLigininKurulusu, (1971),

p.p. 51-72.

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

عربي يدعى "الحاج فياض"<sup>(1)</sup> إلى حاكم البرتغال في جزيرة هرمز عام 1547م، من أجل إبرام اتفاقيات تجارية مختلفة بالرغم من أن موقف البرتغاليين مع العثمانيين ظل معاديا في مياه الخليج العربي والبصرة.

كما اضطر العثمانيون إلى مهادنة البرتغاليين مرات عديدة من أجل الحصول على الأخشاب من بلاد الهند وشرق إفريقيا لبناء أسطولهم البحري بالبصرة، أين كانت السلع الأسيوية تمر على مضيق هرمز والذي كان في قبضة البرتغاليين أنفسهم<sup>(2)</sup>، نفس الأمر بالنسبة للبرتغاليين الذين بعد حاجتهم الماسة للقمح من جنوب العراق لتمويل حامياتهم العسكرية وجنودهم بهرمز غذائيا، قاموا بحسب التقارير التي كتبت عن مدينة البصرة بتبادل الفلفل الأسود مقابل القمح<sup>(3)</sup>، فقد زود البرتغاليون سنويا العثمانيين بالبصرة بحوالي 3000 بالة من الفلفل المليباري، مقابل تزويد الأتراك للبرتغاليين في جزيرة هرمز بألف قنطار من القمح البصراوي، في عهد حاكم جزيرة هرمز البرتغالي لويس فالكاو (Luis Falcão)<sup>(4)</sup>.

بعدها حرص العثمانيين على توطيد نفوذهم في منطقتي الإحساء والقطيف بسبب تمرد سكان القطيف على حاكم هرمز، بمساعدة من حاكم الإحساء ليطلبوا المساعدة من الحامية العثمانية المتواجدة في مدينة البصرة لتدخل منطقة الإحساء عام 1550م تحت سيادة العثمانيين، كما صارت منطقة القطيف سنجقا تابعا لبيبريكية البصرة<sup>(5)</sup>.

(1) - أحمد العناني، "البرتغاليون في البحرين وحولها"، مجلة الوثيقة، السنة 1984، العدد 04، ص 101.

(2) - ANTT, A.G, Volume V, Gav XV, 17-40, p. 142.

(3) - V. Godinho, Os DescobrimntoseaEconomiaMundial, Lisbon, (1950), Vol 02, p. 162.

(4) - Carta Ormuz, FLS, p.p. 88-92.

(5) - الأرشيف العثماني، تصنيف كامل كيجي، دفتر الرؤوس، رقم 209، ص ص 57-71.

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

إن سيادة العثمانيين على بلاد اليمن والبصرة والإحساء والقطيف بدأت تثير مخاوف البرتغاليين كما أن احتمالية خروج مدخل الخليج العربي من سيطرتهم أصبح أمرا واردا، حيث كانت تقارير البحر الأحمر والخليج العربي تشير إلى أن استعدادات عثمانية قائمة للسيطرة على مدخل الخليج العربي بهرمز<sup>(1)</sup>، ففي عام 1550م انهزم القائد البرتغالي لويس فيقورا (Luis Figoura) في منطقة رأس الحد بعد اصطدامه بأسطول القائد العثماني المتواجد هناك بقيادة سفير ريس (SAFIRREIS)، أين تسابق العثمانيون والبرتغاليون على ترسيخ وجودهم في الخليج العربي بحيث أقدمت السلطات البرتغالية في هرمز، على دعم دفاعاتها وتحصيناتها بمسقط وجلفار أما رد العثمانيين على ذلك فكان بإصدار الباب العالي لأوامره إلقبودان السويس ومصر بييري ريس (PIRI(REIS)<sup>(\*)</sup> لمواجهة البحرية البرتغالية المتمركزة هناك، كما صدرت الأوامر

(1) - نبيل عبد الحي رضوان، تطور الأسطول العثماني في ظل أبرز الحضارات البحرية للبحر المتوسط، مجلة المؤرخ المصري، السنة (2011)، العدد 20، ص 11.

(\*) - بييري ريس: هو محي الدين بييري بن حاجي محمد ولد في مدينة غاليبولي الواقعة على الضفة الغربية من مضيق الدردنيل وهي أول موطن قدم للعثمانيين في الشاطئ الأوروبي، أسس بها الأتراك ترسانة لصنع السفن الحربية، لكننا لا نعرف لحد الساعة تاريخ ولادة بييري ريس حيث يرجحه الكثير من المؤرخين إلى ما بين عام 1465م و 1470م، يعتبر بييري ريس واحدا من بين أشهر البحارة العثمانيين لكونه ملاحا وجغرافيا ماهرا في رسم الخرائط الجغرافية امتلك كفاءات عسكرية جد عالية ودراية واسعة في أمور الملاحة البحرية، سبق له وأن شارك برتبة قبطان في السفينة الأميرالية التفتيشية المتوجهة إلى بلاد مصر بقيادة إبراهيم باشا الطوباشي، تقلد بييري ريس وظائف سامية= في الدولة حيث عمل كمستشار قانوني لوالي مصر في عام 1549م، كما كلف بمهمة استكمال جهود= سليمان باشا الخادم عسكريا ضد البرتغاليين في مدينة عدن باليمن، لكن لا يمكننا التحدث عن أعمال بييري ريس العسكرية دون التطرق إلى شخصية عمه كمال ريس الذي عمل معه في العديد من المهام البحرية للدولة خاصة في سواحل غرب حوض البحر الأبيض المتوسط، من أهم إنجازات بييري ريس العلمية والجغرافية هو رسمه لخريطة العالم القديم والقارات الجديدة مع أمريكا في عام 1513م بمدينة غاليبولي، التي كان قد اكتشفها قبل ذلك المستكشف الإسباني كريستوف كولومبوس، حيث كتب بييري ريس في وسط هذه الخريطة من جهة اليسار: (كتبه الفقير بييري بن حاجي محمد المعروف بابن أخ كمال ريس غفر الله لهم جميعا في مدينة غاليبولي، في شهر محرم الحرام سنة 1513م)، للمزيد عن شخصية بييري ريس أنظر: فيصل عبد الله

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

والتعليمات لبيلربك البصرة "قباد باشا" من أجل الاستعداد هو الآخر وتجهيز جنوده وسفنه اللازمة للحرب، حيث يتضح لنا من خلال هذه التعليمات الموجهة إليه بأن هرمز هي هدف الحملة العثمانية القادمة<sup>(1)</sup>.

والإشكالية المطروحة في هذا السياق التاريخي هي: ما هدف الديوان العثماني من خلال ارسال حملة بحرية بقيادة "بيري ريس" إلى منطقة الخليج العربي عامة ومضيق هرمز خاصة؟، الى أي مدى يمكن لهذه الحملة أن تحدد موقع العثمانيين في مياه الخليج العربي سياسيا وعسكريا واقتصاديا مع البرتغاليين؟.

د. حملة بييري ريس على مضيق هرمز بالخليج العربي وانعكاساتها السياسية والعسكرية عام 1552م:

إن دخول العثمانيين لمنطقة الخليج العربي في النصف الثاني من القرن السادس عشر للميلاد جعلهم لوجه في مواجهة البرتغاليين، الذين سيطروا على

---

الكندري، الملاح والجغرافي بييري ريس 1554م، مجلة رسائل جغرافية، السنة (1999)، العدد 234، قسم الجغرافيا، جامعة الكويت، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، طباعة مؤسسة الكويت للتقدم العلمي: ص 06، وأنظر أيضا:

Piri Reis, KitabiBahriye, Ministry of Culture and Tourisme, Ankara, (1988), p.p. 54-66.

Paul Kahle, "Piri Reis The Turkish Sailor and Geographer", The Magazine of Pakistan Historical Society, Pakistan, vol1, (1965), p.p. 05-99.

حول شخصية كمال ريس أنظر: محمد دراج، مذكرات خير الدين بربروس، المرجع السابق، ص 63.  
(1) - حاجي خليفة، تحفة الكبار في أسفار البحار، تحقيق وترجمة محمد حرب وتسليم حرب، دار البشير للثقافة والعلوم: القاهرة، (2017)، ص 61، أنظر عن الوجود العثماني في منطقتي القطيف والإحساء: فيصل عبد الله الكندري، قانون نامة لواء القطيف عام 959 هـ/1552م، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية: السنة (1997)، العدد 15 و 16، تونس، زغوان، ص ص 340-365.

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

المنطقة منذ عام 1507م<sup>(1)</sup> عند قدوم ألبوكيرك على رأس أول حملة بحرية وسيطرته على موانئ الساحل العماني وجزيرة هرمز والبحرين، حيث ازداد النشاط البرتغالي في منطقة الخليج بين عام 1550م و1551م ليقوم البرتغاليون بمحاولات لوقف التغلغل العثماني في المنطقة، كما حاولوا أيضا طرد العثمانيين من المناطق التي وطئوها بتخريبهم للقطيف والإحساء وقيامهم بربط علاقات مع شيوخ القبائل العربية المناوئة للحكم العثماني في أطراف البصرة، تشجيعهم لهم على الوقوف في وجه العثمانيين<sup>(2)</sup>.

كل هذه العوامل دفعت بالسلطات العثمانية إلى تجهيز حملة عسكرية ضد البرتغاليين في مياه الخليج العربي، تم من خلالها اختيار "بيري ريس" كقائد لهذه المهمة نظرا لما يتمتع به هذا الرجل من خبرة عسكرية طويلة ودراية واسعة بأسرار البحر وقيادة الأسطول العثماني، فقد منحه السلطان سليمان القانوني لقب "قابودان مصر والسويس"<sup>(3)</sup>، تم استحداث هذه الرتبة العسكرية الجديدة لأول مرة في الأسطول العثماني بمصر، بحيث يخضع تحت سلطته كل من قابودان السويس والإسكندرية ودمياط وغيرهم من قادة البحار في مياه البحر الأحمر.

(1) - حاجي خليفة، تحفة الكبار في أسفار البحار، تحقيق وترجمة محمد حرب وتسليم حرب، دار البشير للثقافة والعلوم: القاهرة، (2017)، ص 61، أنظر عن الوجود العثماني في منطقتي القطيف والإحساء: فيصل عبد الله الكندري، قانون نامة لواء القطيف عام 959 هـ/1552م، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية: السنة (1997)، العدد 15 و 16، تونس، زغوان، ص ص 340-365.

(2) - SalihOzbaran, OsmanlyImparatorluguVeHindistanYollu, Tarih Der gisi, TD,XXXI, (1977), p.p. 123-124.

(3) - محمد ثريا، سجل عماني، ج 01، استانبول: (1311)، ص 44، نقلا عن: فيصل عبد الله الكندري، مجلة رسائل جغرافية، المرجع السابق، ص 30.

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

لقد كانت الأوامر السلطانية الموجهة لقبودان السويس "بيري ريس" (Piri Reis) هي السيطرة على جزيرة هرمز وتخريب دفاعاتها وتحصيناتها العسكرية، بعد إتمام مهمته هذه يتجه نحو جزيرة البحرين بالخليج العربي للإتمام السيطرة عليها، كما يجب عليه أن الذهاب إلى مدينة البصرة جنوب العراق من أجل إخماد ثورات العشائر المجاورة لها والتي كانت دائما ما تثور في وجه الحكام العثمانيين هناك، بعد انتهائه من كل هذه المهام الموكلة إليه من طرف الباب العالي عليه قضاء فصل الشتاء كاملا بميناء البصرة، ثم عليه إبقاء عشرة سفن من أسطوله هناك وأن يرجع بقية السفن إلى ميناء السويس بمصر<sup>(1)</sup>، حيث كان بيري ريس هو صاحب القرار الوحيد في ذلك الأمر كله<sup>(2)</sup>.

أبحر بيري ريس من ميناء السويس بمصر في شهر أبريل عام 1552م ومعه خمسة وعشرون سفينة حربية من نوع كادرغة<sup>(\*)</sup> وأربع سفن من نوع قاليته<sup>(\*\*)</sup> وسفينة كبيرة من نوع باريجه، أي ثلاثين سفينة من مختلف الأحجام والأنواع وحوالي ثمانمائة وخمسين جندي فعبر باب المندب قاصدا مدينة

(1) - فيصل عبد الله الكندري، المرجع السابق، ص 35.

(2) - مجموعة حكمنامه، دفتر الأمور المهمة، ص 488. وأنظر أيضا: Piri Reis, op.cit, p.p.66-67.

(\*) - كادرغة: هي عبارة عن سفينة بحرية طويلة وسريعة إذ يبلغ طولها ثلاثة وستون متر وعرضها ثمانية أمتار، هي سفينة حربية شرعية كانت تستعمل قبل صنع السفن البخارية وتحتوي على خمس وعشرون مقعدا وكل مجداف يقوم بدفعة أربع أو خمس جدافين، تمتاز بطولها وخفتها يتكون طاقمها من خمس وثلاثين بحار ومائة وستة وتسعين جداف ويمكنها حمل ثلاثة عشر مدفع، أنظر: محمد دراج، المرجع السابق، ص 50، وللمزيد من الإيضاح كذلك أنظر: نبيل عبد الحي رضوان، تطور الأسطول العثماني في ظل أبرز الحضارات البحرية للبحر الأبيض المتوسط، مجلة المؤرخ المصري: السنة (2009)، العدد 20، ص 12.

\*\* - قاليته: هي نوع من السفن الحربية التي كانت مستعملة قبل صنع السفن البخارية والتي تحتوي على عشرين إلى خمس وعشرين مقعدا وتستعمل على وجه الخصوص لمطاردة سفن العدو، أنظر: محمد دراج، المرجع السابق، ص 37.

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

عدن باليمن وبعد تزوده بالمتونة اللازمة توجه إلى ميناء الشحر بعدن وبالقرب من الشحر تفرقت السفن العثمانية بسبب الضباب الكثيف، لتتجه الحملة بعدها إلى ميناء ظفر ثم إلى رأس الحد ومنه شمالا دخل الأسطول العثماني لخليج عمان<sup>(1)</sup>.

لقد تمكن بيرى ريس قبل ذهابه لجزيرة هرمز من استرجاع القاعدة العثمانية بميناء عدن باليمن عام 1549م، التي كانت تحت سيطرة "علي بن سليمان الطولقي"، أحد شيوخ القبائل اليمنية الذي فرض سيطرته على ميناء عدن وطرد الحامية العثمانية المتواجدة به عام 1546م، ما يطرح علينا الكثير من التساؤلات حول دور الترسانة الحربية بالسويس والتي كانت شبه عاطلة تماما عن التدخل لما يحدث في ميناء عدن باليمن، بالرغم من أهمية هذا الميناء استراتيجيا لدرجة تثير الشبهة حول حقيقة وجود ترسانة حربية هناك من عدمه<sup>(2)</sup>؟.

عند مرور بيرى ريس على ميناء الشحر بعدن حذر شيوخ مدينة حضر موت من مغبة الاتصال بالبرتغاليين أو تقديم أية مساعدات عسكرية لهم عام 1552م<sup>(3)</sup>، ليقوم بعدها بإرسال خمسة سفن قادرغة بقيادة ابنه "محمد بك"، الذي تم تعيينه أيضا من طرف أبيه كقائد لأسطول مدينة البصرة برتبة قابودان باشا، حيث قام "محمد بك" بالتقدم إلى خليج عمان من أجل

<sup>(1)</sup> - مجموعة حكمنامه، دفتر الأمور المهمة، ص 473، وأنظر أيضا: سيد علي ريس، مرآة الممالك، دار سعادت، إقدام مطبعة سي: استانبول، د ت، ص ص (12،13)، نقلا عن: فيصل عبد الله الكندري، المرجع السابق، ص 31.

<sup>(2)</sup> - CengizOrhonlu, Hind KaptanligiVePiri Reis, Belleten, XXXIV, (1970), p.p. 235-254.

<sup>(3)</sup> - الأرشيف العثماني، دفتر الأمور المهمة، رقم 02، ص 228، وأنظر: سيد علي ريس، المصدر السابق، ص ص 12-13.

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

استطلاع المنطقة جيدا، لأن تعليمات أبيه بييري ريس نصت على عدم المجازفة بكامل الأسطول العثماني في خوض غمار حرب لا يعلم فيها حجم الأسطول البرتغالي المتواجد في مضيق هرمز بالخليج العربي<sup>(1)</sup>، لا عن عدد الجنود ونوعية الأسلحة المستخدمة فيها لدى القوات البرتغالية.

خلالها كانت السلطات العثمانية قد استفسرت حاكم البصرة "قبادباشا" عن أخبار وصول أسطول القائد بييري ريس إلى ميناء البصرة، لكون هذه الأمرية مبعوثة لحاكم مدينة البصرة فقام بييري ريس بإرسال ابنه محمد بك بدلا منه إلقباد باشا حاكم البصرة، معه قرار تعيينه كقبودان على ميناء البصرة بالخليج العربي، أين استلم قباد باشا براءة التعيين من الديوان العثماني وأخبره عن المهمة الموكلة إليه<sup>(2)</sup>.

كما قام بييري ريس بإرسال ابنه محمد بك من أجل محاصرة قلعة مسقط في طريق توجهه إلى جزيرة هرمز، التي تتمركز فيها حامية برتغالية تابعة لقائد هرمز ألفارو دي نورها (Alvaro De Noronha)، ليأمر بييري ريس بعدها أسطوله بقصفها بالمدافع لمدة سبع وعشرين يوما كاملا في محاولة منه لتدميرها كليا، بسبب قرب موقعها الجغرافي من قواعد البرتغاليين في كل من جزيرة هرمز وجوا وديو بالهند<sup>(3)</sup>، لبعدها عن قلعة مسقط كذلك وعن الولايات العثمانية الأخرى سواء في الإحساء أو البصرة أو الحجاز أو اليمن<sup>(4)</sup> حيث قرر قائد قلعة مسقط جواو دي ليسبوا (Joao Delisboa) تسليمها للعثمانيين، ليتم أسر حوالي 120 أسير برتغالي للعمل كمجدفين في الأسطول العثماني،

(1) - لمازأورتونا، المرجع السابق، ص 333.

(2) - فيصل عبد الله الكندري، المرجع السابق، ص 31، وأنظر أيضا: نبيل عبد العي رضوان، المرجع السابق، ص 14.

(3) - CengizOrhonlu, op.cit, p.243, And Look: ANTT, CC, III, p.p. 17-37.

(4) - CengizOrhonlu, Hind KaptanligiVePiri Reis,op.cit, p. 243.

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

كما تشير المصادر البرتغالية بأن القائد دي ليسبوا استسلم للعثمانيين شريطة أن يسمح له بييري ريس بالمغادرة مع 60 شخصا من حاشيته إلى ميناء هرمز بالخليج العربي، لكن بييري ريس أخلف بوعده هذا وأسر القائد دي ليسبوا مع مائة وعشرين جندي أيضا<sup>(1)</sup>.

أثناء ذلك كانت أخبار الحملة العثمانية القادمة إلى جزيرة هرمز قد وصلت إلى علم حاكمها القائد ألفارو دي نورها، الذي قام هو أيضا بتجهيز عسكره وتحصين قلعته بحيث قدر عدد الجنود البرتغاليين المتواجدين في القلعة بتسعمائة مقاتل، مع توفيره للمؤونة والعتاد الحربي اللازم لتحمل فترات الحصار الطويل ان تطلب الأمر لذلك<sup>(2)</sup>.

بعد وصول بييري ريس إلى جزيرة هرمز وحصارها لمدة عشرين يوما كاملا قام القائد البرتغالي دي نورها بإخبار النائب العام للهند بجوا عن هذا الحصار المفروض مطالبا إياه بتوفير الدعم العسكري اللازم لفك هذا الحصار<sup>(3)</sup>، رغم القصف المتواصل للمدفعية العثمانية لقلعة هرمز إلا أن هذا الحصار انتهى بفشل العثمانيين في دخول القلعة.

خلال ذلك الحصار المفروض من طرف العثمانيين على القلعة كان المدد البرتغالي قد تحرك من ميناء جوا بالهند إلى جزيرة هرمز<sup>(4)</sup>، ليضطر

(1) - SalihOzbaran, Ottoman Turks and the Portuguese in the Persian Gulf, Ph.D. Thesis, University of London, October, (1969), p. 50, And Look: ANTT, CC, p.p. 21-89.

(2) - الأرشيف العثماني، نفسه، ص 228، للمزيد أنظر كل من: SalihOzbaran, IDAM, p.p. 51-52.

(3) - أنظر أيضا:الرصيد الأرشيفي البرتغالي الموجود بمدينة لشبونة وأرشيف سيمانكاس باسبانيا:

- Les Archives De Simancas Espagne.

- Les Archives Nationales Du Portugal à Lisbonne.

(4) - إبراهيم بجوي، تاريخ بجوي، المصدر السابق، ص 351.

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

بعدها يبيري ريس إلى رفع الحصار البحري على الجزيرة مخافة أن يحاصره البرتغاليون عند مدخل الخليج العربي من جهة، كما أن نفاذ الأموال وعدم تمكنه من دفع مرتبات الجنود أجبره على اتخاذ هذا القرار من جهة أخرى<sup>(1)</sup>، ليتجه مباشرة مع أسطوله المتبقي إلى جزيرة قشم أو جشم المتواجدة على الساحل الإيراني فنهبا<sup>(2)</sup>، ثم رجع أخيرا إلى ميناء البصرة في شهر أكتوبر عام 1552م<sup>(3)</sup>، ليكون المدد البرتغالي قد وصل خلالها إلى جزيرة هرمز<sup>(4)</sup>، مما يؤكد لنا بأن قرار رفع الحصار البحري على جزيرة هرمز من طرف قبودان السويس ومصر "بيري ريس" قد كان صائبا.

بعد ذلك قامت السلطات العثمانية باسطنبول بتفويض حاكم مدينة البصرة "قباد باشا" من أجل اتخاذ كافة الإجراءات العسكرية والإدارية اللازمة، توفير ما يلزمه ماديا وعسكريا تحسبا لما يراه مناسبا هناك، كما طلبت منه السلطة العثمانية كذلك توفير مرتبات الجنود والأموال اللازمة للأسطول، عن طريق الرسالة التي أرسلت له من طرف الديوان العثماني يوم الأحد 05 نوفمبر 1552م<sup>(5)</sup>، كرد على تقريره المفصل الذي أرسله كذلك حول نتائج وانعكاسات حملة بيري ريس على جزيرة هرمز بمدخل الخليج العربي.

(1) - CengizOrhonlu, Hind KaptanligiVePiri Reis,op.cit, p. 244.

(2) - Koguslar, 888, 487b-488a-488b-489a.

(3) - قبل إبحار بيري ريس إلى مدينة البصرة أرسل رسالة مع ابنه محمد بك إلى حاكمها قباد باشا يخبره فيها باستيلائه على مسقط ورفع الحصار البحري عن جزيرة هرمز بالخليج، للمزيد أنظر:

Koguslar, 888, 487b.

(4) - كاتب جلبي، المصدر السابق، ص 61.

(5) - Koguslar, 888, 487b-488a.

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

كما أصدرت السلطات العثمانية الأوامر السلطانية إلى حاكم ديار بكر بالعراق من أجل إرسال عشرين ألف (20.000) قطعة ذهبية<sup>(1)</sup>، إلى حاكم مدينة بغداد لينقلها هو الآخر إلى حاكم مدينة البصرة قباد باشا، خلال ذلك كان قباد باشا يتوقع مهاجمة الأسطول البرتغالي لمدينة البصرة بعد تأكد البرتغاليين من توجه أسطول بييري ريس إليها، إضافة إلى ذلك فقد أرسل حاكم ديار بكر الرصاص والنحاس مع 500 بندقية من نوع "توفنك" وعشر مدافع من نوع "ضربدن" أيضا إلى حاكم مدينة البصرة تحسبا لأي هجوم برتغالي قادم<sup>(2)</sup>.

\*. النهاية المساوية لبييري ريس عام 1552م:

أثناء تواجد بييري ريس في مدينة البصرة بالعراق أرسلت له السلطات العثمانية رسالة مع مبعوثها والذي اسمه "مصطفى" يوم الأحد 05 نوفمبر 1552م، هو نفس الشخص المرسل من طرف حاكم البصرة "قباد باشا" لينقل رسائله وتقاريره حول أحوال المدينة إلى الديوان العثماني باسطنبول، حيث تنص هذه الرسالة على تقديم الشكر والعرفان من طرف الديوان العثماني للمجهودات العسكرية التي بذلها قابودان السويس "بييري ريس" خلال حصاره وتدميره لمسقط وتخريب دفاعات جزيرة هرمز وتمكنه أيضا من الاحتفاظ ببعض الأسرى البرتغاليين كمجذفين في الأسطول العثماني<sup>(3)</sup>.

كما أبلغ الديوان العثماني قابودان السويس "بييري ريس" عن وصول الرسالة التي طلب فيها من الديوان ضرورة إبقاء جزء من سفن أسطوله في

<sup>(1)</sup>-Koguslar, 888, 487b-488a.

<sup>(2)</sup>- Koguslar, 888, 489a.

<sup>(3)</sup>- فيصل عبد الله الكندري، المرجع السابق، ص 35.

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

ميناء البصرة بالخليج العربي، لتقوم بحراسة السفن العثمانية وليرصد الطلب بالموافقة شريطة إبقاء عشرة سفن حربية من الأسطول العثماني بميناء البصرة، مع أن يرجع بقية الأسطول المتبقي سالما غالما إلى ميناء السويس بمصر، مع اشتراط إبلاغه واستشارته لحاكم مدينة البصرة "قباد باشا" من أجل التنسيق مع لاتخاذ الإجراءات العسكرية المناسبة<sup>(1)</sup>.

حسب رواية قائد قلعة مسقط الأسير البرتغالي "جيانليزابو" (Jean Lizbao)<sup>(2)</sup> فإنه قام بتحذير "بيري ريس" من مغبة وقوع أسطوله في أسر البرتغاليين، بسبب صعوبة عودته إلى ميناء السويس بمصر في حالة إغلاق البرتغاليين لمدخل مضيق هرمز بالخليج العربي، حيث استشار بيري ريس قباد باشا في هذا الأمر وقرر الاثنان معا أن يأخذ بيري ريس ثلاثة سفن من نوع قادرغة فقط<sup>(3)</sup> إلى ميناء السويس بمصر<sup>(4)</sup>، في طريق عودة الأسطول العثماني تحطمت إحدى السفن الثلاثة في سواحل البحرين ذلك راجع إلى اصطدامها بإحدى الصخور البحرية<sup>(5)</sup>، ليصل بيري ريس أخيرا إلى ميناء السويس بسفينتين فقط<sup>(6)</sup>، هنا انتهت مهمة بيري ريس في مياه الخليج العربي عام 1552م.

كما تجدر بنا الإشارة هنا إلى أن "بيري ريس" قد تم سجنه مباشرة ثم إعدامه بعد عودته إلى ميناء السويس بمصر<sup>(7)</sup>، بأمر من السلطان سليمان

<sup>(1)</sup> - Koguslar, 888, 487b-488a.

<sup>(2)</sup> - لقد قام بيري ريس بالاحتفاظ بأسير "جيانليزابو" من أجل استخدامه في كشف كل تحركات الأساطيل البرتغالية بمياه الخليج العربي ومضيق هرمز والمحيط الهندي، أنظر: كاتب جليبي، المصدر السابق، ص 61.

<sup>(3)</sup> - Cengiz Orhonlu, op.cit, p. 245.

<sup>(4)</sup> - إبراهيم بجوي، المصدر السابق، ص 351.

<sup>(5)</sup> - يذكر لنا سيد علي ريس في كتابه "مرآة الممالك" بأن هذه الحادثة وقعت بالقرب من جزيرة البحرين، للمزيد أنظر: سيد علي ريس، المصدر السابق، ص ص 12-13.

<sup>(6)</sup> - إبراهيم بجوي، المصدر نفسه، ص 352، وأنظر أيضا: محمد ثريا، المصدر السابق، ص 44.

<sup>(7)</sup> - كاتب جليبي، المصدر السابق، ص 61.

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

القانوني بعد التقارير المغلوطة التي وصلت إليه من طرف كل من حاكم مدينة البصرة "قياد باشا" وحاكم ولاية مصر "داوود باشا"، هذا راجع إلى عدة أسباب سياسية وعسكرية حيث تم اتهام "بيري ريس" بالخيانة بعد قيامه برفع الحصار البحري المفروض على جزيرة هرمز مقابل تلقيه لرشاوي من طرف قائد قلعة هرمز "ألفارو دي نورها"<sup>(1)</sup>. كما عرضت عليه أموال وهدايا كثيرة من طرف حكومة البرتغال في جوا بالهند<sup>(2)</sup>، إضافة إلى اتهامه بعدم تحمل مسؤوليته وتخليه عن سفن الأسطول العثماني الموجودة بميناء السويس وتركها في ميناء البصرة بالخليج العربي<sup>(3)</sup>.

خلال المقاربة التاريخية التي قمنا بها نستنتج أن إعدام بيري ريس يعتبر من بين الأخطاء التاريخية الكبيرة التي وقعت فيها الدولة العثمانية وسلطانها سليمان القانوني، فإن إعدامها لهذا العالم الجغرافي والملاح والقائد البحري للأسطول العثماني، الذي لم تتح له الفرصة حتى للدفاع عن نفسه، فكان من الأجدر بالديوان العثماني هو استدعائه والسماع إليه حول أسباب ودوافع رفعه للحصار البحري، لا الحكم عليه غيابيا وهو مسجون في سجن القاهرة بمصر فانه ليس من المعقول مكافئة مثل هذه الشخصية العظيمة، التي أفنت حياتها

(1) - إبراهيم بجوي، المصدر السابق، ص 352. أنظر أيضا: محمد ثريا، المصدر السابق، 44، وكذلك أنظر: عمر فاروق بن محمد مراد، تاريخ أبو الفاروق، ج 03، اسطنبول: (1328)، ص 223، وراجع أيضا: engizOrhonlu/op.cit, p. 245-246.

(2) - أحمد آق كوندز وسعيد أوزتورك، الدولة العثمانية المجهولة 303 سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية، مكتبة عمرو توران، المملكة العربية السعودية: (2008)، ص 250، للمزيد حول ظروف وأسباب إعدام بيري ريس راجع أيضا: جبري عمر، عرقله العثمانيين للأطماع البرتغالية في البحار الشرقية والخليجية (1497م-1554م)، مذكرة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة أبو القاسم سعد الله: الجزائر، (2014)، ص صص 152-153-154.

(3) - كاتب جلبي، المصدر السابق، ص 61، أنظر: الأرشيف العثماني، تصنيف كامل كنجي، دفتر الرؤوس، رقم 211، ص 13.

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

في خدمة الأسطول والبحرية العثمانية بمياه البحر الأبيض المتوسط وخليج عدن والخليج العربي بهذه الطريقة البشعة؟.

بهذا تكون الدولة العثمانية قد خسرت واحدا من بين أبرز الشخصيات الجغرافية العلمية والعسكرية في تاريخها الحديث، التي ساهمت إلى حد كبير في إمالة اللثام عن العديد من القضايا الجغرافية والتاريخية التي كانت مجهولة في السابق وعن مناطق عديدة لم تعرف في العالم، حيث يعتبر بييري ريس من بين خيرة الجغرافيين المسلمين الذين ارتكزوا على عمق الملاحظة والدقة العلمية، لذلك كانت أعمال بييري ريس مصدرا مهما بالنسبة للعديد من الجغرافيين الأوروبيين الذين لقبوه "بأب الجغرافيا الحديثة"<sup>(1)</sup>.

هـ. مهمة إعادة الأسطول العثماني المحاصر بميناء البصرة بقيادة مراد ريس ثم سيد علي ريس عام 1553م:

لقد عرفت البحرية العثمانية مرحلة جديدة في مياه الخليج العربي بعد إعدامقابودان السويس "بييري ريس"، الذي ترك ورائه أسطول السويس كاملا في ميناء البصرة بعد أن شارك به في حروب عدة بداية من تحريره لميناء عدن باليمن عام 1549م، وصولا إلى محاصرته لقلعة مسقط وأسره لقائدها "جيان دي ليسبوا" عام 1552م، إلى غاية حصاره ثم رفعه للحصار عن جزيرة هرمز بمدخل الخليج العربي عام 1552م، الإشكالية المطروحة في هذا السياق التاريخي، إلى من سوف يسند الديوان العثماني مهمة استرجاع أسطول السويس من ميناء البصرة بالعراق بعد إعدام "بييري ريس" عام 1554م<sup>(2)</sup>؟.

(1)- عمر جبري، المرجع السابق، ص 157.

(2)- بهذا الصدد تجدر بنا الإشارة إلى كوننا لا نعلم على وجه الدقة والتحديد تاريخ تنفيذ حكم الإعدام في حق بييري ريس نظرا لأن الوالي الذي اتخذ قرار الإعدام ضده هو داوود باشا والي مصر، الذي تولى هذا المنصب عام 1538م وتوفي في عام

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

قام الديوان العثماني بعد موافقة السلطان سليمان القانوني بتعيين القائد "مراد ريس" بيلربك منطقة القطيف سابقا عام 1553م، ليقوم بإكمال مهمة بييري ريس في مياه الخليج العربي والتي لم تحقق النتائج المرجوة منها حسب ما اعتبره الديوان العثماني، بحيث أسندت لمراد ريس مهمة استرجاع الأسطول العثماني الموجود في ميناء البصرة وإعادته إلى مكانه الأصلي بميناء السويس في مصر<sup>(1)</sup>، لكن مراد ريس فشل في هذه المهمة، بعدما تمكن الأسطول البرتغالي من منعه تجاوز مضيق هرمز بالخليج العربي، ليضطر بعدها للعودة برا إلى العاصمة اسطنبول حيث تحطم كامل أسطوله في معركة بحرية عنيفة شمال قلعة مسقط جرت وقائعها في شهر أوت عام 1553م<sup>(2)</sup>.

بعد فشل حملة استرجاع الأسطول العثماني بقيادة "مراد ريس" عين الديوان العثماني في شهر سبتمبر عام 1553م القائد "سيد علي ريس"<sup>(\*)</sup> خلفا

1539م، ليخلفه بعد ذلك علي باشا الوزير في عام 1539م إلى غاية عام 1554م، ثم يخلفه بعدها محمد باشا في ولاية مصر منذ عام 1554م إلى غاية عام 1556م، بهذا لا نستطيع أن نجزم بأن حكم الإعدام قد نفذ في عهد الوالي علي باشا أو محمد باشا، بحيث تتناقض المصادر التاريخية مع بعضها البعض حول وقائع هذه القضية وتواريخها، للمزيد حول قضية إعدام بييري ريس أنظر: محمد بن أبي السرور البكري الصديقي، المنح الرحمانية في الدولة العثمانية، تحقيق ليلى الصباغ، مطبوعات مركز جامعة الماجد: دمشق، (1995)، ص ص 166-160، وراجع كذلك: أحمد شلبي بن عبد الغني الحنفي المصري، أوضح الإشارات في من تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشا، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمان، د ن، القاهرة، (1995)، ص ص 58-60، وللمزيد أيضا راجع: يوسف الملواني، تحفة الأحاب بمن ملك مصر من الملوك والنواب، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمان، د ن، القاهرة، (1998)، ص ص (103، 102)، وأيضا: فيصل عبد الله الكندري، المرجع السابق، ص 37، للمزيد حول هذه القضية أنظر: الأرشيف الوطني باسطنبول.

(1) - يلمازاوتونا، المرجع السابق، ص 334.

(2) - عبد العزيز محمد عوض، الاحتلال البرتغالي لموانئ الجزيرة العربية، مجلة المؤرخ العربي: السنة (1986)، العدد 29، ص 22، وأنظر أيضا: محمد عبد اللطيف البحراوي، المرجع السابق، ص 166.

(\*) - سيد علي ريس: هو خيرة ضباط البحرية العثمانية شارك في فتح جزيرة رودس وسواحل المغرب العربي ومعركة بروزة التي تولى فيه قيادة الجناح الأيسر من الأسطول عام 1538م مع خير الدين بروس، ومعركة جربة بتونس عام 1560م كما كان عالما في الجغرافيا والرياضيات وشاعرا كبيرا نبغ في علم الفلك والملاحة واستخدام الإسطرلاب

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

للقائد مراد ريس برتبة قابودان باشا لميناء السويس بمصر، براتب شهري قدره مائة وخمسين أفجة يوميا<sup>(1)</sup> حيث قرر سيد علي ريس الانطلاق ميناء حلب يوم 07 سبتمبر 1553م، ليصل إلى ميناء البصرة يوم 03 فيفري 1554م، أين سلمه بيلربك مدينة البصرة "مصطفى باشا" ثمانية عشرة سفينة الباقية من أسطول بييري ريس بعد عملية إصلاح السفن المتضررة في الأسطول لمدة خمسة أشهر كاملة، ليتم وضع ما يلزم من الجنود والبحارة ليجر الأسطول في 18 مارس 1554م، مارا بموانئ الساحل الشرقي للخليج ومنها إلى بندر بوشهير وجزر القطيف والبحرين، من أجل تموينه الأسطول البرتغالي حتى وصل بالقرب من منطقة خورفكان<sup>(2)</sup>.

في منطقة خورفكان اصطدم أسطول سيد علي ريس مع أسطول برتغالي مكون من خمس وعشرين سفينة مختلفة الأحجام والأنواع، تمكن العثمانيون خلالها من إغراق سفينة حربية من نوع قاليون ثم تابع الأسطول إبحاره نحو ميناء مسقط وقلهات، لكنه وجد أسطولا برتغاليا آخر في انتظاره مكون من أربعة وثلاثون سفينة حربية خسر خلالها سيد علي ريس سبع سفن من نوع قادرغة، أما الأسطول البرتغالي بقيادة الدون فرناندو (Don Fernando) ابن نائب الملك ألفانسو دي نورها (Alfonsa De Noronha) فقد خسر ستة سفن حربية

ألف عدة كتب من أشهرها كتاب: "المحيط في فن الملاحة بالمحيط الهندي"، كما قام كذلك بكتابة مذكرات "خير الدين بربروس"، كما تعلم كثيرا عن أبيه وجده من خلال عملهما في خدمة البحرية العثمانية كمستشارين بحريين وبالغة التركية (ترسنة كتخداسي) توفي عام 1563م وعمره 65 سنة، أنظر: إسماعيل سرهنك، المصدر السابق، ص 599، وراجع كذلك: يلماز أوزتونا، المرجع السابق، ص 334، وللمزيد أنظر أيضا: محمد دراج، مذكرات خير الدين بربروس، ترجمة وتعليق محمد دراج، نقلا عن يلماز أوزتونا، ط 01، شركة الأصالة للنشر والتوزيع: الجزائر، (2010)، ص ص (32-187)، وكذلك راجع: محمد عبد اللطيف البحراني، المرجع السابق، ص 78.

(1) - الأرشيف العثماني، دفتر الأمور المهمة، رقم 24، ص 26، وأنظر أيضا: سيد علي ريس، المصدر السابق، ص 14.

(2) - سيد علي ريس، المصدر نفسه، ص 14.

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

أيضاً<sup>(1)</sup>، ليقرر بعدها سيد علي ريس الانسحاب من هذه المعركة والعودة الى ميناء السويس بمصر، لكن عاصفة الرياح البحرية المسماة "بطوفان الفيل"<sup>(2)</sup>، التي واجهة الأسطول العثماني كانت قوية جدا في منطقة حضر موت باليمن ما أدى إلى تغيير اتجاه سفن الأسطول نحو الشرق، إلى سواحل الهند الغربية في مدينة كجرات هنالك تفرق الجنود والبحارة العثمانيون أين عمل بعضهم في خدمة أمراء ملوك الهند وكجرات، خاصة بعد تحطم عدد كبير من سفن الأسطول البحري الناجية من العاصفة البحرية<sup>(3)</sup>.

مما اضطر سيد علي ريس بعد ذلك إلى تسليم السفن المتبقية من الأسطول للسلطان الهندي "أحمد شاه الثاني" (1553م-1561م) ملك كجرات<sup>(4)</sup>، كما سلم سيد علي ريس أيضا ملك مدينة سورات<sup>(\*)</sup> بالهند ذو الأصول العثمانية وهو "خداوند خان" ستة سفن متبقية من الأسطول مع مدافعها إليه مقابل إعلان حاكمها تبعيته للسلطان العثماني باسطنبول<sup>(5)</sup>، بعد أشهر من ذلك قرر سيد علي ريس العودة مع خمسين فردا من أتباعه براء، ذلك من خلال مرورهم برحلة شاقة تنطلق من بلاد الهند وأراضي تركستان ثم إلى بلاد

(1) - سيد علي ريس، نفسه، ص ص 14-15، وأنظر أيضا: J. Hammer, op.cit, p. 186.

(2) - يلماز أوزتونا، المرجع السابق، ص 335.

(3) - يلماز أوزتونا، المرجع السابق، ص 335.

(4) - سيد علي ريس، نفسه، ص ص 17-32، وكذلك راجع: أوزتونا، نفسه، ص 335.

(5) - سورات: هي مدينة تطل على ساحل مليبار بالهند تميزت بحركية مينائها وتجارها الكبيرة مع الشرق والغرب، أنظر: نعيم زكي فهيم، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973، ص 173.

(6) - يرجع تسليم سيد علي ريس لسفن الأسطول العثماني المتبقية في الحملة إلى ملوك الهند بسبب طلبهم في استعمالها لصد الهجمات البرتغالية المتكررة ضدهم، للمزيد أنظر: أوزتونا، المرجع السابق، ص 335.

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

فارس لتنتهي في مدينة اسطنبول، التي لخصها لنا سيد علي ريس في كتابه "مرآة الممالك" حيث دامت هذه الرحلة ثلاثة سنوات (1554م-1557م)<sup>(1)</sup>.

بعد عودة القائد سيد علي ريس من مهمته استقبله السلطان سليمان القانوني في قصر الديوان الهمايوني، ليخبره سيد علي عن كل ما حدث إليه وللأسطول العثماني منذ بداية مهمته لغاية رجوعه، كما سلمه العديد من الرسائل التي أرسلها إليه حكام مسلمي الهند والمناطق التي زارها<sup>(2)</sup>، فنال بذلك رضا واستحسان السلطان سليمان القانوني والصدر الأعظم "رستم باشا"، ليعين بعدها بمهمة متفرق براتب قدره ثمانين أقة يومياً ثم عين في وظيفة دفتر دار لديار بكر بالعراق، حيث أسندت إليه العديد من الوظائف الإدارية الهامة في أقاليم الدولة العثمانية<sup>(3)</sup>.

من خلال ما سبق ذكره نستنتج أن الدولة العثمانية اهتمت كثيراً بمنطقة الخليج العربي منذ بداية النصف الثاني من القرن السادس عشر للميلاد، أين سعت إلى إيجاد مكانة لها هناك على الساحة السياسية والاقتصادية والإستراتيجية مع منافسة أقوى الإمبراطوريات الاستعمارية الأوروبية لها خلال تلك الفترة التاريخية والممثلة في مملكة البرتغال، بالرغم من خسارة العثمانيين لعدد كبير من قطع أسطولهم البحري في مياه الخليج العربي، بداية من حملة بيرى ريس وسيد علي ريس بين عام 1552م و1554م، إلأن العثمانيين ظلوا يواصلون إرسال حملاتهم البحرية هناك، ما يدل على اهتمامهم المتزايد بالمنطقة ومرد ذلك راجع أيضاً لمكانة منطقة الخليج العربي اقتصادياً

(1) - إسماعيل سرهنك، المصدر السابق، ص 551، وأنظر أيضاً: سيد علي ريس، المصدر السابق، ص 32.

(2) - الأرشيف العثماني، تصنيف الدفاتر المدورة عن المالية، رمز MAD، رقم 17983، ص 20.

(3) - الأرشيف العثماني، دفتر الأمور المهمة، رقم 04-29، ص ص 14-16-50.

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

واستراتيجيا بدرجة أولى، فتجارة الحرير والتوابل مع بلاد الهند وأقصى شرق آسيا جعلت العثمانيين يطورون من استراتيجياتهم العسكرية والإدارية، من خلال نظام التقسيمات والتنظيمات التي تم استحداثها في الأقاليم العربية وولاياتها مثل نظام البيلبريكيات<sup>(1)</sup> بدلا من نظام السناجق والزعامات<sup>(\*)</sup> وأنظمة الخواص والتميمار<sup>(\*\*)</sup>، في كل من بيلربكية الحبشة واليمن والبصرة والإحساء.

و. حملة بكلربك الإحساء مصطفى باشا ضد حاكم جزيرة البحرين مراد شاه وتحالفه مع البرتغاليين: أسبابها وانعكاساتها العسكرية والاقتصادية على الخليج العربي عام 1559م:

على الرغم من أن أرشيف دفاتر الأمور المهمة لعام 1559م<sup>(2)</sup> باسطنبول يوضح لنا بأن جزيرة البحرين بالخليج العربي، التي كان يحكمها "مراد شاه" كانت سنجقية عثمانية إلا أن اجتياح بيلربك مدينة الإحساء "مصطفى باشا"

(1) - لقد تم تحويل كل من إيالة الحبشة واليمن والبصرة والإحساء من سنجق إلى بيلربكية ما يقرب الإدارة العثمانية كثيرا من منطقة البحرين وهرمز بالخليج العربي، للمزيد حول هذا الموضوع أنظر: الأرشيف العثماني، التشكيلات الإدارية لبيلربيكيات الإحساء واليمن والبصرة، تصنيف كامل كابجي، دفتر الرؤوس المهمة، رقم 208، ص 06.

(2) - زعامات: هي عبارة عن إقطاع فلاحي كبير المساحة يمنحه السلطان العثماني للفرسان الذي يظهر كفاية قتالية كبيرة، كان يطلق على صاحب الزعامات زعيم ويدخل هذا الإقطاع لصاحبه دخلا كبيرا يصل إلى مائة ألف أقة، وفي مقابل هذا الدخل الكبير كان على الزعيم أن يقدم للجيش وقت الحرب عددا من الفرسان مع خيولهم وأسلحتهم، وكان عددهم يتحدد مقابل كل فارس خمسة آلاف أقة، أنظر: عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج 01، مكتبة الأنجلو: القاهرة، (1984)، ص 132.

\*\* - تيمار: هي كلمة يونانية الأصل تعني (PRONOIS) أما بلغة اللاتينية فتعني (CURS) اقتبسها العثمانيون عن الفرس ومنها اشتقت كلمة (CURATOR) بالغة الإنجليزية و (Curateur) بالغة الفرنسية، والتيمار هو قطعة أرضية ذات مساحة صغيرة نسبيا، يدر على صاحبه دخلا مقداره ثلاثة آلاف أقة وكان على صاحب التيمار أن يقدم هو الآخر للجيش وقت الحرب اثنين أو أربعة فرسان مع خيوله وأسلحته، أنظر: عبد العزيز الشناوي، نفسه، ص 131.

(2) - الأرشيف العثماني، دفتر الأمور المهمة، رقم 03، ص 139.

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

للبحرين في نفس هذا العام يبين لنا عكس ذلك تماما، أي أن البحرين لم تكن داخل دائرة التشكيلات العثمانية بعد، الإشكالية المطروحة هي ما أسباب اندلاع معركة البحرين بالخليج العربي عام 1559م؟ وما تداعياتها العسكرية والاقتصادية على منطقة الخليج العربي؟.

ترجع أحداث معركة البحرين عام 1559م والتي أتت بالعثمانيين والبرتغاليين هناك وجعلتهم في مواجهة بعضهم البعض من جديد، إلى الحملة التي قام بها بيلربك الإحساء "مصطفى باشا" بدون مشاورة أو موافقة الباب العالي باسطنبول<sup>(1)</sup>، حيث قام حاكم الإحساء "مصطفى باشا" بتجهيز حملة بحرية لمحاصرة جزيرة البحرين بالخليج فخرج على رأس قوة بحرية مكونة من 70 سفينة حربية من نوع قادرغة تحمل 1200 مقاتل، لكن القوات البرتغالية الموجودة في جزيرة هرمز بقيادة "ألفارو دي سلفيرا" (Alvaro De Silveira)<sup>(2)</sup>، كانت قد تحالفت مع حاكم جزيرة البحرين "مراد شاه" ضد أسطول حاكم الإحساء "مصطفى باشا"، قامت بمحاصرة أسطول الإحساء مع قوات "مراد شاه" الذي خرج هو الآخر على رأس حملة برية مع 300 جندي، أين تم إحراق معظم سفن أسطول البحرية العثمانية القادمة من منطقة الإحساء بقيادة "مصطفى باشا" الذي تراجع بدوره عن إكمال المعركة<sup>(3)</sup>.

حيث انتهت معركة البحرين لصالح "مراد شاه" حاكم جزيرة البحرين وحلفائه من البرتغاليين بقيادة "ألفارو ديسيلفيرا"، ليصل خبر هذه المعركة بعد نهايتها إلى حاكم مدينة البصرة بالعراق، الذي كتب تقريرا مفصلا يشرح

(1) - الأرشيف العثماني، دفتر الأمور المهمة، رقم 02، ص 18.

(2) - نونوبي سيلفا، صفحات من الغزو البرتغالي للبحرين، مجلة الوثيقة، السنة (1986)، العدد 08، ص 129.

(3) - المرجع نفسه، ص 129.

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

فيه أسباب هذه المعركة وانعكاساتها للسلطان سليمان القانوني، لذلك صدرت الأوامر السلطانية بعدها لحاكم مدينة البصرة من أجل تجهيز أسطول بحري لإنقاذ بقايا جيش الإحساء العثماني، المحاصر من طرف البحرية البرتغالية وقوات جيش "مراد شاه" في جزيرة البحرين، فخصص الديوان العثماني من ميزانية خزينة الدولة بولاية مصر 200 ألف قطعة ذهبية لحاكم مدينة البصرة من أجل تجهيز أسطول بحري وما يلزمه من مدافع وأسلحة حربية كذلك<sup>(1)</sup>.

لقد أعلن حاكم جزيرة البحرين "مراد شاه" في بداية الأمر تبعيته إلى السلطان العثماني لذلك أقرت الدولة العثمانية ولايته وعينته حاكماً على سنجق البحرين عام 1559م، لكن غزو البحرين من طرف "مصطفى باشا" حاكم منطقة الإحساء جعله يرسل لطلب المساعدة العسكرية من القوات البرتغالية بجزيرة هرمز، أين أرسل له "أنطونيو دي نورها" قوة بحرية لمساعدته ضد الجيش العثماني نفسه<sup>(2)</sup>، ليقوم الديوان العثماني بإجراءات عقابية صارمة بعدها تمثلت في عزل "مصطفى باشا" من حكم بيلربك الإحساء وتعيين حاكم سنجق الموصل "مراد بيك" بدلاً منه<sup>(3)</sup>.

كما أرسل الديوان العثماني رسالة إلى حاكم جزيرة البحرين "مراد شاه" يوم 28 أكتوبر 1559م، يبين له فيها الإجراءات المترتبة عن كل أحداث معركة البحرين وهذا هو نصها: (انك أرسلت أشخاصا مرات عديدة إلى بلاطنا السامي وعرضت علينا طاعتك لنا، ومنحنا لك شهادة إثبات بأننا أعطيناك البحرين كولاية وأخطرنا جميع المحافظين المجاورين وسمعنا الآن بأن مصطفى

(1) - الأرشيف العثماني، المصدر السابق، رقم الوثيقة 03، ص 258.

(2) - فالج حنظل، المرجع السابق، ص 394.

(3) - الأرشيف العثماني، المصدر السابق، رقم الوثيقة 03، ص 140.

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

باشا محافظ الإحساء قد قام بغزو البحرين دون إذن منا وانك اتخذت بعض الإجراءات ضده وكذلك حجز البرتغاليون بعض السفن العثمانية، وقد طردنا مصطفى باشا من منصبه بسبب هذه الاعتداءات وعينا محافظا جديدا يحل محله، وعليك أن ترد الجنود إلى المحافظ الجديد في الأراضي العثمانية (الإحساء) لنعاقبهم بما يستحقونه، وهكذا يكون محافظونا في الإحساء والأقاليم الأخرى مجتمعين على تنفيذ إرادتنا حتى لا يتمكن العدو (البرتغاليين) من إلحاق أضرار بتلك الأقاليم<sup>(1)</sup>.

بعد مفاوضات طويلة جرت وقائعها بين بيلربك القطيف ممثلا عن الديوان العثماني وبين حاكم جزيرة البحرين "مراد شاه" والبرتغاليين كذلك، قبل العثمانيون على دفع عشرة أقباج عثمانية للبرتغاليين أي ما قيمته مائة ألف درهم عثماني، إضافة إلى بعض الخيول العربية الأصيلة من طرف بيلربك القطيف، مقابل إطلاق سراح الجنود العثمانيين المحاصرين في جزيرة البحرين، مع نقلهم بحرا على ظهر السفن البرتغالية إلى ميناء القطيف بساحل الخليج العربي<sup>(2)</sup>، حيث استمرت معركة البحرين مدة ستة أشهر كاملة، انتهت بتمكن العثمانيين من تجنب خسائر بشرية وعسكرية جد ضخمة، نظرا لتعاون حاكم البحرين "مراد شاه" مع العثمانيين بعد الرسالة التي أرسلها له السلطان سليمان القانوني<sup>(3)</sup>.

(1) - الأرشيف العثماني (OSMANLI ARSHIV)، المصدر السابق، رقم الوثيقة 03، ص 139، وأنظر أيضا: علي أبا الحسن، صفحات من تاريخ البحرين من خلال الوثائق العثمانية، مجلة الوثيقة، السنة (1989)، العدد 15، ص 71.

(2) - علي أبا الحسن، المرجع السابق، ص 78، وأنظر أيضا: فالج حنظل المرجع السابق، ص 395.

(3) - الأرشيف العثماني، المصدر السابق، رقم 03، ص 139.

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

تجدد الإشارة إلى أن قيام بيلربك الإحساء "مصطفى باشا" بحملة لغزو جزيرة البحرين قد كلف العثمانيين خسائر مادية وعسكرية كبيرة جدا، حيث ساهمت هذه الحملة الارتجالية لبيلربك الإحساء في خروج مناطق عديدة في الخليج العربي عن سيادة العثمانيين، خاصة في العشائر والقبائل الأسرية سواء بالبصرة أو الإحساء أو القطيف<sup>(1)</sup>، التي كانت دائما ما تثور في وجه الحكام العثمانيين بدعم وتحرض من القادة البرتغاليين أنفسهم.

إضافة إلى ذلك فقد خسر العثمانيون العديد من المدافع والأسلحة الحربية وتم تحطيم نصف سفن أسطول الإحساء الذي أقحم في معركة البحرين من طرف "مصطفى باشا"، ما جعل الحاكم الجديد على بيلربكية الإحساء "مراد بك" يجد صعوبة كبيرة في توطيد قواعد الحكم العثماني هناك من جديد، استرجاع الأسلحة والسفن والمدافع التي حجزت في جزيرة البحرين، ما دفع بالسلطان العثماني إلى توجيه أمرية لحاكم ديار بكر وبغداد لإرسال المدافع والبنادق والبارود إلى حاكم الإحساء الجديد "مراد بك"، بسبب استخدام "مصطفى باشا" لمعظم هذه الأسلحة الحربية في معركة البحرين، فأصبحت الإحساء بحاجة ماسة للعتاد الحربي لتأمين نفسها من أي خطر قادم<sup>(2)</sup>.

من بين نتائج معركة البحرين كذلك قيام العثمانيين بربط علاقات اقتصادية جديدة مع البرتغاليين الذين أثبتوا مرات عديدة مدى تفوقهم البحري على العثمانيين في البحار الخليجية، حيث أرسل بيلربك البصرة "علي باشا" في عام 1563م بمفاوض إلى حاكم جزيرة هرمز من أجل التفاوض مع

(1) -الأرشييف العثماني، المصدر السابق، رقم 03، ص ص 286-381-383.

(2) - علي أبا الحسن، المرجع السابق، ص 72.

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

حاكم البرتغال هناك، على هذا الأساس أرسل نائب ملك البرتغال في جوا هو أيضا المبعوث البرتغالي "أنطونيو تكسيرا" (Antonio Teixeira) كممثل لجزيرة هرمز إلى العاصمة اسطنبول<sup>(1)</sup>، أين قابله السفير العثماني باسطنبولمبديا له عن عدم ممانعته من إقامة علاقات اقتصادية بين القوتين، كما طالبه أيضا بعدم الإساءة للتجار المسلمين في مناطق الجزائر والخليج العربي والبحر الأحمر<sup>(2)</sup>.

لقد عرفت منطقة الخليج العربي بين عام 1559م و1573م أوضاعا سياسية هادئة بين القوتين العثمانية والبرتغالية<sup>(3)</sup>، على الرغم من محاولة العثمانيين لإرسال حملات بحرية إلى جزيرة هرمز عام 1570م بعد تجهيزهم لعشرين سفينة حربية من نوع قادرغة، كما أن البرتغاليين قاموا في عام 1573م بمهاجمة جزيرة البحرين في ثلاثة عشر سفينة مختلفة الأنواع والأحجام، استولوا على عدة سفن هناك حسب ما أشارت إليه دفاتر الأمور المهمة<sup>(4)</sup>.

حيث تردد العثمانيون كثيرا في محاولة فتح البحرين لمرات عديدة من خلال المراسلات التي دارت بين حكام البيليريكيات العثمانية في مدينة البصرة والإحساء وبغداد<sup>(5)</sup>، ما كتبه أمير أمراء الإحساء إلى الصدر الأعظم باسطنبول عن قيمة العائدات المالية السنوية لها والمقدرة بأربعين ألف فلوري<sup>(\*)</sup> ومعرفة إمكانية

(1) - صابر فالح الحمدي، السياسة الاقتصادية للبرتغاليين في الخليج العربي وآثارها (1507م-1662م)، مجلة الوثيقة: السنة (2000)، العدد 38، ص 142.

(2) - الأرشيف العثماني، المصدر السابق، رقم 05، ص 70.

(3) - نفسه، رقم 09، ص 08.

(4) - الأرشيف العثماني، المصدر السابق، رقم 22-23، ص 317-641.

(5) - الأرشيف العثماني، المصدر السابق، رقم 22-27-30، ص ص 43-76-353.

(\*) - فلوري (FLORIN): أو فلورين هي وحدة نقدية من الذهب كانت تصك في مدينة فلورنسا الإيطالية أطلق اسمها فيما بعد على جميع العملات الأوروبية الأخرى خلال هذه الفترة التاريخية، بسبب كثرت استعمالها داخل وخارج الدولة العثمانية في المبادلات التجارية والتعاملات الاقتصادية، للمزيد أنظر: محمد عبد اللطيف هريدي،

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

فتحتها وأحوال عساكرها والعدة اللازمة لذلك، هو دليل واضح على مدى اهتمام العثمانيين بمنطقة البحرين<sup>(1)</sup>.

الجدير بالذكر أن القوتين العثمانية والبرتغالية لم تتقابل بعد ذلك في معارك حربية جديدة بالبحار الخليجية، حيث قام الطرفان بتنظيم علاقاتهم التجارية والاقتصادية بمياه الخليج العربي بطرق دبلوماسية وسلمية، أين يمكننا أن نستخلص ذلك من خلال الرسائل التي وردت بين الطرفين في الرسالة الهمايونية التي أرسلها السلطان سليمان القانوني الى ملك البرتغال "الدون سيباستيان"(Sebastiyan) عام 1564م<sup>(2)</sup>، التي نذكر من بينها ما ورد في أحد الرسائل الهمايونية عن السلطان سليمان القانوني:(...إذا كنتم تريدون الصلح فرفعوا أيديكم عن الحجاج والتجار، بمجرد وصول رسالتنا السلطانية إليكم، وأرسلوا رسلكم الذين تثقون فيهم إلينا برسالة تتضمن القرار الخاص بانتظام الأمور في تلك الجهات)<sup>(3)</sup>.

من خلال المقاربة التاريخية التي قمنا بها في فصول هذا البحث يمكننا القول بأن البرتغاليين قد فرضوا سيطرتهم البحرية عسكريا واقتصاديا في البحار الشرقية والخليجية، على الممثل الوحيد للعالم العربي والإسلامي وهي الدولة العثمانية التي عجزت في مرات كثيرة عن إنهاء هذا الغزو الاقتصادي

---

شؤون الحرمين الشريفين في العهد العثماني في ضوء الوثائق التركية العثمانية، دار الزهراء للنشر: القاهرة، (1989)، ص 156.

(1) - الأرشيف العثماني، المصدر السابق، رقم 33، ص 43.

(2) - الرسالة المرسله بين السلطان سليمان القانوني والملك البرتغالي الدون سيباستيان عام 1564م، أنظر: محمد محمود خليل، وثائق بحرية عن قابودان السوسيس والدور العثماني في مواجهة البرتغاليين(الخليج العربي- الجزيرة العربية-ولاية الحبشة-المحيط الهندي-المغرب العربي)، ج01، الأكاديمية المصرية للتراث والتاريخ والفنون: مكتبة مدبولي، القاهرة، (2010)، ص 239.

(3) - الأرشيف العثماني، نفسه، رقم 06، ص 166.

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

بدرجة أولى والعسكري بدرجة ثانية، في الفترة الممتدة ما بين (1521م- 1559م) ما يعني استحالة هزيمة العثمانيين للبرتغاليين بسبب تكافؤ موازين القوى البحرية من جهة، انشغال العثمانيين بحروبهم البحرية في شرق أوروبا وشمال شرق البحر الأبيض المتوسط من جهة أخرى.

كما يمكننا القول بأن الكثير من الباحثين والمؤرخين على اختلاف أجناسهم وألوانهم وألسنتهم وأديانهم، قد قللوا كثيرا من الدور العثماني ضد البرتغاليين خاصة في منطقة الخليج العربي سواء بقصد أو بغير قصد، لكن الحقيقة التاريخية التي أثبتتها لنا العديد من المصادر والمراجع والوثائق الأرشيفية تؤكد لنا بأن الدولة العثمانية قامت بجهود كبيرة في منطقة الخليج العربي، خير دليل على ذلك تلك الحملات العثمانية المسخرة لتحرير الخليج العربي بداية من حملة بيري ريس عام 1552م وحملة مراد ريس عام 1553م وسيد علي ريس عام 1554م كذلك، وصولا إلى آخر حملة وهي حملة علي ميرال بك عام 1581م الذي انطلق من سواحل اليمن وألحق أضرارا بليغة بالبرتغاليين في ميناء مسقط، ليتجه بعدها نحو سواحل شرق إفريقيا لنجدة المسلمين هناك، حيث جندت الدولة العثمانية في هذه الحملات أموال ضخمة وأساطيل وأجناد كثيرة، يرجع هذا الاهتمام العثماني المتزايد بالمنطقة إلى إدراك السلطان سليمان القانوني فداحة الأضرار السياسية والاقتصادية والدينية التي خلفها الغزو البرتغالي هناك.

بالرغم من كل تلك النجاحات التي حققها العثمانيون في مياه الخليج العربي إلا أنهم واجهوا صعوبات كبيرة حالت دون تحقيقهم لانتصار نهائي هناك، التي من أهمها بعد القواعد البحرية العثمانية في موانئ الخليج العربي عن مراكز القوة في البحر الأبيض المتوسط، عدم تمكن العثمانيين من حشد

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

واستنفار وتعبئة القوى المحلية العربية في جبهة واحدة لمواجهة البرتغاليين بسبب استمرار الصراع المذهبي السني-الشيوعي بين الصفويين والعثمانيين في الخليج العربي، إضافة إلى عدم تعاون بعض العصبية القبلية وخاصة المشيخات العربية مع الحكام والقادة العثمانيين لمقاومة الغزو البرتغالي هناك، ما ساهم في إخفاق المحاولات العثمانية بالخليج العربي.

### قائمة المصادر والمراجع:

#### 1-الأرشيف:

- الأرشيف العثماني، التشكيلات الإدارية لبيلبريكيات الإحساء واليمن والبصرة، تصنيف كامل كاجي، دفتر الرؤوس المهمة، رقم 208.
- الأرشيف العثماني، تصنيف الدفاتر المدورة عن المالية، رمز MAD، رقم 17983
- الأرشيف العثماني، تصنيف كامل كاجي، البحرية، رقم 5628، (1531م).
- الأرشيف العثماني، تصنيف كامل كاجي، دفتر الرؤوس، رقم 209.
- الأرشيف العثماني، تصنيف كامل كاجي، دفتر الرؤوس، رقم 211.
- الأرشيف العثماني، طوب كابي سراي، رمز العلية: E، رقم العلية: 5466.
- محمد ثريا، سجل عثماني، ج 01، استانبول: (1311).
- ANTT, A.G, VOL V, Gav xv.
- <sup>ANTT</sup>, A.G, Volume V, Gav XV, 17-40.
- ANTT, Carta Ormuz, FL.

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

- ANTT, op.cit, FL, 88, carta d. Manuel de Lima To D. Joào De Castro, 23 June 1547.
- Carta Simào Da Costa, The Governor Of Goa, 1536, ANTT, A.G, Vol V, Gav xv.
- D.F. Castro, Cronica Do Vice-rei De Joào De Castro, Lisbon, 1955.
- Imao Da Botelho, Cartes Tombo, FF. 76.
- Koguslar, 888, 487b-488a.

### 2. المصادر:

- ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج 04، تحقيق وتقديم محمد مصطفى زيادة، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، (1960).
- إسماعيل سرهنك، حقائق الأخبار عن دول البحار، ج 02، ط 01، المطبعة الميرية: مصر، (1896).
- بجوي إبراهيم أفندي، تاريخ بجوي إبراهيم أفندي: التاريخ السياسي والعسكري للدولة العثمانية من عهد السلطان سليمان القانوني حتى عهد السلطان سليم الأول، م 01، ط 01، ترجمة وتقديم ناصر عبد الرحيم حسين، المركز القومي للترجمة: القاهرة، (2015).
- حاجي خليفة، تحفة الكبار في أسفار البحار، تحقيق وترجمة محمد حرب وتسليم حرب، دار البشير للثقافة والعلوم: القاهرة، (2017).

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

- زين الدين المليباري، تحفة المجاهدين في بعض أحوال البرتغاليين، تحقيق وتعليق محمد سعيد الطريحي، ط01، مؤسسة الوفاء للنشر والتوزيع: بيروت، (1985).

- سيد علي ريس، مرآة الممالك، دار سعادت، إقدام مطبعة سي: استانبول، د ت

- عمر فاروق بن محمد مراد، تاريخ أبو الفاروق، ج 03، اسطنبول: (1328).

- قطب الدين النهروالي، البرق اليماني في الفتح العثماني، منشورات دار اليمامة للنشر والتوزيع: المملكة العربية السعودية، (1967).

- محمد بن أبي السرور البكري الصديقي، المنح الرحمانية في الدولة العثمانية، تحقيق ليلى الصباغ، مطبوعات مركز جامعة الماجد: دمشق، (1995) أحمد شلبي بن عبد الغني الحنفي المصري، أوضح الإشارات في من تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمان، د ن، القاهرة، (1995).

- محمد دراج، مذكرات خير الدين بربروس، ترجمة وتعليق محمد دراج، نقلًا عن يلماز أوتونا، ط 01، شركة الأصالة للنشر والتوزيع: الجزائر، (2010).

- محمد سعيد بن عبد الله السويدي، ورود حديقة الوزراء بورود وزارة مواليم في الزوراء: تاريخ العراق من سنة (1161هـ-1202هـ/1748م-1787م)، تحقيق وتقديم عماد عبد السلام رؤوف، دار الزمن للنشر: دمشق، (2012).

- الموزعي القاضي شمس الدين عبد الصمد بن إسماعيل بن عبد الصمد، دخول العثمانيين الأول إلى اليمن: الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

عدالة آل عثمان، تحقيق عبد الله محمد الحبشي، ط 01، منشورات المدينة: بيروت، (1986)

- يوسف الملواني، تحفة الأحاباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمان، د ن، القاهرة، (1998)

### 3. المراجع:

- أحمد آق كوندزوسعيد أوزتورك، الدولة العثمانية المجهولة 303 سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية، مكتبة عمرو توران، المملكة العربية السعودية: (2008).

- أرزقي شويتم، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره (1800م-1830م)، دار الكتاب العربي للنشر: الجزائر، (2010).

- ايلبير أورتايبي، إعادة استكشاف العثمانيين، ترجمة بسام شيخا، ط 01، مطابع الدار العربية للعلوم ناشرون: بيروت، (2012).

- جبري عمر، عرقلة العثمانيين للأطماع البرتغالية في البحار الشرقية والخليجية (1497م-1554م)، مذكرة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة أبو القاسم سعد الله: الجزائر، (2014).

- خليل ساحلي أغلو، من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني، منشورات منظمة المؤتمر الإسلامي: اسطنبول، (2000).

- صالح العابد، عهد الحكم العثماني الأول والعراق في التاريخ، دار الحرية للنشر، بغداد، (1983).

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

- عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج 01، مكتبة الأنجلو: القاهرة، (1984).
- عمر عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ العرب الحديث المشرق العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر: بيروت، (1980).
- فاروق عثمان أباطة، الحكم العثماني في اليمن (1872م-1918م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، (1979).
- فالح حنطل، العرب والبرتغال في التاريخ، ط01، منشورات المجمع الثقافي، أبوظبي، (1997).
- فؤاد شهاب، الإستراتيجية العثمانية في الثلث الأول من القرن السادس عشر للميلاد، مجلة الوثيقة، الكويت: السنة (1992)، العدد 21.
- محمد السبليطي، الصراع الدولي في البحر الأحمر الدولة العثمانية والأئمة في تاريخ اليمن الحديث، المنتدى الجامعي للنشر، صنعاء، اليمن، (2002).
- محمد عبد اللطيف البحراوي، فتح العثمانيين لعدن، ط01، دار التراث، القاهرة، 1979.
- محمد عبد اللطيف هريدي، شؤون الحرمين الشريفين في العهد العثماني في ضوء الوثائق التركية العثمانية، دار الزهراء للنشر: القاهرة، (1989).
- محمد محمود خليل، وثائق بحرية عن قابودان السويس والدور العثماني في مواجهة البرتغاليين (الخليج العربي-الجزيرة العربية-ولاية الحبشة-المحيط الهندي-المغرب العربي)، ج01، الأكاديمية المصرية للتراث والتاريخ والفنون: مكتبة مدبولي، القاهرة، (2010).

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

- محمود عامر، المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، مجلة دراسات تاريخية، السنة (2012)، العدد 117-118، قسم التاريخ، جامعة دمشق، سوريا.

- مصطفى محمد رمضان، العالم الإسلامي في التاريخ الحديث والمعاصر، ج01، ط01، دن، القاهرة، (1985).

- نبيل عبد الحي رضوان، الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية بعد افتتاح قناة السويس، تهامة: جدة، دن، (1983).

- ندرى كلو، سليمان القانوني، ترجمة البشير بن سلامة، دار الجيل: بيروت، لبنان، (1991).

- نعيم زكي فهميم، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973.

- يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، مج01، ج01، ترجمة عدنان محمود سلمان، مراجعة محمد الأنصاري، مؤسسة فيصل للتمويل: تركيا، (1988).

### 4. المجالات:

- أحمد العناني، "البرتغاليون في البحرين وحولها"، مجلة الوثيقة، السنة 1984، العدد 04

- أحمد بوشرب، مساهمة المصادر والوثائق البرتغالية في كتابة تاريخ البحرين خلال النصف الأول من القرن السادس عشر، مجلة الوثيقة: السنة 02، العدد 04، الكويت، (1984)

- صابر فالح الحمدي، السياسة الاقتصادية للبرتغاليين في الخليج العربي وآثارها (1507م-1662م)، مجلة الوثيقة: السنة (2000)، العدد 38.

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

- عبد العزيز محمد عوض، الاحتلال البرتغالي لموانئ الجزيرة العربية، مجلة المؤرخ العربي: السنة (1986)، العدد 29.
- علي أبا الحسن، صفحات من تاريخ البحرين من خلال الوثائق العثمانية، مجلة الوثيقة، السنة (1989)، العدد 15.
- علي أبو عساف، طريق الحرير والطرق التجارية الأقدم، مجلة دراسات تاريخية، السنة (1991)، العدد 39-40، السلسلة 12.
- غسان علي رمال، مجلة دراسات تاريخية، السنة (2012)، العدد 117-118، قسم التاريخ، جامعة دمشق، سوريا نونوي سلفا، صفحات من الغزو البرتغالي للبحرين، مجلة الوثيقة: السنة 04، العدد 08، الكويت، (1986).
- فيصل عبد الله الكندري، الملاح والجغرافي بييري ريس 1554م، مجلة رسائل جغرافية، السنة (1999)، العدد 234، قسم الجغرافيا، جامعة الكويت، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، طباعة مؤسسة الكويت للتقدم العلمي.
- فيصل عبد الله الكندري، قانون نامة لواء القطيف عام 959 هـ/1552م، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية: السنة (1997)، العدد 15 و16، تونس، زغوان.
- محمد حميد السلطان، البصرة في مرحلة السيطرة البرتغالية على الخليج- دراسة في المصادر، مجلة آداب البصرة، السنة (2012)، العدد 23، مجلد 02، جامعة دلمون: البحرين
- نبيل عبد الحي رضوان، تطور الأسطول العثماني في ظل أبرز الحضارات البحرية للبحر الأبيض المتوسط، مجلة المؤرخ المصري: السنة (2009)، العدد 20.
- نونوي سيلفا، صفحات من الغزو البرتغالي للبحرين، مجلة الوثيقة، السنة (1986)، العدد 08.

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

### 5. المراجع الأجنبية:

- Cengiz Orhonlu, Hind Kaptanligi Ve Piri Reis, Belleten, XXXIV, (1970).
- Gokbilgir. T, RustemPasa, Mad Ist, MilliEgatimFasiniori, (1964), IX.
- INALCIK. H, THE OTTOMAN EMPIRE, WEIDE FELD AND NICOLSON, LONDON, 1975.
- JURIEN DE LA GRAVIERE, Souvenirs D'un Amiral par le contre-amiral Jurien de la Graviere, Tome 01, Paris, Librairie De L. Hachette, (1860).
- Ozbaron. S, Da Basra Korefezi Sahillerinde Osmanlilar Basra Beylerbey Liginin Kurulusu, (1971).
- Ozbaron. S, OsmanliimparatorluguveHindistanYolu, I.U.E.F. TarihDergisi Say, 31 Mart (1977), ist (1978).
- Paul Kahle, "Piri Reis The Turkish Sailor and Geographer", The Magazine of Pakistan Historical Society, Pakistan, vol1, (1965).
- Piri Reis, KitabiBahriye, Ministry of Culture and Tourisme, Ankara, (1988).
- SalihOzbaran, OsmanlyImparatorluguVeHindistanYollu, Tarih Der gisi, TD, XXXI, (1977).
- SalihOzbaran, Ottoman Turks and the Portuguese in the Persian Gulf, Ph.D. Thesis, University of London, October, (1969)
- V. Godinho, Os Descobrimto sea Economia Mundial, Lisbon, (1950), Vol 02.

## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

### الملاحق:

الملحق رقم 01: رسالة من السلطان سليمان القانوني الى ملك البرتغال الدون جوان الثالث عام 1544م، بخصوص الرد على طلب ملك البرتغال السابق مع سفرائه لربط علاقة صداقة مع الدولة العلية<sup>(1)</sup>

الوثيقة رقم: 76

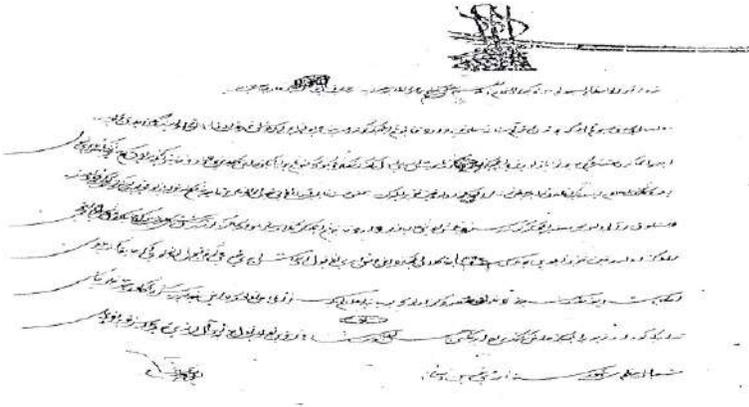
الأرخبية البرتغالية لخبونه

التاريخ: أول شعبان سنة 951 هـ

المرسل: السلطان العثماني

المعرب: الملك البرتغالي دون جوان

المعنى: خطاب من السلطان العثماني إلى ملك البرتغال يعرض عقد الهدنة وشروطها وما حدث من إرسال الرسل والسفراء في ذلك الموضوع.



(1) - محمود محمود خليل، المرجع السابق، ص 242.

# المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

## ترجمة الوثيقة رقم 01:

### وثيقة رقم (76)

#### رسالة السلطان سليمان القانوني إلى جون دون الثالث

قدوة الأمراء العظام العيسوية تلموه كبراء الفهام في ملة المسيحية مصلح المصالح  
جماهير الطائفة النصرانية صاحب أنيال الحثمة والوقار (صاحب دلائل المجد والافتخار ملك  
البرتغال (D. Joao) الثالث ختمت عواقبه بالخير - التوقيع الرفيع الهمايون. أن ما أرسلتموه إلينا  
بهد سفيركم الأقدم (داوارد قتانيو Duarte Catanho) والذي تطلبون صداقتنا ومحبة فخامتنا  
وعلى أي وجه كان بالنسبة لي. فقد كنت جلوبت ما تطلبونه مفصلاً وقد أرسلته إليكم بواسطة  
سفيركم وبعد ذلك جاءنا أيضاً سفيركم (ديكومشكو Diogode Mesquit) يعلمنا قبول أحكام  
الشروط التي كانت قد أرسلت مع سفير (داوارد قتانيو) وأن بعض الشروط التي كنتم ترضون بها  
فقد قبل والقسم الذي لم تكن ترضونها فإنها لم تقبل عندما أعدنا النظر إليها. وكل شيء قبلناه قد  
كتبنا وأرسلناه لكم مع سفيركم وإذا أقيمت بيننا الصداقة بهذه الشروط التي وافقنا عليها تبعثون  
سفيركم المعتمد لديكم وقد يعتم سفيركم (داوارد قتانيو) الموجود حالياً لدينا قد أعلن شروطكم التي  
رددتموها مراراً. ولكن هذه الشروط قد ألقى بها سفيركم السابق أيضاً. ولكن لم تقبل في حينه  
والآن لم تقبل أيضاً إذا كنتم قد أرسلتم سابقاً بمقتضى الأحكام الشريفة بقصد الصداقة فاعلمونا  
بها وفي حالة عدم قصد الصداقة فاعلمونا بها أيضاً حتى نتدارك الوضع فيما يدعو ذلك في  
الجانب الهندي. ولا تحلبوا ذهاب سفيركم وقد تبلغنا بذلك راجين علمكم.

تحرر في أول من شهر شعبان المعزز في الشهر سنة إحدى وخمسين وتسعمائة.

#### مقام

#### القسطنطينية المحروسة

# المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

الملحق رقم 02: رسالة من السلطان سليمان القانوني الى ملك البرتغال الدون سيباستيان عام 1564م<sup>(1)</sup>.

دختر المممة - الحويان الممايوني، رقم 6 ص 166

التاريخ: ربيع الآخر سنة 972 هـ

المراسل: السلطان العثماني

المرسل له: الملك البرتغالي سيباستيان

**المحتوى:** رسالته من السلطان العثماني إلى الملك سيباستيان يرد فيه على طلب الملك البرتغال بطلب الصلح مع الدولة العثمانية، يذكر فيه إذا كان ملك البرتغال يريد الصلح والسلام فعليه رفع يده عن الحجيج والتجار العابرين في الأقطار والبحار الاسلاميه، كما عليه أن يرسل من يثق بهم إلى السلطان العثماني حاملين رسالة تتضمن تلك السلام الخاص بحماية التجار والحجاج.

وثيقة رقم (75)

**خطاب السلطان العثماني إلى الملك البرتغالي سيباستيان**

جاءتنا رسائل من رجالنا وحكامنا في قلعة نيو ومن محافظي حدودنا في العراق العربي وفي سائر تلك الأنحاء يظهرون فيها رغبتهم في العيش في سلام وقد علمنا أن الحجيج والتجار القادمين من تلك النواحي بطريق البحر، قد تعرضوا للعدوان فإذا كنتم تريدون الصلح، فأرسلوا أيديكم عن الحجيج والتجار، بمجرد وصول رسالتنا السلطانية إليكم وأرسلوا رسلكم الذين نتقون فيهم إلينا برسالة تتضمن القرار الخاص بانتظام الأمور في تلك الجهات.

(1) - محمود محمود خليل، المرجع السابق، ص 239.



## المعارك البحرية العثمانية والبرتغالية في مياه البحر الأحمر والخليج العربي (1526م-1559م)

ترجمة الوثيقة 03:

الوثيقة رقم: 73

حفظ المصمم - الحديوان الصماوي، حكم رقم 8337

التاريخ: 25 ربيع الأول سنة 923 هـ

المرسل: سلمان باشا الرئيس

المرسل له: السلطان العثماني

**المحتوى:** خطاب أرسله سلمان الرئيس إلى حضرة السلطان العثماني يقبل التراب بين قدميه ثم يشرح في الخطاب ما حدث في ميناء جدة وما فعله الشريف أبو البركات شريف مكة وهرويه وما يمتلكه من قوات وبحاره وأحوال البلد وما حدث بها من تخبط وغلو الأتمان بسبب قدوم سفن البرتغاليين في باب المندب ثم كتب على جانب الوثيقة سطور عن الأسطول البرتغالي والصراع بين الأسطول البرتغالي والعثماني في جدة وعدن والبحر الأحمر .

وقد جاءت تلك الوثيقة كمبرر من سلمان الرئيس إلى السلطان العثماني عن تأخيره في توليه حكم بندر جدة موضحاً الأسباب تفصيلاً .

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعونة قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

---

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعونة قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

European naval campaigns against Algeria, and the Ottoman campaigns of conquest against the enemies with the forces of Algiers in an analysis and critique of the the Province of systems involved in the rhetorical texts of the Abstract of the Islamic Encyclopedia (Orientalism) and the Islam Encyclopedia (in Turkish "Turkish Religious Foundation ") and the Ottoman documents

أ. د. نعيمة رحمانى

جامعة تلمسان، الجزائر

naima.rahmani@univ-tlemcen.dz

---

ملخص:

في إطار المشروع الغربيّ الصّليبيّ الرّامي إلى غزو العالم الإسلاميّ، اشتدّت الهجمات والتّحرّشات بسواحل شمال إفريقيا، خاصّة بجزائر الغرب التي شهدت الحملات تباعا، ومن مختلف البلدان الأوروبية، بغضّ النظر عن

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعية قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقد للأنساق المضمرة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

---

المسببات التي كانت تتوحد في مجمل الأوقات، وقد أولاها المستشرقون اهتماماً كبيراً في مؤلفاتهم. أما نحن فنسعى من خلال هذا البحث إلى تحليل ونقد النصوص الخطابية التي تناولت مسألة الحملات والوقوف عندها، سواء في موجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) أو الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية) "وقف الديانة التركي"، متسائلين هل تناولت الموسوعتان الحملات بموضوعية أم بذاتية مؤدلجة؟

ولنتعمق أكثر مارسنا العملية التركيبية للأحداث التاريخية المتعلقة بالموضوع محط اهتمامنا، الأمر الذي أحالنا إلى مسائل مهمة أثارت جدلاً كبيراً، وتطلبت منا الاستشهاد بالوثائق العثمانية، وبناء عليه فكّرنا في طرح الإشكالات التالية: ما هي الأحداث المرتبطة بالحملة المهمة التي نالت شهرة كبيرة، ونقصد بالذكر حملة الملك شارل الخامس، عام 1541م؟ وما هي حقيقة الجدل الذي دار حول مسألة خيانة البيلرباي المجاهد حسن آغا الطوشي (1486-1543م) (أول آغا حكم جزائر الغرب نيابة عن المجاهد خير الدين باشا)، ومحاولة تسليمه مدينة الجزائر للإسبان؟ وهل كانت الحملات من الجانب الغربي فقط ضد جزائر الغرب، أم أنّ قوات ولاية الجزائر قد شاركت من جانبها في حملات استهدفت الدول الأوروبية؟.

كلمات مفتاحية: الحملات الأوروبية، الجزائر، الدولة العثمانية، موجز دائرة المعارف الإسلامية، الموسوعة الإسلامية، الوثائق العثمانية.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعونة قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهداً

---

## Abstract :

Within the framework of the Western Crusaders' project to conquer the Islamic world, attacks and harassments intensified on the coasts of North Africa, especially in Algeria, which experienced successive campaigns, and from various European countries, regardless of the causes that were united at all times, and orientalists paid great attention to them in their writings. As for us, we seek, through this research, to analyze and criticize the rhetorical texts that dealt with the issue of campaigns, whether in the summary of the Islamic Encyclopedia (Orientalism) or the Islamic Encyclopedia (in Turkish) "The Turkish Religious Foundation ", wondering whether the two encyclopedias dealt with campaigns in an objective or subjective and ideological way?

In order to go deeper, we practiced the synthetic process of the historical events related to the subject of our interest, which referred us to important questions that caused a great controversy, and forced us to quote Ottoman documents, and as a result we thought of raising the following issues;

What are the events associated with the important campaign that gained great fame, and by mention, we mean the campaign of King Charles V, in 1541 AD?

الحملة البحرية الأوروبية على الجزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعية قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقد للأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهداً

---

And what is the truth about the controversy that took place around the issue of Beylerbey's betrayal of the Mujahid Hassan Agha al-Tushi (1486-1543 A.D.) (the first agha to rule Algeria on behalf of the Mujahid Khair al-Din Pasha) and his attempt to hand over the city of Algeria to the Spaniards?

Were the campaigns on the western side only against Algeria ,Or did the forces of the Wilayat of Algeria participate in campaigns against European countries?

**Keywords:** European campaigns, Algeria, the Ottoman Empire, summary of the Islamic Encyclopedia, the Islamic encyclopedia, Ottoman documents.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعونة قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

1. رصد الأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية ضمن موجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي")

1. رصد الأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية ضمن موجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية)

نستهلّ دراستنا بعرض مختلف النصوص الخطابية في موجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية)، والتي تناولت الحملات الموفدة ضدّ جزائر الغرب، حيث ركّز المؤرّخ جورج إيفير على حملة شارل الخامس التي دارت رحاها عام 1541م، ذاكراً أنّ "رسوخ أقدام التّرك في مدينة الجزائر (كان) تهديداً دائماً دائماً للدّول المسيحية، لذلك أخذ شارل الخامس على نفسه أن يُقوّض سلطانهم... عبر... إلى إفريقية في سبتمبر سنة 1541م، وكانت الحملة تتألّف من عمارة بحريّة تحمل 12.300 بحار تحت إمرة أندريا دوريا Andria Doria، وجيشاً بريّاً عدّته 24.000 جنديّ. نزل إلى البرّ في الثالث والعشرين من أكتوبر عند مصبّ نهر الحراش... ثارت في الليلة عاصفةٌ دمّرت 140 من سفن الإسبان وأفقدت الجيش جميع مؤنه، وأصبح الانسحاب أمراً محتوماً."<sup>(1)</sup>

(1) - جورج إيفير، الجزائر، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ط1، ج9 وج10، مركز الشارقة للإبداع الفكريّ،

الإمارات العربية المتّحدة، 1998م، ص.2931.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعية قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأساق المضمرة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

---

إذا تأملنا النصّ الخطابيّ الذي بين أيدينا، يُمكننا أن نرصد نسق التسمية المضمّر في العبارة: "تهديداً دائماً للدول المسيحية"، الذي يُمثّل بداية تعريف للحملة من منطلق النّسق الدّينيّ الغربيّ وليس المدنيّ أو العسكريّ، فتوظيف عبارة: "الدول المسيحية" يقتضي حرباً دينيةً ضدّ الدول الإسلامية، يلها ما يتعلّق بالمصالح الاقتصادية كشرطٍ ثانٍ من المشروع الغربيّ الصّليبيّ. من جانب آخر، تُضفي هذه الحرب الدّينية، من منظورهم الغربيّ، شرعيةً على محاربة الدولة العثمانية الإسلامية باعتبارها شوكة المسلمين، ومن ثمّ شرعنة الحملات ضدّ جزائر الغرب. وإذا دققنا أكثر في كلمة "تهديداً" سنجد أنّها تدخل ضمن نسق الإسناد، فهي تُشير إلى صفةٍ سلبيةٍ مرسلّة إلى المتلقّي الغربيّ لتلك النصوص الخطابية، على أساس أنّ الحضور العثمانيّ المسلم في الجزائر يُشكّل تهديداً للدول المسيحية. والمفروض أن يكون التهديد عسكرياً في الغالب، لكنّ المؤرّخ جورج إيفيريميل أكثر إلى اعتباره دينياً، ومن ثمّ فإنّه من واجب الدول الغربية الدّفاع عن نسقها الدّينيّ المسيحيّ ضدّ خطر النّسق الإسلاميّ المتمثّل في جزائر الغرب، المنضوية تحت لواء الدولة العثمانية الإسلامية. بالإضافة إلى أنّ كلمة "تهديداً" تُحفّز الآخر على ضرورة اتّخاذ قرارات كنوعٍ من ردّة الفعل، الأمر الذي يُخوّل له مواجهة هذا التهديد بشرعنة الحرب ضدّه. وفي السّياق نفسه نجد أنّ كلمة "تهديداً" تدخل أيضاً ضمن نسق الحجاج، فالتهديد هنا قد استعمل كحجّة بغية التّحرّش والاعتداء على جزائر الغرب. وإلى جانب تلك الكلمة نجد عبارةً أخرى تدخل ضمن نسق الحجاج، والتي تُعتبر قوّة الطّبيعة حجّة أدّت إلى انسحاب الأسطول الغربيّ من المعركة،

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعونة قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

حيث ذكر المؤرخ الفرنسي: "ثارت في الليلة عاصفة دمّرت 140 من سفن الإسبان وأفقدت الجيش جميع مؤنه، وأصبح الانسحاب أمراً محتوماً." وإحاقاً بنسق الحجاج يجنح المؤرخ إلى تعزيز مصداقية نصّه من خلال توظيف الأرقام كأداة أساسية من أجل إضفاء الموضوعية عليه، وبصورة مقنعة للآخر: "في سبتمبر سنة 1541م"، "عمارة بحرية تحمل 12.300 بحار"، "وجيشاً برياً عدته 24.000 جندي"، "دمّرت 140 من سفن الإسبان." وإذا ولينا صوب النصّ الخطابى الثانى الذى ركّز على حملة الملك شارل الخامس على جزائر الغرب عام 1541م، نجد أنّ المستشرق روجي لوتورنو قد ذكر: "سببٌ يدعوننا إلى أن نعجب أيّ عجب إذا رأينا شارل الخامس يُحاول الاستيلاء على مدينة الجزائر سنة 1541م، وقد رست جنوده في 23 أكتوبر على سواحل الجزائر، وعبروا وادي الحراش وعسكروا على تلّ يُشرف على المدينة يُعرف الآن بقلعة الإمبراطور، ولكنّه كان يُعرف في تلك الأيام بكديّة الصّابون، على أنّه حدث في 24-25 أكتوبر أن اكفهر الجوّ سريعاً، وفقد نصف الأسطول الراسي إثر العاصفة التي تلت هذا الكفهار. واضطرّ شارل الخامس، الذي تعاونت على هزيمته الطبيعة والأتراك، إلى التّخلي عن مؤونة كثيرة، وانسحب من مدينة الجزائر تاركاً إيّاها تنعم بأسطورة المناعة التي ظلّت سليمةً حتى سنة 1830م."<sup>(1)</sup> وبالتدقيق في

(1) - روجي لوتورنو، الجزائر، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ط1، ج9 وج10، مركز الشارقة للإبداع الفكرى، الإمارات العربية المتحدة، 1998م، ص.2949.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعونة قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأساق المضمرة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

النص نلمح نسق التسمية المعبر عنه بكلمة "الطبيعة" في العبارة: " واضطر شارل الخامس الذي تعاونت على هزيمته الطبيعة والأتراك إلى التخلي عن مؤونة كثيرة، وانسحب من مدينة الجزائر"، والقصد من وراء هذه التسمية هو الإشارة إلى قدرة غير إلهية، أي استبعاد كلي لأن تكون هناك قدرة إلهية حالت دون احتلالهم لمدينة الجزائر، ودون نجاح حملتهم. ننتقل الآن عبر هذا النص إلى مستوى آخر يقودنا إلى النسق الرمزي الأسطوري الذي يتقاطع مع نسق التسمية ونسق الحجاج، وذلك حينما ذكر المؤرخ عبارة: "أسطورة المناعة"، تلك التسمية التي تؤسس إلى فكرة وحجة مفادها أن عدم استطاعة الدول الأوروبية دخول مدينة الجزائر ما هي إلا أسطورة تؤدي بالضرورة إلى التشكيك في القوة المزعومة لجزائر الغرب. كما تحيلنا العبارة مباشرة إلى نسق إضفاء المنظور، حيث نجد أنه في عبارة: "وانسحب من مدينة الجزائر تاركاً إياها تنعم بأسطورة المناعة التي ظلت سليمة حتى سنة 1830م"، أخذ لموقف من الجزائر، وإبراز منظور منحاز عند المستشرق روجي لوتورنو. وإذا كان صاحب النص الأول قد تطرق لقوة الطبيعة إحياءً بالعبارة: "ثارت في الليلة عاصفة دمّرت 140 من سفن الإسبان وأفقدت الجيش جميع مؤنه، وأصبح الانسحاب أمراً محتوماً"، فإن صاحب النص الثاني قد وظف الكلمة مباشرة، حيث ذكر: "على أنه حدث في 24-25 أكتوبر أن اكفهر الجو سريعاً، وفقد نصف الأسطول الراسي إثر العاصفة التي تلت هذا الكفهرار. واضطر شارل الخامس، الذي تعاونت على هزيمته الطبيعة والأتراك..."، وذلك ضمن نسق الحجاج الذي تناولناه سابقاً في

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعونة قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأوضاع المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهداً

النصّ الأول. وفي النسخ نفسه نلاحظ أنّ النصّين يتّصفان بالتكرار في عرض المعلومات للمادّة نفسها، حيث تمّ تكرار تاريخ الحملة: "سنة 1541م"، "نزل إلى البرّ في الثالث والعشرين من أكتوبر"، "الجزائر سنة 1541م"، "وقد رست جنوده في 23 أكتوبر على سواحل الجزائر"، إضافةً إلى أنّ الحملة نفسها مكرّرة في المادّة نفسها، لهذا كان من الأفضل تفادي تكرار المعلومات والتركيز على الأحداث التي لم يتمّ تناولها.

وإلى جانب حملة الملك شارل الخامس على مدينة الجزائر، تناول المؤلفان جورج إيفير ومارسال كولومب حملات أخرى يُمكننا أن نعرضها وفق تقسيم يضمّ حملات القرن 17م والقرن 18م والقرن 19م. نستهل بنصّ المؤرّخ جورج إيفير عن الحملات في القرن 17م: "لم تُوفّق المحاولة الجزئية التي قام بها الملاح الإسبانيّ دون خوان كاسكون Don Juan Cascon عام 1567م للتفّاذ إلى المدينة، وإطلاق سراح الأسرى، وإحراق سفن القراصنة... وقد ضرب الإنجليز المدينة بمدافعهم عدّة مرّات (أعوام 1622، 1655، 1672م...) ثمّ ضربها الدنمركيون عام 1770م، ولكن ذلك لم يُجدهم نفعاً... كانت حرّية الملاحة في البحر المتوسطّ تهتمّ فرنسا... لموقعها الجغرافي وأهمّية تجارتها... فحاولت مراراً أن تؤدّب الجزائريين، فضربت وحدات الأسطول الفرنسيّ الحاجز البحريّ عام 1661-1665م بغير طائل، وقاد دوكنس Duquesne حملتين بحريّتين على مدينة الجزائر عامي 1682 و1683م: أُطلقت إحداها على المدينة بين 20 أغسطس و20 سبتمبر 1682م، فأدّى ذلك إلى تدمير 50 منزلاً وقتل 500 من السكّان.

الحملات البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملات الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعونة قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

وفي المرة الثانية في 01 يونيو ويوليه سنة 1683م، أصيبت المدينة بأضرار مادية جسيمة، ولكنها أثارت الإضراب... فذبخوا الفرنسيين المقيمين بينهم بما فهم القنصل الأب ليفاشيه Levacher الذي شدّ إلى فوهة مدفع. ولكن حملةً ثالثة أرسلت عام 1688م بقيادة ديستريه Déstrées، كانت أعظم من الحملتين السابقتين خطراً على الجزائريين فاضطرتهم إلى طلب الصلح.<sup>(1)</sup> أما الحملات التي شهدتها جزائر الغرب في القرن 18م فقد عرضها المؤرخ جورج إيفير على النحو التالي: "ولكن أموالاً طائلة ضاعت، وأرواحاً كثيرة أزهقت في هذه الحملات مما جعل تكرارها غير مأمون... أما إسبانيا فقد حاولت، بعد أن أعلن الداي محمود عثمان عليها الحرب سنة 1773م، أن تضرب مدينة الجزائر، وسيّرت لذلك أسطولاً من 20 بارجة، و24 مدمرة صغيرة، وجيشاً من 25.000 مقاتلٍ بقيادة أمير البحر دون بيدرو كاستيخو Don Pedro Gastejo والقائد أوريللي Oreilly... في الثامن من يوليه 1775م. ولكن العدو حاصر الحملة وكان أكثر من رجالها عدداً... فاضطرت إلى الانسحاب في اليوم التالي بعد أن فقدت 2.800 من رجالها... الغارة الموفقة التي قادها أمير البحر الإسباني الدون أنجلوا بارسلو Don Angelo Berceلو، والتي ضربت مدينة الجزائر بالمدافع في عام 1783م."<sup>(2)</sup> وكرّر المستشرق مارسال كولومب حملات إسبانيا باختصار شديد قائلاً: "وقد بذلت إسبانيا عدّة محاولات فاشلة للاستيلاء على مدينة الجزائر

(1) - جورج إيفير، مرجع سابق، ج 10، ص. 2932-2933.

(2) - المرجع نفسه، ص. 2933.

الحملات البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملات الفتح العثمانية ضدّ الأعداء بمعية قوّات الجزائر ضمن رصد، تحليلٍ ونقدٍ للأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

(1541م، 1567م، 1775م).<sup>(1)</sup> وبخصوص حملات القرن 19م فقد عرض المؤرّخ جورج إيفير تحالف واتّفاق الدّول الأوروبية على شنّ حملات وتحرّشات بجزائر الغرب ذاكراً: "بدا عام 1815م أنّ الدّول الأوروبية قد اعترفت أنّ تقضي نهائياً على هذه الحالة (القرصنة) التي لم تعد تُطبق صبراً عليها، أرسل اللّورد إكسموث Exmouth في 15 مايو 1816م يُبلّغ الدّاي قرارات مؤتمر فيينا الخاصّة بمنع تجارة الرقيق، فلقي في الجزائر معاملة سيئة، قرّرت على إثرها الحكومة البريطانية، يؤيّدتها الرّأي العامّ، أن تغسل هذه الإهانة، وظهر أمام المدينة أسطول مؤلّف من 32 سفينة تحت إمرة اللّورد إكسموث Exmouth يُعاونه أمير البحر الهولنديّ كيبيلين Cappelen، ودخل إلى المدينة تحت حماية الرّاية البيضاء، وأطلق النّار على المدينة فقتل 500 من التّرك وحطّم مدفعية السّواحل وجرح ألفاً من السكّان، بيد أنّ الجزائريّين هبّوا للدّفاع عن أنفسهم وأوقعوا بأسطول الحلفاء خسارةً بلغت 883 رجلاً في 27 أغسطس سنة 1816م... وحدثت غارة بحريّة أخرى بقيادة أمير البحر نيل Neal في يونيه عام 1825م، لخلافٍ حدث بين الدّاي حسين والحكومة البريطانية، ولكنّ المدينة لم تُصَب من جرّائها بضرر... اتّضح من هذه الحملات المتكرّرة أنّ في وسع مدينة الجزائر أن تُقاوم كلّ حملة بحريّة خالصة، مهما تكن قوّتها."<sup>(2)</sup>

(1) - مارسال كولومب، الجزائر، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ط<sup>1</sup>، ج<sup>09</sup>، مركز الشارقة للإبداع الفكريّ، الإمارات العربيّة المتّحدة، 1998م. ص. 2876.

(2) - جورج إيفير، مرجع سابق، ج<sup>10</sup>، ص-ص 2933-2934.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعونة قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقد للأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

إذا دققنا في هذه النصوص الخطابية نجدها حاملة للأنساق المضمرّة، أولها نسق التسمية الذي يركّز على القرصنة في العبارة: "وإحراق سفن القرصنة"، "إنّ الدول الأوروبية قد اعترمت أن تقضي نهائياً على هذه الحالة (القرصنة) التي لم تعد تُطبق صبراً عليها"، وهي تسمية تُشير إلى البعد السلبي للفاعلين، أي "القرصان" من منظور الغرب و"المجاهد" من منظور المسلمين. كما يقوم المؤرّخ جورج إيفير بنعت البحّارين الغربيين بألفاظ شريفة: "الملاح الإسباني"، "أمير البحر دون بيدرو كاستيخو"، "القائد أوريلي"، "أمير البحر الإسباني الدون أنجلو بارسلو"، "اللورد إكسموث"، "أمير البحر الهولندي كيلين"، "أمير البحر نيل"، تُوجي أيضاً بالنسق السلطويّ في إشارة إلى سلطة "الملك شارل الخامس"، و"اللورد إكسموث"، وهي سلطة تُدعم القضية الغربية الرامية إلى محاربة القرصنة وشرعنة احتلالهم لجزائر الغرب. ونجدها تنطوي أيضاً تحت معجزة نسق التحويل "القرصنة"، ونسق التلطيف "أمير البحر، الملاح". تُحيلنا هذه التسميات إلى نسق إضفاء المنظور، أين نجد أنّ أسلوب المؤرّخ جورج إيفير في التفرقة بين القرصنة والبحّارين الغربيين يُشير إلى أحكام قيمية منحازة. وإحاقاً بالأنساق السابقة رصدنا نسق التلطيف في العبارة: "أُصيب المدينة بأضراراً ماديّة جسيمة"، حيث لطف المؤرّخ جورج إيفير العدوان الأوروبي على جزائر الغرب، وأضفى غموضاً أكثر، فعبارة "أضراراً ماديّة جسيمة" هو تلطيف من أجل تجنّب تشكّل انطباع سلبي لدى المتلقّي، إضافةً إلى أنّها عبارة غامضة لا تُشير إلى حجم الضرر الذي لحق بجزائر الغرب وسكّانها، وهو تلطيف تزيد حدّته بعد سوق ما فعله الجزائريون بالفرنسيين المقيمين بها، وخصوصاً الأب لوفاشي،

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعونة قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهداً

ليتحول نسق التلطيف الذي مارسه في وصف حال جزائر الغرب إلى نسق التهميل والمبالغة في وصف ما جرى للفرنسيين في العبارة: "فذبخوا الفرنسيين المقيمين بينهم بما فهم القنصل الأب ليفاشيه Levacher الذي شدّ إلى فوهة مدفع"، (سنعرض لاحقاً في نقد الأمانة لماذا حدث هذا الأمر، وماذا فعل الجانب الفرنسي أيضاً). ووقوفاً عند العبارة "فحاولتُ مراراً أن تؤدّب الجزائريين، فضربتُ وحدات الأسطول الفرنسي الحاجز البحري عام 1665-1661م بغير طائل"، والعبارة "أتضح من هذه الحملات المتكررة أنّ في وسع مدينة الجزائر أن تقاوم كلّ حملة بحرية خالصة، مهما تكن قوتها"، و"وقد بذلت إسبانيا عدّة محاولات فاشلة"، يؤكّد أنّنا أمام النسق الحجاجي الذي يركز على حجة المناعة أو أسطورة المناعة التي يتمتع بها الأسطول الجزائري، خاصة في العبارات: "بغير طائل"، "تقاوم كلّ حملة بحرية خالصة، مهما تكن قوتها". وثمة أيضاً نسق حجاجي فرعي خاصّ بحجاج العبد المالي والبشري في العبارة: "ولكنّ أموالاً طائلة ضاعت، وأرواحاً كثيرة أزهقت في هذه الحملات"، عبء عاد بالخسارة على الحملات الغربية أكثر من جزائر الغرب من منظورهم طبعاً. وفي النسق نفسه (الحجاج) نجد النسق الفرعي الخاصّ بحجاج الإجماع: "بدا عام 1815م أنّ الدول الأوروبية قد اعترفت أنّ تقضي نهائياً على هذه الحالة (القرصنة) التي لم تعد تُطبق صبراً عليها"، كإستراتيجية سياسية وإيديولوجية عنصرية تُمزج بوحدة تلك الدول الأوروبية ومصالحها، من خلال اتّحادهم ضمن قرارات أوروبية، ويتجلّى ذلك في العبارة: "قرارات مؤتمر فيينا الخاصة بمنع الرقيق"، عبارة تُوحى بتحركات إيديولوجية سياسية تُحاول الإقناع بضرورة التصدي لظاهرة القرصنة

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعونة قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

بمفهومهم عن طريق الاحتلال القسري، مع إضفاء الشرعية عليه، وتجريد الآخر من كل حق في تقرير مصيره تحت جناح نسق التقديم السلبي للآخر. واستكمالاً لنسق الحجاج الذي زخرت به هذه النصوص الخطابية لمحنا النسق الفرعي المتمثل في نسق التخيل كأنموذج الحدث المقطعي Episodic الذي يُعنى بتقديم الأمثلة على شكل سرد سهل التخيل كأحداث مقطعية تكون أكثر قدرة في عملية التذكر الخاصة بالمتلقي، ومثال ذلك العبارات التالية: "نزل إلى البر... عند مصب نهر الحراش... ثارت في الليلة عاصفة... أفقدت الجيش جميع مؤنه"، "رست جنوده... على سواحل الجزائر وعبروا وادي الحراش وعسكروا على تل"، "دخل إلى المدينة تحت حماية الراية البيضاء، وأطلق النار على المدينة... وحطم مدفعية السواحل، وجرح ألفاً من السكان". وعلاوة على الأنساق المضمرّة السالفة الذكر، نلمح وجود نسق التفاعل السياقي المؤسس للإيديولوجيا الهجومية على الآخر في إطار تفاعلي بين النسق الديني والنسق السياسي الاستعماري الذي يُبين وجود وضع (حملات ضد الآخر)، وأشكالاً من التفاعل المتنوعة كالقتال والتنافس على مناطق معينة، نُضيف إليها الأدوار المختلفة للفاعلين من قراصنة بالمفهوم الغربي والملك شارل الخامس، وأمراء البحار واللوردات، وغيرهم الحاملين لمعتقداتهم وأهدافهم وإيديولوجياتهم المتفككة والمختلفة، المهاجمة والمدافعة.

نمر الآن إلى الجانب النقدي للنصوص الخطابية، أين يُمكننا القول بناءً على ما سبقت الإشارة إليه، بأن المؤلفين الفرنسيين قد استعانوا بنسق الحجاج في مناسبات كثيرة بغية إقناع متلقي النصوص بصحة المعلومات الواردة فيها ومعقوليتها. فقاموا بعرض التواريخ والأرقام كأداة أساسية مقابل

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعية قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

الرأي والانطباع، حيث تعمل تلك الأداة على تعزيز المصداقية وتؤكد الموضوعية بصورة مقنعة للآخر (المتلقّي): "سبتمبر سنة 1541م"، "رست جنوده في 23 أكتوبر"، "حدث في 24-25 أكتوبر أن اكفهر الجو"، "سنة 1830م"، "عام 1567م"، "أعوام 1622، 1655، 1672م... ثم ضربها الدنمركيون عام 1770"، "عام 1661-1665م"، "عامي 1682-1683م"، "بين 20 أغسطس و20 سبتمبر 1682م"، "01 يونيوه ويولييه سنة 1683م"، "عام 1688م"، "سنة 1773م"، "عام 1783م"، "عام 1815م"، "في 15 مايو 1816م"، "أغسطس سنة 1816م"، "في يونيوه عام 1825م"، هي أرقام ذات علاقة بتاريخ الأحداث التاريخية، أما أعداد الأشخاص والعُدّة والعتاد فقد وردت على النحو التالي: "12.300 بحار"، "24.000 جندي"، "140 من سفن الإسبان"، "تدمير 50 منزلاً وقتل 500 من السكّان". "20 بارجة، و24 مدمرة"، "25.000 بقيادة أمير البحر"، "فقدت 2.800 من رجالها" "32 سفينة"، "فقتل 500 من الترك"، "خسارة بلغت 883 رجلاً". من جانب آخر، لمحاولة من المؤلفين الفرنسيين لتشويه صورة المجاهدين (القراصنة من منظورهم) مقابل لغة ترويجية "للملك واللورد وأمير البحار" وغيرهم، تسعى إلى تمجيد الجماعة الغربية وتبيان أفضليتها على المسلمين. وإلى جانب ذلك وردت المعلومات الخاصة بالأحداث التاريخية ناقصة وغير دقيقة، حيث ركزت على حملات دون أخرى، ضمن تعميم للمعطيات، وهو أمر يدفعنا إلى القول بأنّ عرض الأحداث على هذا النحو يُسيء إلى عملية الفهم ويُضفي تشويشاً على الأفكار أثناء محاولة فهم الأحداث. ونحن نعتقد أنّه قد تمّ اختيار إدراج حملات دون أخرى ابتغاء تسهيل عملية تمرير الإيديولوجيا

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعية قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

الغربيّة المناهضة للإسلام والمسلمين، والتي تُعطي الحق للغربيّ في حملته ضدّ جزائر الغرب، فعن حملات إسبانيا ضدّ الجزائر لم يتطرق المؤلفون الفرنسيّون إلى حملة عام 1518م، التي كان سببها، حسب ما ذكره الباحث خير الدين سعيد نسبةً إلى الشيخ ابن رقيّة التلمسانيّ، هو توجّس إسبانيا من سيطرة المجاهدين عزّوج ريس وخير الدين باشا على حصن البنيون، حيث ذكر الشيخ أنّ الإسبان "توجّهوا إليها في 320 جفنًا، وكان عساكرهم المقاتلة 15.000، فوصلوا إليها وأرسوا أجفانهم بقربها وأنزلوا في البرّ بقصد حصارها والتضييق عليها... انتهز عزّوج ريس الفرصة وخرج فتبعه كافّة عسكره وفتحوا أبواب المدينة وكبّروا تكبيراً واحدةً، وهجموا على عسكر العدو كنفس واحدة... لم ينج منهم إلاّ قدر ألفٍ والباقي كلّهم قُتلوا عن آخرهم... ثمّ هذه البقية ركبوا أجفانهم وذهبوا إلى بلادهم، فلمّا سمع الطاغية بهم وبما لحقهم من أهل الجزائر... لطم وجهه وشقّ ثيابه ونادى بالويل والثبور."<sup>(1)</sup> وبخصوص حملة عام 1783م، فقد ذكر المؤرّخ جورج إيفير أنّها كانت موفّقةً في العبارة: "الغارة الموفّقة التي قادها أمير البحر الإسبانيّ الدون أنجلو بارسلو Don Angelo Bercelo والتي ضربت مدينة الجزائر بالمدافع في عام 1783م"، بينما الرّاجح أنّه في 29 جويلية 1783م، ظهر الأسطول الإسبانيّ قبالة مدينة الجزائر متكوّناً من 400 قطعة بين الكبيرة والصّغيرة، حيث أطلق ما بين 1.200 قذيفة على المدينة ثم انسحب دون أن ينزل إلى البرّ.<sup>(2)</sup> فأين هي الحملة

<sup>(1)</sup> - خير الدين سعيديّ، الحملة الإسبانية على مدينة الجزائر خلال العهد العثمانيّ 1518-1775م من خلال مخطوط الزهرة الثائرة، لابن رقيّة التلمسانيّ، مجلّة دراسات وأبحاث، ع 29 ديسمبر 2017م، ص-ص.94-95.

<sup>(2)</sup> - مصطفى عمّار، مرجع سابق، ص.138.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعية قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

الموفقة؟ وأين هو التوفيق في ذلك؟ لقد ضربوا المدينة بالمدافع على حين غرة ثم انسحبوا ولم يُقاتلوا؟

وعن حملات فرنسا لم يذكر المؤلفون الفرنسيون الحملة الفرنسية ضد ولاية الجزائر في 23 جويلية 1664م، أين قرّر ملك فرنسا لويس الرابع عشر غزو الجزائر والتّمرّك بأحد شطوطها، ليكون على مقربة من تحركات سفن الجزائريين ضدّ مراكب التّجار الفرنسيين. وقرّر احتلال جيجل، حيث جهّز أسطولاً مؤلّفاً من 83 سفينة حربية تحمل 5.200 محارب تحت قيادة القائد بوفورت Beaufort، وبعد معركة عنيفة لصالح جزائر الغرب، أجبر حاكم الجزائر شعبان آغا<sup>(1)</sup> الأسطول الفرنسي على مغادرة المدينة.<sup>(2)</sup> وها هو فشلٌ ذريعٌ آخر يُضاف إلى الحملات الفاشلة السابقة.

وعن حملة فرنسا عام 1863م، ذكر المؤرّخ جورج إيفير عبارةً فيها إساءةٌ قاسيةٌ إلى الجانب الجزائري، حيث تعمّد تبيان مدى فظاعة ما ارتكبه الجزائريون ضدّ الفرنسيين: "فذبخوا الفرنسيين المقيمين بينهم بما فيهم القنصل الأب ليفاشيه Lavacher الذي شدّ إلى فوهة مدفع"، هي عبارة يشمئزّ فيها متلقّي الخطاب من الفعل الجزائريّ إزاء الفرنسيين، على أنّ المؤرّخ جورج إيفير هنا لم يكن موضوعياً، فهو يرسّخ بامتياز الفكرة الغربية القائلة بوحشية وهمجية الجزائريين، ويؤكّدها من خلال توظيف هذه العبارة التي تُمثّل في الأصل نصف الحدث التاريخي. ولا نُغالي إن قلنا أنّ المؤرّخ

(1) - حكم شعبان آغا جزائر الغرب من عام 1661م وإلى غاية عام 1665م.

(2) - محمّد بن ميمون الجزائري، التّحفة المرضية في الدّولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، ط<sup>2</sup>، تقديم وتحقيق، محمّد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتّوزيع، الجزائر، 1981م، ص.ص. 16-17.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعونة قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهداً

الفرنسيّ قد تعمّد إخفاء الشّطر الثّاني من الأحداث المتعلّق برّدّة فعل العدو، وكذلك سبب ظاهرة شدّ المحاربين إلى فوهة المدافع. فالعبارة إذاً قد وردت من وجهة نظر غربيّة ذاتيّة مؤدّجة، ونحن في هذا المقام، نجد أنفسنا مضطّرين إلى عرض حيثيات حادثة الشدّ إلى فوهة المدفع لتتضح الصّورة أكثر وتكون موضوعيّة. حيث تعود باكورة أحداثها إلى القرن 16م، أين اقترح المجاهد خير الدّين باشا على قائد قلعة البنيون Penon، دون مارتين دي فريرغاس، تسليم القلعة والانسحاب منها، فرفض العرض، حينها شرع المجاهد خير الدّين باشا في قصف القلعة بالمدافع على مدى عشرين يوماً، ليلاً ونهاراً، إلى أن تمكّن من اقتحامها، وبعد معركةٍ عنيفةٍ وداميةٍ أعلن دون مارتين مع 700 من رجاله استسلامهم.<sup>(1)</sup> وقد تناول المجاهد خير الدّين باشا أحداث القصف المدفعيّ في مذكّراته قائلاً: "عندما كانت القلعة في يد الإسبان كانوا يقومون بقصف المآذن عندما يسمعون الأذان. لقد كانوا يفعلون ذلك فقط من باب التّسليّة... ولما قمنا بالاستيلاء على القلعة، جيء إليّ بقائد المدفعية الذي كان قد دمرّ العديد من المآذن، وقتل كثيراً من المؤدّنين عندما كانوا يرفعون أصواتهم بالأذان، فقلتُ له: "أيّها الكافر... أنت رامٍ ماهرٌ... لقد كنتُ تُدمّر المنارة بقذيفةٍ واحدةٍ... انظر الآن كيف يكون الرّمي الحقيقيّ."

(1) - خير الدّين بربروس، مذكّرات خير الدّين بربروس، ترجمة محمّد دراج، شركة الأصالة للنشر والتّوزيع، الجزائر، ط 1، 2010م، ص. 135.

الحملات البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملات الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعونة قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

ثمّ أمرت بوضع الكافر في فوهة مدفع وأمرت بقذفه في البحر، وضربت عنق مساعده مع عشرة من جنود المدفعية، أمّا الباقون فقد أمرت بإلقائهم في الزنازين،<sup>(1)</sup> ثمّ أضاف بخصوص مصير القلعة: "لم تكن لنا حاجة إلى هذه القلعة، فقمّت بتلغيم الصخرة وتفجيرها، وبعد ذلك جمعت ثلاثين ألف أسير كافر كانوا يقبعون في السجون فاستخدمتهم في جمع صخور القلعة لبناء كاسر أمواج يربط القلعة والميناء. وبهذا الشكل تمكنا من بناء ميناء محميّ وجميل لمدينة الجزائر."<sup>(2)</sup> هذه هي إبدأً حيثيات بداية القذف عبر فوهة المدفع ودوافعها (قذف المآذن وتدمير المساجد وقتل المصلين).



الصورة رقم 01: رسم تخيالي عن عملية تلقيح مدفع "بابا مرزوق" بالجنود الفرنسيين.<sup>(3)</sup>

(1) - خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص. 136.

(2) - المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(3) - مجهول، "بابا مرزوق" ... مدفع جزائري عملاق "سرقته" فرنسا، 2018/01/02م، استخرج من الزايط <https://www.maghrebvoices.com/a/Algeria-history-France/462626.html> بتاريخ 2018/11/20م، على 13 و29 د.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعية قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده



الصورة رقم 02: رسم تخيلي عن عملية قذف القنصل الفرنسي من فوهة مدفع "بابا مرزوق"<sup>(1)</sup>

يُسمّى المدفع المقصود بـ"بابا مرزوق"، صُنِعَ في مصنع النحاس بجزائر الغرب عام 1542م، من قبل مهندس من البندقية، وبطلب من حسن آغا الذي عوّض المجاهد خير الدين باشا في الحكم. يبلغ طوله 07 أمتار، ويبلغ مداه حوالي 05 كيلومترات، وبالتحديد 4872 متراً، وقُدِّر ثقله بـ12 طنّاً.<sup>(2)</sup>

(1) - عبد الله بن عمارة، مدفع بابا مرزوق... حكاية مقاومة، 2018/06/11م، استخرج من الرابط

<http://www.almayadeen.net/articles/blogculture> بتاريخ 2019/04/03م، على 16 سا و19د.

(2) - مجهول، دفع بابا مرزوق، 2019/12/06م، استخرج من الرابط <https://ar.wikipedia.org/wiki/> بتاريخ

2020/01/03م، على 23 سا و08د.

الحملات البحرية الأوروبيّة على جزائر الغرب، وحملات الفتح العثمانيّة ضدّ الأعداء بمعونة قوّةات الجزائر ضمن رصد، تحليلٍ ونقدٍ للأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلاميّة (الاستشراقية) والموسوعة الإسلاميّة (باللغة التّركيّة "وقف الديانة التّركي") والوثائق العثمانيّة استشهاده

أمّا الفرنسيّون فيطلقون عليه اسم "القنصليّ" أو "القنصلير" نسبةً إلى القنصل الفرنسيّ الأب ليفاشيه Lavacher الذي شدّ إليه عام 1683م. وبعد احتلال الجزائر عام 1830م، سارع البارون غي دوبيري إلى الإستيلاء عليه ونقله إلى فرنسا، حيث وُضع كمنصب تذكاريّ تخليداً لذكرى إعدام قناصلهم وجنودهم، وزيّنت به إحدى ساحات مدينة بريست<sup>(1)</sup> Brest الفرنسيّة، يعلوه ديك مصنوع من البرونز يرمز إلى فرنسا، في إشارة منها إلى تفوّقها عليه في آخر المطاف.



الصّورة رقم 03: المدفع العثمانيّ الحقيقيّ "بابا مرزوق" الموجود في ساحة مدينة بريست الفرنسيّة.<sup>(2)</sup>

(1) - تقع مدينة بريست الفرنسيّة في أقصى الغرب الفرنسيّ، وتطلّ على خليج الباسك وبحر المانش.

(2) - مدفع بابا مرزوق، رابط سابق.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعونة قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

ورغم المجهودات التي بذلتها السلطات الجزائرية ومنظمات المجتمع المدني الجزائري وغيرها من المؤسسات من أجل استرجاع المدفع إلا أن الدولة الفرنسية رفضت تسليمه. وعلى إثر ذلك الرّفص قامت القوات البحرية التابعة لوزارة الدفاع الوطني الجزائري في الذكرى الخمسين لاستقلال الجزائر عام 2012م، بصنع مدفع مقلد مدفع "بابا مرزوق" الحقيقي، يُشبهه في أدقّ التفاصيل والمقاييس والمواصفات، حيث يتجاوز مدها الـ 05 كلم، ويبلغ طوله 07.5 متراً.<sup>(1)</sup>



الصورة رقم 04: مدفع "بابا مرزوق" المقلد من صنع وزارة الدفاع الجزائري عام 2012م.<sup>(2)</sup>

<sup>(1)</sup> - نؤارة باشوش، مدفع "بابا مرزوق" مرعب فرنسا يعود إلى الجزائر بعد 150 سنة، 2012/07/08م، استخرج من الرابط <https://www.echroukonline.com> /مدفع-بابا-مرزوق-مرعب-فرنسا-يعود-إلى-الجزائر، بتاريخ 2018/01/03م، على 23 سا و37د.

<sup>(2)</sup> - نؤارة باشوش، مدفع أبو مرزوق يتحرز من الأسر، 2012/07/09م، استخرج من الرابط: <https://www.vitamedz.com> / بتاريخ 2020/01/03م، على 22 سا و56د.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعونة قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

وبخصوص مسألة ذبح الجنود الفرنسيين فقد مارستها فرنسا أيضاً، وكان أمراً شائعاً أثناء الحروب في تلك الفترة، فلا يجب علينا الحكم على الأحداث التاريخية من وجهة نظر آنية تستحضر قانون حقوق الإنسان وغيرها. وجدير بالذكر أنّ ردّة فعل فرنسا بخصوص الشدّ إلى فوهة المدفع كان قويّاً أيضاً، حيث قامت بذبح العثمانيين المسلمين الأسرى، وأرسلتهم إلى سواحل مدينة الجزائر، وسيتوضّح الأمر أكثر من خلال وقوفنا على الحملة الموالية على مدينة الجزائر. فالظاهر إذاً أنّ المؤلفين الفرنسيين لا يُشيرون إلى الأحداث من الجانبين بل يعرضون نصفها الذي يُضفي السلوك الوحشيّ على الجزائريين، ويُشوّه صورة الآخر ضمن مغالطة إخفاء تفاصيل لحساب تفاصيل أخرى. من ناحية أخرى نرصد لدى المؤرّخ جورج إيفير كلاماً زائفاً مظلاً في النصّ التالي: "ولكنّ حملةً ثالثة أُرسلت عام 1688م بقيادة ديستريه D'Estrées كانت أعظم من الحملتين السابقتين خطراً على الجزائريين فاضطرّتهم إلى طلب الصلح"، حيث أنّ هذه الحملة لم تُشكّل خطراً على الجزائريين ولم تضطرّهم إلى طلب الصلح، بحسب رواية المؤرّخ الجزائريّ محمّد بن ميمون الجزائريّ الذي ذكر أنّه: "في جوان 1688م، فوجئت الجزائر بأسطول فرنسيّ بقيادة المشير ديستريه D'Estrées، والذي بقي بميناء الجزائر 15 يوماً، أطلق أثناءها 10.000 قنبلة على المدينة، فأحدثت خسائر جسيمةً في البنيان والأرواح، ولمّا أبى المشير أن يكفّ عن هذا العدوان المبين، أراد الجزائريّون أن ينتقموا من جماعة الفرنسيين الذين كانوا تحت سلطتهم فوضعوا حوالي 40 شخصاً منهم في أفواه مدافعهم، ورموا بهم الأسطول الفرنسيّ، ومن بينهم القنصل

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعونة قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ لأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

الفرنسي بيول Piolle، وقد فعل المشير الفرنسي مثلما فعل الداي، بل أشدّ منه قساوةً، وذلك أن ذبح 17 تركياً كانوا أسرى عنده، ووضع جثثهم على ظهر شقف ودفع بهم إلى ميناء الجزائر، ثم عاد بأسطوله إلى ميناء طولون.<sup>(1)</sup> نستشفّ من خلال هذه الأحداث أن لا وجود لعملية صلح بل انسحاب، حيث عاد الأسطول الفرنسي أدراجه. يستوقفنا قليلاً قول المؤرخ الجزائري محمد بن ميمون الجزائري حينما عرض ما فعله الجزائريون بالفرنسيين، وبالمقابل عرض ما فعله الفرنسيون بالأتراك، وهذا الفعل ينم عن مؤرّخ يتحلّى بالموضوعية في عرض الأحداث من الجانبين، بعيداً عن التركيز على جانب العدو فقط بغية تبيان مدى فظاعة أفعاله، وشرعنة احتلاله مستقبلاً.

من ناحية أخرى، عرض المؤرخ جورج إيفير حملة القرن 19م، ومنها حملة اللورد إكسموث عام 1816م، وغارة أخرى عام 1825م، بينما غضّ الطرف عن الحصار البحري الذي فرضته فرنسا على السواحل الجزائرية في يوم 16 جوان 1827م، والذي دام 03 سنوات، بعد أن رفض الداي حسين تقديم الاعتذار الرسمي للقنصل الفرنسي. ففي 25 ماي 1830م غادرت الحملة الفرنسية بقيادة الجنرال وزير الحرب دي بورمون لويس أوغوست De Bourmont Louis Auguste (1772-1876م) ميناء طولون، مكوّنة من 3.700 جندي، ونزلت في 14 جوان 1830م بشاطئ سيدي فرج، أين استولت عليه وانتصرت على قوات الداي، وعلى إثر ذلك تم توقيع اتفاقية الاستسلام،

(1) - محمد بن ميمون الجزائري، مصدر سابق، ص22.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعونة قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

فغادر الداي حسين الجزائر يوم 10 جويلية 1830م متّجها نحو نابولي فالإسكندرية، إلى أن وافته المنية عام 1838م. وقد تمّ ترحيل العثمانيين الموجودين في جزائر الغرب في شهر سبتمبر عام 1830م، وكان عددهم حوالي 5.092 نحو آسيا الصغرى الأناضول.<sup>(1)</sup>

وإذا ولينا صوب الحملات الإنجليزية ضدّ جزائر الغرب نجد تغاضي المؤرّفين الفرنسيين عن الإشارة إلى حملة الإنجليز عام 1669م، حيث شهد عام 1668م قيام اتفاق بين البدو المقيمين في ضواحي مدينة الجزائر مع القبائل بغية القيام بثورة ضدّ العثمانيين، وقد استغلّ الإنجليز هذه الثورة الداخليّة، فشنّ أسطولهم الهجوم على المدينة عام 1669م، لكنّ المدفعيّات الجزائرية تصدّت له وردّته خائبا على أعقابها. وفي عام 1671م أغار الأسطول الإنجليزي على ميناء بجاية، وأضرم النار في 12 مركبٍ كانت راسيةً هناك. وفي العام نفسه أعاد الكرة على ميناء الجزائر وأحرق 03 مراكب.<sup>(2)</sup> وفي السياق نفسه نجد أنّ المؤرّخ جورج إيفير قد تناول مسألة مؤتمر فيينا الخاصّة بمنع تجارة الرقيق، ولكنّه أحجم عن ذكر مؤتمر "إكس لاشابيل" الذي انعقد عام 1818م بين الدّول الأوروبية المتحالفة، أين تقرّر فيه التّدخل في شؤون الجزائر وتونس والمغرب تحت غطاء محاربة القرصنة، وقد كلّف المؤتمر بريطانيا وفرنسا بتبليغ الدّول المغاربية بأنّ كلّ نيل ومساس بتجارة إحدى الدّول الأوروبية يتسبّب مباشرةً في ردّ سريع من طرف الدّول الأوروبية المتحالفة.

(1) - مصطفى عمّار، مرجع سابق، ص.144.

(2) - محمّد بن ميمون الجزائري، مصدر سابق، ص-ص.17-18.

الحملات البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملات الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعونة قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

وقد رفض الداي حسين القرارات وأجاب بأنّ الجزائر لن تتخلّى عن حقّها في التّعرف على البواخر الأجنبية لمعرفة العدوّة من الصديقة. وبقيت إنجلترا تتحيّن الفرص لإنشابه حرب ضدّ جزائر الغرب، إلى أن وجّهت قوةً بحريّةً للإغارة على المدينة في 12 جويلية 1824م، فنشبت معركةٌ بينهما في عرض البحر، واستمرّ تبادل النيران إلى يوم 13 جويلية، حيث اضطرّ في الأخير الإنجليز إلى الانسحاب بعد أن نفذت ذخيرتهم<sup>(1)</sup>.

أمّا حملات أمريكا ضدّ جزائر الغرب فلم يُشر إليها المؤلّفون الفرنسيون، لا من قريب ولا من بعيد، ولا بأس أن نُقدّم مختصراً عنها، حيث وقّعت الجزائر مع أمريكا معاهدةً في 05 سبتمبر 1796م، نصّت على أن تدفع أمريكا ما يُساوي حوالي مليون دولار، وكانت أمريكا تتماطل من حين لآخر في دفع ما هو عليها، الأمر الذي أدّى بالداي أحمد بن عليّ خوجة المعروف بالداي أحمد الثاني،<sup>(2)</sup> إلى إعلان الحرب عليها عام 1807م، من خلال شنّ الغارات البحرية على سفنها التجاريّة. وفي عام 1815م استغلّ الكونغرس الأمريكيّ تراجع البحرية الجزائريّة، فرفض مواصلة دفع الإتاوة، وأرسل أسطولاً إلى سواحل المدينة، وعند وصولهم استولوا على بعض السفن الجزائريّة، واقترحوا معاهدةً سلميّةً، وبسبب غياب رياس البحر وافق النوّاب على الشّروط بدون نقاش، وتمّ التوقيع على المعاهدة يوم 30 جوان 1815م، والتي نصّت على حماية تجارة أمريكا من

(1) - محمد الميلي، الجزائر في مرآة التّاريخ، مكتبة البعث، الجزائر، 1965م، ص-ص 134-135.

(2) - حكم الداي أحمد بن عليّ بن خوجة المعروف بالداي أحمد الثاني من عام 1805م إلى عام 1808م.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعونة قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

جميع أنواع القرصنة، وإنهاء تقديم الإتاوة، إضافةً إلى تحرير الأسرى، وتعويض أمريكا.<sup>(1)</sup>

2. رصد الأنساق المضمرة في النصوص الخطابية ضمن الموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي")

لقد تناول مؤلف مادة "الجزائر" في العهد العثماني المؤرخ التركي كمال قهرمان الحملة ضد جزائر الغرب مع التركيز الشديد على الحملات المشهورة، واستثنى منها الحملات الصغيرة، حيث استهل الموضوع بالحملة المشهورة للملك الإسباني شارل الخامس عام 1541م، تليها حملة اللورد إكسموث عام 1816م، ثم الحصار الفرنسي عام 1827م، وأخيراً حملة الاحتلال الفرنسي عام 1830م، فورد في نصوصه الخطابية ما يلي: "قاد الإمبراطور الملك شارل كان الحملة بنفسه على الجزائر سنة 1541م، حيث تلقى على إثرها هزيمة نكراء"<sup>(2)</sup> وأضاف: "تقرر نزع ووقف القرصنة في مؤتمر فيينا 1815م... هذه الحجة قامت بريطانيا بالاتفاق مع الدول الأوروبية بإرسال أسطولها البحري إلى الجزائر بقيادة اللورد إكسموث سنة 1816م، كما شارك في ذلك الأسطول الهولندي أيضاً"<sup>(3)</sup>. وعن حملات فرنسا ضد جزائر الغرب ذكر: "أعلنت الحرب على الجزائر، وقامت بفرض حصارٍ بحريٍّ بأسطولها

(1) - مصطفى عمّار، مرجع سابق، ص 139.

(2) - Kemal Kahraman, Cezayir, İslam Ansiklopedisi, Türkiye Diyanet Vakfı, Ali Rıza Başkan Guzel Santarlar Matbaası, İstanbul, cilt07-11, 1993, p.486.

(3) - Ibid, p488.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعونة قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهداً

على الكثير من السواحل الجزائرية... قامت في 14 حزيران/جوان 1830م بإرسال أسطول بقوات... قوامها 37 ألف فرد بقيادة الجنرال دوبورمون... وتم احتلال مدينة الجزائر في 05 جويلية 1830م، وأول ما قام به الفرنسيون هو إخراج العناصر التركية من أجل تسهيل عملية إدارة السكان المحليين.<sup>(1)</sup> واستوقفته حادثة المروحة، فتناولها على النحو التالي: "قامت الحكومة الفرنسية بأخذ قرضٍ قدر 05 ملايين فرنك، ومقدارٍ من الحبوب من الجزائريين اليهوديين بوشناق وبجري (بكري). لما وصل الأمر إلى دائرة الملك وقف عملية دفع الديون، ما دفع بالدّاي حسين إلى العمل من أجل استرجاع حقوق التاجرّين، فقام بمصادرة بعض السفن الفرنسية... في 29 نيسان/أفريل 1829م وأثناء الجدل الذي حصل بين الدّاي حسين وقنصل فرنسا بيار دافال Pierre Duval (1758-1829م) حول الديون، أشار الدّاي حسين للقنصل بالمروحة التي كانت بيده، ما اعتبرته فرنسا إهانةً وتم قطع العلاقات وتحولت إلى عداة بينهما... ففرنسا اتخذت هذه الحادثة حجةً."<sup>(2)</sup> وفي محاولة منّا لرصد الأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية الخاصة بالموسوعة الإسلامية (باللغة التركية) لاحظنا للوهلة الأولى أنّها نصوص سرد تاريخية فقط، لكنّ السرد يكون أحياناً وسيلةً للإقناع والحجاج. ورغم ذلك، ومع التدقيق، رصدنا نسق الحجاج، أين ركّز المؤرّخ التركي على حجة أساسية هي الجميع ضدّ واحد، أي اجتماع الدّول الأوروبية ضدّ جزائر

(1)-Kemal Kahraman,op. cit, p489.

(2)- Ibid, p-p.488-489.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعية قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

الغرب بغية احتلالها: "تقرّر نزع ووقف القرصنة في مؤتمر فيينا 1815م... بهذه الحجّة قامت بريطانيا بالاتفاق مع الدّول الأوروبية"، والقصد هنا ليس أهالي الجزائر كلّهم، بل العناصر العثمانية الموجودة في الجزائر باعتبارها من يُشكّل خطراً على الأطماع الأوروبية، والعبارة التالية دالة على ذلك: "وتمّ احتلال مدينة الجزائر في 05 جويلية 1830م، وأوّل ما قام به الفرنسيون هو إخراج العناصر التركية"، أمّا أهالي الجزائر فقد صوّروهم المؤرّخ التركي بصورة تُعطي انطباعاً سلبياً نوعاً ما لدى المتلقّي، ففي العبارة: "من أجل تسهيل عملية إدارة السّكان المحليين"، إشارة ضمنيّة إلى أنّه شعب منقاد. دائماً، وفي إطار نسق الحجاج، نجد أنّ المؤرّخ التركي قد اتّفق مع المؤلّفين الفرنسيين في عرض حجّة مؤتمر فيينا: "تقرّر نزع ووقف القرصنة في مؤتمر فيينا 1815م... بهذه الحجّة قامت بريطانيا بالاتفاق مع الدّول الأوروبية"، وبين من خلال عبارته الإيديولوجيا العنصرية الممزوجة بوحدة مصالح الدّول الأوروبية ضمن قرارات المؤتمر الرّامية إلى إقناع الآخر بضرورة التّصدي لظاهرة القرصنة عن طريق إضفاء الشّرعية على حملاتهم والوصاية عليهم، ونفي حقّهم في تقرير مصيرهم. رصدنا إلى جانب نسق الحجاج نسق الإسناد الموجود في العبارة: "حيث تلقّى على إثرها هزيمة نكراء"، أين أُسندت صفة "نكراء" إلى الهزيمة التي تلقّاها الملك الإسباني، وفي الوقت نفسه تُحيلنا هذه الصّفة مباشرة إلى نسق التّهويل، على اعتبار أنّ الحملة كانت من أشرس الحملات ضدّ جزائر الغرب، وقد تمّت الهزيمة بشكل كُسرت فيه شوكة الملك الإسباني شارل الخامس. وفي ختام النّص الخطابيّ قدّم المؤرّخ التركي حجّة احتلال

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعونة قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

جزائر الغرب ضمن نسق الحجاج، أو بالأحرى المطية التي استغلّت بغية شرعنة الاحتلال الفرنسي في العبارة: "أشار الداي حسين للقنصل بالمروحة التي كانت بيده، ما اعتبرته فرنسا إهاناً وتمّ قطع العلاقات وتحولت إلى عداءٍ بينهما... ففرنسا اتخذت هذه الحادثة حجة"، ويمكننا في السياق نفسه عرض وثيقة رسمية مخصّصة لجيش حملة العدوان الفرنسي على الجزائر عام 1830م، صادرةً بأمر من وزير الحرب الفرنسي ومستقاةً من تقرير المهندس العسكري والجاسوس الفرنسي فانسونا يفس بوتان، الذي أرسل من قبل الإمبراطور نابليون بونابرت إلى الجزائر عام 1808م بهدف إعداد تقرير يتضمّن خطةً لاحتلال الجزائر، وقد ورد فيها: "وما الحاجة إلى تخصيص الشكاوى والمظالم التي كانت لنا في المدّة الأخيرة ضدّ الجزائر، بينما مجرد وجود الجزائر ذاته مظلمة وشكوى كافية بالنسبة لجميع الأمم المتحضّرة، ومبرّر عادل دائم لتخريب هذا الوكر للقرصان وقطاع البحر؟ فمنذ مدّة والفلسفة والسياسة الإنسانية والدين؛ كلّ هذا يتطلّب منّا إبادة دولة تمثّل جميع مفاهيمها خرقاً دائماً لكلّ مبدأ أخلاقيّ، وتُشكّل مساساً بكلّ حضارة"<sup>(1)</sup>. نستشفّ إذاً من الوثيقة النّية المسبقة منذ قرون لاحتلال الجزائر، وما حادثة المروحة إلاّ مطية فقط لبلوغ المآرب ضمن مؤامرة جامعة للدول الأوروبية من صنع عقل عاجز يبحث عن حلّ سريع يُحاكي أحكاماً

(1) - مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدّولية وهيبته العالمية قبل سنة 1830م، ج1، دار الأمانة، الجزائر، 2007م، ص-ص.21-22.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعية قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

سابقةً تُلقى بأثقال جهلها المعرفي والسياسي على "كبش محرقة" <sup>(1)</sup> (كبش الفداء)، وهي الدولة الجزائرية، وكر القراصنة في نظرهم.

ننتقل الآن إلى نقد أمانة ودقة النص الخطابى الخاص بالمؤرخ التركي كمال قهرمان، حيث وظّف هو الآخر نسق الحجاج بغية إقناع المتلقّي بالمؤامرة التي استهدفت جزائر الغرب عبر المؤتمرات التي جمعت الدول الأوروبية، والتي شرعت من خلالها احتلال وكر اللصوص والقراصنة: "تقرّر نزع ووقف القرصنة في مؤتمر فيينا 1815م... بهذه الحجة قامت بريطانيا بالاتفاق مع الدول الأوروبية"، وقد كان المؤرخ التركي دقيقاً جداً في اختيار الحملات، حيث ركّز على ذات الشهرة منها فقط، دون النزوع إلى التخبّط في عرض الحملات الأخرى، علماً أنّها كانت تتوالى كلّ سنة على جزائر الغرب في العهد العثماني. كما قام أيضاً بعرض التواريخ والأرقام كأداة أساسية مقابل الرأي والانطباع، بغية تعزيز المصادقية وتأكيد الموضوعية بصورة مقنعة للآخر (المتلقّي): "سنة 1541م"، "مؤتمر فيينا 1815م"، "سنة 1816م"، "في 16 حزيران/جوان 1827م"، "في 14 حزيران/جوان 1830م"، "في 5 جويلية 1830م"، "في 29 نيسان/أفريل 1829م"، بينما لم يول أهمية لعرض الإحصاءات المتعلقة بعدد الجنود أو عدد السفن أو معلومات أخرى حول عدد القتلى وغيرها من المعلومات الحربية، إلّا ما اختصّ بحصار فرنسا للولاية، حيث ذكر أنّ قوامها "37 ألف فرد بقيادة الجنرال دوبرومون"، وهي معلومات نجدها

<sup>(1)</sup> - إبراهيم علوش، المؤامرة في التاريخ، حقيقة أم خيال، مجلة طلبة تنوير، ع4، 2017م، ص.02.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعونة قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

---

ناقصةً ضمن احتمالين: يتجسّد الاحتمال الأول في جهل المؤرّخ التركي بحوثات الحملات الأخرى، وهو احتمال ضعيف مقارنةً بالاحتمال الثاني المتمثّل في تعمدٍ عدم إثقال المادّة الجزائرية بمعلومات كثيرة، والاقتصار على ما هو أهمّ، وباختصار شديد. وهنا اختلافٌ شديدٌ بين الموسوعتين، فالأولى أسهبت في تقديم التواريخ والمعلومات المتعلقة بعددٍ وعدّة الحملات من الجانبين، بينما اختصر النصّ الخطابيّ التركيّ الحملات واشتغل وفق معطيات غير كافية. وقد لاحظنا بخصوص حملة الملك الإسبانيّ شارل الخامس أنّ النصوص الخطابية المتعلقة بها في الموسوعتين قد عرضت الأحداث التاريخية مع تحري نسبة كبيرة من الصّدق، والسبب الرّاجح في رأينا أنّ الواقعة التي تناولوها حقيقةً ومشهورة ومعروفة ومتناولة من قبل العديد من المصادر، خاصّة تلك التي عايشت الحدث، فاليقين يمنع محاولة عرض أيّ مغالطة وتزييف، الأمر الذي يضيف أثناء تلقّيها انطباعاً بالشّعور بحقيقة الأحداث.

من خلال رصدنا للأنساق المضمرّة في النصوص الموسوعية تبين لنا أنّ النصوص الخطابية الاستشراقية تستعين بإستراتيجية التفكيك، فالمؤلف الفرنسيّ يُحاول تفكيك الأساطير المرتبطة بالجزائر وبقوّتها، أمّا النصّ الخطابيّ في الموسوعة الإسلامية باللّغة التركية فهو يدخل ضمن إستراتيجية تبريرية تعتمد على السرد التاريخيّ في تبرير الوضع الذي كانت فيه جزائر الغرب منضويةً تحت لواء الدولة العثمانية، وكيف كانت في مأمن عن حملات الدّول الأوروبية، خاصّة ما بعد حملة الملك الإسبانيّ شارل الخامس.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعية قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل وتقديم للنساق المضمر في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهداً

II. العملية التركيبية لبعض الأحداث التاريخية ضمن موجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهداً

لكي تتم عملية الفهم وتركيب الأحداث، يمكننا القول أن جزائر الغرب قد شهدت حملات متوالية ضدها، واحدة تلو الأخرى، طيلة 03 قرون، لكننا في هذا المقام سنركز على عرض أحداث حملة واحدة، وهي حملة الملك شارل الخامس عام 1541م. فما هي حيثيات أحداث هذه الحملة المشهورة، والتي نالت جزائر الغرب على إثرها شهرة عالمية؟ وفي شقٍ ثانٍ نستوقفنا مسألة مهمة جداً، تناولها المؤرخون الغربيون والجزائريون بوجهات نظر مختلفة، وهي مسألة خيانة المجاهد حسن آغا الطوشي، وتعاونه مع الملك شارل الخامس من أجل تسليمه مدينة الجزائر، فهل فعلاً خان المجاهد حسن آغا جزائر الغرب، وهل خان في الوقت نفسه المجاهد خير الدين باشا الذي استأمنه على الولاية؟ ومن ثم هل خان السلطان العثماني حامي جزائر الغرب المنضوية تحت لوائه؟ أما الشق الثالث من العملية التركيبية فيقودنا إلى مسألة قلّما تناولها الباحثون، وهي الحملات الفاتحة التي شنتها جزائر الغرب إلى جانب الأسطول السلطاني العثماني ضد الأوربيين، سواء في معاقبتهم أو على الأراضي الإسلامية المحتلة من قبلهم، مستشهدين في ذلك بالوثائق العثمانية، فكيف جرت أحداث تلك الحملات الفاتحة، وأين تم ذلك؟ سنحاول إذاً أن نتبين كل هذه المسائل من خلال العملية التركيبية للأحداث التاريخية.

الحملات البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملات الفتح العثمانية ضدّ الأعداء بمعية قوّات الجزائر ضمن رصد، تحليلٍ ونقدٍ للأنساق المضمّرة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التّركية "وقف الديانة التّركي") والوثائق العثمانية استشهاده

## 1. العملية التّركيبية لأحداث حملة الملك شارل الخامس ضدّ جزائر الغرب عام 1541م:

تجدربنا الإشارة في بادئ الأمر إلى أنّ المجاهد خير الدّين باشا قد حقّق انتصارات عديدة من على أرض جزائر الغرب ضدّ الأعداء، وعلى إثر ذلك عهد إليه السّلطان العثمانيّ قيادة الأسطول العثمانيّ وعيّنه قبودان دريا، أي قائداً عامّاً على القوّة البحريّة بإسطنبول. فغادر الجزائر عام 1532م، واستأمن المجاهد حسن آغا الطّوشيّ على جزائر الغرب نائباً عنه.<sup>(1)</sup> في هذه الأثناء أرسل الملك الإسبانيّ شارل الخامس جواسيسه ليُعدّوا له تقارير عن حالة الولاية، فورد في أحد التّقارير عام 1533م ما يلي: "يُحكّم الجزائر الآن حسن آغا، وينوب عنه في حالة غيابه حاج باشا والقائد الصّوردو. ويوجد بمدينة الجزائر 1.800 تركي... ونحو 3.000 عائلة عربيّة و300 عائلة يهوديّة. أمّا القوّة التي بين يدي حسن آغا، وهو مخيّم الآن خارج المدينة، فهي تشمل 700 تركي، وألف فارس وألفي راجل من العرب."<sup>(2)</sup> كما وحصل الملك شارل الخامس على معلومات من عبيد مسيحيّين تمكّنوا من الفرار عام 1536م مفادها أنّه يوجد في مدينة الجزائر 2.000 من الأتراك، و7.000 إلى 8.000 من مهاجري الأندلس في مدن الجزائر ومليانة وبقاع أخرى، وأنّ حاكم الجزائر مرتدّ سارد، أي من سردينيا، اسمه حسن آغا.<sup>(3)</sup> وفي عام 1541م، استغلّ الملك شارل الخامس فرصة وجود

(1) - فاضل بيات، الدّولة العثمانية في المجال العربيّ، دراسة تاريخية في الأوضاع الإداريّة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصراً، مطلع العهد العثمانيّ-أواسط القرن التاسع عشر"، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، لبنان، 2007م، ص.537.

(2) - أحمد توفيق المدنيّ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، 1492-1792م، الشركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، ص.277.

(3) - المرجع نفسه، ص.ص.278-279.

الحملات البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملات الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعونة قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

المجاهد خير الدين باشا على رأس القوات البحرية العثمانية على سواحل الأدریاتيك<sup>(1)</sup>، وانشغال السلطان العثماني بحملته التاسعة<sup>(2)</sup> على المجر، ليسير في 18 أكتوبر 1541م على رأس أسطول مكوّن من 516 سفينة، منها 274 قدرعة، والباقي سفن حربية، ودعم أسطوله أيضاً بـ65 سفينة عملاقة، كلّ واحدة منها تبدو وكأنها قلعة تسبح في عرض البحر، بينما بلغ عدد الجنود الذين استقدموا عدا الجدافين 12.330 بحارا، و23.900 جندي من القوات البرية، ليصبح المجموع الكلي للمحاربين 36.230 جندياً. وقد رافق الحملة أشهر نبلاء وأمراء إسبانيا وألمانيا وإيطاليا،<sup>(3)</sup> إضافة إلى أنّ الحملة كانت مدعومة بفصائل عسكرية مختلفة، حيث انضم إليها فيلق من فرسان مالطا بقيادة أندري دوريا، وخيرة رجال المسيحية: كولونا حفيد البابا، وهيرناندو كورتيس Hernan Cortés Monroy Pizarro Altamirano (1485-1547م)، فاتح المكسيك، وحاكم مدينة وهران الكونت دالكوت أو الكوديت<sup>(4)</sup> Le comte d'Alcaudete، وهو مارتن ألونزو فيرونونديز دي كوردوبا مونتيمايور وفيلاسكو Martin Alonso Fernandez de Cordoba Montemayor y Velasco (1498-1558م). هذه نظرة مختصرة عن الوضع من الجانب الإسباني، بينما لو ولينا صوب الجانب الجزائري، فثمة قوة تحت إمرة المجاهد حسن آغا

(1) - البحر الأدرياتي نسبةً إلى مدينة أدريا الواقعة شماله في الأراضي الإيطالية، وهو أحد فروع البحر المتوسط، تحدّه من الغرب الشمالي إيطاليا، ومن الجهة الشرقية تطلّ عليه من الشمال للجنوب سلوفينيا وكرواتيا والبوسنة والهرسك وصربيا وألمانيا ومونتينيغرو.

(2) - خير الدين بربروس، مصدر سابق، ص.197.

(3) - المصدر نفسه، ص.197-198.

(4) - عائشة غطّاس وآخرون، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسّساتها، مرجع سابق، ص.29.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعونة قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

قُدِّرَت بـ600 بحار تركي، و2.000 فارس عربيّ متطوّع،<sup>(1)</sup> وهنا الفارق واضح جدًّا بين الطرفين.

في 20 أكتوبر 1541م، خطَّ الملك كارلوس رسالة إلى المجاهد حسن آغا باللّغة التركية مفادها: "إنّ القوة التي تراها اليوم، ليس أنت فحسب بل إنّ سيّدك الكبير لا يقدر على صدّها، فإذا كانت لك عينان مفتوحتان وتملك ذرّة من العقل، ألق سلاحك واربط رأسك بمنديل، وأتني بمفاتيح قلعة الجزائر. وإذا قَدِمَت عليّ وقبّلت الأرض بين يديّ سوف أعفو عنك، فأنا ملك إسبانيا ونابولي وصقلية وهولندا وبلجيكا وأمريكا، وإمبراطور ألمانيا... فحذاري أن تفقد عقلك وتُشهر السلاح في وجهي، لأنّك إن فعلت ذلك فإنّني أقسم بعيسى بأنّي سوف أمزّقك، وأعلّق أشلاءك على أبراج الجزائر".<sup>(2)</sup> فردّ عليه المجاهد حسن آغا: "إنّ قلعة الجزائر ليست ملكاً لي حتّى أسلمها لك، ولن أمكّنك من بلد مولانا السلطان سليمان لأبوء بخسارة الدنيا والآخرة، وليكن معلوماً لديك بأنّ قلبي لا يحمل ذرّة خوف منك، فأنت قد أمضيت حياتك في تلقّي هزائم شنيعة أمام والدي خير الدّين، وأنا على يقين بأنّ الله تعالى سوف ينصّرني عليك".<sup>(3)</sup> وعليه قام المجاهد حسن آغا بإعداد خطة للدّفاع عن مدينة الجزائر، بيد أنّه لم يكن يمتلك إلاّ قوّة متواضعة، ورغم ذلك دافع عن المدينة دفاعاً مستميتاً،<sup>(4)</sup> حيث راقب بنفسه الوضع عن كثب، وأشرف على توزيع فرق الإنكشارية على كافّة أبواب المدينة، حيث وضع في باب عزّون فرقة هامّة من

(1) - خير الدّين بربروس، مصدر سابق، ص.199.

(2) - المصدر نفسه، ص-ص.199-200.

(3) - خير الدّين بربروس، مصدر سابق، ص.200.

(4) - فاضل بيات، الدّولة العثمانية في المجال العربيّ، مرجع سابق، ص.538.

الحملة البحرية الأوروپية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعية قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

الجيش الإنكشاري، وعين على رأسها القائد الحاج محمد، كما جعل القائد حسن في حراسة جزء من السور القريب من باب الوادي، ووضع القائد يوسف في باب الوادي.<sup>(1)</sup> بعدها شرع الملك شارل الخامس، المسمى كارلوس، في مهاجمة القلعة بفرقة العسكرية الشجاعة، إلا أنه قوبل بمقاومة صنيديدة في اليوم الأول جعلته يُصاب بالذهول، وعندما حلّ المساء أجاز لعساكره أخذ قسط من الراحة في خيامهم، لكنهم قضوا ليلتهم تلك في لهو ومجون. في تلك الأثناء دسّ المجاهد حسن آغا جواسيسه في صفوف العدو، بعدما ارتدوا ملابس فرسان إسبانيا، فقد كان الكثير من البحارة المسلمين يجيدون التحدّث بالإسبانية كما لو كانت لغتهم الأم، ومنهم من أمضى سنواتٍ أسيراً يُجَدِّف السفن الإسبانية.<sup>(2)</sup> أعلم إذا هؤلاء الجواسيس المجاهد حسن آغا بأحوال الإسبان، فقرر على الفور مهاجمتهم ليلاً بقوة تتشكل من 600 مقاتل و2.000 فارس،<sup>(3)</sup> حيث توغّل رجاله في صفوف الجنود الذين كانوا في حالة سكر شديد، فمنهم من احتفى بخيمته بسبب شدة المطر، ومنهم من ترك موقع حراسته ليلبحث عن مكان يقيه هول العاصفة. استغلّ جنود حسن آغا الوضع وأغاروا عليهم، فأخذ الأعداء يصرخون مذعورين: "لقد عاد بربروس من إسطنبول لقد جاء التركي الكبير". وهكذا سقط 3.000 من العدو تحت ضربات سيوف جنود المجاهد حسن آغا،<sup>(4)</sup> الذين ألحقوا بهم

(1) - عائشة غطّاس وآخرون، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007م، ص.29.

(2) - خير الدين بربروس، مصدر سابق، ص.200.

(3) - عائشة غطّاس وآخرون، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، مرجع سابق، ص.30.

(4) - خير الدين بربروس، مصدر سابق، ص.200-203.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعونة قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

خسائر جسيمة في تلك الليلة. استيقظ الإمبراطور شارل الخامس بهلع، وصاح برجاله ووزرائه قائلاً ومتعجباً، هل هذا ما كنتم قد أخبرتموني به؟ بأنّ الجزائريين لا يتحملون الوقوف أمام هجماتنا، انظروا ماذا عملوا فينا هذه الليلة!<sup>(1)</sup> كانت الأحوال الجوية في هذه الأثناء آخذةً في السوء، فخلال الليل من 24 إلى 25 أكتوبر<sup>(2)</sup> نزلت أمطارٌ غزيرةً، وهبت عاصفةٌ شديدةً، وهاج البحر على إثرها، وراحت سفن الأسطول الإسباني تتكئ يميناً وشمالاً،<sup>(3)</sup> إلى أن تحطمت بعضها وغرق البعض الآخر، وغرق معهم عدد كبير من الإسبان، كما استطاع عدد ضخم من الأسرى المسلمين الذين كانوا يُجَدِّفون على متن السفن الإسبانية النجاة.<sup>(4)</sup> حين علم ورأى الملك الإسباني ما حصل بأسطوله الملكي، "انكسرت شوكته، وضعفت قوته، وأخمدت ناره، وبرد شراره وظهرت عليه مخايل الدل".<sup>(5)</sup> وفي اليوم التالي، الأربعاء 26 أكتوبر، وصلت رسالة من القائد أندريا دوريا إلى الملك الإسباني يُعلمه فيها بأنّه بذل قصارى جهده في إنقاذ الجيش، وأنّه ينتظره في تامنفوست،<sup>(6)</sup> كما وطلب منه اللحاق ببقية الأسطول وإعادته إلى المملكة سالماً، فقرر الملك الإسباني الانسحاب في 26

(1) - كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1541م، ترجمة جمال حمادنة، ديوان المطبوعات البيّنة، 2007م، ص.94. ويُنظر أيضاً الأغا بن عودة المزارّي، طلوع سعد السّعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ج1، تحقيق يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، دت، ص.223.

(2) - المرجع نفسه، ص.95.

(3) - أحمد السّليمانّي، تاريخ مدينة الجزائر، ديوان المطبوعات البيّنة، الجزائر، 1998م، ص.20.

(4) - عائشة غطّاس وآخرون، الدّولة الجزائريّة الحديثة ومؤسساتها، مرجع سابق، ص.30.

(5) - الأغا بن عودة المزارّي، مصدر سابق، ج1، ص.224.

(6) - تامنفوست وهو برج الكيفان حالياً.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعونة قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنفاق المضمّرة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

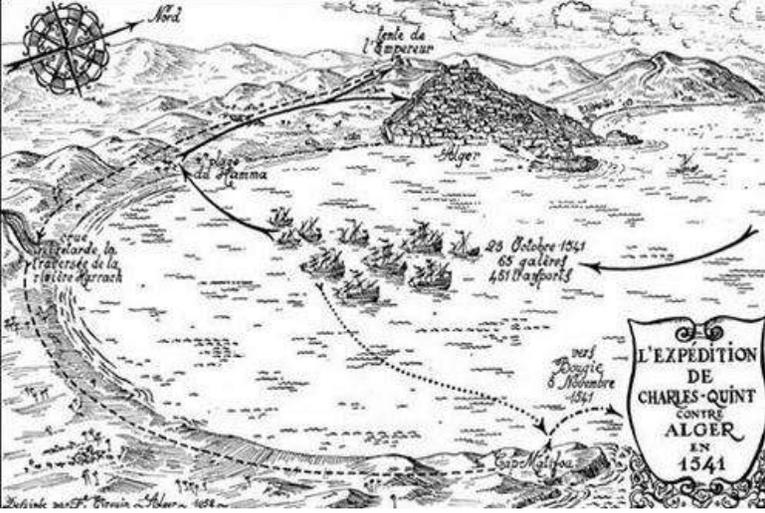
أكتوبر بناءً على نصيحة الأميرال أندريه دوريا، إلى رأس تامنفوست، حيث كان الأسطول قد التجأ إلى هناك، ثم سار ما تبقى منه نحو بجاية ومنها ألقع في اتجاه إسبانيا.<sup>(1)</sup> تكبد العدو خسائر جسيمة، إذ تم القضاء على 20.000 من الجنود، وتلفت 4.000 من الفرس إما غرقاً وإما نحرّاً من طرف العدو الذي تاه في أطراف البلاد، وشرع باقي الجنود الذين نجوا من القتل والغرق في تسليم أنفسهم جماعات وفرادى، في حين علق الذين كانوا يلبسون دروعاً معدنية في الأراضي الموحلة، وتناثرت جثثهم وأشلاء حيواناتهم على مسافات طويلة من ساحل الجزائر، وتكدّست آلاف الجثث الأخرى تحت أنقاض السفن المحطّمة، كما وقع عدد كبير من الجنرالات والدوقات والأمراء والأميرات والنبيلاء والفرسان وغيرهم من أبناء القصور والعائلات الكبيرة أسرى حرب.<sup>(2)</sup> أمّا الملك شارل الخامس فقد مُني بهزيمة شنعاء، واضطرّ إلى ذبح فرسه الثمينة ليقتات من لحمها، وعندما لاذ بالفرار من الجزائر مهزوماً، خلع تاجه الملكي من رأسه وألقى به في البحر غيضاً.<sup>(3)</sup>

(1) - عائشة غطّاس وآخرون، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسّساتها، مرجع سابق، ص-ص.30-31.

(2) - خير الدين بربروس، مصدر سابق، ص-ص.205-206.

(3) - خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص.207.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعونة قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده



11

صورة رقم 05: صورة وصفية لمخطط حملة الملك شارل الخامس ضد الجزائر عام 1541م.<sup>(1)</sup>

بعد الانهزام الذي مُني به الأسطول الملكي الإسباني غمرت الفرحة أرجاء جزائر الغرب، حيث أُقيمت الأفراح، وظلّ السكّان يحتفلون بذكرى الانتصار لمدة ثلاثين عاماً.<sup>(2)</sup> كما وصلت أصداء الانتصار إلى البلاط العثماني، أين أثنى السلطان العثماني سليمان القانوني على المجاهد حسن آغا، ووجه إليه خلعاً عظيمةً، وأمرأ يقضي بتعيينه حاكماً على جزائر الغرب.<sup>(3)</sup> وفي السياق نفسه

(1) - مجهول، معالم تاريخية وحضارية، 12 ماي 2015م، استخرجت الصورة من الرابط:

<https://ar-ar.facebook.com/algeriaDiscove/posts/758902770875567>، بتاريخ 2018/04/25، على 16 سا

و04د.

(2) - عائشة غطّاس وآخرون، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسّساتها، مرجع سابق، ص.32.

(3) - ويليام سينسر، الجزائر في عهد "رياس البحر"، تعريب عبد القادر زبادية، دار القصة للنشر، 2006م، ص.39.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعية قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

ذكر المجاهد خير الدين باشا في مذكراته أنه "بعد هذا الانتصار أُطلق على حسن باي لقب الغازي، وكانت رتبته العسكرية "بحرية سنجق باي (والصواب هو سنجاق بكي)"، أي قائد لواء البحرية، وبعد هذه المعركة... تكرم مولانا السلطان بقبول ألف أسير بعث بهم حسن باي كجدافين للسفن، كما مُنح ولدي نيشان (وسام) رتبة البيلربايك والباشوية،<sup>(1)</sup> تقديراً للجهود التي قدمها أثناء حملة الملك شارل الخامس على جزائر الغرب. في هذه الأثناء، داعت أخبار هزيمة الملك الإسباني في كامل بلاد حوض البحر الأبيض المتوسط، الأمر الذي أكسب ميناء المدينة شهرةً كبيرةً بالقوة والمناعة براً وبحراً،<sup>(2)</sup> وعُرفت مذاك بالمدينة المحروسة من طرف العناية الإلهية،<sup>(3)</sup> حيث قلت التحرشات بها، وانصرف الحكام والسكان إلى الاشتغال بالبحر.

2. العملية التركيبية لأحداث مسألة خيانة المجاهد حسن آغا الطوشي وتعاونه مع الملك شارل الخامس من أجل تسليمه مدينة الجزائر

نتقل الآن إلى مسألة غايةً في الأهمية تناولها المؤرخون الغربيون والجزائريون بوجهات نظر مختلفة، وهي مسألة خيانة المجاهد حسن آغا الطوشي، وتعاونه مع الملك شارل الخامس بغية تسليمه مدينة الجزائر، فهل فعلاً خان المجاهد حسن آغا الطوشي جزائر الغرب، وهل خان في الوقت نفسه المجاهد خير الدين باشا الذي استأمنه على الولاية؟ ومن ثم هل خان السلطان العثماني حامي جزائر الغرب المنضوية تحت لوائه؟.

(1) - خير الدين بربروس، مصدر سابق، ص-ص. 208-211.

(2) - محمد الميلي، مرجع سابق، ص. 121.

(3) - عائشة غطّاس وآخرون، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسّساتها، مرجع سابق، ص. 32.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعية قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

تجدربنا الإشارة هنا إلى أنه بعدما انهزم الملك الإسباني شارل الخامس في حملته ضد جزائر الغرب عام 1541م، اهتزت الدول الأوروبية، منتقدةً ومتهمةً الملك، فراح فريق ينعته بالعنيد المتصلب، ووصفه فريق آخر بالمتهور والمغامر، على أساس أنه غامر عندما قرّر توجيه الحملة في فصل الخريف غير الملائم للملاحة،<sup>(1)</sup> واتهمه فريق ثالث بالتهاون وعدم عناية الإدارة الإسبانية بلوازم الجيش من خيم وملابس دافئة.<sup>(2)</sup> إلا أنّ الاتهام لم يطل فقط الملك شارل الخامس بل تعداه ليمسّ شخص المجاهد حسن آغا الطوشي، حيث ذكرت المؤرّخة كورين شوفالييه أنّ مؤرّخي القرن 19م أمثال غرامونث، زعموا بأنّ المجاهد حسن آغا قد تواطأ سرّاً مع الإسبان، ووعدهم بتسليم مدينة الجزائر، حيث جاء على لسانها: "هؤلاء المؤلّفون لم يذكروا مصدر معلوماتهم، ومن الصّعب علينا تفنيدها بالكامل."<sup>(3)</sup> وخلصت إلى أنّ سبب المراسلات بين الملك شارل الخامس والمجاهد حسن آغا، كانت تتعلق بالاتفاقيات التجارية ومبادلة الأسرى. أمّا المؤرّخة عائشة غطّاس فقد ذهبت إلى أنّ مؤرّخي الغرب حاولوا تبرير فشل الملك الإسباني، فنسجوا وأحاكوا فكرة تفاوض واتّفاق حول تسليم مدينة الجزائر إلى الإسبان، مستندين في ذلك إلى عبارات وردت في رسائل إسبانية تعود إلى عام 1542م، جاء فيها:

(1) - عائشة غطّاس وآخرون، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، مرجع سابق، ص.31.

(2) - كورين شوفالييه، مرجع سابق، ص.91.

(3) - المرجع نفسه، ص.87-88.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعية قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

«Le more... est celui qui, il ya un peu plus d'un an, entreprit Don Olonzo, au sujet de négociation de la part de Hassan-Agha... Que Don Alonso entende ce qui lui veut le more et qu'il avise!»<sup>(1)</sup>

واعتبرت العبارات غامضة تُحيل إلى تأويلات كثيرة، متسائلة هل المفاوضات كانت بشأن مفاداة الأسرى، أو اتفاق تجاري أو قضايا أخرى؟. لقد حاولت جاهدةً دحض تهمة الخيانة التي ألصقت بالمجاهد حسن آغا، لكنّها لم تجد دلائل تُثبت ذلك، فاقترحت على ذكر استماتته في الدفاع عن المدينة كحجة منطقية، ذاكراً ما يلي: "إنّ الأعمال الكبيرة التي قام بها حسن آغا للتصدي للحملة لا تجعل مجالاً للشك في إخلاصه، فقد قام بتحصين المدينة ومنع السكّان من الفرار خارج المدينة لما وصلتهم أخبار الحملة الإسبانية... فكافة أعماله لم تكن أعمال رجل ينوي تسليم المدينة، فقد أظهر حسن آغا شجاعةً فائقةً في تصديده للحملة وفي بثّ الحماس في نفوس الأهالي."<sup>(2)</sup> وبيّنت المؤرّخة كورين شوفالييه التي صعب عليها تفنيد خيانة المجاهد حسن آغا، حيث أرجعت سبب المراسلات بين الإمبراطور والمجاهد إلى اتفاقيات تجارية ومبادلة للأسرى. لم تستطع المؤرّخة عائشة غطّاس تفنيد ذلك أيضاً، واقتصرت على ردّة فعل المجاهد حسن آغا واستماتته في الدفاع عن مدينة الجزائر كمبررٍ دالٍ على عدم خيانتته. والصّراحة أنّه كان بإمكانهما دحض تهمة الخيانة بالعودة إلى هذا المصدر القيم الذي سنقوم من خلاله بدحض كلّ الأقاويل

(1) - عائشة غطّاس وآخرون، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسّساتها، مرجع سابق، ص.31.

(2) - المرجع نفسه، ص.ص.31-32.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعونة قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنفاق المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهداً

الغربية الرامية إلى إلصاق التهمة بالمجاهد حسن آغا، وهي مذكّرات المجاهد خير الدين باشا التي تناولت الحملة والخيانة المزعومة باستفاضة، ونحن لا نقصد النسخة العربية التي بين أيدينا، بل النسخ القديمة منها، والتي كانت متوقّرةً بلغات مختلفة -سنعود إلى هذه النقطة في الفقرات التالية-. ففي بادئ الأمر قدّم لنا المجاهد خير الدين باشا التفسير المنطقي لهزيمة الملك شارل الخامس، وهو تفسيرٌ مختلفٌ تماماً عن التفسيرات الأوروبية، إذ ذكر أنّ الملك شارل الخامس "لم ينشأ قطّ نشأةً عسكريّةً مثل مولانا السلطان، ولم يتولّ قيادة أيّ جيش بمفرده طيلة حياته، وفوق ذلك كان جاهلاً بفنون الحرب وعلوم البحار... إنّ هذا الملك المغرور بنفسه وقواته كاد أن يقع في الأسر لولا حماية فرسان مالطا وقلّة رجال حسن باي."<sup>(1)</sup>

نعود إلى مسألة خيانة المجاهد حسن آغا، ومحاولة تسليمه مدينة الجزائر إلى الملك شارل الخامس، لنجد أنّ المجاهد خير الدين باشا قد تناول في مذكّراته حيثيات المسألة كلّها، فذكر أنّه بعد الهزائم التي مُني بها ملك إسبانيا، خاصّة معركة بروزة<sup>(2)</sup>، "صار كارلوس"<sup>(3)</sup> (الملك شارل الخامس) يتصرّف بطريقة يائسة تدعو للسّخرية، ذلك أنّه أراد التّغيير بي، إذ عرض عليّ خيانة بلدي وسلطاني وديني وقومي فبعث إليّ رسالةً جاء فيها: "إنّ تزنيك من منصبك كملك

(1) - خير الدين بربروس، مصدر سابق، ص. 208.

(2) - معركة بروزا أو بريفيزا وقعت في عام 1583م غرب اليونان، انتصر فيها الأسطول العثماني بقيادة المجاهد خير الدين باشا على العصبة الصليبيّة للملك كارلوس الخامس والتي نظّمها البابا بولس الثالث.

(3) - كارلوس هو اسم الملك الإسباني شارل الخامس والذي استعمله المجاهد خير الدين باشا في مذكّراته من بدايتها إلى نهايتها.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعونة قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنفاق المضمّرة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

للجزائر لتكون بيلربايا عليها حسبما تقضي به التقاليد العثمانية يُعتبر إهانةً بالغةً لك، وها أنا أعرض عليك أن تتخلّى عن خدمة السلطان سليمان، على أن أجعلك ملكاً وحيداً على كلّ البلاد الإفريقية... لا أريد أن تكون حليفاً لي، بل يكفي أن تكون صديقاً لي، وتقطع صلتك بالعثمانيين، فهذا كلّ ما أريده منك.<sup>(1)</sup> قام المجاهد خير الدين باشا مباشرةً بمراسلة الوزير الأعظم لطفي باشا، وأعلمه بالأمر، وأخبره أنّه يستشعر هجوماً من لدن الملك ضمن حملة كبيرة ضدّ جزائر الغرب، فردّ عليه الوزير الأعظم: "سيدي الباشا... أنت تعرف الملك كارلوس أكثر مني... إلّا أنّ نصيحتي إليك هي أن لا تعجل برفض عرض الملك كارلوس، بل عليك أن تقوم بإلهائه وتسويق الردّ عليه قدر ما تستطيع، ريثما تتّضح لنا الأمور بشكل أفضل."<sup>(2)</sup> وبناءً على نصيحة الوزير الأعظم ردّ المجاهد خير الدين باشا على أندريا دوريا الذي عُيّن للتفاوض معه قائلاً: "إنّي على استعداد للتفاوض معكم بشأن العرض الذي تقدّم به ملككم، إلّا أنّ هذا لا يُمكن أن يتمّ في إسطنبول خوفاً من وصول الخبر إلى السلطان، فعليكم أن تبعثوا رسولاً إلى نائبي بالجزائر ولدي حسن باي."<sup>(3)</sup> الأکید هنا أنّ هذه الرسالة لو وصلت إلى المؤرّخين، خاصّة المستشرقين، دون الأخذ بعين الاعتبار سياقها، لألصقوا أيضاً بالمجاهد خير الدين باشا تهمة الخيانة والتآمر ضدّ جزائر الغرب والسلطان العثماني معاً، مثلما فعلوا بالمجاهد حسن آغا. وهنا نتوقّف عند مسألة مهمّة جدّاً، مفادها أنّ الوثائق بدون سياق قد تُسهّم بشكل كبير في تزييف الأحداث، فللسياق أهميّة كبرى في تموضع الأحداث

(1) - خير الدين بربروس، مصدر سابق، ص.193.

(2) - المصدر نفسه، ص.194.

(3) - المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعونة قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

التاريخية، والمثال الذي بين أيدينا خير دليل على ذلك. هذا ويتضح الأمر أكثر عندما علمنا أنّ الوزير الأعظم لطفي باشا هو الذي أرشد المجاهد خير الدين باشا بنصيحة داهية مفادها عدم رفض عرض الملك الإسباني بغية كسب الوقت. وبناءً على تلك النصيحة، طلب المجاهد خير الدين باشا من نائبه المجاهد حسن آغا، التفاوض معهم لكسب الوقت.

تطوّرت الأحداث بعدها حيث ذكر المجاهد خير الدين باشا أنّ الحيلة "انطلت... على الكافر دورياً، وسرّ سروراً عظيماً عندما أبديت له رغبتى في خيانة دولتي. أمّا أنا فقد أرسلتُ سرّاً إلى حسن باي بتعليماتي، أعلمه فيها بما يجب عليه أن يفعله. كما أمرته بالهفاء رُسل الملك كارلوس مدّة من الزمن، وخلال ذلك عليه أن يقوم بما يلزم من استعدادات لمواجهة أيّ تطوّرات مرتقبة... كتب إليّ حسن باي يُعلمني بأنّ الملك كارلوس عرض عليه أن يجعله ملكاً على الجزائر، وكلف الحاكم الإسباني العامّ على وهران، الكونت الكوديت، لإقناعه بتلك الخيانة... كتبتُ إلى حسن باي أطلب منه أن يستمرّ في الهفاء الكونت، وبذلك كانت مواقفنا مطابقةً لسياسة الوزير الأعظم".<sup>(1)</sup> وفعلاً خطّ المجاهد حسن آغا رسالةً إلى الكونت يُليه فيها قائلاً: "إنكم تعتقدون بأنني قادرٌ على انتزاع الجزائر من السلطان سليمان ولأجل ذلك عرضتم عليّ هذا الأمر... إلّا أنّه يجب أن تعلموا بأنني عندما أخطو خطوةً واحدةً في هذه الطريق، فإنّ آلاف البحارة المعسكرين على ظهر الأسطول التركي سوف يقومون بتقييدي بالسلاسل وإرسالني إلى إسطنبول، ولذلك أرى بأنّه عندما يُرسل ملككم جيشه الكثيف، ويرسو أسطوله في سواحل الجزائر

(1) - خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص-ص. 195-196.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعية قوّات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنفاق المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

فإنني لن أدافع عن المدينة، وهناك يُمكنكم القضاء على الأسطول التركي، وحينما تتمكّنون من الاستيلاء على المدينة سوف تكون الجزائر كلّها لكم.<sup>(1)</sup> نستشفّ من الرسالة فكراً سديداً وخطّةً محكمةً قام بها هو والمجاهد خير الدين باشا، لكنهما لم يتوقّعا أن تنطلي الحيلة على الملك شارل الخامس والكونت ودوريا، حيث ذكر: "إنّ سرعة تصديقهم لي ولحسن باي، بأننا سننجرف معهم في مسار الخيانة الذي عرضه علينا، وأخذهم لذلك مأخذ الجدّ جعل حسن باي يُصاب بالذهول."<sup>(2)</sup> الحرب خدعة، والعثمانيون معروفون بحسن تسيير المعارك والحروب، استمرت السنوات، وبقي المجاهد خير الدين باشا والمجاهد حسن آغا يُلهيان الملك كسباً للوقت، حيث ورد في المذكّرات: "هكذا قضينا ثلاث سنوات منذ معركة بروزة، حتّى حملة كارلوس على الجزائر في مناورات سياسيّة كانت تبدو سخيّةً جدًّا."<sup>(3)</sup>

لقد استعنا بمذكّرات المجاهد خير الدين باشا بغية دحض ادّعاء الغربيين حول مسألة خيانة المجاهد حسن آغا، وقد استعصى ذلك على المؤرّخين كورين شوفالييه وعائشة غطّاس، رغم أنّ المذكّرات قد نُشرت من قبل بعد أن تمّ تحويلها إلى رواية ملحميّة من قبل الكاتب التركي أرتوغرول دوزداغ Ertuğrul Düzdağ (1941م) عام 1975م، بعنوان "مذكّرات بربروس خير الدين باشا"، ثمّ نُشرت باللّغة التركية الحديثة من قبل المؤرّخ التركي يلماز أوزتونا في ستينات القرن الماضي على شكل مقالات، ثمّ جُمعت ونُشرت في

(1) - خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص.196.

(2) - المصدر نفسه، ص.197.

(3) - المصدر نفسه، الصّفحة نفسها.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعية قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

كتاب مستقلّ عام 1989م. بعدها قامت قيادة البحرية التركية بنشر هذه المذكرات عام 1995م باسم "غزوات خير الدين باشا"، وابتداءً من القرن 19م، تمت ترجمة الكتاب إلى لغات عديدة منها المجرية والإيطالية والإسبانية.<sup>(1)</sup> وهنا نتساءل كيف أنّ المؤرّخة كورين شوفالييه لم تستطع دحض مسألة خيانة المجاهد حسن آغا المزعومة رغم أنّها ذكرت في مقدّمة كتابها "الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر، 1510-1541م"، أنّها اعتمدت على وثيقة غزوات خير الدين باشا، كما أنّها اعتمدت أيضاً على الرسائل الإسبانية المحفوظة في أرشيف سيموناكس، مع العلم أنّ مذكرات المجاهد خير الدين باشا كانت مترجمةً إلى اللغة الإسبانية؟.

3. العملية التركيبية لأحداث الحملات الفاتحة التي شنتها جزائر الغرب إلى جانب الأسطول السلطاني العثماني ضدّ الأوربيين، سواء في معاقلم أو على الأراضي الإسلامية المحتلة من قبلهم، مع الاستشهاد بالوثائق العثمانية:

ننتقل الآن إلى مسألة قليلة التداول بين المؤرّخين، تتعلق بالحملات المعاكسة، أو الفتوحات التي شاركت فيها جزائر الغرب ضدّ الأوربيين تحت لواء الدولة العثمانية، فالمعلوم أنّ الأسطول البحريّ الجزائريّ كان ذا نشاط عسكريّ مكثّف في البحر الأبيض المتوسط بهدف درء الأخطار التي تواجه البلد وتهدّد مصالحه. وقد أدّى الأسطول الجزائريّ دوراً مهماً ومحوريّاً وفعالاً في

<sup>(1)</sup>-خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص-ص.06-05.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعونة قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهداً

تلك الحملات الفاتحة، فما هي أهمّ الحملات الفاتحة التي شارك فيها الأسطول الجزائري؟ وما هي حيثياتها؟.

\* حملة فتح قلعة مالطة: نستهلّ دراستنا بحملة فتح قلعة مالطة،<sup>(1)</sup> أكبر معقل للمسيحيين<sup>(2)</sup> المشهورين بقطع الطريق على الحجّاج والتّجار المتوجّهين إلى مصر عبر البحر، الأمر الذي أدّى إلى إرسال حكم سلطانيّ من قبل السلطان سليم الثّاني، كلف فيه بكركي جزائر الغرب المجاهد حسن باشا في ديسمبر 1564م، بتهيئة الأسطول الجزائريّ بمعدّاته وأسلحته، وتعيين أحد رجاله الأكفّاء قائداً على هذه السفن، والالتحاق بالقائد العامّ للأسطول السلطانيّ مصطفى بياله باشا (1515-1578م)، بغية الهجوم على قلعة مالطا، وقد ورد في الحكم السلطانيّ ما يلي (ينظر الملحق رقم 01): "حكم إلى بكركي جزائر الغرب حسن باشا. بعد الاتكال التّام على العناية السّامية لله سبحانه وتعالى والتّوسّل الكامل بمعجزات رسول الله صلوات الله عليه وسلّم... تمّ تعيين الدّستور المكرّم مصطفى باشا أدام الله تعالى معاليه على نيّة الجهاد لفتح قلعة مالطة الواقعة في ديار الغرب وإنقاذها بعد أن أصبحت ومنذ مدّة مقراً للكفار الأذلاء الذين يقومون بقطع طريق الحجّاج وغيرهم من التّجار المتوجّهين إلى مصر عبر البحر، ولا يتوانون من إلحاق الأضرار بهم، فعدت إزالة القلعة وهدمها من مستلزمات الدّين ودولتي السلطانية..."

(1) - مالطا دولة أوروبية تقع منتصف البحر الأبيض المتوسط، شمال ليبيا، وجنوب إيطاليا.

(2) - أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، 1492-1792م، مرجع سابق، ص-ص. 383-

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعية قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

عند وصول حكيمي الشريف، تقوم بمقتضى وفور الفراسة والإقدام وحسن الاهتمام المركوز في جلبتكم... بتهيئة السفن بمعداتها وأسلحتها، وتعين أحد رجالك ممن تعتمد عليهم قائداً... ليلتقوا بأسطولي السلطاني عند وصوله إلى تلك الأرجاء بمشيئة الله... وتبذل قصارى جهدك وتولي الاهتمام بما يتعلق بالدين المتين". في 25 جمادى الأولى 972هـ، 29 كانون الأول /ديسمبر 1564م.<sup>(1)</sup> وبدخول عام 1565م، جهّزت الدولة العثمانية الحملة بـ 250 قطعة بحرية بقيادة أكبر أمراء البحر العثمانيين القُبودان بيالة مصطفى باشا (1515-1578م)، وقوة بريّة قوامها 35.000 فرد بقيادة الوزير لاله قره مصطفى باشا (1500-1580م)، واشترك فيها بكركي طرابلس الغرب المجاهد طورغود ريس الذي استشهد في الحملة، حيث احتدمت المعركة بين الطرفين، ودافع الفرسان المسيحيون عن الجزيرة باستماتة راديين هجومياً عنيفاً قام به المجاهد حسن باشا وجيشه، لكنّ المدد الغربي وصل تحت قيادة نائب الملك في صقلية، بأسطول مؤلّف من 28 سفينة حربية، تحمل 12.000 مقاتل، الأمر الذي أدّى إلى هلاك نصف الجيش الإسلامي، فاضطرّ قائد الحملة إلى فكّ الحصار والانسحاب.<sup>(2)</sup> لم تُحقّق إذاً الحملة العثمانية أهدافها بسبب معرفة فرسان مالطا المسبق بانطلاق الأسطول العثماني نحوهم، حيث حصّنوا القلعة وطلبوا المدد، لكنّ السلطان العثماني سليمان القانوني لم ييأس بل نفّد

(1) - فاضل بيات، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، ط1، م8، مركز إرسيا، إسطنبول، تركيا، 2019م، ص-ص. 197-198.

(2) - أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، 1492-1792م، مرجع سابق، ص. 384.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعونة قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

حملة فتح أخرى، حيث أمر بخروج الأسطول العثماني إلى البحر في شهر أبريل عام 1566م، وقد تمكّن فيها من فتح جزيرة ساقر (هيلوس)<sup>(1)</sup> الواقعة في بحريجة، والتي ألحقت بالدولة العثمانية.<sup>(2)</sup>

\* حملة فتح قبرص: نُوي الآن صوب حملة فتح أخرى شارك فيها الأسطول الجزائري، وهي حملة فتح قبرص عام 1571م، وكان ذلك في إطار الحرب بين العثمانيين والبنادقة، هؤلاء الذين انضم إليهم حلفٌ مكوّن من إسبانيا والبابا وجنوة<sup>(3)</sup> ودوقية سافوا<sup>(4)</sup> وفرسان الإسطرابية<sup>(5)</sup>، بينما حافظت فرنسا على علاقتها الحسنة مع السلطان العثماني، بيد أنّ ملكها شارل التاسع كان منشغلاً بالحروب الأهلية في بلاده، فلم يكن قادراً على تقديم أيّ مساعدة للعثمانيين.<sup>(6)</sup> أصدر السلطان العثماني سليم الثاني حكماً إلى بكربكي الجزائر عرب أحمد الحاكم النائب عن قليج علي باشا،<sup>7</sup> للمشاركة بقواته في الحملة الفاتحة لقبرص، والانضمام إلى قائد الحملة العثمانية، بغية الإغارة على

(1) - تُسمّى حالياً جزيرة خيوس، تقع في اليونان.

(2) - فاضل بيات، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، م8، مرجع سابق، ص-ص.196-197.

(3) - مدينة جنوة، مدينة وميناء شمال إيطاليا.

(4) - دوقية سافوي، دولة حكمتها أسرة سافوي من عام 1416م إلى 1860م، تقع في الجزء الشمالي من إيطاليا.

(5) - فرسان الإسطرابية: فرقة عسكرية دينية محاربة أقامت بجزيرة رودوس باليونان.

(6) - نبيل عبد الحي رضوان، جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث، رسالة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، المملكة العربية السعودية، 1987م، ص.281.

(7) - من المرجح أن يكون بكربكي الجزائر عام 1571م هو قليج (الوج) علي باشا، وقد ناب عنه عرب أحمد من عام 1570م إلى 1574م بسبب مهامه في القسطنطينية، وقد استلم الحكم قليج علي باشا وردّ عليه.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعونة قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

الأماكن التابعة لجزر العدو (البنادقة وحلفائهم)، وقد ورد في الحكم السلطاني ما يلي (ينظر الملحق رقم 02): "حكم إلى بكربيكي جزائر الغرب. بعد الاتكال والاعتماد على عناية الله وجلّ وعلا، والتوسّل بمعجزات سيّد الكائنات رسول الله عليه وعلى آله أفضل الصلوات... تمّ في هذه السنة تهيئة حملة مظفّرة على الكفار سيّي الطّباع من جهة البرّ والبحر للإغارة على جزرهم... ولأجل تأديهم بعناية الله فقد سبق أن أرسل جنودي المظفّرين وأسطولي السلطانيّ إلى جزيرة قبرص. كما أمرتُ بتهيئة مائتي قطعة من سفن أسطولي السلطانيّ، وتعيين وزير يبرتو باشاً قائداً... وقد خرجوا جميعاً إلى سطح البحر قبل خمسة عشر يوماً من هذا اليوم، وذلك بغية الهجوم على أسطول الكفار الأذلاء. ونظراً لاعتماد السلطانيّ على حُسن فراستك وكياستك ووفور شجاعتك وشهامتك، فقد أمرتُ أن تتوجّه أنت كذلك وعلى وجه السرعة إلى جانب السفن... وتكون في الخدمة وأمرتُ عند وصوله تقوم ودون تأخير مطلقاً بتعيين رجال أكفاء لحفظ الجزر والبلاد والقلاع والبقاع التابعة لولايتك، والتي يستلزم حفظها وحراستها من هذا الجانب، وتقوم أنت بموجب أمري بإكمال معدّات... السفن الموجودة عندك وأسلحتها وآلتها والمؤن الغذائية للفئتين والمقاتلين، وتخرج مع المعدّات الحربيّة إلى البحر وتقصد المشار إليه وتلتقي به وتتوكّل على عون وعناية الله، وتتوسّل بالمعجزات كثيرة البركات للرّسول عليه وعلى آله أفضل الصلوات، وتقوم بقلع وإزالة الكفار من القلاع والبقاع، والإغارة على بعض الأماكن التابعة لجزر العدو وإلحاق الأضرار بها، ودفع ورفع أضرارهم

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعونة قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأوضاع المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهداً

وفسادهم، وبالإجمال تكون قلباً وقالباً مع وزيرٍ... وتبذل قصارى جهودك وبحسن الاتحاد والاتفاق في كافة الأمور المتعلقة بالدين والدولة وحمى وكرامة سلطنتي... وتنبه رجالك الذي عينتهم في خدمة الحفاظ على الولاية تنبيهاً شديداً أن يقوموا بمراقبة البلاد والولاية من جهة البحر والبر، وبالشكل المناسب وحفظها وحراستها وتقصي الأطراف والأرجاء بالشكل اللازم وتحريمها، وأن يكونوا على أتم البصيرة، وأن يتوخوا الحذر توخيّاً كبيراً من احتمال إلحاق الضرر ببلادي المحروسة من جانب الأعداء بغفلة، ولا يهدروا دقيقة واحدة في باب المحافظة." سلّم إلى الجاوش عيسى لإيصاله إلى قره خواجه في ذي الحجة 978هـ، 27 نيسان/أبريل 1571م.<sup>(1)</sup> بعدما تلقى قليج علي باشا الأمر السلطانيّ، ردّ على السلطان، وأبلغه بأنّه أصبح جاهزاً مع أسطوله للمشاركة في الحملة. وقد ألفتنا إشارة لهذا الردّ في حكم سلطانيّ أرسل إلى الوزير برتو باشا ورد فيه (ينظر الملحق رقم 03): "حكم إلى الوزير برتو باشا. أرسل أمير الأمراء الكرام بكلربكي جزائر الغرب علي، دام إقباله، رسالةً إلى سدة سعادتِي يُبلغ فيها باستلامه حكمي السلطانيّ القاضي باستعداده للحملة، وقد تهيأ بالفعل بموجب أمري الشريف مع السفن المقرونة بالنصر، والموجودة عنده، وأصبح جاهزاً...." أرسل إلى الجاوش

(1) - فاضل بيات، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/السادس عشر

الميلادي، م<sup>8</sup>، مرجع سابق، ص-ص 200-202.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد  
الأعداء بمعونة قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرّة في النصوص  
الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة  
التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

أحمد البوسنوي في 17 محرم 979هـ، 11 حزيران/يونيو 1571م.<sup>(1)</sup> بعدها أرسل  
الوزير برتو باشا رسالةً إلى السلطان العثماني يُخبره أنّه وصل إلى جزيرة  
أغريبور الكائنة في بحر إيجة، وأنّ قليج علي باشا، بكربكي جزائر الغرب، قد  
التحق به مع سفن الولاية وقواتها، وقد توجه إلى أسطول العدو مستهدفاً  
الإغارة على جزرهم. وقد تبينّت هذه المعلومات من خلال الحكم السلطاني  
الذي أرسل إلى الوزير برتو باشا، حيث جاء فيه (ينظر الملحق رقم 04):  
"حكم شريف إلى حضرة برتو باشا. أرسلت رسالةً إلى سدة سعادتي تُبلغ  
فيها أنّه تمّ الوصول إلى أغريبور في غرة شهر محرّم الحرام، وتمّ تزييت  
السفن خلال ستة إلى سبعة أيام... وفي اليوم الثاني من الشهر المذكور  
وصل بكربكي جزائر الغرب علي دام إقباله على رأس ستة قطع من الباشتردة،  
وقطعة قدرغة، وإحدى عشر قاليتة، والتقى بك... ولم يتمّ إيقاف أمير  
الأمراء الكرام عليّ دام إقباله عن سيره بل توجه بموجب أمري الشريف  
صوب الأسطول المشؤوم للكفار الخبثاء بغية الإغارة على جزر الكفار  
والحاق الأضرار بها..." في صفر 979هـ، حزيران/يونيو 1571م.<sup>(2)</sup> دارت رحى  
المعركة بين الدولة العثمانية وإسبانيا وحلفائها في 07 تشرين الأول/أكتوبر  
1571م، وانهمز الأسطول العثماني لأول مرة في تاريخه،<sup>(3)</sup> حيث تربّص أسطول  
العدوّ خلف المضيق، أين لمحّه قليج عليّ باشا فأخبر القائد العامّ للأسطول

(1) - فاضل بيات، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/السادس عشر

الميلادي، م8، المرجع السابق، ص-ص. 203-204.

(2) - المرجع نفسه، ص. 206.

(3) - المرجع نفسه، ص. 209.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعية قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

العثماني أن سفن العدو الثقيلة تترىص بهم خلف المضيق، وطلب منه الانسحاب من أمامها، ثم العودة لمهاجمتها إما من الخلف أو من الوسط كحيلة حربية، لكن القائد العام رفض فكرته وأعلمه أنه لا يستطع أن يتسبب في القول بأن أسطول السلطان قد ولى هارباً، وهكذا واجه الأعداء، ضارباً عرض الحائط نصيحة قليج علي باشا. وفي تلك الأثناء خرجت 50 سفينة من سفن العدو من خلف رأس المضيق، واختفت بقيّة السفن، فاتّجهت السفن العثمانية إليها، وبينما كانت في خضمّ المعركة محاولةً إسكات مدافعها وإضعافها، خرجت السفن المخفية خلف رأس المضيق وأحاطت بالسفن العثمانية، وأطلقت عليها مدافعها. في هذه الأثناء حاولت السفن العثمانية التّجمع في مكان مناسب، لكنّ القائد انسلخ بسفينة القيادة وهجم على سفينة محاولاً إسكاتها، فأدرك العدو أنّها سفينة القيادة من فوانيسها الثلاثة، فتجمّعت سفن العدو حولها وقتلوا الرّبّان وأسروا من في داخلها، كما أغرقوا سفينة برتو باشا لكنّه نجا. أمّا قليج عليّ باشا فقد اتّجه بسفينته عرض البحر، وعمل على سحب سفينة القائد، وهزم عدّة سفن أخرى ممّا أدّى إلى تفرّقها في عرض البحر، حينها اصطقت السفن الجزائرية خلف بعض، وبقيت تُحارب معاً حتّى نجت.<sup>(1)</sup> فغنم قليج عليّ باشا السفينة التي تحمل علم البابا، ورجع بها إلى إسطنبول، حيث استقبل هناك استقبال الفاتحين، رغم الشّعور بمرارة الهزيمة، فقام السلطان العثماني

(1) - حاجي خليفة، تحفة الكباري في أسفار البحار، تحقيق وترجمة محمّد حرب وتسليم حرب، دار البشير للثقافة والعلوم، 2017م، ص-ص. 162-163.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعونة قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

سليم الثاني بترفيح قليج علي باشا إلى رتبة قائد البحرية العثمانية (قبودان باشا) مع الاستمرار في منصبه كبليرباي الجزائر.<sup>(1)</sup> نستشف من هذه الحملة أنّ القرارات الفردية غير المؤسسة على أرضية صلبة مع عدم استشارة من لهم باع في القتال ستؤدي حتماً إلى الانهزام، فلو عمل القائد بنصيحة قليج علي باشا لما انهزم الأسطول العثماني.

\* حملة فتح قلعة حلق الوادي بتونس: نمر الآن إلى حملة فتح أخرى شاركت فيها قوات البحرية والبرية لجزائر الغرب، وهي حملة فتح قلعة حلق الوادي بتونس ضد الإسبان المحتلين، حيث صممت الدولة العثمانية على هدم آخر معاقل الإسبان في الشمال الإفريقي، ولكي تبلغ مبتغاها وجب عليها أولاً أن تأمن تدخل البندقية حليفة الإسبان، لهذا وقعت معها في 07 مارس 1573م معاهدة ختمت على إثرها حالة الحرب بينهما، حيث تنازلت بموجبها البندقية عن قبرص، وقدمت غرامة مالية كتعويض حرب للدولة العثمانية.<sup>(2)</sup> من جهتها كتفت الدولة العثمانية جهودها من أجل الحملة الفاتحة، واستدعت ولاية المنطقة للمشاركة، كما وخطت للهجوم برًا وبحرًا، حيث أصدر السلطان العثماني سليم الثاني عام 1573م أمراً إلى بكربكي جزائر الغرب عرب أحمد، نيابةً عن قليج علي باشا، وبكربكي طرابلس الغرب

(1) - نبيل عبد الحي رضوان، مرجع سابق، ص.283.

(2) - نغم طالب عبد الله، السياسة العثمانية تجاه النمسا من فتح بلغراد حتى معاهدة كارلوفتس، المعطيات التاريخية وتحليل النتائج، مجلة «Route educational and social science journal»، م<sup>5</sup>، ع09، 2018م، ص.953.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعية قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأساق المضمرة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

من أجل تجهيز أساطيلهم بالمعدات والأسلحة اللازمة، والاستعداد لإرسالها إلى سواحل تونس، وقد ورد فيه ما يلي (ينظر الملحق رقم 05): "حكم إلى بكربيكي جزائر الغرب وبكربيكي طرابلس الغرب بتجهيز السفن الموجودة عندهم بالمعدات والأسلحة والمستلزمات اللازمة، والاستعداد للالتحاق بالأسطول السلطاني الذي يزعم القيام بالجهاد في البحر وذلك في حالة تلقمهم طلباً من القُبودان/بكربيكي الجزائر، والحضور في المكان المتفق عليه، وبذل الجهود في الأمور المتعلقة بالدين المبين والدولة." في 18 ذي القعدة 980هـ الموافق لـ 22 آذار/مارس 1573م.<sup>(1)</sup> ثم أمر السلطان العثماني سليم الثاني عام 1573م بكربيكي جزائر الغرب بالتوجه على رأس جنود الولاية إلى تونس عن طريق البر، وأمر بكربيكي طرابلس الغرب بالتوجه على رأس جنود طرابلس إلى تونس والالتقاء بقوات الجزائر، كما نبّه من يتولّى قيادة السفن الجزائرية بالسّير دون توقّف والالتقاء بالأسطول السلطاني هناك، حيث ورد في الحكم ما يلي (ينظر الملحق رقم 06): "حكم إلى بكربيكي جزائر الغرب وطرابلس الغرب. الإبلاغ عن اعتزام الأسطول السلطاني التوجه إلى أرجاء الجزائر للقيام بالجهاد في سبيل الله، وصدور الأمر إلى بكربيكي الجزائر بتجهيز السفن الموجودة عنده وبأنواعها المختلفة بالأسلحة والمعدات والمستلزمات اللازمة، وتعيين قائد كفؤ عليها وإرسالها إلى سواحل

(1) - فاضل بيات، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/السادس عشر

الميلادي، م<sup>8</sup>، مرجع سابق، ص.216.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعونة قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

تونس للالتقاء بالسفن القادمة من طرابلس الغرب والانتظار هناك، والأمر بتعيين عدد كافٍ من الرجال ممن يُعتمد عليهم لحفظ وحراسة المدن والأرجاء المختلفة في كلٍّ من جزائر الغرب وطرابلس الغرب، وتوجّه بكلربيكي جزائر الغرب على رأس جنود الجزائر إلى تونس بطريق البرّ، وتوجّه بكلربيكي طرابلس الغرب على رأس جنود طرابلس إلى تونس والانتظار هناك ريثما تصل سفن الأسطول السلطاني، وتنبيهه من يتولّى قيادة السفن الجزائرية بالسّير دون توقّف والالتقاء بالأسطول السلطاني عند وصوله ليكون في الخدمة، والأمر بتوجّه بكلربيكي طرابلس الغرب إلى تونس مع جنود طرابلس والالتقاء بقوات جزائر الغرب للمساهمة في خدمة الأسطول السلطاني." في 22 ذي القعدة 980هـ الموافق لـ 26 آذار/مارس 1573م.<sup>(1)</sup> من جانب آخر لم يتوان السلطان العثماني سليم الثاني في الحرص على أمن جزائر الغرب أثناء غياب حكامها ومشاركتهم في الحملة، إذ أرسل عام 1573م أمراً إلى بكلربيكي جزائر الغرب يأمره فيه، ويأمر الأمراء وغيرهم من أعيان الجزائر بالعمل على حفظ وحراسة البلاد، ووضع عدد كافٍ من المسلّحين للقيام بذلك، وطلب من الأسطول الجزائري التوجّه بكامل معدّاته الحربية إلى حيث يتواجد الأسطول السلطاني، مع بذل المساعي لتأديب العدو، ووعد بتكريم المقاتلين حسب ما يؤدّونه من خدمات في حملة الفتح هذه، وقد ورد في الحكم ما يلي (ينظر الملحق رقم 07): "حكم إلى بكلربيكي جزائر الغرب. الإبلاغ عن إعداد الأسطول

(1) - فاضل بيات، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، 8، المرجع السابق، ص-ص 216-217.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعونة قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

العثماني للقيام بحملة عسكرية بحرية على حلق الوادي وغيرها من قلاع العدو في تلك الأرجاء، والأمر إلى بكركي جزائر الغرب وأمرائها وغيرهم من أعيان الجزائر بالعمل على حفظ وحراسة البلاد، ووضع عددٍ كافٍ من المسلّحين للقيام بذلك وقيام القوات البحرية الجزائرية بكامل معدّاتها وتجهيزاتها العسكرية بالتوجه إلى حيث يوجد الأسطول السلطاني للالتحاق به، وبذل المساعي لتأديب العدو، والوعد بتكريم المقاتلين حسب ما يؤدونه من خدمات في الحملة." في 28 ذي القعدة 980هـ الموافق لـ 01 نيسان/أبريل 1573م.<sup>(1)</sup> استمرّت الاستعدادات لفتح قلعة حلق الوادي بتونس إلى غاية عام 1574م، أين عين السلطان العثماني الوزير سنان باشا (1506-1596م) لقيادة الحملة، وبمعونة قوّة من الجزائريين بقيادة قايد رمضان باشا<sup>(2)</sup>، وقوّة من طرابلس بقيادة مصطفى باشا<sup>(3)</sup> وقوّة من القيروان بقيادة حيدر باشا ومن التفّ به من العرب والبربر.<sup>(4)</sup> واستكمالاً لما ذكرناه أرسل السلطان العثماني سليم الثاني عام 1574م، حكماً إلى بكركي جزائر الغرب قايد رمضان باشا، ووالي تونس وطرابلس يطلب منهم المشاركة في الحملة إلى جانب مقاتلي الأعراب والتنسيق فيما بينهم حول وجهة الانطلاق ونقطة

(1) - المرجع نفسه ، ص.217.

(2) - حكم مصطفى باشا الجزائر في الفترة الممتدة بين 1574م و1577م، نيابة عن قليج علي باشا الذي كان في مهمة بالقسطنطينية.

(3) - نبيل عبد الحي رضوان، مرجع سابق، ص.287.

(4) - محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج1، المطبعة التجارية عزروزي وجاويش، الإسكندرية، 1903م، ص.68.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعونة قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهداً

الالتقاء، وذلك قبل وصول القائد إلى المنطقة، وقد جاء فيه التالي (ينظر الملحق رقم 08): "حكم إلى بكربكي جزائر الغرب رمضان باشا. الإعلان عن اعتزام الأسطول العثماني بقيادة الوزير سنان باشا شنّ حملة عسكرية لفتح قلعة الوادي، وصدور الأمر إلى بكربكي الجزائر رمضان باشا ووالي طرابلس الغرب وتونس للمشاركة في الحملة إلى جانب قوات ولاياتهم ومقاتلي الأعراب والتنسيق فيما بينهم حول وجهة الانطلاق والالتقاء مع بعضهم البعض وذلك قبل وصول الأسطول العثماني إلى المنطقة. وشكوى أهالي الجزائر من الولاة لقيامهم باستحداث بعض البدع وإرهاقهم بها وعدم تحملهم إيّاها واضطرارهم إلى الفرار إلى جهة الكفار، والأمر برفع هذه البدع وعدم التعدي على الرعايا خلافاً للشّرع والقانون، وتوفير الأمن والأمان للولاية وتحقيق الرفاه والاطمئنان للأهالي وحفظ وحماية البلاد." في 15 ذي الحجة 981هـ الموافق لـ 07 نيسان / أبريل 1574م.<sup>(1)</sup> من جانب آخر، لمحنا اهتمام السلطان العثماني سليم الثاني بتوفير كلّ شروط الراحة للمقاتلين، عكس ما حدث مع الملك شارل الخامس في حملته ضدّ الجزائر عام 1541م، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً، حيث أصدر حكماً أعلم فيه بكربكي الجزائر قايد رمضان باشا بإرسال ألف قطعة من الخيم التي صنّعت في إسطنبول لاحتفال حاجة جنود الجزائر المشاركين في حملة حلق الوادي إليها، وأمره بالسهر على التحاق

(1) - فاضل بيات، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، م<sup>8</sup>، مرجع سابق، ص.222.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعونة قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأوضاع المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

الجنود بالوزير سنان باشا حال وصول الأسطول السلطاني إلى تونس. وقد ورد فيه ما يلي (ينظر الملحق رقم 09): "حكم إلى بكريكي جزائر الغرب. تجهيز ألف قطعة من الخيم في المهترخانة العامرة (معمل الخيم) في إسطنبول وتحميلها على السفن وإرسالها مع الأسطول السلطاني لاحتمال حاجة جنود الجزائر المشاركين في الحملة على حلق الوادي إليها، والأمر إلى بكريكي جزائر الغرب بتنبية الجنود بشأن مسألة الخيم وتديبر مستلزماتهم والتحاقهم بالوزير سنان باشا حال وصول الأسطول السلطاني إلى هناك، وتوزيع الخيم لهم كي لا يُعانوا من المضايقة في هذا الصدد." في 25 ذي الحجة 981هـ الموافق لـ 17 نيسان/أبريل 1574م.<sup>(1)</sup> التقت إذًا الجيوش خارج قلعة حلق الوادي، وأحاطت بها من كلّ جانب، فدخلها المقاتلون المسلمون، وهزموا عساكر إسبانيا، وعلى إثر هذه الحملة الفاتحة انقرضت دولة بني حفص بعد أن مكثت ثلاثمائة ونيّفاً وأربعين سنة.<sup>(2)</sup> وفي السياق نفسه ذكر المؤرّخ أحمد توفيق المدنيّ ناقلاً عن المؤرّخ التونسيّ ابن أبي الضيّاف (1804-1874م)، وصف حملة الفتح: "إنّ تونس لفي هذا الكرب العظيم (الاحتلال الإسباني) إذ تراءت لها طلائع الأسطول العثمانيّ... فينزل على مقربة من أطلال قرطاجنة جيشٌ عثمانيٌّ قويٌّ، تحت قيادة المجاهد البطل سنان باشا، ويستقدم لإعانتته فوراً جيش الجزائر... وجيش طرابلس... وجيش

(1) - فاضل بيّات، البلاد العربيّة في الوثائق العثمانية، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلاديّ، م<sup>8</sup>، المرجع السابق، ص. 223.

(2) - محمّد بن الأمير عبد القادر الجزائريّ، مرجع سابق، ص. 68.

الحملات البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملات الفتح العثمانية ضد  
الأعداء بمعونة قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمّرة في النصوص  
الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة  
التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

القيروان... ففرّ من بها من الصبنيول... وتملّك العسكر العثمانيّ على الحاضرة  
وقصبتها.<sup>(1)</sup> وقد كان ذلك في 14 تموز 1874م، أين حوصرت القلعة، فلم  
تتمكّن القوّات الإسبانية من الصمود أمام هجمات الأسطول العثمانيّ من  
جهة البحر، وهجمات الأهالي من الدّاخل، فاضطّروا للفرار إلى قلعة البستيون،<sup>(2)</sup>  
أين اعتزم سنان باشا اللّحاق بهم والقضاء عليهم، فحاصروهم في تلك القلعة،<sup>(3)</sup>  
ثمّ اقتحمها في 24 أوت 1574م.<sup>(4)</sup> ويذكر محمّد ابن الأمير عبد القادر أنّه ثبتت  
قدم سنان باشا فيها، و"استفحل أمره وقطع دعوة بني حفص فيها واستلحم  
الثّوار، ومن عهده صارت الولاة تختلف على تونس من قبل السّلطنة السنيّة  
كاختلافهم على الجزائر".<sup>(5)</sup> وبهذا انتهت شوكة الإسبان في تونس.

(1) - أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، 1492-1792م، مرجع سابق، ص-ص400-401.

(2) - قلعة بناها الإسبان بالقرب من تونس.

(3) - رابحه محمّد خضير عيسى الجبوريّ، القائد العثمانيّ سنان باشا وجهوده في استعادة اليمن وتونس 1568-1574م، مجلّة جامعة تكريت للعلوم، م18، ع01، كانون الثّاني، 2011م، ص370.

(4) - فاضل بيات، البلاد العربيّة في الوثائق العثمانية، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجريّ/ السادس عشر الميلاديّ، م8، مرجع سابق، ص-ص221-222.

(5) - محمّد بن الأمير عبد القادر الجزائريّ، مرجع سابق، ص68.

الحملات البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملات الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعونة قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

---

## خاتمة:

لقد قمنا بدراسة الأنساق المضمرة في النصوص الموسوعية بشأن الحملات الأوروبية على جزائر الغرب، مع الاستشهاد بالوثائق العثمانية أثناء العملية التركيبية لتلك الأحداث التاريخية، وقد رصدنا حمولة معرفية مثقلة بالأنساق المضمرة، وخلصنا إلى نتيجة مفادها أن النصوص الخطابية المقتبسة من الموسوعتين قد ضمت بين طياتها أنساقاً مضمرة فرعية وهامشية ضمن الأنساق الرئيسية المعروفة (الدينية، السياسية، العلمية، وغيرها)، حيث جاءت متباينة من حيث المبدأ والغاية، وقد أحالتنا إلى تشكيلات إيديولوجية متناقضة ومتصارعة، ممجدة للذات ومنتقصة للآخر، ضمن نسق تفكيكي للفترة العثمانية من لدن المؤلفين الفرنسيين: جورج إيفير، مارسال كولومب وروجي لوتورنو، عبر التركيز على المظاهر السلبية، بغية تفكيك أسطورة الدولة العثمانية الإسلامية الممتدة عبر 03 قرون في جزائر الغرب. ونسقٍ مدافعٍ وبناءٍ لهوية جزائر الغرب والدولة العثمانية من جانب المؤرخ التركي كمال قهرمان، عبر إعادة إنتاج تلك الهوية ودعمها وحمايتها من المغالطات التاريخية المتعمدة ضدها. وقد وردت هذه الأنساق الفرعية المضمرة في النصوص الخطابية للموسوعتين ضمن 05 محاور كبرى وهي: نسق التسمية، نسق الإسناد، نسق الحجاج، نسق المنظورية، ونسق التلطيف والمبالغة، تتخللها بعض الأنساق الهامشية.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعية قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاداً

---

أمّا مسألة خيانة المجاهد حسن آغا الطوشي وتعاونه مع الملك شارل الخامس من أجل تسليمه مدينة الجزائر، وهي مسألة غاية في الأهمية تناولها المؤرّخون الغربيّون والجزائريّون بوجهات نظر مختلفة، حيث ذكرت المؤرّخة كورين شوفاليه أنّ مؤرّخي القرن 19م، أمثال غرامونث، زعموا بأنّ المجاهد حسن آغا قد تواطأ سرّاً مع الإسبان، ووعدهم بتسليم مدينة الجزائر. أمّا المؤرّخة عائشة غطّاس فقد ذهبت إلى أنّ مؤرّخي الغرب قد حاولوا تبرير فشل الملك الإسباني، فندسجوا وأحاكوا فكرة تفاوض واتّفاق حول تسليم مدينة الجزائر إلى الإسبان، مستندين في ذلك إلى عبارات وردت في رسائل إسبانية تعود إلى عام 1542م. وبين المؤرّخة كورين شوفاليه التي صعب عليها تفنيد خيانة المجاهد حسن آغا، حيث أرجعت سبب المراسلات بين الإمبراطور والمجاهد إلى اتّفاقيات تجارية ومبادلة للأسرى، والمؤرّخة عائشة غطّاس التي لم تستطع تفنيد ذلك أيضاً، حيث اقتصرّت على ردّة فعل المجاهد حسن آغا واستماتته في الدّفاع عن مدينة الجزائر كمبرّر دالّ على عدم خيانتته، وجدنا أنفسنا أمام رغبة ملحة في دحض تلك المغالطة، وقد حقّقنا ذلك بناءً على النصوص التاريخية الواردة في مذكّرات خير الدّين بربروس حول هذه المسألة.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعونة قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

## المراجع:

- 1- إبراهيم علّوش، المؤامرة في التاريخ، حقيقة أم خيال، مجلة طلقة تنوير، ع42، 2017م.
- 2- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، 1492-1792م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
- 3- أحمد السليمان، تاريخ مدينة الجزائر، ديوان المطبوعات البيّات، الجزائر، 1998م.
- 4- الأغا إسماعيل بن عودة المزارّي، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ج1، تحقيق يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، د.ت.
- 5- جورج إيفير، الجزائر، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ط1، ج9 وج10، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الإمارات العربية المتحدة، 1998م.
- 6- حاجي خليفة، تحفة الكبار في أسفار البحار، تحقيق وترجمة محمّد حرب وتسليم حرب، دار البشير للثقافة والعلوم، 2017م.
- 7- خير الدين بربروس، مذكرات خير الدين بربروس، ترجمة محمّد دراج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2010م.
- 8- خير الدين سعدي، الحملات الإسبانية على مدينة الجزائر خلال العهد العثماني 1518-1775م من خلال مخطوط الزهرة النائرة، لابن رقية التلمساني، مجلة دراسات وأبحاث، ع29 ديسمبر 2017م.
- 9- رابحه محمّد خضير عيسى الجبوري، القائد العثماني سنان باشا وجهوده في استعادة اليمن وتونس 1568-1574م، مجلة جامعة تكريت للعلوم، م<sup>18</sup>، ع01، كانون الثاني، 2011م.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعونة قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهداً

- 10- روجيه لوتورنو، الجزائر، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ط<sup>1</sup>، ج9 وج10، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الإمارات العربية المتحدة، 1998م.
- 11- عائشة غطّاس وآخرون، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسّساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007م.
- 12- عبد الله بن عمارة، مدفع بابا مرزوق... حكاية مقاومة، 2018/06/11م، استخراج من الرابط

<http://www.almayadeen.net/articles/blogculture>

فاضل بيّات؛

- 13- الدولة العثمانية في المجال العربي، دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصراً، مطلع العهد العثماني-أواسط القرن التاسع عشر"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2007م.
- 14- البلاد العربية في الوثائق العثمانية، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، ط<sup>1</sup>، م<sup>8</sup>، مركز إرسيا، إسطنبول، تركيا، 2019م.
- 15- كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1541م، ترجمة جمال حمادنة، ديوان المطبوعات البيّاتة، 2007م.
- 16- مارسال كولومب، الجزائر، موجز دائرة المعارف الإسلامية، ط<sup>1</sup>، ج10، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الإمارات العربية المتحدة، 1998م.
- 17- مجهول، "بابا مرزوق"... مدفع جزائري عملاق "سرقته" فرنسا، 2018/01/02م، استخراج من الرابط

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعية قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

<https://www.maghrebvoices.com/a/Algeria-history-France/462626.html>

18- مجهول، مدفع بابا مرزوق، 06/12/2019م، استخرج من الرابط

<https://ar.wikipedia.org/wiki/>

19- مجهول، معالم تاريخية وحضارية، 12 ماي 2015م، استخرجت من الرابط

<https://ar-ar.facebook.com/algeriaDiscove/posts/758902770875567>

20- محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، ط<sup>2</sup>، تقديم وتحقيق، محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

21- محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج<sup>1</sup>، المطبعة التجارية عزروزي وجاويش، الإسكندرية، 1903م.

22- محمد الميلي، الجزائر في مرآة التاريخ، مكتبة البعث، الجزائر، 1965م.

23- مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830م، ج<sup>1</sup>، دار الأمة، الجزائر، 2007م.

24- نبيل عبد الحّي رضوان، جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث، رسالة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، المملكة العربية السعودية، 1987م.

25- نغم طالب عبد الله، السياسة العثمانية تجاه التّمسك من فتح بلغراد حتى معاهدة كارلوفتس، المعطيات التاريخية وتحليل النتائج، مجلة «Route educational and social science journal»، م<sup>5</sup>، ع<sup>09</sup>، 2018م.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعية قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهداً

---

نوار باشوش؛

26- مدفع أبو مرزوق يتحرّر من الأسر، 2012/07/09م، استخرج من الرّابط

[/https://www.vitamedz.com](https://www.vitamedz.com)

27- مدفع "بابا مرزوق" مرعب فرنسا يعود إلى الجزائر بعد 150 سنة،

2012/07/08م، استخرج من الرّابط [/https://www.echoroukonline.com](https://www.echoroukonline.com)

مدفع-بابا-مرزوق-مرعب-فرنسا-يعود-إلى-الجزائر

28- ويليام سبنسر، الجزائر في عهد "ريّاس" البحر، تعريب عبد القادر زبّادية،

دار القصة للنّشر، 2006م.

29- **Kemal Kahraman**, Cezayir, İslam Ansiklopedisi, Türkiye Diyanet

Vakfi, Ali Riza Baskan Guzel Santarlar Matbaası, İstanbul, cilt07-11,

1993.

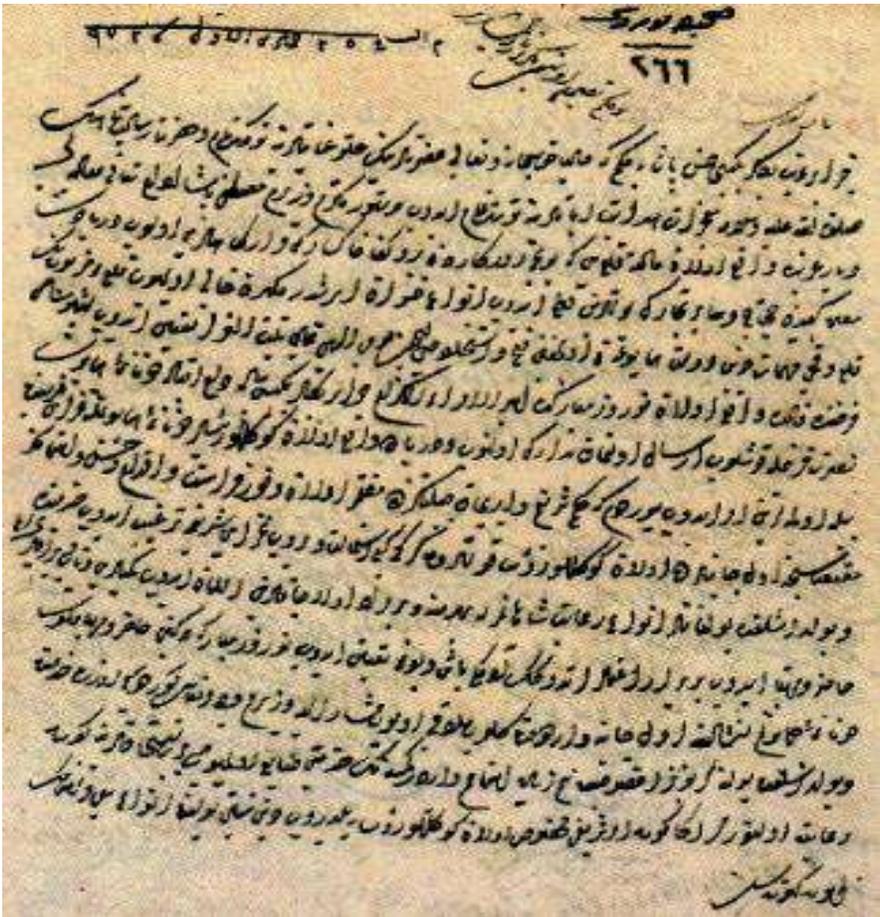
الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضدّ الأعداء بمعية قوات الجزائر ضمن رصد، تحليلٍ ونقدٍ للأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهداً

---

الملاحق:

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعونة قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

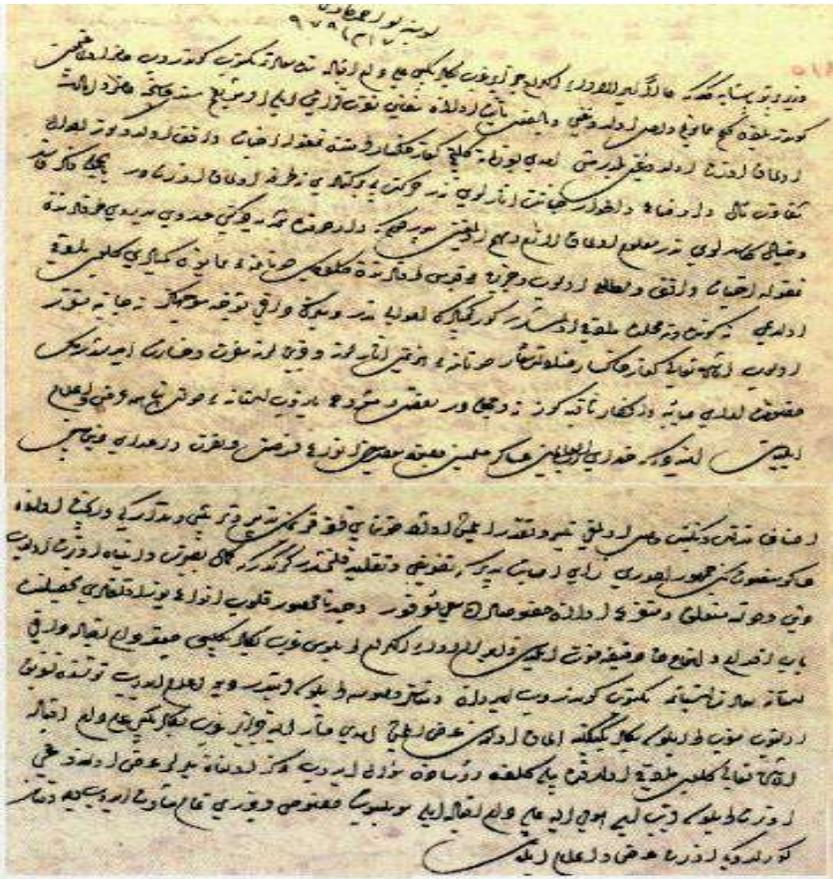
الملحق رقم 01: حكم من السلطان العثماني سليمان القانوني (1564م)، يأمر فيه بكلربكي جزائر المجاهد حسن باشا بتهيئة الأسطول الجزائري من أجل المشاركة في الحملة المزمع شتمها لفتح قلعة مالطا.<sup>(1)</sup>



(1) - فاضل بيات، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، ولاية الجزائر في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، مرجع سابق، ص357.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعية قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأَساق المضمرة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهادهاً

الملحق رقم 02: حكم من السلطان العثماني سليم الثاني (1571م)، يأمر فيه بتعيين برتو باشا قائدا على الحملة العسكرية لفتح قبرص، مع أمر آخر إلى بكليكي جزائر الغرب عرب أحمد بالمشاركة بقواته في الحملة والانضمام إلى القائد<sup>(1)</sup>.



(1) - فاضل بيات، المرجع السابق، ص 358.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعونة قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأتساق المضمرة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده<sup>(1)</sup>

الملحق رقم 03: حكم من السلطان العثماني سليم الثاني (1571م)، أُرسِل إلى الوزير برتو باشا وفيه إشارة لجاهزية أسطول قليج علي باشا للمشاركة في حملة فتح قبرص.<sup>(1)</sup>



(1) - فاضل بيات، المرجع السابق، ص 360.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعونة قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهداً

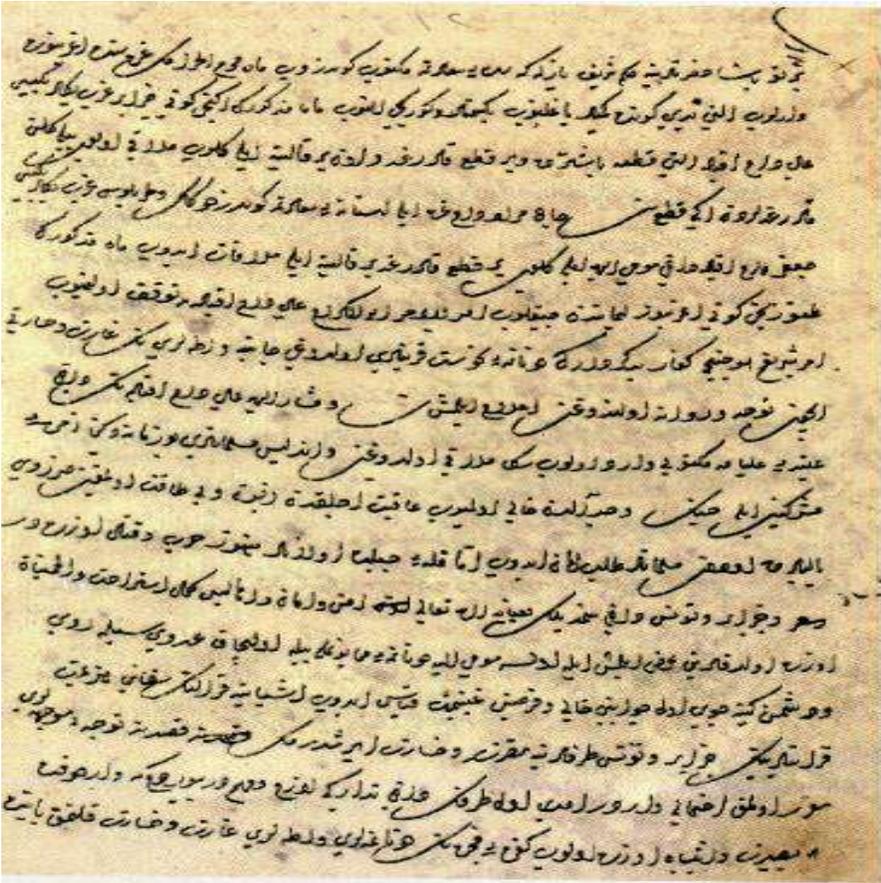
الملحق رقم 04: حكم من السلطان العثماني سليم الثاني (1571م)، أُرسِل إلى الوزير برتو باشا، وفيه إشارة إلى أنّ الوزير قد أرسل رسالة إلى السلطان يخبره فيها أنّه وصل إلى جزيرة آغريبور الكائنة في بحر إيجه، وأنّ قليج علي باشا بكربكي جزائر الغرب قد التحق به مع سفن الولاية وقوّاتها، وقد توجه هذا الأخير إلى أسطول العدو مستهدفاً الإغارة على جزرهم.<sup>(1)</sup>



(1) - فاضل بيات، المرجع السابق، ص 361.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعية قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقد للأنساق المضمرة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

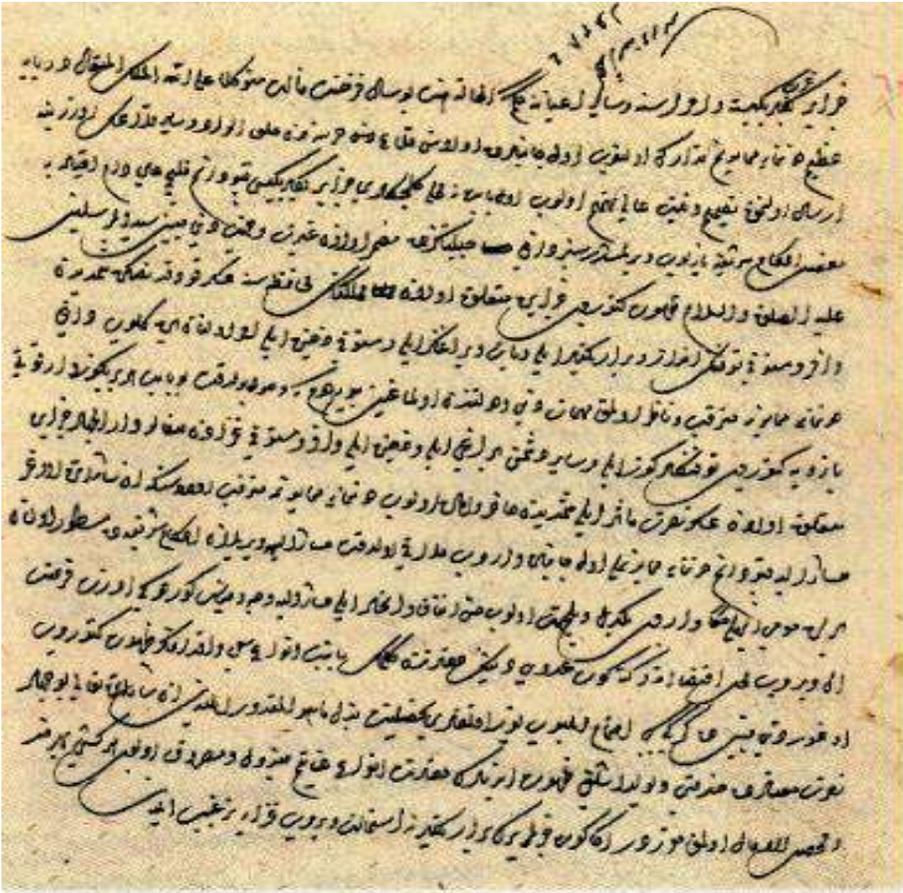
الملحق رقم 05: حكم من السلطان العثماني سليم الثاني (1573م)، يأمر فيه بكلريكي جزائر الغرب عرب أحمد، وبكلريكي طرابلس الغرب بتجهيز أساطيلهم بالمعدات والأسلحة اللازمة، والاستعداد لإرسالها إلى سواحل تونس.<sup>(1)</sup>



(1) - فاضل بيات، المرجع السابق، ص 366.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعونة قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده<sup>(1)</sup>

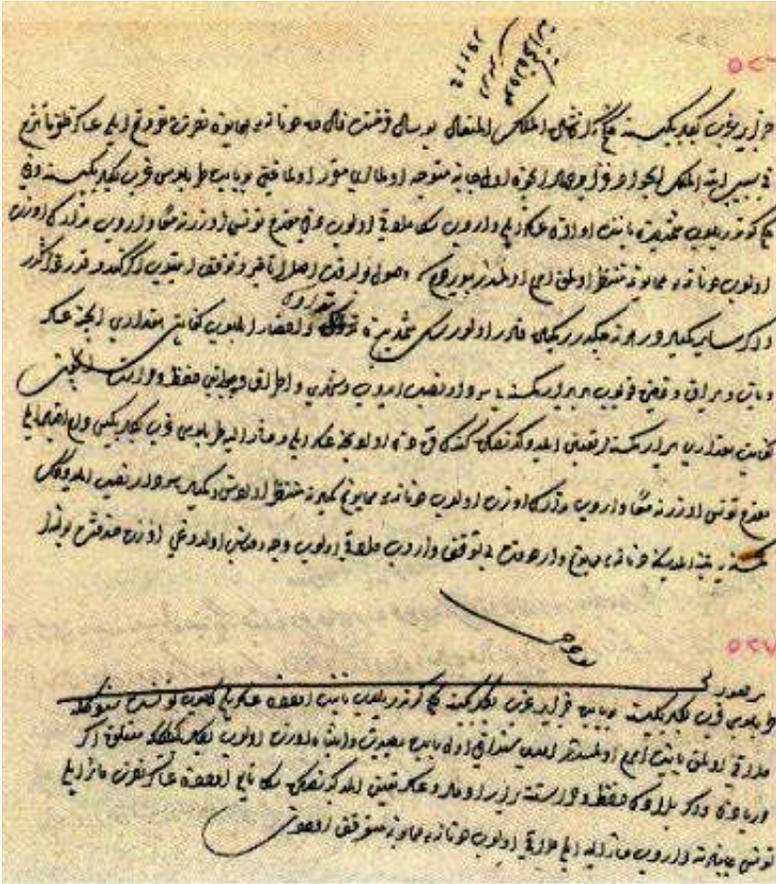
الملحق رقم 06: حكم من السلطان العثماني سليم الثاني (1573م)، يأمر فيه بكركي جزائر الغرب بالتوجه على رأس جنود الولاية إلى تونس عن طريق البر، وأمر إلى بكركي طرابلس الغرب بالتوجه على رأس جنود طرابلس إلى تونس والالتقاء بقوات جزائر الغرب.<sup>(1)</sup>



(1) - فاضل بيات، المرجع السابق، ص 367.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعية قوّات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ لأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التّركية "وقف الديانة التّركي") والوثائق العثمانية استشهاده

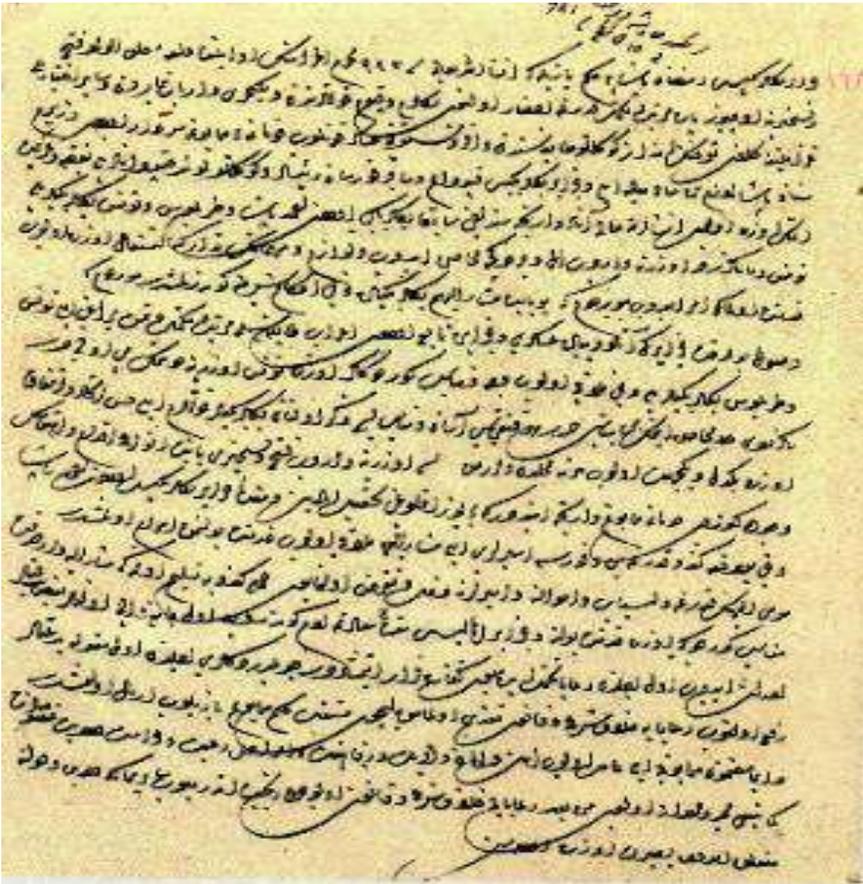
الملحق رقم 07: حكم من السلطان العثماني سليم الثاني (1573م)، يأمر فيه بكربكي جزائر الغرب، والأمراء وغيرهم من أعيان الجزائر بالعمل على حفظ وحراسة البلاد، والأمر بالتحاق القوّات البحرية الجزائرية بالأسطول العثماني من أجل حملة حلق الوادي بتونس.<sup>(1)</sup>



(1) - اضل بيات، المرجع السابق، ص 368.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعية قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأساق المضمرة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهادهاً

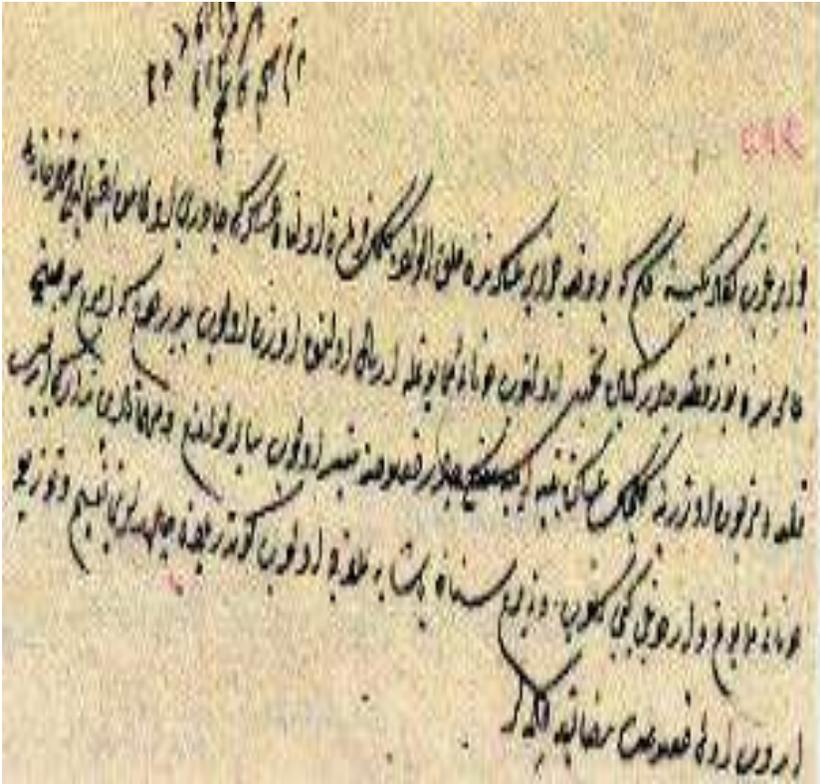
الملحق رقم 08: حكم من السلطان العثماني سليم الثاني (1574م)، يأمر فيه ولاية جزائر الغرب وطرابلس الغرب وتونس للمشاركة مع قواتهم في الحملة التي يقودها سنان باشا لفتح قلعة حلق الوادي بتونس.<sup>(1)</sup>



(1) - فاضل بيات، المرجع السابق، ص 373.

الحملة البحرية الأوروبية على جزائر الغرب، وحملة الفتح العثمانية ضد الأعداء بمعية قوات الجزائر ضمن رصد، تحليل ونقدٍ للأنساق المضمرّة في النصوص الخطابية لموجز دائرة المعارف الإسلامية (الاستشراقية) والموسوعة الإسلامية (باللغة التركية "وقف الديانة التركي") والوثائق العثمانية استشهاده

الملحق رقم 09: حكم من السلطان العثماني سليم الثاني (1574م)، يأمر فيه بكريكي جزائر الغرب قايد رمضان بإرسال ألف قطعة من الخيم إلى الجزائر بغية توزيعها على الجنود المشاركين في حملة سنان باشا على قلعة حلق الوادي بتونس<sup>(1)</sup>



(1) - فاضل بيات، المرجع السابق، ص373.

الحروب البحرية بين الجزائر العثمانية ومملكة الإنجليز "حملة روبرت  
مانسيل وألسير هاري نيل أنموذجا" "دراسة مقارنة"

---

الحروب البحرية بين دولة الجزائر ومملكة إنجلترا  
دراسة مقارنة لحملي روبرت مانسيل وهاري نيل  
The Naval Wars between State of Algiers  
and the Kingdom of England

Robert Mansell's and Sir Harry Neale's as a Model  
Campaigns "A Comparative Study"

ط. د. حمزة حدو / ط. د. رياض بن عراج

Benarradj\_riyad@gmail.com / hamza.haddou@univ-Tlemcem

جامعة تلمسان، أبو بكر بلقايد

---

ملخص :

تكتسي هذه الدراسة في طياتها، أهمية كبيرة كونها تهتم بجزئية مهمة من التاريخ العسكري للجزائر العثمانية، ألا وهما الحملات البحرية الإنجليزية على الإيالة الجزائرية، وفي هذا الجانب اخترنا أنموذجين يتمثلان في حملة روبرت مانسيل، وحملة هاري نيل، من أجل معرفة أوج التشابه والاختلاف، مع تحديد دور هذه الحملات في التأثير على طبيعة العلاقات الدولية، وتبيان الدور الريادي الذي مثلته الجزائر إبان الفترة الحديثة.

كلمات مفتاحية: الجزائر العثمانية ؛ مملكة الإنجليز؛ الحملات البحرية ؛ العلاقات الدولية.

## الحروب البحرية بين الجزائر العثمانية ومملكة الإنجليز "حملة روبرت مانسيل وألسير هاري نيل أنموذجا" "دراسة مقارنة"

---

### **Abstract:**

This study, with its folds, is of great importance as it is concerned with an important part of the military history of Ottoman Algeria, namely, the English naval campaigns against the Algerian regence, and in this aspect we chose two models represented by the campaign of Robert Mansell, and the campaign of Harry, Neal, in order to know the height of similarities and differences, With defining the role of these campaigns in influencing the nature of international relations, and showing the pioneering role that Algeria represented during this period.

**Keywords:** ottoman algeria, the kingdom of the English, naval campaigns, international relations.

## الحروب البحرية بين الجزائر العثمانية ومملكة الإنجليز "حملة روبرت مانسيل وألسير هاري نيل أنموذجا" "دراسة مقارنة"

### مقدمة:

من المعروف أن البحر الأبيض المتوسط على مر التاريخ، ظل ساحة لنزاعات بين عالمين ألا وهما العالم المسيحي والغرب الإسلامي، ونظرا لأهميته يعتبر<sup>(1)</sup> الشريان الرئيسي للتجارة الدولية، ومعبّر أهم السفن التجارية وذلك لتوسطه قارات العالم القديم، هذه المكانة جعلت الدول المطلة على هذا البحر تأثر وتتأثر بما فيه من أحداث. ومع تطور التقنيات الإبحار خاصة في مطلع القرن السادس عشر زادت أهمية هذا المعبر خاصة مع بروز مجموعة من القوى البحرية التي سعت إلى نشر تجارتها في كل أصقاع العالم.

وفي السياق ذاته، أسست الجزائر سلطة سياسية قوية اعتبرت من العمل البحري (الجهاد البحري) من أولويات وأسس هذه الدولة، وأمام هذا الوضع بدا جليا في تضارب المصالح بين الدول وعلى رأسها مملكة الإنجليز وإيالة الجزائر. الذي سيؤدي بدوره إلى قيام مجموعة من الحروب بين الدولتين؛ تباينت في قوتها ومخرجاتها الإقليمية والدولية.

وأمام هذه الظروف سعت كل من القوتين على فرض منطقتها من خلال الحملات والمعارك البحرية وهذا سيكون محور بحثنا، ولعل الهدف من الدراسة هو التعريف بالدور الإستراتيجي الذي مثلته إيالة الجزائر في حوض البحر الأبيض المتوسط وهذا من اختيار نموذجين يتمثلان في الحملة الأولى والحملة الأخيرة الانجليزية على الجزائر.

عليه تكون اشكاليتنا كالتالي:

(1) - بلقاسم قرباش. "الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات ( 1671 / 1830)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، "معسكر: مصطفى الإصطمبولي، 2015. 2016، ص 38.

## الحروب البحرية بين الجزائر العثمانية ومملكة الإنجليز "حملة روبرت مانسيل وألسير هاري نيل أنموذجا" " دراسة مقارنة "

كيف أثرت الحروب البحرية الأنجلو-جزائرية على العلاقات الدولية في البحر المتوسط ؟

ومن جل الإجابة عن الاشكالية قسمنا بحثنا للعناصر التالية:

- عوامل دخول الإنجليز إلى البحر الأبيض المتوسط
- جذور العلاقات الجزائرية الانجليزية
- الصراع البحري الإنجليزي الجزائري

### 1. عوامل دخول مملكة الإنجليز إلى البحر الأبيض المتوسط:

لقد ساهمت العديد من العوامل في دخول الأسطول الانجليزي إلى البحر الأبيض ولعل أبرز هذه الأسباب هي كالتالي:

#### 1.1. الصراع الإسباني الإنجليزي:

كانت الملكة إليزابيث حريصة على استقلال البلاد والميل إلى السلام، ولكن كانت المنافسة التي استمرت بين إسبانيا في أواخر عهد إليزابيث لم تترك منفذا بين البلدين، فبينهما صراع ديني شديد، وصراع على التجارة وامتلاك المستعمرات في أمريكا، وبدأ الاحتكاك بتأييد فيليب الثاني لحقوق الملكة ماري ستيوارت في عرش إنجلترا، ومساهمته في تدمير مؤامرة لاغتيال إليزابيث لتحل ماري محلها<sup>(1)</sup>.

لقد كان العامل الأكبر في قيام تلك الحرب المنافسة الملاحية في البحار والمغامرات التي قام فريق من المغامرين الإنجليز في المناطق التي يعتقد الإسبان

(1) - جلال يحيى. أوروبا في العصور الحديثة. دار الفكر لنشر والتوزيع، 1968، ص 178.

## الحروب البحرية بين الجزائر العثمانية ومملكة الإنجليز "حملة روبرت مانسيل وألسير هاري نيل أنموذجا" " دراسة مقارنة "

أنها احتكار لهم وقد قام الملاحون الإنجليز بتخريب المدن والسفن الإسبانية بأمريكا وسلبها .

كما اتخذت الملكة إليزابيث المذهب البروتستانتي كذهب رسمي ودعمها للهولنديين البروتستانت الخارجين عن سلطة إسبانيا، رأت إسبانيا أنه من الضروري غزو إنجلترا لتخلص من غزواتها أولا وإعادة إنجلترا إلى الكاثوليكية ثانيا، خاصة بعد دعم البابا لهذه الحملة<sup>(1)</sup>.

وفي سنة 1587 م قامت إليزابيث الأولى بإعدام الملكة ماري ملكة اسكتلندا، والتي كانت تدين وعدد كبير من مواطنها بالمذهب الكاثوليكي، وقبل هذا كانت قد وعدت الملكة ماري فليب الثاني بأحقية العرش الاسكتلندي بعد وفاتها مما جعل الملك فيليب الثاني يعطي شرعية لهجومه على إنجلترا.

جهز فيليب الثاني جيشه في 20 مايو 1588م أسطولا ضخما أطلق عليه اسم الأرمادا المكون من 13 سفينة تحت قيادة دوق مدينا سيدونيا، مقابل الأسطول الإنجليزي الذي يتكون من 197 سفينة 34 تابعة لتاج البريطاني وأخرى تابعة للقراصنة الإنجليز والهولنديين<sup>(2)</sup>.

وعلى ضوء عشية المعركة ورفع همم الجنود الإنجليز، أرسلت إليزابيث الأولى رسالة إلى القائد الإنجليزي، جاء فيها: "جعلوا الطغاة يرهبون، وهذا بخضوعكم التام للقائد الإنجليزي، وشجاعتكم في المعركة... سنكون في مدة قصيرة أعظم منتصرين ضد هؤلاء الطغاة، أعداء إلهي، ومملكتي وشعبي.." <sup>(3)</sup>، دارت المعركة

(1) - بروان جفري. تاريخ أوروبا الحديث. ترجمة علي المرزوقي. دار الأهلية لنشر والتوزيع، 2005، ص 199.

(2) - Mattingl, Gerrett. the invincible Armada and Elizabeth England. New york: library comull university press Ithaca, 1963, p03.

(3) - بلقاسم قرياش، المرجع السابق، ص 38.

## الحروب البحرية بين الجزائر العثمانية ومملكة الإنجليز "حملة روبرت مانسيل وألسير هاري نيل أنموذجا" " دراسة مقارنة "

وأخذت السفن الحربية الإنجليزية تقوم بهجمات موفقة على الأسطول الإسباني الضخم فالتجأ إلى الساحل قرب كاليه.

ولما اضطره الإنجليز إلى الخروج ثانية إلى البحر لم تستطع سفن الأرمادا أن تقاوم الإنجليز، وذلك لحنكتهم رغم صغر سفنهم، وبتالي تشتتت الأرمادا الإسبانية وأحرقت العديد من سفنها، التي كانت ضخمة بحيث يصعب عليها المناورة وما نجى من السفن الإسبانية العواصف التي هبت من بحر الشمال والمحيط الأطلسي<sup>(1)</sup>، أصبحت معركة الأرمادا تمثل حدثا هاما في الفلكلور الإنجليزي، بحيث منحتم دافعا قويا للولوج إلى البحر المتوسط كطرف مؤثر به، وأكثر من هذا توحيد جزرها وأراضيها تحت راية واحدة، والتأسيس لإمبراطورية دامت 400 سنة، لا تختلف عن تلك التي أسسها الرومان<sup>(2)</sup>.

### 2.1. العامل التجاري:

شهدت فترة العصور الوسطى سيطرت الإمارات الإيطالية على التجارة العالمية، خاصة تلك القادمة من المشرق والدول الإسلامية وبلاد الشام، ونظرا لموقع إنجلترا البعيد نسبيا عن القارة الأوروبية كانت هذه الإمارات بمثابة الوسيط بين السلع القادمة من المشرق والتجار الإنجليز.

أدرت هذه التجارة أموال طائلة خاصة على تجار البندقية وقد شملت العديد من المواد نذكر منها: الزنجبيل، القرفة، الفلفل، القرنفل، جوز الطيب، الخشب الأحمر، الصبار الثمر، السكر، البرقوق بالإضافة إلى منتجات أخرى مثل الحرير، القطن، الزجاج.

(1) - لبطريق عبد الحميد. التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا. بيروت: دار النهضة العربية، دت، ص198.

(2) - نجاة سليم محمود محاسيس. معجم المعارك البحرية. 1. دار زهران للنشر والتوزيع، 2011، ص36.

## الحروب البحرية بين الجزائر العثمانية ومملكة الإنجليز "حملة روبرت مانسيل وألسير هاري نيل أنموذجا" "دراسة مقارنة"

لقد أدت العديد من الأسباب إلى كساد هذه التجارة بين كل من البندقية وإنجلترا، ونذكر منها السياسة التجارية للملك هنري السابع، خاصة فيما يتعلق بتجارة النبيذ حيث ألح على حق التجار الإنجليز الحصول عليه من المصدر من دون الرجوع إلى وساطة البندقية، التي أصرت على ضرورة احتكار التجارة الخاصة بهذه المواد مع الزيادة في التعريف الجبائية إلى 4 دوكات و14<sup>(1)</sup>.

وأمام هذا التعنت أصدر الملك الإنجليزي قانون بفرض ضرائب على كل السلع القادمة من البندقية من أجل تفويض العظمة التجارية للبندقية، وقد سجل أنه في الفترة الممتدة من 1509م إلى 1518م لم يأتي أي أسطول من البندقية إلى الأراضي الإنجليزية، ومن جهة أخرى شجع الملك التجار المحليين من أجل دخول المتوسط والحصول على المنتجات بأقل الأسعار.

وللحقيقة والتاريخ، كانت أول الرحلات التجارية إلى كل من إسبانيا وجزيرة صقلية ناجحة، واستطاع الإنجليز الحصول على أهم المنتجات بأسعار أقل من الأول، مما دفعهم إلى التطلع أكثر حيث نظموا رحلات إلى كل من بلاد الشام وجزيرة رودس وقد واجهتهم العديد من الصعاب أهمها القرصنة المنشرة في البحر المتوسط في هذه الفترة.

ومع النتائج الجيدة التي حققتها هذه الرحلات من أرباح طائلة، كانت بمثابة حافز لتجار من أجل تطوير سفنهم التي سوف تجوب المتوسط، بالإضافة إلى روح المغامرة التي كانت منتشرة في إنجلترا في النصف الثاني من القرن السادس عشر، من دون أن ننسى الرحلات الفردية التي قام بها التجار من أجل الحصول على رخصات من السلطان العثماني، والتي كان أولها التاجر جينكينسون في

(1) - EPSTEIN, M. THE EARLY HISTORY OF THE LEVANT COMPANY . London, 1908, pp 01-06.

## الحروب البحرية بين الجزائر العثمانية ومملكة الإنجليز "حملة روبرت مانسيل وألسير هاري نيل أنموذجا" "دراسة مقارنة"

سنة 1553 م الذي نال رخصة لتجارة في حلب من قبل السلطان سليمان القانوني. إذ تواصلت هذه المساعي إلى غاية 1575 م مع وصول التاجر وييليام هاربون إلى عقد اتفاق مع السلطان العثماني وأصبحت فيها حقوق إنجلترا متساوية مع الدول الأخرى فرنسا والبنديقية .

إن المشاكل بين البنديقية والإنجليز كانت بمثابة الحافز الذي شجع التجار الإنجليز على الدخول في غمار المتوسط والبحث عن المواد من مصادرها الأولى وبأقل الأسعار ونظرا لسيطرة العثمانية على الضفة الجنوبية للمتوسط كان لزاما على الإنجليز عقد معاهدات من أجل تأمين سفنها التجارية لتصبح بالتدريج الدول التجارية الأولى في العالم<sup>(1)</sup> .

### 2. جذور العلاقات الجزائرية الانجليزية:

إن الدراسات التي شملت العلاقات بين إيالة الجزائر وإنجلترا في الفترة الحديثة تُرجع أن أول اتصال كان في البداية بصفة غير مباشرة وهذا يعود إلى حملة شارلكان على الجزائر 1541. التي ضمت في تعدادها حتى الانجليز منهم السير هنري كنيفيت سفير هنري<sup>(2)</sup> . الثامن إلى الإمبراطور وصديقه السير توماس تشالونر Sir Thomas Chaloner وهنري كنولز وهنري إيشام وبعض التجار المغامرين لكن من كتب عن الجزائر منهم هو توماس تشالونر وقد عنونت رحلته ب: "رحلة السير توماس إلى الجزائر مع شارلكان 1541"<sup>(3)</sup> .

(1) - CORBETT, JULIAN. ENGLAND IN THE MEDITERRANEAN A STUDY OF THE RISE AND INFLUENCE OF BRITISH POWER WITHIN THE STRAITS 1603-1713. london: PATERNOSTER ROW, 1917, pp 02-12.

(2) - Hakluts, Richard. «The principal navigation, voyages, traffiques, and discouveirs, of the english nation, made by sea or over land .» south and south east parts of the word, 1810: 210.

(3) - Ibid, p 210.

## الحروب البحرية بين الجزائر العثمانية ومملكة الإنجليز "حملة روبرت مانسيل وألسير هاري نيل أنموذجا" "دراسة مقارنة"

بعد تأسيس الانجليز شركة المشرق للتجارة سنة 1581 م، وفي ظل التهديدات الجزائرية للسفن الانجليزية اجتمع كل تجار انجلترا وفوضوا جون تيبتون ليكون وكيلًا تجاريًا في إيالة، وكان هذا المنصب تجاريًا أكثر منه سياسي، لأن تيبتون عمل على تسيير التجارة وحمايتها بكل الطرق المتاحة له كما تظهر ميزة اختيار الممثلين الدبلوماسيين من الوسط التجاري وهذا للحرص على المصالح التجارية<sup>(1)</sup>.

وفي سنة 1583 م عين تيبتون كقنصل رسمي لإنجلترا في إيالة الجزائر، وهو أول ممثل رسمي للمملكة، والظاهر من السرعة هذا التنصيب هو مصالح الملكة إليزابيث إضافة إلى الإستراتيجية الإنجليزية في البحر المتوسط وهدف جعل إيالات المغرب قاعدة توقف، تم التركيز على اختيار الممثلين الدبلوماسيين من الوسط التجاري ليكونوا أكثر حرصًا على المصالح التجارية، ولتسهيل مهام التجار الإنجليز إذا ما حطوا بالجزائر وهو ما وجدناه في مذكرات أحد التجار الإنجليز وهو لورانس ألدرسي Lawrence Aldersey الذي جعل من الجزائر محطة عبور: "أقامت عند تيبتون قنصل الأمة الإنجليزية الذي عاملني بكل حفاوة وترحاب وعلى حسابه الخاص، كما اصطحبني إلى بلاط الملك لأتمكن من معرفة عادات القصر"<sup>(2)</sup>.

(1) - لبليل رحمونة. القناصل والقنصليات الأجنبية في الجزائر العثمانية من 1564 إلى 1830، أطروحة دكتوراه. جامعة وهران، 2011، ص 31.

(2) - قاري ياسر بن عبد العزيز. دور الإمتيازات الأجنبية في سقوط الدولة العثمانية، أطروحة دكتوراه. جامعة أم القرى، 2001، ص 271.

## الحروب البحرية بين الجزائر العثمانية ومملكة الإنجليز "حملة روبرت مانسيل وألسير هاري نيل أنموذجا" "دراسة مقارنة"

### 3. الصراع البحري الجزائري الانجليزي.

#### 1.3. حملة اللورد روبرت مانسيل:

شكلت بداية القرن 17 م فترة محورية في تاريخ إيالة الجزائر بسبب الأحداث الواقعة فيها والتي سوف تؤثر على علاقتها بالأمم والممالك الأوروبية التي سوف تعتمد على سياسة الحملات البحرية ومحاولة عقد معاهدات وذلك باستعمال القوة.

كما تعتبر بعض التقديرات أن رياس البحر الجزائريين استولوا ما بين 1613/1621م على حوالي 936 قطعة بحرية 447 قطعة هولندية، 192 فرنسية، 120 إسبانية، 56 تابعة للإمارات الألمانية، 56 إنجليزية، وكان في هذه القطع البحرية عدد كبير من الأفراد الذين سيقوا إلى سوق العبيد، مما جعل السياسة الإنجليزية نحو الجزائر تختلف وتعزم القيام بأول عمل بحري إنجليزي عليها يمكننا أن نقسم هذه الحملة إلى قسمين<sup>(1)</sup>.

#### 2.3. حملة روبرت مانسيل الأولى:

لقد غادر الأسطول مرفأ بليموث في 12 أكتوبر 1620م ووصل إلى مضيق جبل طارق في 29 أكتوبر، حيث التقى بسفينتين إسبانيتين ليكمل الأسطول مسيرته إلى أليكانت، وقد حاول الإنجليز التوقف في إسبانيا من أجل إقناعها في المشاركة في الحملة من أجل التصدي لهجمات الجزائريين التي أثرت في كل منهما<sup>(2)</sup>.

<sup>(1)</sup> - صالح عباد. الجزائر خلال الحكم التركي. دار الأملعة لنشر والتوزيع، 2013، ص 114.

<sup>(2)</sup> - Hood, Robert; C. Stuart Housto (1994). *To the Arctic by Canoe, 1819-1821: The Journal and Paintings of Robert Hood, Midshipman with Franklin*. McGill-Queen's Press. p. 16

## الحروب البحرية بين الجزائر العثمانية ومملكة الإنجليز "حملة روبرت مانسيل وألسير هاري نيل أنموذجا" "دراسة مقارنة"

وفي الوقت ذاته، خصص الإسبان مرفأ خاص بالسفن الإنجليزية من أجل التوقف و التزود بالمؤن وإصلاح العتاد الحربي، لقد أهل الموقع الإستراتيجي لإسبانيا لتكون المكان الأفضل لتوقف السفن الإنجليزية وذلك لقربها من بلاد المغرب عامة والجزائر خاصة، يعتبر أسطول روبرت مانسيل أول قوة بحرية إنجليزية دخلت المتوسط على الأقل منذ الحروب الصليبية وقد ضم الأسطول السفن التالية<sup>(1)</sup>:

اسم السفينة	القائد	الحمولة	عدد الجنود	عدد الأسلحة
Lion الأسد	روبرت مانسيل	600 طنا	250 جندي	40 بندقية نحاسية
Vanguard	ريتشارد هوكينز	660 طنا	250 جندي	40 بندقية نحاسية
Rainbow قوس قزح	توماس باتون	660 طنا	250 جندي	40 بندقية نحاسية
Confant reformatio الإصلاح المستمر	آرثر مينوارينج	660 طنا	250 جندي	40 بندقية نحاسية
Antelope الظبي	هنري بالمر	400 طنا	160 جندي	34 بندقية نحاسية
Convertin	توماس لوي لووف	500 طنا	220 جندي	36 بندقية نحاسية

(1) - جون وولف. الجزائر وأوروبا 1500-1830. ترجمة أبو القاسم سعد الله. عالم المعرفة ، 2009، ص 252.

## الحروب البحرية بين الجزائر العثمانية ومملكة الإنجليز "حملة روبرت مانسيل وألسير هاري نيل أنموذجا" "دراسة مقارنة"

Mercury ذروة الزئبق	فينياس بيت	240 طنا	65 جندي	20 بندقية
Spy الجاسوس	إدوارد غيليز	160 طنا	55 جندي	18 بندقية
12 سفينة تجارية		2790 طنا	1170 جندي	243 بندقية
المجموع		6670	2670	(.morgan 511s.d.)

والملاحظ من هذا الجدول هو العدد الكبير من السفن المستعملة في هذه الحملة سواء كانت سفن حربية أو تجارية بالإضافة إلى الجنود والتسليح الجيد، أعطتها صفتها الرسمية والتي كانت مدعومة من الملك الإنجليزي، وقد كانت الشركة التركية هي الممول الأساسي لهذه الحملة حيث يذكر بلايفر أنها ساهمت بأكثر من 20000 جنيه إسترليني .

وزيادة على هذا، انطلق الأسطول نحو المدينة ليرسوا في 27 نوفمبر قبالة مدينة الجزائر وهذا نتيجة الرياح القوية التي لم تتح للأدميرال أن يرسل زوارق نحو الشاطئ، وفي 28 من نفس الشهر أرسل الكابتن سكيبي مع علم أبيض ليُبين لنائب الباشا سبب وصول الأسطول الإنجليزي، وفي اليوم الموالي أرسل الكابتن سكيبي مرة أخرى إلى الباشا ليعلمه سبب قدوم الحملة، وفي 1 ديسمبر جاء الكابتن روبرت مع تعليمات باسم الملك جيمس الأول تتضمن التالي<sup>(1)</sup>:

- إعادة 150 سفينة أخذها الجزائريون في السنوات الأخيرة.
- إخضاع القراصنة المتواجدين في الجزائر إلى العدالة.
- تسليم جميع السفن الإنجليزية المتواجدة في الميناء مع شحناتها.

<sup>(1)</sup> - Hood, Robert; C. Stuart Housto, op. cit.

## الحروب البحرية بين الجزائر العثمانية ومملكة الإنجليز "حملة روبرت مانسيل وألسير هاري نيل أنموذجا" "دراسة مقارنة"

- إرجاع كل العبيد المتواجدين على أرض الجزائر مع الأسطول الإنجليزي<sup>(1)</sup>.  
(Playfair 1884)

لقد قابل الباشا هذه المطالب بقوله أن أغلب السفن الإنجليزية قد غرقت، وأن الإنجليز قد اعتدوا على سفينة حجاج جزائريين وبيعوا في مالطا، مع هذا أصر الباشا على تعيين قنصل إنجليزي في الجزائر من أجل تسيير العلاقات بين البلدين. ((Playfer 1878<sup>2</sup>)).

وفي 03 ديسمبر من نفس السنة وصل الأسطول الإسباني مكون من 06 قطع بحرية أطلقت قذائفها على مدينة الجزائر لكن لم تأتي بأي خسائر ولم يرد الأسطول الإنجليزي التعاون معه<sup>(3)</sup>. لقد عُين ريتشارد فورد قنصلا جديدا لإنجلترا وقد تمكن الإنجليز من استرجاع 40 من الأسرى ليُبحر الأسطول الإنجليزي في 8 ديسمبر عائدا إلى جزيرة مايوركا<sup>(4)</sup>.

ومما نريد توضيحه للقارئ من خلال أندرستنا لهذه الحملة، هو رغبة الإنجليز في استعمال الوسائل الدبلوماسية والحوار مع سلطة مدينة الجزائر، رغم الذخائر الكبيرة التي زود بها الأسطول. أما الجانب الجزائري فقد عُرف بالجرأة واللامبالاة بالقوة الراسية أمام المدينة، والتعنت في القرارات وعدم الانصياع والرضوخ لكل الضغوطات الإنجليزية، وعموما كانت هذه الحملة فاشلة لم تحقق أي من الأهداف المسطر لها، حيث ستكون لها تبعات في باقي الأحداث.

(1) - Playfair Robert, op. cit.

(2) - Playfer, Robert, op. cit.

(3) - Playfair Robert, op. cit, p 39.

(4) - Hood, Robert; C. Stuart Housto, op. cit., p16

## الحروب البحرية بين الجزائر العثمانية ومملكة الإنجليز "حملة روبرت مانسيل وألسير هاري نيل أنموذجا" "دراسة مقارنة"

### 3.3. حملة روبرت مانسيل الثانية على الجزائر 21 ماي 1621 م:

بعد انسحاب الأسطول الإنجليزي نحو مايوركا، اقتصر نشاطها على حماية السفن التجارية الإنجليزية ومراقبة حركة السفن في الحوض الغربي للمتوسط، وفي ظل هذه الظروف ظهر أسطول هولندي، طلب من مانسيل التعاون ولكن قوبل طلبه بالرفض<sup>(1)</sup>.

بقي الوضع على حاله إلى غاية أن قرر المجلس الحرب في شهر ماي والعودة إلى الجزائر، فقد أقر الأسطول الإنجليزي بوجوب إعادة الكرة ولكن بشكل مغاير عن الأولى، فبعد أن حطت السفن قرب مدينة الجزائر، أمر الأدميرال بقصف السفن وتدميرها عن طريق حرقها لكن الفرصة لم تكن مواتية وفي ليلة 24 قام الإنجليز بحرق بعض السفن لكن الرياح فرقت النار.<sup>(2)</sup>

ومع سوء أحوال الطقس وانتشار مرض الزُحال داخل قواته، وافتقار الأسطول لأدوات الحصار الطويل، قرر مانسيل العودة إلى إنجلترا مع فشله في تحقيق مهمته وهي القضاء على نشاط الجزائريين في غرب المتوسط، فقد منيت مهمته بفشل ذريع (Playfer, Espoide d histoire des relations de grande-bretagne avec Les etats Barbaresques 1878)<sup>(3)</sup>، ومما سبق يمكننا إرجاع أسباب فشل هذه الحملة إلى العوامل التالية:

- ضعف الخزينة الإنجليزية والتي يمكنها تدعيم عمليات بحرية طويلة المدى.

(1) - محمد الأمين بوحلوفة. إيالة الجزائر العثمانية ومملكة إنجلترا دراسة في العلاقات السياسية والإقتصادية والإجتماعية من 1620م إلى 1827 ، أطروحة دكتوراه. وهران: جامعة أحمد بن بلة، 2019، ص 100.

(2) -Hood, Robert; C. Stuart Housto, op. cit., p18

(3) - Playfer, Robert, op. cit,

## الحروب البحرية بين الجزائر العثمانية ومملكة الإنجليز "حملة روبرت مانسيل وألسير هاري نيل أنموذجا" "دراسة مقارنة"

- مشاكل التي كانت داخل العرش الإنجليزي.
- بُعد المسافة بين الجزائر وإنجلترا.
- حرب الثلاثين عاما والتي كانت تدور في أوروبا.
- غياب التخطيط ووسائل الحرب المستعملة في الحصار البحري<sup>(1)</sup>.

### 4.3. حملة هاري نيل:

بعد حملة اللورد إكسماوث دمرت تحصينات الجزائر وقوتها البحرية نتيجة لذلك وبعد استفادتها من مساعدات من الباب العالي والدول الإسلامية، خرجت الجزائر من محنتها وتمكنت من بناء ما تهدم من منازل ومساجد ومحلات وأبراج وتمكنت من تجديد أسطولها البحري الذي عاد ليجوب البحار كما كان من قبل. منذ شهر سبتمبر 1817 م بدأ الأسطول الجزائري بشن غاراته على السفن الأوروبية، حيث تمكن من تسجيل عدة غنائم على سفن كل من بروسيا، وهولندا، وهامبورج وإنجلترا<sup>(2)</sup>.

إن تتبع كرونولوجيا الأحداث التي أدت بالقيام بهذه الحملة يرجعنا إلى منطقة القبائل التي شهدت ثورة عامة في أواخر 1823 م، أدت إلى اختطاف المفتي الحنفي المقيم في المنطقة<sup>(3)</sup>.

بالإضافة إلى ذلك وفي شهر أكتوبر 1824 م هاجم سكان بجاية على سفينة أمريكية إلتجأت إلى الساحل تجنباً لعاصفة بحرية هوجاء، فنهب سكان المنطقة ما بالسفينة وقتلوا البعض من ركبها، ولما كانت علاقة الجزائر مع

(1) - محمد الأمين بوحلوفة. إيالة الجزائر العثمانية ومملكة إنجلترا دراسة في العلاقات السياسية والإقتصادية والإجتماعية من 1620م إلى 1827 ، أطروحة دكتوراه. وهران: جامعة أحمد بن بلة، 2019، ص 101.

(2) - حنيفي هلايلي. العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية إيالة 1815م-1830. 1. دار الهدى، 2007، ص 32

(3) - Playfair Robert, op. cit, p 288.

## الحروب البحرية بين الجزائر العثمانية ومملكة الإنجليز "حملة روبرت مانسيل وألسير هاري نيل أنموذجا" " دراسة مقارنة "

الولايات المتحدة الأمريكية علاقات حسنة بمقتضى المعاهدة التي أبرمتها معها سنة 1815 م، فإن ما تعرضت له السفينة يعتبر منافي للعلاقات الودية التي تجمع الطرفين ولذلك لما علم الداى حسين بالحادثة أمر بالقبض على أبناء تلك المنطقة الموجودين بمدينة الجزائر وسجنهم حتى يطلقوا سراح الأمريكيين ويعيدوا ما نهبوه.<sup>(1)</sup>

أرسل الداى رسالة إلى جميع القناصل يطلب منهم تسليم جميع القبائل الذين يخدمونهم، حتى يتم معاملتهم كمتمردين ورهائن، وقد رد القنصل الإنجليزى على ذلك بأنه لا يستطيع تسليمه القبائل لأن ذلك يخالف الأعراف الدبلوماسية والضيافة المقدسة وهي حقوق تحمي الإنسان من القمع والعنف.<sup>(2)</sup>

مما جعل الداى حسين يعتبره بمثابة تدخل لشؤون الداخلية للجزائر، فبعث في 25 أكتوبر من نفس السنة فرقة من حرسه إلى بيت القنصل، ولما رفض هذا الأخير مرة ثانية اضطر الحرس إلى اقتحام القنصلية وأخذهم عنوة،<sup>(3)</sup> وردا على ذلك كتب القنصل الإنجليزى ماك دونيل إلى مالطا يرفع شكواه ضد تدخلات الداى في شؤون القنصلية الانجليزية (الزهار 1974)<sup>(4)</sup>، وبالتوازي مع ذلك دعا أيضا لاجتماع كل قناصل الدول الأوروبية في بيته في 2 ديسمبر 1823 م ورفعوا مذكرة احتجاج عن التدخل الغير قانوني في عملهم، وقد قوبلت تلك المذكرة بالرفض من مبدأ الجزائر حرة في تصرفاتها الداخلية.<sup>(5)</sup>

(1) - أحمد الشرف الزهار. مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار 1754م - 1830، تج أحمد توفيق المدني .

الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974، ص 151.

(2) - وليام شالر. مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816م- 1824. ترجمة إسماعيل عربي. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982، ص

(3) - Playfair Robert, op. cit, P 288.

(4) - أحمد الشرف الزهار، مرجع سابق.

(5) - حنيفي هلايلي، ص 33.

## الحروب البحرية بين الجزائر العثمانية ومملكة الإنجليز "حملة روبرت مانسيل وألسير هاري نيل أنموذجا" "دراسة مقارنة"

ومع حلول شهر جانفي من سنة 1824 م وصل القنصل الإنجليزي إلى ما كان يصبوا إليه، إذ ألقى الجزائريون القبض على سفينة إسبانية في 24 جانفي 1824 م، فرأى القنصل الإنجليزي ماك دونيل أنه من حقه التدخل في الأمر، كأن إسبانيا كانت تحت حماية أو رعاية إنجلترا فبعث بترجمان إلى القنصلية إلى الداوي حسين يحتج على ما قام به بحارة الجزائر إزاء السفينة الإسبانية واعتبر ذلك خرقا لبنود معاهدة 1816 م غير أن الداوي لم يصغي لاحتجاجاته واخبره أنه غير مقيد بالمعاهد الإنجليزية الجزائرية التي لا تتجاوز صلاحيتها الثلاث سنوات<sup>(1)</sup>.

وفي هذه الظروف وصلت الفرقاطة الإنجليزية نايد Naiad بقيادة الضابط سبنسر في 28 جانفي 1824 م، حيث حاول تجديد معاهدة 1816 م مع إضافة بنود جديدة لها، وقد رفض الداوي المصادقة عليها، لأن الإنجليز ليس لهم دخل في القضية الأولى المتعلقة بخدم القنصلية لأنها أمر داخلي يخص الجزائر فقط، والقضية الثانية المتعلقة بالسفينة الإسبانية فهي تندرج ضمن العلاقات الجزائرية الإسبانية وحلها يكون مع الدولتين المعنيتين<sup>(2)</sup>، مما جعل القنصل يأخذ عائلته ويمتطي البارجة تاركا شؤون القنصلية لوليام شالر القنصل الأمريكي في الجزائر<sup>(3)</sup>.

وبعد رفض الداوي المصادقة على البنود الإضافية لمعاهدة 1816 م، رفض التفاوض مع ماك دونيل وسحب إعماده كقنصل للإنجليز بالجزائر<sup>(4)</sup>، على

(1) - زهرة زكية. التنافس الفرنسي الإنجليزي على الجزائر وموقف الباب العالي منه 1792م إلى 1830م. دار القافلة

لنشر والتوزيع، 2016، ص 192.

(2) - وليام شالر، مرجع سابق، ص 202.

(3) - محمد الأمين بوحلوفة، مرجع سابق، ص 225.

(4) - أحمد الشرف الزهار، مرجع سابق، ص 152.

## الحروب البحرية بين الجزائر العثمانية ومملكة الإنجليز "حملة روبرت مانسيل وألسير هاري نيل أنموذجا" " دراسة مقارنة "

إثر ذلك بادر الإنجليز إلى فرض حصار بحري على الجزائر بغية الضغط على الداي من أجل رأيه والمصادقة على المعاهدة<sup>(1)</sup>، فبدأ الإنجليز بمطاردة السفن الجزائرية حيث تعرضت مركبة جهادية تحت قيادة الرئيس قدور باصون لمضايقتهم وذلك على بعد 9 أميال من الساحل الجزائري، وقد اعتدوا على سفن تجارية ومدنية جزائرية منها سفينة خاصة بالحجاج ذهبوا بها إلى مالطا ولم يفرجوا عنها إلا بعد إتمام الصلح مع الجزائر<sup>(2)</sup>.

وفي هذا الظرف ولتجنب الوقوع في أخطاء حملة إكسماوث اجتمع الداي حسين بالديوان وأمر بتشديد الحراسة في الحصون، وأن تحصن المدينة وقلاعها<sup>(3)</sup>، مع وضع السفن في المخابئ وكذا سائر الوسائل الحربية الموجودة في الميناء حتى لا تتعرض لتلف وكذلك طلب المعونة من الباب العالي من أجل تسهيل مهمة خليل أفندي وكيل الجزائر المقيم في أزمير لغرض تجنيد الإنكشارية من أزمير وضواحيها وإرسال الجند عن طريق تونس وطرابلس<sup>(4)</sup>.

أعلن الإنجليز حالة الحرب على الجزائر وأبلغ الداي بقرارها عن طريق نائب الأدميرال هاري نيل الذي وصل إلى الجزائر في 22 فيفري 1824 م، على متن البارجة رجنت رفقة البارجة نياد وكانت جملة المطالب المعروضة على الداي تختصر في التالي:

- أن توقع المعاهدة بإقامة الصيف للقنصل الإنجليزي.

- أن يرفع العلم الإنجليزي على المنزلين.

(1) - زهرة زكية، مرجع سابق، ص 193.

(2) - أحمد الشرف الزهار، ص 152.

(3) - نفسه، ص 153.

(4) - زهرة زكية، مرجع سابق، ص 193.

## الحروب البحرية بين الجزائر العثمانية ومملكة الإنجليز "حملة روبرت مانسيل وألسير هاري نيل أنموذجا" " دراسة مقارنة "

- أن يعترف بالقنصل الإنجليزي كأول القناصل المسيحيين.
  - أن يتمتع بكافة الامتيازات التي يخولها له هذا الاسم والمرتبة<sup>(1)</sup>.
  - ألا يعرقل حين يريد الرحيل أو البقاء في الجزائر.
  - أن تعفوا الجزائر عن كل الأفراد الذين يعملون عند القنصل.
  - أن تمضي المعاهدة مع القنصل ماك دونيل<sup>(2)</sup>.
- عندما نتتبع سير الأحداث نلاحظ أنها تتخذ منحى معقد غير قابل للحل<sup>(3)</sup>، ففي 28 مارس طلب هاري نيل أن يجري مقابلة مع الداوي والداوي يقبل كل الشروط إلا عودة القنصل، وفي 29 مارس الأدميرال يغادر الميناء ويعلم الداوي أن رفض عودة القنصل إهانة للإنجليز، في 30 مارس الداوي يبعث برسالة مفادها أنه ينوي السلم ويقبل كل الشروط ماعدا عودة القنصل وفي فترة ما بين شهري أفريل إلى ماي بقي الأسطول محاصرا للجزائر وكثف من متابعته لسفن الجزائرية<sup>(4)</sup>.

بعد وصول المدد أصبح تعداد الأسطول الإنجليزي تحت قيادة هاري نيل 23 قطعة ثم شرع في محاولة قصف مدينة الجزائر وذلك في 12 جويلية لكن اليوم الأول لم يسفر عن أي شيء، وقد حاول قصف المدينة في 3 مرات<sup>(5)</sup>، إذ حاول نيل استعمال حيلة إكسماوث حيث في 24 جويلية رفع راية بيضاء

(1) - محمد العربي الزبيري، مرجع سابق، ص 128.

(2) - نفسه، ص 129.

(3) - أحمد الأمين بوحلوفة، مرجع سابق، ص 227.

(4) - Berbrugger. «Sir Harry Neal et Guerre de 1824 entre Alger et l'Angleterre.» revue africaine, 1864,

P 204

(5) - Ibid, p 213.

## الحروب البحرية بين الجزائر العثمانية ومملكة الإنجليز "حملة روبرت مانسيل وألسير هاري نيل أنموذجا" "دراسة مقارنة"

على سفينته وحاول الاقتراب من الميناء، غير أن الجزائريين تفتنوا لحيلته، فبمجرد الاقتراب من الميناء أطلق عليه المدافع من جميع الحصون والأبراج مما اضطره إلى رفع الرايات البيضاء على كل السفن الإنجليزية ودخول في مفاوضات جديدة من أجل تجديد السلام بين الدولتين<sup>(1)</sup>.

على إثر نتائج هذه الهزيمة بعث هاري نيل مبعوثا إلى الداوي حسين، يطلب منه إبرام الصلح حيث اكتفى بالمطالب الثلاثة الأولى ولم يتشبهت بالمطلب السابع المتعلق بالقنصل ماك دونيل، وقد أفضى هذا الإتفاق إلى تعيين قنصل إنجليزي جديد هو "قرانيت" Granet وهذا لإمضاء المعاهدة<sup>(2)</sup>.

لقد كان قانون الحروب على مر التاريخ ينص على أن المنتصر هو من يملئ شروطه على المهزم فإن الداوي حسين أملى شروطه على هاري نيل وأخبره بأن بلاده سوف تعامل كباقي الدول الأخرى وعليها أن تدفع الهدايا كباقي الدول<sup>(3)</sup>، وبذلك قدم القنصل الجديد هدية لداوي تمثلت في بندقيتين صغيرتين مرصعتين بالذهب والأحجار الكريمة، وساعة من ذهب مرصعة كذلك بالأحجار الكريمة وصندوق صغير مرصع هو الآخر وقد بلغت قيمة هذه الهدايا مائة ألف دورو حسب رواية الزهار<sup>(4)</sup>.

وهكذا انتهت حلقة من حلقات العلاقات الجزائرية الإنجليزية المتوترة، فكانت محاولة هاري نيل آخر المحاولات الإنجليزية في استعمال القوى ضد

(1) - أحمد الشرف الزهار، مرجع سابق، ص 153.

(2) - Berbrugger, op. cit, p p 216-217.

(3) - زهرة زكية، مرجع سابق، ص 202.

(4) - أحمد الشرف الزهار، مرجع سابق، ص 154.

## الحروب البحرية بين الجزائر العثمانية ومملكة الإنجليز "حملة روبرت مانسيل وألسير هاري نيل أنموذجا" "دراسة مقارنة"

الجزائر، بعدها سوف يتوارى الإنجليز ويتولى الفرنسيون تنفيذ المقررات الأوروبية.

### 4. مقارنة بين الحملتين:

#### 1.4. سياسيا:

كانت الحملة الأولى سنة 1621م وهو ما يتوافق معه فترة حساسة في التاريخ الأوروبي، وهو ما يعرف بحرب 30 عاما، التي عصفت بأوروبا كلها، مما جعل القوى الأوروبية ومنها إنجلترا تعاني من اختلاف في الرثا والمواقف خاصة في التعامل مع القوى البحرية في البحر المتوسط فكانت كل دولة تعمل على انفراد من أجل ضمان مصالحها<sup>(1)</sup>.

سعى الإنجليز جاهدين في إيجاد حلفاء من أجل دعم الحملة نظرا لبعده المسافة بين السواحل الانجليزية والجزائرية، وعليه كانت اسبانيا الخيار الأنسب نظرا لمجموعة من الاعتبارات أهمها القرب الجغرافي للجزائر وكونها العدو الأول للدولة الجزائرية والأكثر تضررا من جراء العمل البحري الجزائري.

لم يكن الدعم الاسباني كبيرا فقد تمثل في سفينين مهمتهما الأولى هي إرشاد الأسطول الانجليزي وتقديم معلومات كافية عن مدينة الجزائر لخبرة الاسبان في ذلك مع تقديم دعم لوجستي واستخباراتي، بالإضافة إلى توفير منائين استراتيجيين هما مناء مايوركا وأليكانت كمركز للتموين والراحة للأسطول الأنجليزي<sup>(2)</sup>.

(1) - جفري براون. تاريخ أوروبا الحديث. ترجمة علي المرزوقي. دار الأهلية للنشر والتوزيع، 2005، ص 253.

(2) - محمد الأمين بوحلوفة، مرجع سابق، ص 100.

## الحروب البحرية بين الجزائر العثمانية ومملكة الإنجليز "حملة روبرت مانسيل وألسير هاري نيل أنموذجا" "دراسة مقارنة"

أما حملة 1824 م فكانت انجلترا في موقع قوة خاصة بعد انتصاراتها في القارة الأوروبية وتعرف هذه الفترة ببداية هيمنتها على الأسواق العالمية خاصة مع تزايد عدد مستعمراتها والتي شملت كل مناطق العالم بالإضافة إلى التوافق الأوروبي في مؤتمر إكس لاشايبيل 1818م الذي ينص على ضرورة إنهاء "القرصنة" البحرية في البحر المتوسط والدول الداعمة لها وعلى رأسها الجزائر وهذا ما نلمسه في المفاوضات بين الداوي والمبعوث الإنجليزي.

وبالنسبة للطرف الجزائري كان موقفه قويا في حملة روبرت مانسيل نظرا للقوة التي تمتع بها في تلك الفترة حيث تعرف القرن الذهبي للقرصة، بالإضافة للرابطة القوية التي كانت تربطها بالدولة العثمانية فاستطاع بفضل صلابته موقفه من افتكالك معاهدة كانت أغلب بنودها تصب في فائدة الطرف الجزائري وعلى النقيض من ذلك جاءت حملة هاري نيل في وقت عانت فيه الجزائر اقتصاديا وسياسيا نتيجة لما خلفته حملة اكس ماوث التي حطمت أغلب القطع البحرية الجزائرية لكن رغم ذلك استطاع الداوي بحنكته توقيع معاهدة سلام مع مملكة الإنجليز<sup>(1)</sup>.

### 2.4. عسكريا:

لقد ذكرت لنا المصادر التاريخية عدد القوات الإنجليزية بالتفصيل فقد ضمت حملة روبرت مانسيل تشكيلا متنوعا من السفن فهو مزيج بين السفن الحربية والتجارية، فبلغ عدد القوات 2670 رجلا مع أكثر من 200 طن من المعدات العسكرية وهذا بمشاركة حوالي 20 سفينة تتفاوت أحجامها بين الكبيرة والمتوسطة.

(1) - وليام شالر، مرجع سابق، ص 200-250.

## الحروب البحرية بين الجزائر العثمانية ومملكة الإنجليز "حملة روبرت مانسيل وألسير هاري نيل أنموذجا" "دراسة مقارنة"

وقد عرفت هذه الحملة مشاركة سفينة أنتيلوب التي كانت تعتبر فخر للبحرية الانجليزية نتيجة مشاركتها في الكثير من الحروب البحرية، فقد كانت تحمل أكثر من 200 رجل، ومسلحة ب 4 مدافع قوية ولها منافذ في سطحها 9 أزواج من الأسلحة النارية، بالإضافة إلى تصميمها الذي يسمح لها بالمناورة مع الاعتماد على عنصرين لزيادة قوة إبحارها ويتمثل في الأشرعة والمجاديف.

أما حملة هاري نيل فعرفت مشاركة قوة بحرية كبيرة تتمثل في أسطول البحر الأبيض المتوسط الانجليزي الذي كان مقره في كل من مالطا وجبل طارق، وهذا ما نلاحظه خاصة ان أسطول الحصار عرف مشاركة البارجتين الكبيرتين نياياد NAIAD وريجنت REGENT المتخصصةين في الحصار البحري والقصف من بعيد<sup>(1)</sup>.

لقد تفاوت عدد القطع البحرية الجزائرية من مرحلة لأخرى وهذا حسب الظروف الدولية من حروب وصراعات فيذكر الأب دان في هذا السياق أن الأسطول الجزائري كان يتشكل من 70 وحدة مختلفة الأحجام، منها ما هو مسلح ب 25 مدفع ومنها ما هو مسلح ب 40 مدفع وهذا في فترة النصف الأول من القرن 17<sup>(2)</sup>، وفي نفس السياق يذكر شاو أنه سنة 1724 م تكون من 24 سفينة بما في ذلك سفينتين ذات 50 مدفع و6 فرقاطات ذات 38 إلى 44 مدفع<sup>(3)</sup>، أما سنة 1788 م فكانت حوالي 8 سفن من نوع الشباك ذات 18 و 22 و 30 مدفعا مختلف العيارات بالإضافة إلى الغليوبات التي كانت ملك

(1) - وليام شالر، مرجع سابق، ص 200-250.

(2) - ابن سعيدان محمد. "الأسطول البحري ودوره في إيالة الجزائر خلال القرن 17". مجلة قضايا تاريخية،

2017، ص 105.

(3) - توماس شو. الرحلة إلى إيالة الجزائر. 1. ترجمة لخضر بوقبة. دار الباحث، 2022، ص 199.

## الحروب البحرية بين الجزائر العثمانية ومملكة الإنجليز "حملة روبرت مانسيل وألسير هاري نيل أنموذجا" " دراسة مقارنة "

لكبار الدولة<sup>(1)</sup>. لتكون سنة 1825 م عبارة عن 14 قطعة مزيج بين الفرقاطات والغاليوطات والحراقات<sup>(2)</sup>.

بالإضافة إلى السفن الحربية اعتمدت سلطات في مدينة الجزائر التي تعتبر المدينة المركزية في الدولة الجزائرية في العصر الحديث، على موقعها المحصن طبيعيا الذي يجعل طريقة الدفاع عنها سهلة، بالإضافة إلى سلسلة من القلاع والحصون التي تعتبر الدعامة الأساسية لمنظومة التحكم العسكري، وهذا على امتداد الساحل وفق تنظيم دقيق يعمل تحقيق أكبر قدر من النجاعة الدفاعية فأصبحت مدينة الجزائر تدعى بمدينة الألف مدفع والمحروسة ومن أهم هذه القلاع والأبراج برج سيدي فرج، برج مرسى الدبان و برج تامنغوست<sup>(3)</sup>.

### 3.4. التكتيكات الحربية:

تعتبر الاستراتيجيات الحربية البحرية عبارة عن الخطط التي تطبق من قبل القوات البحرية وفق نظام معين في مكان وزمان محدد، تكون إما مستقلة أو بالتعاون و التنسيق مع قوات مسلحة أخرى كالقوات البحرية بمختلف تشكيلاتها.

إن الدارس للحروب البحرية يصبح لزاما عليه التعرف على أهم الخطط المستعملة، فنميز أسلوب "الأسطول الموجود" الذي ينص على تجنب الدخول في الحرب المباشرة حتى تتوفر الظروف المواتية، بالإضافة إلى حرب المطاردة التي تشبه حرب العصابات في الحروب البرية.

(1) - فونتور دي برادي. فونتور دو برادي، الجزائر خلال القرن الثامن عشر 18. ترجمة لخضر بوقبة. دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع، 2022، ص 18.

(2) - ناصر الدين سعيدوني.. تاريخ الجزائر في العهد العثماني، الجزائر. البصائر للنشر والتوزيع، 2013، ص 159.

(3) - رفيق تلي. "التحصينات الدفاعية لمدينة الجزائر خلال العهد العثماني دراسة الأبراج أنموذجا". مجلة دراسات انسانية واجتماعية، 2022، ص ص 537-552.

## الحروب البحرية بين الجزائر العثمانية ومملكة الإنجليز "حملة روبرت مانسيل وألسير هاري نيل أنموذجا" " دراسة مقارنة "

أما في حالة المعارك المباشرة أو الحصار، فإن الترتيبات المشهورة هي حركة النسق و الرتل ونصف الهلال الذي يتكون من قاعدة و جناحين ويكون نتوؤه نحو العدو، والغرض من جميع هذه التشكيلات هو ضمان التراتبية القتالية وتطويق العدو ومحاصرته بانسيابية تتيح له التأقلم مع مختلف الظروف التي تفرضها المعركة<sup>(1)</sup>.

ومن خلال دراستنا لمعطيات التاريخية يمكن اعتبار حملتي روبرت مانسيل ضمن العمليات البحرية المستقلة التي عرفت مشاركة سرب من القوات البحرية من دون مشاركة القوات المتخصصة في العمليات البرية وقد استهدفت هدفين استراتيجيين أساسيين هما القضاء على القطع البحرية الجزائرية التي تصادفها في البحر والإغارة على مدينة الجزائر ومباغطة القوات الجزائرية و حرق أكبر عدد من السفن، لتحقيق مكاسب سياسية واقتصادية أهمها ضمان التجارة الانجليزية في البحر الأبيض المتوسط.

أما في مدينة الجزائر فقد اعتمد على نظام الإنذار السريع والدفاع المحصن وذلك بإغلاق الميناء بالمتاريس التي تعيق تقدم السفن إليه، وجعل المدافع المنتشرة على محيط المدينة في حالة تأهب قصوى إلى غاية وصول القوات المعادية لرمى نيرانها فتقوم بقصف قوي يعيق تحرك الأسطول المعادي قرب المدينة<sup>(2)</sup> (تلي 2022، 537: 552).

(1) - و فيق بركات. فن الحرب البحرية في التاريخ العربي الاسلامي. معهد التراث العلمي العربي. سوريا، 15.

(2) - رفيق تلي. "رفيق تلي، التحصينات الدفاعية لمدينة الجزائر خلال العهد العثماني دراسة الأبراج أنموذجا". مجلة دراسات انسانية واجتماعية، 2022: 537. 552.

## الحروب البحرية بين الجزائر العثمانية ومملكة الإنجليز "حملة روبرت مانسيل وألسير هاري نيل أنموذجا" "دراسة مقارنة"

خاتمة:

وفي الختام نستنتج مما ذكرناه أنفا أنه:

- ساهمت العديد من العوامل في نهضة الدولة الانجليزية ولعل أهمها تحقيق الاستقرار السياسي و الوحدة الدينية باعتناق المذهب البروتستانتي.
- شكلت الانتصار الانجليزي على الاسبان في معركة الأرمادا نقطة محورية في تاريخ بناء القوة الانجليزية وتوسعا لتصبح القوة البحرية الأولى في العالم
- لقد شكل البحر الأبيض المتوسط الشريان الرئيسي للتجارة الدولية مما جعله محل أطماع لكل القوى الفاعلة في الفترة الحديثة وعلى رأسها الانجليز.
- توسع الإنجليز بغية الوصول إلى أماكن التجارة العالمية والمواد الأولية المهمة في تلك الفترة وهذا مرورا ببلاد المغرب عامة والجزائر خاصة باعتبارها دولة محورية في الحوض الغربي للبحر المتوسط.
- ساهم الوجود العثماني بالجزائر في إقامة دولة قوية تعتمد أساسا على العمل البحري والذي أخذ صبغة دينية تحت مسمى الجهاد البحري.
- يعتبر النصف الأول من القرن 17 البدايات الأولى لتوتر العلاقات بين الجزائر و انجلترا، وهذا لكثرة السفن الانجليزية المحجوزة في موانئ الجزائر، ليكون التماس الفعلي بين القوتين في حملة روبرت مانسيل على مدينة الجزائر، وغارات البحارة الجزائريين على مدينة بالتيemor.
- شكلت الجزائر حلبة صراع بين القوتين الانجليزية و الفرنسية وهذا حول الامتيازات التجارية وعلى رأسها تجارة المرجان و القمح.

## الحروب البحرية بين الجزائر العثمانية ومملكة الإنجليز "حملة روبرت مانسيل وألسير هاري نيل أنموذجا" "دراسة مقارنة"

- تميز القرن 18 باستقرار في العلاقات بين الدولتين ساهم في تعزيز البعثات الدبلوماسية والسياسية بين الدولتين.
  - مع بداية القرن 19 ونتيجة تدهور الأوضاع في الجزائر استغل الانجليز الفرصة فنلاحظ تغير النهج من سياسي دبلوماسي إلى حربي عسكري عن طريق الحملات أهمها حملة اللورد إكسماوث وألسير هاري نيل.
  - استعمل الانجليز مبدأ الحملات البحرية كتهديد للجزائر و استغلوا الأوضاع الداخلية والثورات في فرض منطقتهم باستعمال القوة
  - اختلف التقنيات المستعملة في حملتي روبرت مانسيل وهاري نيل، وقد ساهم التطور في تقنيات الملاحة البحرية في اعطاء نتائج أكثر نجاعة خاصة مع التحصين الجيد لمدينة الجزائر
- وكنتيجة عامة اختفت أسباب الحملات البحرية الانجليزية على الجزائر ولكن يبقى الهدف واحد وهو فرض سياستها على الجزائر، وعلى الرغم من ذلك استطاعت القوات الجزائرية ان تقف في وجهها وان تنقل حلبة الصراع من البحر المتوسط إلى المحيط الأطلسي، وأن تفرض وجودها وتكون رقما صعبا في ميزان العلاقات الدولية في الفترة الحديثة

## الحروب البحرية بين الجزائر العثمانية ومملكة الإنجليز "حملة روبرت مانسيل وألسير هاري نيل أنموذجا" "دراسة مقارنة"

قائمة البيبليوغرافي:

### المصادر والمراجع باللغة العربية

- ابن سعيدان محمد. "الأسطول البحري ودوره في إيالة الجزائر خلال القرن 17". مجلة قضايا تاريخية، 2017: 105.
- بركات وفيق. فن الحرب البحرية في التاريخ العربي الاسلامي. معهد التراث العلمي العربي. دمشق.
- البطريق عبد الحميد. التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا. بيروت: دار النهضة العربية، دت .
- قرياش بلقاسم. "الأسرى الأوروبيون في الجزائر خلال عهد الدايات (1671/ 1830)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر،". معسكر: مصطفى الإسطنبولي، 2015. 2016. 38.
- بليل رحمونة. القناصل والقنصليات الأجنبية في الجزائر العثمانية من 1564 إلى 1830، أطروحة دكتوراه. جامعة وهران، 2011.
- بوحلوفة محمد الأمين. إيالة الجزائر العثمانية ومملكة إنجلترا دراسة في العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية من 1620م إلى 1827، أطروحة دكتوراه. وهران: جامعة أحمد بن بلة، 2019.
- تلي رفيق. "التحصينات الدفاعية لمدينة الجزائر خلال العهد العثماني دراسة الأبراج أنموذجا". مجلة دراسات انسانية واجتماعية، 2022: 537. 552.
- توماس شو. الرحلة إلى إيالة الجزائر. 1. ترجمة لخضر بوقبة. دار الباحث، 2022.
- جفري براون. تاريخ أوروبا الحديث. ترجمة علي المرزوقي. دار الأهلية للنشر والتوزيع، 2005.

## الحروب البحرية بين الجزائر العثمانية ومملكة الإنجليز "حملة روبرت مانسيل وألسير هاري نيل أنموذجا" "دراسة مقارنة"

- جفري بروان. تاريخ أوروبا الحديث. ترجمة علي المرزوقي. دار الأهلية لنشر والتوزيع، 2005.
- جلال يحيى. أوروبا في العصور الحديثة. دار الفكر لنشر والتوزيع، 1968.
- الزبيري محمد العربي. "مقاومة التكتل الأوروبي قبل الاحتلال." مجلة الأصاله، 1973: 128.
- الزهار أحمد الشرف. مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار 1754م - 1830، تح أحمد توفيق المدني. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974.
- زهرة زكية. التنافس الفرنسي الإنجليزي على الجزائر وموقف الباب العالي منه 1792م إلى 1830م. دار القافلة لنشر والتوزيع، 2016.
- سعيدوني ناصر الدين. تاريخ الجزائر في العهد العثماني، الجزائر. البصائر للنشر والتوزيع، 2013.
- سليم نجاة ومحاسيس محمود. معجم المعارك البحرية. 1. دار زهران للنشر والتوزيع، 2011.
- شالروليام. مذكرات وليام شالرقنصل أمريكا في الجزائر 1816م - 1824. ترجمة إسماعيل عربي. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر. 1982.
- عباد صالح. الجزائر خلال الحكم التركي. دار الألمعة لنشر والتوزيع، 2013.
- فونتور دي برادي. الجزائر خلال القرن الثامن عشر 18. ترجمة لخضر بوقبة. دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع، 2022.
- قاري ياسر بن عبد العزيز. دور الامتيازات الأجنبية في سقوط الدولة العثمانية، أطروحة دكتوراه. جامعة أم القرى، 2001.

## الحروب البحرية بين الجزائر العثمانية ومملكة الإنجليز "حملة روبرت مانسيل وألسير هاري نيل أنموذجا" " دراسة مقارنة "

---

- هلايلي حنيفي. العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الإيالة 1815م- 1830. 1. دارالهدى، 2007.
- وولف جون. الجزائر وأوروبا 1500- 1830. ترجمة أبو القاسم سعد الله. عالم المعرفة، 2009.

### References :

- Berbrugger. «Sir Harry Neal et Guerre de 1824 entre Alger et l'Angleterre.» Revue africaine, 1864: 216. 217.
- Corbett, Julian. England in the Mediterranean a study of the rise and influence of British power within the straits 1603-1713. London: Paternoster Row, 1917.
- Epstein, M. The Early History of The Levant Company. London, 1908.
- Hakluts, Richard. «The principal navigation, voyages, traffiques, and discoveries, of the English nation, made by sea or over land. » south and south east parts of the word, 1810: 210.
- Mattingly, Gerrett. the invisible Armada and Elizabeth England. New York: library Comull University Press Ithaca, 1963.
- Morgan, J. A complete history of Algiers from earliest to the present times. Vol. 2. London.

الحروب البحرية بين الجزائر العثمانية ومملكة الإنجليز "حملة روبرت  
مانسيل وألسير هاري نيل أنموذجا" "دراسة مقارنة"

---

- Playfair Robert. Annals of British relations with Algiers prior to the French conquest, London : Smith, Elder, And Co,1884.
- Playfer, Robert. « Episodes d'histoire des relations de Grande-Bretagne avec Les états Barbaresques» Revue Africaine, Novembre 1878: 306.

1. المعارك البحرية في الحرب العالمية الأولى "معركة جوتلاند 1916 أنموذجا"
2. الحرب العالمية الثانية وعمليات القصف الياباني للمحيط الهادي
3. أسرى الحروب البحرية في اتفاقية جنيف الثانية

المعارك البحرية في الحرب العالمية الأولى "معركة جوتلاند 1916  
أنموذجا"

Naval Battles in World War I: "The Battle of Jutland 1916"

د.سعاد زواوي

المدرسة العليا للأساتذة- بوزريعة

souadzouaoui99@gmail.com

---

ملخص :

تعتبر معركة جوتلاند أو معركة سكاجيراك بالألمانية أهم المعارك البحرية في الحرب العالمية الأولى أو المعركة البحرية الكبرى في هذه الحرب، وقعت في 31 ماي 1916م بين القوة البحرية البريطانية المتمرسنة وذات الخبرة الواسعة والقوة البحرية الألمانية الناشئة والطامحة بالسيطرة على البحر، وقعت في شرق جوتلاند في بحر الشمال، وقد كان الرأي العام العالمي ينتظر هذه المعركة قرابة العامين خاصة في ظل تفاقم العداء البريطاني الألماني وزيادة وتيرة التسليح البحري بالنسبة للقوتين، لم ينتصر في هذه المعركة أحد الطرفين وكلاهما اعتبر نفسه منتصرا على الآخر فبريطانيا اعتبرت نفسها منتصرة من وجهة نظر أن العدو لاذ بالفرار وانسحب، أما ألمانيا اعتبرت نفسها منتصرة باعتبار أن أكثر الخسائر كانت لبريطانيا.

كلمات مفتاحية: معركة بحرية، الحرب العالمية الأولى، معركة جوتلاند.

## المعارك البحرية في الحرب العالمية الأولى "معركة جوتلاند 1916 أنموذجا"

---

### **Abstract:**

The Battle of Jutland or the Battle of Skagerrak in German is the most important naval battle in World War I or the Great Naval Battle of this war , it took place on May 31, 1916 between the experienced British naval force and the emerging German naval force aspiring to control the sea, it took place in East Jutland in the North Sea, and world public opinion was waiting for this battle for nearly two years, especially with the exacerbation of British-German hostility and the increase in the pace of naval armament for the two powers, Neither side was victorious in this battle, and both of them considered themselves victorious over the other. Britain considered itself victorious from the point of view that the enemy fled and withdrew, while Germany considered itself victorious, given that most of the losses were for Britain.

**Keywords:** Naval battle, world war I, battle of Jutland.

## المعارك البحرية في الحرب العالمية الأولى "معركة جوتلاند 1916 أنموذجا"

مقدمة:

كانت الحرب العالمية الأولى 1914-1918، واحدة من أكثر الصراعات العالمية فتكا في التاريخ دارت بين تحالفين، الحلفاء ( بريطانيا، وفرنسا، وروسيا) والقوى المركزية (ألمانيا، النمسا والمجر، وروسيا)، وقع القتال في جميع أنحاء أوروبا والشرق الأوسط وإفريقيا وأجزاء من آسيا، وقد دارت الحرب برا وجوا وبحرا، وكانت أشد المعارك ضراوة المعارك البحرية.

برزت المعارك البحرية في الحرب العالمية الأولى بشكل كبير ونفذت في المحيطات والبحار، فكان بحر الشمال المسرح الرئيسي للحرب البحرية في الصراع العالمي الأول، حدثت به مواجهة بحرية عن بعد بين أعنى قوتين بحريتين على الجبهتين أسطول جراند البريطاني "GrandFleet" المتمرس وأسطول أعالي البحار الألماني "Hoshseeflotte"، وعلى الرغم من اتفاق الجميع على أن الأسطولين كانا لابد لهما من المواجهة والاشتباك المباشر سواء عاجلا أم آجلا خاصة بعد سباق التسليح الكبير الذي عرفته كل من بريطانيا وألمانيا في نهاية القرن 19م وبداية القرن 20م في مجال التسليح البحري، فبعد أن أصبحت ألمانيا دولة موحدة سنة 1871م فرضت نفسها كقوة عظمى واهتمت بالتسليح البحري وتطوير أسطولها الحربي كنتيجة حتمية للأوضاع والتطورات الأوروبية وبعد شعورها أن بريطانيا وفرنسا لهما السبق في السيطرة على أغنى المستعمرات وأهم المواقع والطرق، كان التنافس في مجال التسليح البحري عاملا أساسيا في تصاعد التوتر بين القوى الأوروبية ونخص بالذكر ألمانيا وبريطانيا، فقد كانت بريطانيا تملك أقوى الأساطيل ففرضت سيادتها البحرية المطلقة على أوروبا وعلى سواحلها ومواصلاتها ومستعمراتها، وهكذا أصبحت المعارك البحرية ضرورة في الصراعات الأوروبية،

## المعارك البحرية في الحرب العالمية الأولى "معركة جوتلاند 1916 أنموذجا"

وكانت معركة جوتلاند 1916 أكبر المعارك التي وقعت خلال الحرب العالمية الأولى.

ومن هنا وبناء على ماسبق أثارنا تناول هذا الموضوع بنوع من التحليل والتعمق من خلال مقالنا الموسوم بـ:

### المعارك البحرية في الحرب العالمية الأولى "معركة جوتلاند 1916 أنموذجا"

وتكمن أهمية الموضوع في كونه يعالج أبرز المعارك البحرية التي حدثت بين أعتى قوتين في أوروبا في القرن 20م ، خصوصا أنه سيركز على التنافس الأوروبي وخاصة الأنجلو- ألماني في مجال التسليح البحري والتي تعد هذه المعركة قمته.

وتندرج إشكالية الموضوع في إطار محاولة إبراز الأهمية التاريخية لهذه المعركة، خاصة في ظل اختلاف المؤرخين في تناولها، فالبعض من المؤرخين تناولوها من منظور أن ألمانيا المنتصرة في المعركة والبعض الآخر تناولها من منظور المنهزم وأن بريطانيا هي المنتصرة؟، فما هو مقياس الهزيمة أو الانتصار؟ وهل تتوقف الهزيمة والانتصار على الهدف من المعركة لدى كل من الطرفين؟ ومن ثم إن لموضوع البحث خلفية تاريخية تعود إلى ظهور ألمانيا موحدة كقوة بحرية في بحر الشمال، ومن أجل معالجة الموضوع ننطلق من الإشكال التالي: ماهي حيثيات معركة جوتلاند 1916م وما هي انعكاساتها؟.

وللإجابة على الاشكال نجزئه إلى التساؤلات التالية: ما طبيعة الصراع الذي شهدته أوروبا في القرن 20م؟ وماهي استراتيجية ألمانيا لفرض وجودها في بحر الشمال؟ وما هي أبرز الصدمات البحرية الأنجلو- ألمانية قبيل معركة جوتلاند 1916؟ وماهي خلفيات وأسباب معركة جوتلاند؟ وما مجرياتها؟ وكيف أثرت في مجمل الصراع بين القوى الأوروبية؟.

## المعارك البحرية في الحرب العالمية الأولى "معركة جوتلاند 1916 أنموذجا"

اتبعنا في هذه الدراسة المنهج التاريخي الوصفي لوصف أحداث ووقائع المعركة والأحداث التي سبقها وفق تسلسل زمني كما وردت في المصادر والمراجع، ولجاناً في الكثير من المرات إلى المنهج المقارن والتحليلي لعرض تصريحات القادة خاصة من حيث احصائيات المعركة.

### 1. اندلاع الحرب العالمية الأولى:

كان هدف بسمارك<sup>(1)</sup> الدائم بعد هزيمه فرنسا عام 1870م هو إبقاء فرنسا معزولة في أوروبا وسعى للحيلولة دون فرض أي حصار دبلوماسي على ألمانيا، وكانت النتيجة هو خلق نظامين متنافسين من التحالفات، وإقامة توازن هش للقوى حال دون صيانة السلام في أوروبا جيلاً من الزمن، وطالما كان وجود تكتل ما دافعا من تلقاء نفسه إلى التعجيل بإقامة تكتل منافس له بحيث يظل توازن القوى مصوناً في النهاية، وكان كلا الطرفين يخشى نقض السلام الذي سيجريها لا محال إلى حرب<sup>(2)</sup>.

ومع ازدياد انقسام أوروبا حول عدد كبير من القضايا والمصالح الشائكة<sup>(3)</sup> التي لم يتفق جميع الأطراف على حلها سلمياً، لاسيما في منطقة البلقان

---

(1) - أوتو إدارد ليوبولد بسمارك: ولد سنة 1815م ب مقاطعة (شونهاوزن) غرب برلين، بدأ نشاطه السياسي سنة 1847م، وتبنى مشروع الوحدة الألمانية الذي أصبح حلم يجب تحقيقه، وكانت من أهم إنجازاته وذلك بعد سلسلة من الحروب ضد الدانمارك سنة 1864م، والنمسا سنة 1866، وفرنسا سنة 1870م. انظر: مصطفى داودي: "القائد أوتوفون بسمارك ودوره في تجسيد الوحدة الألمانية 1861-1871"، مجلة الدراسات التاريخية، مج22، ع1، 2021، ص262-277؛ وانظر أيضاً: جلال يحيى، التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر حتى الحرب العالمية الأولى، مصر: المكتب الجامعي الحديث، (د ت)، ص441-451.

(2) - عمر عبد العزيز عمر، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر 1815-1919، مصر: دار المعرفة الجامعية، (د ت)، ص240.

(3) - إن إلقاء نظره سريعة على مصالح الدول الأوروبية الكبرى، يؤدي إلى فهم طبيعة الخلاف الذي وجد في مطلع القرن 20م والذي انحصر في المسائل التالية: التنافس النمساوي الروسي في البلقان التنافس البحري بين إنجلترا وألمانيا، وبضفاف إليه التنافس التجاري الذي أثار حفيظه إنجلترا وأفسد العلاقات بين الدولتين، التنافس الفرنسي الألماني في مراكش منذ عام 1904م، وقد أدى إلى استمراره هذه الفترة الطويلة مسألة الألبان

## المعارك البحرية في الحرب العالمية الأولى "معركة جوتلاند 1916 أنموذجا"

وشمال إفريقيا، فضلا عن تصاعد حدة الاستعدادات العسكرية في كل الدول ابتداء من فرض التجنيد الالزامي إلى تصاعد حدة التسليح، وكذلك تصاعد اللهجة الاعلامية المحرّضة على الحرب لدى مختلف الأطراف، وبدأت الأمور كلها تسير نحو التصعيد وكانت بحاجة إلى الشرارة التي توجبها فكانت مسألة اغتيال ولي عهد النمسا (الأرشيدوق فرديناند<sup>(1)</sup>) أثناء زيارته للبوسنة وتدابيرها كافية لإشعال الحرب بين الدول الأوروبية الكبرى على الرغم من ضآلة الحدث بالنسبة لنتائجه، فلم تمض سوى أيام على حادثة الاغتيال في 28 جوان 1914م، حتى بدأت الدول تعلن التعبئة العامة ومن ثم إعلان الحرب في 2 أوت 1914 من قبل ألمانيا عندما أعطت الأوامر لجيوشها باجتياح الأراضي البلجيكية على الرغم من حيادها بهدف الالتفاف على الأراضي الفرنسية واحتلالها<sup>(2)</sup>.

إن مصرع الأرشيدوق النمساوي أهاج روسيا وفرنسا إلى حرب مع النمسا والمجر وألمانيا، في حين أن غزو ألمانيا لبلجيكا جر بريطانيا إلى حلبة الصراع<sup>(3)</sup>، كان الحلفاء (روسيا، فرنسا، بريطانيا) في عام 1914م يتفوقون على الدول المركزية (ألمانيا، والنمسا والمجر) في القوة العسكرية، فقد كان لديهم 30 مليون محارب وفي المقابل 22 مليون للدول المركزية، وكانت للبحرية الإنجليزية السيطرة

---

واللورين، ومن ذلك يتضح أن الأسباب التي أدت إلى قيام الحرب العالمية الأولى إنما ترجع في الواقع إلى الفترة الممتدة من 1904 إلى 1913. انظر: عمر عبد العزيز، المرجع السابق، ص ص 242-243.

(1) - الأرشيدوق فرديناند: وريث عرش الامبراطورية النمساوية المجرية، ولد سنة 1863م في مقاطعة غراتس بألمانيا، كان مصرعه على يد الصربي غافريلو برنسيب سببا في اشعال فتيل الحرب العالمية الأولى. انظر إلى الموقع:

<https://www.britannica.com/biography/Francis-Ferdinand-archduke-of-Austria-Este>

تاريخ الزيارة: 28 فيفري 2023، الساعة 21:00.

(2) - موسى محمد آل طويرش، العالم المعاصر بين حربين "من الحرب العالمية الأولى إلى الحرب الباردة 1914-

1991"، ط1، العراق: دار المعتر، (2017)، ص 37.

(3) - عمر عبد العزيز، المرجع السابق، ص 241.

## المعارك البحرية في الحرب العالمية الأولى "معركة جوتلاند 1916 أنموذجا"

على البحار<sup>(1)</sup>، لتلحق بها البحرية الألمانية مما أدى إلى ظهور تنافس بحري كبير أنجلو-ألماني نتج عنه عداء ومواجهات بحرية في بحر الشمال والمحيط الأطلسي، وفي الأخير إن اختلال التوازن في القوى والرغبة الكبيرة في التسلح أدت في النهاية إلى اندلاع الحرب العالمية الأولى سنة 1914 ودامت أربع سنوات شهدت عدة معارك ولم تسلم البحار والمحيطات من برائن الحرب خاصة المعارك البحرية بين السفن الألمانية والبريطانية.

### 2. سباق التسلح البحري الأنجلو-الألماني:

إن إصرار كل طرف على ضمان التفوق العسكري دفع إلى زيادة وتيرة التسلح البحري مما تسبب في اختلال التوازن بين القوى الأوروبية القديمة (بريطانيا سيدة البحار) والحديثة (ألمانيا القوة الناشئة)، فقد رصدت ألمانيا مبالغ لتعزز قطعها البحرية ببوارج جديدة، لكن بريطانيا صممت على الاحتفاظ بالقاعدة القديمة حتى تكون قوة أسطولها مساوية لمجموع قوات دولتين بحريتين تليانها في العالم<sup>(2)</sup>.

كانت البحرية البريطانية أكبر قوة في العالم، لم تجرؤ أي دولة على مواجهتها، فرأت نفسها سيدة البحار وساد الاعتقاد بأن " بريطانيا للبحر، والبحر لبريطانيا" حيث فرضت البحرية البريطانية حرية البحار وقمعت تجارة الرقيق وحافظت على السلام البريطاني، وكانت ترى أن أي دولة تزيد من قوتها البحرية فهو تحد مباشر لها وتهديدا للسلام العالمي وهجوم لها، لم تكن ألمانيا ترى من هذه الزاوية، ولم يكن هناك أي سبب يمنعها من امتلاك قوة بحرية كبيرة للدفاع عن تجارتها الخارجية، والحصول على مستعمرات وحمايتها

(1) - عبد العظيم رمضان، تاريخ أوروبا والعالم الحديث من ظهور البرجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة، ج2،

مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ت)، ص209.

(2) - عبد الحميد زوزو، تاريخ أوروبا الحديث والولايات المتحدة 1914-1945، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، (1984)، ص29.

## المعارك البحرية في الحرب العالمية الأولى "معركة جوتلاند 1916 أنموذجا"

كخطوة لزيادة مكانتها في القرن 19 م<sup>(1)</sup>، وقد حاول القيصر " ولهم الثاني<sup>(2)</sup> جعل ألمانيا ذات قوة ونفوذ وتحظى باحترام دولي ولن يكون ذلك إلا من خلال إنشاء قوة بحرية منافسة للبحرية الملكية<sup>(3)</sup>.

كانت ألمانيا قد شرعت في بناء أسطول بحري يضاهي الأسطول البريطاني منذ 1897م وهذا ما أثار حفيظة بريطانيا التي قلنا سابقا أن تعتبر هذا العمل تحد مباشر لها، حيث سعت جاهدة لحمل ألمانيا على الحد من تسارع وتيرة التسليح لديها لكنها فشلت في ذلك، وقد أدت أزمة أغادير<sup>(4)</sup> والحروب البلقانية<sup>(5)</sup> إلى توتر العلاقات بين الدول مما أدى إلى التسابق على التسليح وظهر ذلك جليا في القانون العسكري الألماني الصادر سنة 1913م والقانون الفرنسي في نفس الوقت وقد شملت مشاريع التسليح خصوصا في بريطانيا وألمانيا السلاحين البري والبحري، وفيما بين عامي 1907-1909م قامت بريطانيا بمحاولات لإقناع ألمانيا بتحديد قوتها البحرية حتى لا تضطر إلى مجاراتها، مما

(1) - Chers starakosh, the origins of the great war, Ramsey Health care, (2005), p6.

(2) - ويلهم الثاني: إمبراطور ألمانيا وملك بروسيا 1888-1918، سعى لجعل من ألمانيا دولة تجارية وبحرية واستعمارية رفيعة المكانة، اصطدم ببسمارك فأرغمه على الاستقالة سنة 1890م. كان برنامج الضخم في التسليح برا وبحرا، ودبلوماسيته المفتخرة إلى الحنكة، مسؤولة إلى درجة ما عن نشوب الحرب العالمية الأولى. للمزيد انظر: مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج3، لبنان: داررواد النهضة، (2014)، ص 134.

(3) - Chers starakosh , op.cit, p9.

(4) - أزمة أغادير: انتهزت فرنسا بعض الاضطرابات التي حدثت بالمغرب سنة 1911 واستنجد السلطان عبد الحميد بفرنسا لإخمادها فأعدت العدة لبسط نفوذها على المغرب، لكن ألمانيا لم تقف مكتوفة الأيدي فأرسلت طردا حربيا إلى ميناء أغادير المغربي على المحيط الأطلسي بحجة حماية الألمان ومصالحهم في هذه البلاد، فكان رد فعل كل من فرنسا وإنجلترا وروسيا قويا واضطرت ألمانيا في النهاية قبول العرض الفرنسي بأن تضم جزءا صغيرا من الكونغو الفرنسي إلى مستعمراتها في الكاميرون مقابل عدم وضع العراقيل أمام فرنسا. انظر: شوقي الجمل وعبد الله عبد الرزاق، تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة، القاهرة: الكتب المصري للتوزيع المطبوعات، (2000)، ص229.

(5) - الحرب البلقانية: بدأت الحرب البلقانية ضد الدولة العثمانية في 17 أكتوبر 1912، وفيها تمكن المتحالفون من تحرير مقدونيا، انتهت الحرب في 30 ماي وبشروط الصلح التي وقع عليها في لندن، وبموجبها تخلت الدولة العثمانية على غالبية أراضيها في أوروبا. انظر: جلال يحيى، المرجع السابق، ص539.

## المعارك البحرية في الحرب العالمية الأولى "معركة جوتلاند 1916 أنموذجا"

يستلزم زياده النفقات ووقوع عبء ذلك على دافعي الضرائب من الإنجليز<sup>(1)</sup>، وهكذا لم يكن لدى البريطانيين أي مخرج من هذا المأزق سوى تقديم اقتراحات بوجوب إقدام الألمان طوعا على تقليص وتأثر بنائهم للبحار، وكان من شأن هذا أم يختزل التوترويووفر الأموال على الطرفين<sup>(2)</sup>.

قامت بمحاولة أخرى في عام 1912م فأرسلت "هالدين" وزير الحربية إلى برلين ووافقت ألمانيا على الإبطاء في مشروعاتها الحربية بشرطين: الأول أن تقف بريطانيا موقف الحياد في حالة حدوث حرب بين ألمانيا ودوله أخرى، والثانية أن تعد بريطانيا بعدم مهاجمة ألمانيا، وقد قبلت بريطانيا الشرط الثاني ورفضت الالتزام بالشرط الأول لما فيه من تشجيع من ألمانيا على العدوان ولذلك فشلت المفاوضات، وفي جويلية عام 1912م أصدرت القانون العسكري الألماني الذي زاد من قوتها وقت السلم<sup>(3)</sup>، وهكذا شهدت الفترة بين تفجير أزمة أغادير وإخفاق مهمة "هالدين"، نقطة الأوج في مسار التوترا الانجليزي الألماني وبقيت عملية تطوير البحرية الألمانية متواصلة دون توقف<sup>(4)</sup>.

وعلى العموم أدى السباق نحو التسليح إلى حدوث توتر في العلاقات بين ألمانيا وبريطانيا، فهياً الأذهان لتقبل فكرة الحرب، والدليل على ذلك استعدادات بريطانيا حيث تم توقيع بريطانيا تحالفا مع اليابان في عام 1902م، سمح لبريطانيا بإعادة الكثير من أسطولها في الشرق الأقصى إلى بحر الشمال وترك حماية المصالح البريطانية في المحيط الهادي لليابانيين<sup>(5)</sup>، كما أن الوفاق

(1) - عمر عبد العزيز، المرجع السابق، ص 247.

(2) - آ. ج. ب. تايلور، الصراع على السيادة أوروبا 1848-1918، تر: فاضل جتكر، ط1، أبو ظبي: كلمة والمركز الثقافي العربي، (2009)، ص600.

(3) - عمر عبد العزيز، المرجع السابق، ص 247.

(4) - تايلور، المرجع السابق، ص638.

(5) - Cheris starakosh, op.cit, p13.

## المعارك البحرية في الحرب العالمية الأولى "معركة جوتلانند 1916 أنموذجا"

الأنجلو- فرنسي سنة 1906 أدى إلى سحب بريطانيا أساطيلها من البحر الأبيض المتوسط، وتولت بذلك فرنسا مهمة الدفاع عن البحر المتوسط، وبذلك تكون بريطانيا قد عالجت مشكلة توزيع قطعها البحرية المشتتة في البحار والمحيطات<sup>(1)</sup> فضلا عن تنفيذ الحكومة البريطانية لبرنامج بحري كبير لمواجهة بناء البحرية الألمانية، وبرز قائد البحرية الملكية لورد البحر الأول السير "جون جاك"، كما بنى البريطانيون سفينة حربية جديدة من طراز HMS Dreadnought<sup>(2)</sup>، وفي 1914 كان لبريطانيا 19 بارجة عاملة و13 تحت البناء وفي المقابل كان لألمانيا 13 بارجة عاملة و7 تحت البناء<sup>(3)</sup>.

### 3. معركة جوتلانند 31 ماي 1916:

#### 1.3. مقدمات المعركة:

كانت معارك الحرب العالمية الأولى مشتتة في البحر بين الدول الأوروبية، وكانت ألمانيا تتحمل العبء الرئيسي في معظم المعارك ضد الفرنسيين والروس والانجليز، ولكن قوه بريطانيا البحرية لم تستطع أي دولة أوروبية أن تبلغ مبلغها، ولم تستطع أي دولة أن تدخل في صراع بحري ضد بريطانيا، وباءت كل المحاولات للتغلب على الأسطول البريطاني بالفشل الذريع فشل في ذلك الإسبان والهولنديون والفرنسيون والأتراك، وعلى الرغم من أن ألمانيا لم تدخل في صراع مبكر ضد الأسطول البريطاني، فلقد كانت ألمانيا تعمل بكل جهدها لبناء أسطول يمكنها من الحصول على نصيب أكبر من المستعمرات وراء البحار في إفريقيا وآسيا ويستحيل الحصول على مستعمرات وراء البحار بدون أسطول بحري قوي يصل إلى هذه المستعمرات وراء البحار، ولقد كان من الطبيعي

(1) - عبد العزيز سليمان نوارو محمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، مصر: دار الفكر العربي، (1999)، ص455.

(2) - Chers starakosh ,opcit, p15.

(3) - عبد العزيز سليمان، المرجع السابق، ص456.

## المعارك البحرية في الحرب العالمية الأولى "معركة جوتلاند 1916 أنموذجا"

أثناء الحرب العالمية الأولى أن تفرض بريطانيا على الموانئ الألمانية في بحر الشمال والمحيط الاطلسي الحصار، خصوصا أن ألمانيا كانت قد أنشأت كما أشرنا سابقا قبل نشوب الحرب العالمية الأولى أسطولاً بحريا كان من الضروري أن تحسب له بريطانيا حسابا، وقد أوكلت بريطانيا إلى الأدميرال الإنجليزي "جليكيو"<sup>(1)</sup> مهمة مراقبة نشاط الأسطول الألماني الذي كان يطلق عليه أسطول أعالي البحار بقيادة الأدميرال الألماني "شير"<sup>(2)</sup> الذي كان يريد تنفيذ استراتيجية الانفراد بجزء من الأسطول البريطاني وتدميره ليتمكن في النهاية من اضعاف مجمل الأسطول البريطاني<sup>(3)</sup>.

حاول الألمان فك الحصار وإضعاف جزء من الأسطول البريطاني عن طريق استخدام الطرادات الألمانية وإغراق المراكب التجارية الإنجليزية في عرض البحار، وقد حقق الألمان نصرا بحريا في معركة فوكلاند في 8 ديسمبر 1914م<sup>(4)</sup>، حيث انفرد جزء من الأسطول الألماني بقياده الأدميرال "فون سيبي" بسفينتين بريطانيتين عند الطرف الجنوبي لأمريكا الجنوبية وقام بتدميرهما وبعد أسبوعين تمكنت بريطانيا من تدمير كل سفن فون سيبي بواسطة

(1) - جون جيليكو (1869-1935): أميرال الأسطول البريطاني، كان ضابطا في البحرية الملكية، شغل منصب القائد العام للأسطول الكبير منذ سنة 1914، وفي سنة 1916 أصبح لورد البحر الأول حتى عام 1917 وقد أشرف على تطور طاقم البحرية . انظر الموقع:

[http://www.dreadnoughtproject.org/tfs/index.php/John\\_Rushworth\\_Jellicoe\\_First\\_Earl\\_Jellicoe](http://www.dreadnoughtproject.org/tfs/index.php/John_Rushworth_Jellicoe_First_Earl_Jellicoe)

تاريخ الزيارة: 5 مارس 2023 الساعة: 20:00

(2) - شير "Reinhard Scheer (1863-1928) - Mémorial Find a Grave": أميرال البحرية الألمانية، دخل البحرية الألمانية سنة 1879، تم ترقيته إلى ملازم بحر سنة 1880 ثم إلى أدميرال سنة 1916، تقاعد سنة 1918 مباشرة بعد هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى. انظر الموقع:

<https://fr.findagrave.com/memorial/7889567/reinhard-scheer>

تاريخ الزيارة: 5 مارس 2023 الساعة: 20:20

(3) - علي الجوهري، أشهر المعارك الحربية، القاهرة: مكتبة القرآن للطبع والنشر، (2003)، ص ص 81-82.

(4) - عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص 220.

## المعارك البحرية في الحرب العالمية الأولى "معركة جوتلاند 1916 أنموذجا"

الأسطول البريطاني الذي كان يقوده الأدميرال سير "كريستوفر كرادوك" وهكذا استردت بريطانيا هيبتها البحرية على الفور<sup>(1)</sup>.

كانت المناوشات بين الأسطول الألماني الحديث الإنشاء والأسطول البريطاني العريق مستمرة عندما اشتعلت نيران الحرب العالمية الأولى<sup>(2)</sup>، وكانت ألمانيا قد توسعت في إنشاء سلاح الغواصات التي تختبئ تحت سطح الماء ثم تفاجئ أي أهداف غير صديقه لألمانيا وتغرقها في مياه المحيط، وصممت بريطانيا على عدم إتاحة الفرصة للأسطول الألماني لكي يتمكن من القيام بنشاط حربي بحري يمكن ان تستفيد منه المانيا، ومن هنا جاء تكليف الأدميرال "جليكيو" مراقبة الأسطول الألماني الذي يقوده الأدميرال الألماني "شير"<sup>(3)</sup>.

لقد أثر الحصار البحري الشديد الذي فرضه الإنجليز على الألمان مما أدى الى قلة المواد الغذائية لدى الشعب الألماني، ونظرا لتفوق بريطانيا البحري تمكنت من القيام بعملية بحرية في البحر المتوسط دون أن تخشى شيئا من قوه ألمانيا البحرية، فتمكنت من إنزال قواتها في الدردنيل، وكذلك في سالونيك، كما أنها قطعت كل صلة تربط ألمانيا بمستعمراتها، بحيث أصبحت تلك المستعمرات مهددة بالسقوط في أيدي الحلفاء دون أن تستطيع ألمانيا أن تفعل شيئا من أجل انقاذها كما أن قوه البحرية الإنجليزية قد قللت إلى حد كبير خطر الحصار الألماني الذي فرض على الجزر البريطانية عن طريق الغواصات

(1) - علي الجوهرى، المرجع السابق، ص 82.

(2) - حدثت عدة اشتباكات بحرية بين ألمانيا وبريطانيا فبالإضافة إلى معركة فوكلاند، كانت معركة هيليجولاند بايت، وقعت مع بداية اندلاع الحرب العالمية الأولى في 28 أوت 1914 عندما شن البريطانيون هجوما على الدوريات الألمانية في ساحل بحر الشمال وذلك باستخدام قوة المدمرات والغواصات. انظر: " Dy Dr En Grove the Wa rat sea1914-1918 " نسخة مؤرشفة على الموقع الإلكتروني:

<http://www.bbc.co.uk/histoty/worldwars/wwone/war-sea-gallery-2.shtml> تاريخ الزيارة: 20 مارس 2023،

الساعة:22:00

(3) - علي الجوهرى، المرجع السابق، ص ص 82-83.

## المعارك البحرية في الحرب العالمية الأولى "معركة جوتلاند 1916 أنموذجا"

التي قامت بحرب لا هوادة فيها في اغراق السفن المتجهة إلى بريطانيا مهما كانت جنسيتها<sup>(1)</sup>، وعلى سبيل المثال في ماي 1915م أغرقت الغواصات الألمانية باخرة لوزيتانا على مقربة من ساحل إيرلندا التي فقدت فيها أمريكا 1000 من رعاياها ليتحرك الرأي العام الدولي ضدها وبخاصة أمريكا<sup>(2)</sup>.

وبعد هذه الحادثة وتنفيذا للاستراتيجية الألمانية التي تسعى لإخراج إنجلترا من الحرب قامت البحرية الألمانية بنشاط كبير ضد سفن الأسطول البريطاني<sup>(3)</sup>، فقد شهدت الحرب العالمية الأولى عدة معارك حربية حيث قامت السفن الحربية الألمانية بعمليات عرضية أكثر من مرة على السواحل الإنجليزية، في معركة خليج هيليجولاند في 28 أوت 1914م والتي أشرنا إليها سابقا، وفي معركة نيك دوجر في 24 جانفي 1915 ولكنها فشلت<sup>(4)</sup>، وكانت أهم معركة بحرية في الحرب العالمية الأولى والتي اشتبك فيها الأسطول البريطاني والأسطول الألماني معركة جوتلاند في 31 ماي 1916<sup>(5)</sup>.

### 2.3. إحصاء القوات البحرية في معركة جوتلاند:

#### 1.2.3. القوات البحرية البريطانية:

كان الأسطول البريطاني في معركه جوتلاند يتألف من أربع عمارات قتالية، أي 27 مدرعة (بارجة) تحت قيادة الأميرال "جيليكو"، يتراوح وزنها ما بين 19000 و27500 طن، سرعتها تتراوح ما بين 20 و 25 عقدة كانت مسلحة بمدافع من عيار 305-343-380 مم، وكانت تعود السفن الأكثر عمرا لعام

(1) - عمر عبد العزيز، المرجع السابق، ص 258.

(2) - جاد طه، ألمانيا إلى أين المصير، القاهرة: دار المعارف، (1990)، ص 79.

(3) - محمد صلاح الدين حسيت، الحرب العالمية الأولى استراتيجية الميدان الغربي 1914-1918، ط 2، مصر: دار الكتاب العربي، (1953)، ص 118.

(4) - John Buchan, The Battle of Jutland, London: Pateroster Row, p4.

(5) - عبد العظيم رمضان، المرجع السابق، ص 220.

## المعارك البحرية في الحرب العالمية الأولى "معركة جوتلاند 1916 أنموذجا"

1909 وأحدثها لعام 1914<sup>(1)</sup>، وتألف الأسطول أيضا من تسع طرادات قتالية متقدمة (ست طرادات قتالية تحت قيادة الأدميرال "بيتي" سرعتها ما بين 25 و 28 عقدة تحمل كل منها ثمانية مدافع، وثلاث طرادات قتالية تحت قيادة الأدميرال "هود" سرعتها 26 عقدة تحمل كل منها ثمانية مدافع)<sup>(2)</sup>، بالإضافة إلى 33 طرادا خفيفا وواحد حاملة طائرات مائية وحوالي 79 مدمرة<sup>(3)</sup>.

### 2.2.3. القوات البحرية الألمانية:

أما القوات البحرية الألمانية فقد كانت تحشد ثلاث عمارات قتالية تحت قيادة الأدميرال "شير"، مؤلفة من 22 بارجة أقل حمولة وتسليحا مقارنة بالبورج البريطانية، تحمل مدافع من عيار 208 و305مم، بالإضافة إلى احتوائها على خمس طرادات قتالية تحت قيادة الأدميرال "هيبر" (ثلاثة منها بسرعة 28 عقدة كل منهما يحمل ثمانية مدافع، واثنان بسرعة 27 عقدة كل منهما يحمل عشرة مدافع بسرعة 27 عقدة)<sup>(4)</sup>، و11 طرادا خفيفا وحوالي 72 مدمرة<sup>(5)</sup>.

ومن خلال إحصاء القوات البحرية للطرفين نجد أن القوات البحرية الألمانية تتفوق على البحرية الألمانية سواء في العدد أو السرعة، وبهذا الصدد نشير إلى وجهة نظر الأدميرالية الألمانية حيث تقول: "نعم، إن الأسطول العدو أكثر عددا في قطعه، والأسرع، وذو عدد أكبر من البحارة- ولكنه، أقل براعة من حيث القيادة، ومن السهل إيقاعه في فخ ذلك"، ثم تضيف: "إذا قدرنا

(1) - رويبر شوسوا، المعارك البحرية الكبرى في التاريخ، تر: عبد الرحمن حميدة، دمشق: مركز الدراسات العسكرية، (1984)، ص 255.

(2) - Thomas Goddard Frothingham , A True Account of the Battle of Jutland May 31,1916,, U.S: the project Gutenberg ebook, (2015), p13.

(3) - H.W.Ffawcet Royal, The Fighting At Jutland " The Personal Experiences of Forty- five and Men of the British Fleet, London :Macmillian, , (1921),p 228.

(4) - Thomas Goddard, op.cit, p14.

(5) - H.W.Ffawcet Royal, op.cit, p228.

## المعارك البحرية في الحرب العالمية الأولى "معركة جوتلاند 1916 أنموذجا"

لنا النصر في البحر، كسبنا الحرب، وجعلنا بريطانيا تعاني حصارا أشد من هذا الذي تفرضه الآن، كما أنه يغدو بوسعنا آنذاك<sup>(1)</sup>.

### 3.3. مجريات المعركة:

في 31 ماي 1916م، خاض الأسطول البريطاني وأسطول أعالي البحار معركة كبيرة عرفت باسم معركة جوتلاند<sup>(2)</sup>، وقعت المعركة تحت سماء ملبدة بالضباب خلال ساعات معدودات في بحر الشمال إلى الغرب من شبه جزيرة جوتلاند الدنماركية وللمرة الأولى والمرّة الوحيدة في تاريخها اصطدمت "الأرمادا" البريطانية المتمرسّة "جراند فليت" بمنافستها الفتية الألمانية، والتي لم يكن لها من العمر سوى 20 عاما، وهي أسطول "هوشسيفلوت" أي "أسطول أعالي البحار"<sup>(3)</sup>.

في 30 ماي 1916، قام الأسطول البريطاني بحملاته التمشيطية المعتادة، أبحر في قسمين إلى الشمال كان جزء من أسطول المعركة تحت قيادة السير "جيليكو"، وفي 31 ماي أبحر أسطول أعالي البحار الألماني أيضا على بعد 100 ميل نحو ساحل جوتلاند، وكان الأسطول تحت قيادة الأدميرال "شير"<sup>(4)</sup>، في حين وفي حوالي الساعة 14:30 مساء كان جزء من الأسطول البريطاني بقيادة الأدميرال "ديفيد بيتي" في خليج هيليجولاند على بعد حوالي 200 ميل شمال الساحل الألماني، وكان الأدميرال جيليكو مع أسطول القتال الرئيسي على بعد 60 ميلا شمالا<sup>(5)</sup>.

(1) - عمر الديراوي، الحرب العالمية عرض مصور، ط16، دار العلم للملايين، بيروت، (1999)، ص255.

(2) - Reinhard Sheer, The Battle of Jutland 31 May-1 June 1916, Newport. R.I.: Naval War College, (1920), p105.

(3) - روبرت شوسوا، المرجع السابق، ص250.

(4) - John Buchan, op.cit, pp 12-13.

(5) - H.W.Ffawcett Royal, The Fighting At Jutland " The Personal Experiences of Forty- five and Men of the British Fleet, London :Macmillan, , (1921), p 219.

## المعارك البحرية في الحرب العالمية الأولى "معركة جوتلاند 1916 أنموذجا"

كانت جميع السفن الرئيسية للألمان موجودة في هذه المعركة، ويرى بعض المؤرخون أن غرضها إما تدمير جزء من الأسطول البريطاني قبل أن يأتي الباقي لمساعدته، أو أن الألمان فكر في شن غارة على جزء من الساحل البريطاني، أو هناك تخطيط بعيد المدى مرتبط بالحرب البحرية ضد روسيا<sup>(1)</sup>، وأي كان الهدف من المعركة فإن المعركة حدثت من أجل فك الحصار البريطاني على الموانئ الألمانية من جهة ومن جهة أخرى كانت من أجل إثبات قوة ألمانية البحرية وجذب جزء من الأسطول البريطاني وتدميره وإلحاق أضرار بالبحرية البريطانية وهذا ما سنتعرف عليه أكثر في نتائج المعركة .

عند اكتشاف الأدميرال " جيليكو " أسطول أعالي البحار على بعد 60 ميل إلى الشمال من السفن البريطانية، شرع على أقصى سرعة في مسار جنوبي للانضمام إلى المعركة مع 24 بارج مدرعة لمواجهة 22 سفينة حربية بقيادة الأدميرال " شير"<sup>(2)</sup>، وبذلك عرفت المحركات جهودا بطولية في هذه المعركة، حيث حافظ الأسطول البريطاني على سرعة تجاوزت السرعات التجريبية لبعض السفن القديمة وبهذا الصدد قال القائد العام للقوات المسلحة : "يجب أن لا ننسى أبدا أن مقدم العمل، كانت عمل قسم غرفة التحرك، إن الضباط في هذه الدائرة قاموا بأهم واجباتهم بدون الحافز الذي تمنحه المعرفة بمسار الإجراء لأولئك الموجودون على سطح السفينة...فقد حققت العديد من السفن سرعات لم يتم الوصول إليها من قبل، مما يدل بوضوح شديد على الكفاءة العالية للتبخير"<sup>(3)</sup> .

(1) - John Buchan ,op.cit, p 14.

(2) - H.W.Ffawcett Royal, op.cit, p219.

(3) - John Buchan, op.cit, pp 17-18.

## المعارك البحرية في الحرب العالمية الأولى "معركة جوتلاند 1916 أنموذجا"

عند الساعة 18:50 توحد الأسطولان البريطانيان، وانطلق الخط الألماني باتجاه الشرق، وكان الأدميرال "بيتي" والأدميرال "جيليكو" يشقان طريقهما بين العدو وموانئه، وقد كتب شاهد عيان " كان أعظم مشهد رأيته في حياتي هو مشهد خط معركتنا- أميال منه تتلاشى في الضباب، اتخذوا مواقعهم مثل الساعة ثم أخذوا ينفثون أوراقا كبيرا من النار وسحبا من الدخان، لقد فاق العدو عددا كبيرا وحقق "بيتي" و"جيليكو" نجاحا استراتيجيا كاملا، لكن الضباب كان يتعمق والليل ينزل بدا الأمر كأن ضوء النهار قد يرغب في منح البريطانيين فرصة للفوز بنصر حاسم"<sup>(1)</sup>، وهكذا دارت معركة شرسة بين السفن الحربية البريطانية والسفن الألمانية في ساحل جوتلاند، والعديد من الاشتباكات الليلية العنيفة والمربكة من قبل الطرادات الخفيفة والمدمرات الليلية<sup>(2)</sup>، وفي الأخير انسحب الأدميرال "شير"، وقرر "جيليكو" أن يتعقبه، وقد اتصلت الأدميرالية في لندن عن طريق اللاسلكي بـ "جيليكو" وأرشدته إلى الطريق الذي يسلكه "شير"، إلا أنه قرر أن يعود أدراجه إلى بريطانيا، وبهذا الصدد هناك الكثير من البحريين الذين يصفون "جيليكو" بالجبن أو أنه لم يتمتع بالحدق الحربي الكافي في هذه المعركة، فلو طارد "شير" لاستطاع بفضل أسطوله الأكبر والأسرع والأحسن مدفعية، أن يقضي على خصمه، ويرد بحريين آخرين ويقولون: "وهل كان "جيليكو" يأمن الغوصات الألمانية أو إمكانية أن يجره "شير" إلى مياه تنتثر فيها الألغام البحرية؟ وفي هذا الموضوع يقول "جيليكو" نفسه: " إن المحافظة على بقاء مدرعة أو طراد في عمالتي البحرية، فوق الماء لهي أهم بكثير من إرسال مدرعة أو طراد ألماني إلى قعر البحر"، وبهذا انتهت معركة جوتلاند.<sup>(3)</sup>

<sup>(1)</sup> -John Buchan, op.cit,d, p24.

<sup>(2)</sup> - Herwing Holger; Jutlan : " Amcrimony to Resolution", Newport. R.L: *Naval War College Review*, VOL 69, no 4,(2016), p1.

<sup>(3)</sup> - عمر الديراوي، المرجع السابق، صص 259-260.

### 4.3. نتائج المعركة:

تمخضت معركة جوتلاند البحرية في نهاية الأمر عن نجاح معظم الأسطول الألماني في العودة الى موانئه الآمنة في ألمانيا مع تحمله لخسائر طفيفة وهو بهذا المعيار يعتبر منتصرا في معركة جوتلاند البحرية<sup>(1)</sup>، ولم يمنع هذا الاعتبار من أن يعتبر الأسطول البريطاني منتصرا في المعركة حيث فر من أمامه وهرب منه الأسطول الألماني ولم يستطيع الإقدام على منازلته في عرض البحر وهرب لكي يختبئ في الموانئ الألمانية<sup>(2)</sup>، وهكذا اعتبرت كل من بريطانيا وألمانيا أنهما انتصرا في المعركة وهذا ما صرح به قادتها، حيث يقول "جيليكو" (لقد هرب الألمان من أمامنا، فنحن المنتصرون. هذا معيار المعارك البحرية)، ويقول "شير": (لقد كانت خسائر العدو أكبر من خسائرنا بكثير، كما أننا وضعنا أيدينا على نقاط الضعف عندهم، وهو المدفعية غير المحكمة التسديد ولهذا فنحن المنتصرون)<sup>(3)</sup>.

أما المؤرخون الأوروبيين فقدوا حللوا نتائج المعركة من خلال الوقائع ورجحوا الانتصار للبريطانيين، فمعركة جوتلاند أخذت مظهر الانتصار البريطاني حيث عاد الأسطول الألماني وراء تحصيناته في هيليجولاند، وبقي الأسطول البريطاني يتحكم في البحر<sup>(4)</sup>، فخسائر بريطانيا في المعركة لم تضعف هيبة البحرية البريطانية، وهذا كان الهدف الرئيسي للاستراتيجية الألمانية من خلال المعركة فقد سعت منذ بداية الحرب العالمية الأولى إلى تنفيذ مخططها في تدمير القيادة البحرية لبريطانيا<sup>(5)</sup>، والأكثر من ذلك أنها ادعت على الفور بعد المعركة في تصريحات لها للصحافة أنها حققت نجاحا حاسما في توجيه

(1) - علي الجوهري، المرجع السابق، ص 83.

(2) - نفسه، ص 84.

(3) - عمر الديراوي، المرجع السابق، ص 261.

(4) - Allen L.Churchell et al , The story of the great war, vol5, New York: K.P.F.Collier& son, (1916), p81.

(5) - Jhon Buchan, op.cit, p42.

## المعارك البحرية في الحرب العالمية الأولى "معركة جوتلاند 1916 أنموذجا"

ضربة قاضية لبريطانيا<sup>(1)</sup>، ولو زعمنا أن تصريحاتهم صحيحة كيف نفسر الحصار الذي بقي مفروضا على ألمانيا والذي أصبح أكثر إحكاما من ذي قبل، كما أنها فشلت في إضعاف الأسطول البريطاني وتدمير جزء منه حيث كان هدفها على الأقل إضعاف الأسطول البريطاني بحيث يكون أقرب من المساواة مع الأسطول الألماني، فالיום يعتبر أسطول British Battle Cruiser قوة فعالة في حين أن أسطول "German Battle Cruiser" مجرد ظل<sup>(2)</sup>، ومن خلال هذا نستنتج أن معركة 31 ماي كانت هزيمة وفشل ذريع لمخططات وأهداف ألمانيا حقيقة أنها كانت انتصار تكتيكي لها من خلال الخسائر التي تعرض لها الأسطول البريطاني والتي لم تكن بالكبيرة بالنسبة له، لكنها المعركة كانت انتصارا استراتيجيا بريطانيا.

وبخصوص الخسائر البريطانية والألمانية فقد أصدر حاكم الأميرالية الألمانية بيانا صحفيا رسميا صباح 1 جوان 1916 يسرد فيه الخسائر البريطانية الفادحة مع التقليل من شأن خسارتهم في المعركة<sup>(3)</sup>، في حين كانت الأميرالية البريطانية قد أعلنت عن خسائرها على الفور وكشفت بكل ثقة عن مناعة البحرية وصمودها<sup>(4)</sup>، وكانت هذه الخسائر عبارة عن سفينة حربية من فئة الملكة إليزابيث "Queen Elizabeth class" وثلاث طرادات معركة "Queen Mary" و "Invincible" و "Indefatigable" وأربع طرادات خفيفة و 13 مدمرة وفي المقابل خسرت ألمانيا سفينة حربية "Pommern" وطراد معركة "Lutzow" وأربع طرادات خفيفة وخمسة مدمرات<sup>(5)</sup>، ويجدر الإشارة أن الخسائر البريطانية

(1) - Jhon Buchan, op.cit, p37.

(2) - bid, p42.

(3) - Herwing Holger, op.cit, p2.

(4) - Ibid, p42.

(5) - Allen L.Churchell et al, opcit, pp 101-102; see also: Battle of jutland 30<sup>th</sup> May to 1 st JUNE 1916. Official Despatches with appendices, London: His Majesty's stationery office, (1920), p599.

## المعارك البحرية في الحرب العالمية الأولى "معركة جوتلاند 1916 أنموذجا"

غالبًا ما تكون صحيحة أما الخسائر الألمانية فهي تقديرية ومن المحتمل أنها صحيحة<sup>(1)</sup>، في حين يشير بعض المؤرخون أن حتى ولو كانت الخسائر الألمانية صحيحة، فهي ليست أثقل من خسائر بريطانيا بالنسبة لقوتها الكلية في البحر، ويضيفون أيضًا أن خسائرها المعلن عنها أو المعترف بها لم تكن صحيحة حيث تم إغلاق ميناء " فيلهلم مسهافن" أمام العالم بحث لا يستطيع أي شخص التحقق من الخسائر الفعلية<sup>(2)</sup>، وقد أكد البريطانيون في بيانهم أنهم قد أغرقوا سفينتين على الأقل من السفن الرئيسية الألمانية خلال المعركة<sup>(3)</sup>، ولا نستطيع معرفة الحقائق في هذا الموضوع فتبقى مزاعم لا دليل لها مع نفي وتكتم الألمان عن خسائرهم لكي يظهروا بمظهر الانتصار على البحرية البريطانية استنادًا إلى حجم الخسائر في اعتقادهم.

وفي مقابل ذلك أصيبت 20 قطعة حربية من الأسطول الألماني بأضرار ولكنها لم تكن أضرارًا كبيرة ونجت ستة قطع حربية ألمانية من الإصابة بأي أضرار وكانت خسائر الأسطول البريطاني في الأرواح 6000 بحار في مقابل 2500 بحار من الأسطول الألماني<sup>(4)</sup>.

لكن بالرغم من الخسائر فإن معركة جوتلاند البحرية أسفرت دون شك وكما قلنا سابقًا عن بقاء السيطرة البحرية للأسطول البريطاني في مياه المحيط الأطلسي والبحر المتوسط وبحر الشمال دون منازع إذ كفت ألمانيا عن محاولة مواجهة سفن الأسطول البريطاني فوق سطح المياه، واتجهت جهود ألمانيا في مجال الحرب البحرية بعد المعركة إلى إنتاج واستخدام سلاح الغواصات التي يمكن لها الاختباء في أي مكان من البحر تحت سطح الماء ثم الظهور ومفاجأة

(1) -H.W.Ffawcet Royal, op.cit, p228.

(2) - Jhon Buchan, op.cit , p39.

(3) - Allen L.Churchell et al, op.cit, p94.

(4) - علي الجوهري، المرجع السابق، ص84.

## المعارك البحرية في الحرب العالمية الأولى "معركة جوتلاند 1916 أنموذجا"

أي حربية أو تجارية، ثم معاودة الاختباء تحت سطح الماء والهروب استخداما لاستراتيجية: "اضرب واهرب تحت سطح الماء"<sup>(1)</sup>.

خاتمة:

في ختام هذه الدراسة توصلنا إلى جملة من الاستنتاجات يمكن حصرها فيما يلي:

- إن الإمبراطورية البريطانية امتلكت أكبر قوة بحرية في أوروبا، فبعد سيطرتها على استكلندا وتأسيسها لإمبراطورتها لم يعد لها حدود برية، وتركز اهتمامها أكثر على تقوية أسطولها البحري الذي أسهم في تقوية بريطانيا العظمى وتقوية بحريتها وحماية سواحلها ومستعمراتها.
- ظهرت البحرية الألمانية كقوة بحرية في أوروبا بعد بريطانيا مع تأسيس الإمبراطورية سنة 1871م ، مما تسبب في سباق تسليح كبير مع الإمبراطورية البريطانية خلال الحرب العالمية الأولى .
- أدى التسابق على المستعمرات والتنافس البحري الكبير إلى نشوب حروب بحرية تميزت عن سابقتها بالتقدم التقني والإعداد الحربي.
- عرفت فترة ما قبل معركة جوتلاند 1916م صدامات بحرية قوية بين الأسطولين البريطاني والألماني وكانت الغلبة في معظمها لصالح البريطانيين بفضل قوة أسطولهم في بحر الشمال.
- كانت مواجهة الأسطولين البريطاني والألماني عنيفة أرادت ألمانيا استغلال التفوق العددي اللحظي على بريطانيا في بحر الشمال لكن الأسطول البحري البريطاني استطاع فك شيفرة الهجوم وأعد فجا

(1) - علي الجوهري، المرجع السابق، ص85.

## المعارك البحرية في الحرب العالمية الأولى "معركة جوتلاند 1916 أنموذجا"

تديبرا مضادا لتدمير الأسطول الألماني الذي استطاع الخروج من الفخ عن طريق الانسحاب.

- أثبتت البحرية الألمانية عدم فعاليتها خلال الحرب العالمية الأولى، حيث كانت غير حاسمة في مشاركتها الرئيسية في معركة جوتلاند عندما انسحب الأسطول الألماني بفرار قائده "شير".
- لم ينتصر في المعركة أحد الطرفين وكلاهما اعتبر نفسه منتصرا على الآخر فبريطانيا اعتبرت نفسها منتصرة من جهة نظر أن العدو لاذ بالفرار وانسحب، أما ألمانيا اعتبرت نفسها منتصرة باعتبار أن أكثر الخسائر كانت لبريطانيا.
- ترتب عن المعركة تخلي لألمانيا عن حلم المواجهة المباشرة مع الأسطول البريطاني واتجهت إلى الاهتمام والتركيز على سلاح الغواصات حيث سيشكل تهديدا كبيرا للبريطانيين، حيث شنت ألمانيا حربا غير محدودة بالغواصات ضد السفن البريطانية.

# الحرب البحرية اليابانية على القواعد الأمريكية بالمحيط الهادي خلال الحرب العالمية الثانية

الحرب البحرية اليابانية على القواعد الأمريكية بالمحيط الهادي  
خلال الحرب العالمية الثانية

Japanese naval warfare on U.S. bases in the Pacific  
during World War II

أ.د نعيمة بوكريديمي

كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية

جامعة بلحاج بوشعيب، عين تموشنت

boukridiminaima@gmail.com

ملخص:

يتفق معظم المؤرخين أن نتائج الحرب العالمية الأولى وأوضاع العالم السياسية والعسكرية كانت تشير بشكل واضح إلى أنّ حرباً كبرى جديدة هي على الأبواب. وفعلاً فقد انطلقت هذه المرة من آسيا بعد الغزو الياباني لمنطقة منشوريا الصينية في يوم 7 يوليو 1937، أي قبل إعلان ألمانيا الحرب على بولندا، غير أنه سرعان ما تحولت إلى حرب عالمية بسبب انضمام أطراف جديدة شاركت في صنع أحداثها وساهمت في اتساع جبهاتها ومعاركها، ومنها المعارك البحرية التي جرت في عرض البحار والمحيطات كالأطلسي والهادي، هذا الأخير الذي أصبح مسرحاً لعمليات القصف الياباني والذي أجبر الولايات المتحدة الأمريكية بعد تهديد مصالحها إلى دخول الحرب واللجوء إلى قصف المدن اليابانية كمدينة هيروشيما، ومدينة نغازاكي بالقنابل الذرية من أجل إنهائها، وقد ترتب عن ذلك سقوط الملايين من الضحايا من العسكريين والمدنيين الأبرياء على حد السواء، زيادة على ما ألحقته من أضرار كبيرة بالأراضي الزراعية، وكذلك بالمنشآت والبنى التحتية والكائنات الحية في منطقة المحيط الهادي.

## الحرب البحرية اليابانية على القواعد الامريكية بالمحيط الهادي خلال الحرب العالمية الثانية

---

كلمات مفتاحية: البحرية اليابانية، الحرب البحرية، البحرية الأمريكية، حرب المحيط الهادئ، الحرب العالمية الثانية، الصراع الياباني الأمريكي

### Abstract :

Most historians agree that the outcome of World War I and the political and military situation in the world clearly indicated that a new major war was on the horizon. Indeed, it started this time from Asia after the Japanese invasion of the Chinese region of Manchuria on July 7, 1937, before Germany declared war on Poland, but it soon turned into a global war due to the joining of new parties that participated in the making of its events and contributed to the expansion of its sides and battles, including the naval battles that took place in the seas and oceans such as the Atlantic and the Pacific, the latter of which became the scene of Japanese bombing operations, which forced the United States of America, after threatening its interests in the Pacific. This forced the United States of America, after threatening its interests, to enter the war and resort to bombing Japanese cities such as Hiroshima and Nagasaki with atomic bombs in order to end it, and this resulted in millions of victims, both military and innocent civilians alike, in addition to the great damage it caused to agricultural lands, facilities, infrastructure and living organisms in the Pacific region.

**Keywords:** Japanese naval, naval warfare, American naval, pacific war, World War II, Japanese American straggle.

## الحرب البحرية اليابانية على القواعد الأمريكية بالمحيط الهادي خلال الحرب العالمية الثانية

تمهيد:

بدأت الحرب العالمية الثانية بالفعل عندما استولى الجيش الياباني على منشوريا في عام 1931. ولكن لم تكن تلك نقطة البداية للتوسع الياباني. فقد بدأت اليابان في العمل كقوة مستحوذة على الأراضي بطريقة صغيرة. وتحركت بحذر، بينما كان أسطولها البحري وجيشها الحديث لا يزالان في مرحلة الطفولة، واستولت على عدة مجموعات من الجزر الصغيرة غير البعيدة عن وطنها دون الحاجة إلى القتال من أجلها.

وبحلول عام 1894 كانت قوية بما فيه الكفاية لتحدي الإمبراطورية الصينية الضعيفة والمتقادمة. في يوليو من ذلك العام أطلقت المدافع البحرية اليابانية النار على السفن الصينية دون سابق إنذار. وعلى مدى الخمسين عامًا التالية استمرت اليابان في غزو واستيعاب آسيا وجزر المحيط الهادئ خطوة بخطوة مع مرور الوقت لتوطيد المكاسب واستجماع القوة للتحرك التالي.

وقد أضافت الحرب الناجحة مع الصين في 1894-1895 فورموزا وجزر بيسكادوريس القريبة إلى اليابان. بعد هزيمة روسيا في عامي 1904 و1905، استولت اليابان على النصف الجنوبي من سخالين والطرف الجنوبي من منشوريا المعروف باسم شبه جزيرة لياوتونغ. وفي عام 1910 تم ضم كوريا. في نهاية الحرب العالمية الأولى، سلمت القوى المنتصرة لليابانيين انتداباً على الجزر الألمانية السابقة شمال خط الاستواء، وهي واحدة من أهم المناطق الاستراتيجية في المحيط الهادئ. وبعد اثني عشر عاماً بدأ اليابانيون في اقتطاع أجزاء من الصين، بدءاً من منشوريا عام 1931. وعشية الحرب الحالية، انتزعت اليابان السيطرة على الهند الصينية من فرنسا التي لا حول لها ولا قوة، وحصّلت تايلاند (سيام) إلى وضع الدمية.

## الحرب البحرية اليابانية على القواعد الأمريكية بالمحيط الهادي خلال الحرب العالمية الثانية

ومن خلال مزيج من الخداع والقوة، زاد أمراء الحرب اليابانيون في أقل من نصف قرن من حيازاتهم من 147,669 ميل مربع إلى أكثر من 1,000,000 ميل مربع.

### 1. التوسع الياباني في منطقة المحيط الهادي:

لقد رفعت اليابان شعار آسيا للأسويين بهدف إبعاد الدول الاستعمارية من التوسع على حسابها، وتأمين أراضيها من التدخلات الأجنبية.

غير أن في حقيقة الأمر كانت للإمبراطورية اليابانية أسبابا خفية تسعى من وراء ذلك إلى تحقيقها، وه ما دفعها إلى الدخول في تنافس محموم وساخن مع القوى الراغبة آنذاك في السيطرة على القارة الآسيوية، وجعل المنطقة نتيجة لهذا التنافس تشهد قصفا ومعاركا بحرية ضاربة بينها، أي اليابان وبين أعدائها، ومن جملة هذه الأسباب نذكر:

1- إلحاح اليابان ورغبتها الشديدة في تحقيق حلمها الكبير في تكوين إمبراطورية الشرق التي لطالما كان اليابانيون يريدون تشييدها<sup>(1)</sup>.

2- صغر المساحة الجغرافية لليابان، وطبيعتها التضاريسية غير المتماسكة وغير المستقرة والتي جعلتها دوما تعاني من الكوارث الطبيعية، وعلى رأسها الزلازل والبراكين<sup>(2)</sup>.

3- افتقار الأراضي اليابانية للثروات الطبيعية من معادن ومصادر الطاقة، وتأثيراته السلبية على مصانعها البحرية والجوية التي أصبحت ضعيفة، وهو ما دفع بها إلى التفكير في البحث عن المجال الحيوي، والرغبة في السيطرة

<sup>(1)</sup> - ه، أ، ل فيشر، تاريخ أوروبا في العصر الحديث (1789-1950)، تعريب: أحمد نجيب هاشم ووديع الصبغ،

ط6، مصر: دار المعارف، (دت)، ص686.

<sup>(2)</sup> - ه، أ، ل فيشر، المرجع السابق، ص687.

## الحرب البحرية اليابانية على القواعد الأمريكية بالمحيط الهادي خلال الحرب العالمية الثانية

على العديد من الدول والجزر المجاورة في المحيط الهادي من خلال عملية الغزو والاحتلال والتدخل العسكري، ومن جملة تدخلها نذكر: توسعها وغزوها لإقليم منشوريا الصيني سنة 1931، وفي منغوليا الداخلية 1933 وجمبول 1936، والصين 1937، وفي مناطق وجزر أخرى خلال الحرب العالمية الثانية، وهو ما جعلها تخرق اتفاقية السلام بباريس سنة 1919<sup>(1)</sup>.

4- رغبة اليابان في احتلال المستعمرات البريطانية في بورما والملايو، حتى يتسنى لها قطع الطريق إليها، واستغلال مواردها الطبيعية الكبيرة كتعويض لفقير أراضيها<sup>(2)</sup>.

### 2. موقف الحلفاء من مسألة التوسع الياباني في المحيط الهادي:

لقد رفض الحلفاء والدول المستعمرة في المنطقة اليابانية في منطقة المحيط الهادي وعارضوها جملة وتفصيلا، وبرز ذلك من خلال ازدياد حدة التوتر بينهما، وفي مقدمتها الصين، حيث احتدمت المعارك بين قواتها بقيادة تشان كاي شيك والجيوش اليابانية، وقد أدت تطورات الأحداث بينهما إلى تدخل كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، إلى جانب القوات الصينية وإمدادها ببعض المعونة الحربية عن طريق بورما، والملايو<sup>(3)</sup>.

كما قامت الولايات المتحدة الأمريكية وبعد انهيار فرنسا في صيف 1940، ووقوف بريطانيا وحدها في المعركة بتقديم قروض للصين وفرض حصار جزئيا على اليابان، كما عملت على تعيين الجنرال دوغلاس ماك آرثر كقائد أعلى على القوات الأمريكية في الشرق الأقصى، وإصداره أمر بتجميد الأموال والممتلكات اليابانية في الولايات المتحدة وموافقة كل من بريطانيا وهولندا

(1) - Gild, Cherman, Australia in the of 1939-1945K Séries 2 (1957), tone 1,p 485.

(2) - Ibid, P485.

(3) - ه، أ، ل فيشر، المرجع السابق، ص ص685-686.

## الحرب البحرية اليابانية على القواعد الأمريكية بالمحيط الهادي خلال الحرب العالمية الثانية

على الفور، وبذلك قطع عن اليابان جميع مواردها من المطاط والحديد وزيت البترول وغيره من الموارد التي تحتاجها في صناعتها وهو ما حتم عليها وأجبرها على الدخول في مفاوضات لتسوية الأمر مع الولايات المتحدة الأمريكية<sup>(1)</sup>.

### القصف الياباني في المحيط الهادي:

في الوقت الذي كانت تجرى فيه المفاوضات بين الدبلوماسية اليابانية والأمريكية بواشنطن، تفاجأ المفاوضين الأمريكيين والشعب الأمريكي على حد سواء بشن البحرية اليابانية هجوما مفاجئ من دون سابق إنذار على القاعدة الأمريكية بيرهابر بجزرها واي بالمحيط الهادي صباح يوم الأحد 7 ديسمبر 1941، من خلال قاذفات القنابل اليابانية المنقولة على حاملات الطائرات التي قامت بقذف التوربيدات وقصف الأسطول الأمريكي الراسي بقاعدته في المحيط الهادي على مدار سبع ساعات وهو ما جعله غير صالح للاستعمال<sup>(2)</sup>.

كما هاجمت الطائرات اليابانية الخارجة من جزيرة فرموزة مطارات الجيش الأمريكي بالقرب من العاصمة الفلبينية مانيلا، فأنزلت به خسائر فادحة ومروعة، وهو ما دفعها إلى وقف المفاوضات الجارية بينها وبين الوفد الياباني، وإعلان الكونغرس الأمريكي في اليوم الثاني وجود حالة حرب مع اليابان<sup>(3)</sup>، وبعد ثلاث أيام أعلنت ألمانيا وإيطاليا الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية<sup>(4)</sup>.

(1) - ه، أ، ل فيشر، المرجع السابق، ص 686.

(2) - المرجع نفسه، ص 690.

(3) - ه، أ، ل فيشر، المرجع السابق، ص 692.

(4) - ج.ب. دروزيل، التاريخ الدبلوماسي، تعريب الدكتور: نور الدين خاطوم، ط 2، دمشق: دار الفكر، (1978)، ص 70.

## الحرب البحرية اليابانية على القواعد الأمريكية بالمحيط الهادي خلال الحرب العالمية الثانية

لقد أحرزت اليابان في بداية هذا الهجوم أو القصف عدة انتصارات استولت من خلالها قواتها على عدة مناطق منها سيام وشمال شرق الملايو، وهونغ كونغ وسنغافورة، وجزر الهند الصينية، وبعدها فتح الطريق أمامها إلى أستراليا، ومن ثم دخل اليابانيون العاصمة بورما، وبذلك وفي أقل من ستة أشهر استطاع اليابانيون أن يقضوا على الإمبراطورية الهولندية والإمبراطورية الاستعمارية الخاصة بالولايات المتحدة الأمريكية في المحيط الهادي<sup>(1)</sup>.

### أهداف القصف الياباني للقواعد الأمريكية بالمحيط الهادي:

كانت الأهداف الاستراتيجية من رواء القصف الياباني للقواعد والمنشآت الأمريكية بالمحيط الهادي تتمثل فيما يلي:

1. رغبة وإصرار اليابان على إعاقة وشل حركة الأسطول الأمريكي في المنطقة لفترة كافية حتى يتسنى لها الوقت اللازم في تأسيس إمبراطوريتها في جنوب شرق آسيا وإنشاء مناطق دفاع عازلة<sup>(2)</sup>، غير أن الهجوم الياباني لم ينتج عنه أضراراً دائمة للبحرية الأمريكية، بسبب تعثر اليابان في استهداف المواقع الرئيسية مثل عاملات الطائرات الثلاث لأسطول المحيط الهادي، وباقي المرافق البحرية التي كان من الممكن أن تشل من وراء عملية تدميرها<sup>(3)</sup>.

2. الرغبة اليابانية في تأمين اقتصادها وتنمية صناعتها، وذلك من خلال الاستيلاء على حقول النفط في جزر الهند الشرقية<sup>(4)</sup>.

(1) - ه، أ، ل فيشر، المرجع السابق، ص 689.

(2) - Morton Louis, Japan's Decision For War !us Army center of Military history, 2018 ,p62.

(3) - ه، أ، ل فيشر، المرجع السابق، ص 686.

(4) - ه، أ، ل فيشر، المرجع السابق، ص 687.

## الحرب البحرية اليابانية على القواعد الأمريكية بالمحيط الهادي خلال الحرب العالمية الثانية

3. زيادة التوسع الخارجي من خلال سياسة البحث عن المجال الحيوي، ورفع شعار آسيا للأسويين بهدف إنشاء محيط دفاعي هائل حول الأراضي المختلفة حديثاً، مع الحفاظ على النفوذ الياباني في الصين وشرق آسيا وكوريا<sup>(1)</sup>.

4. رغبة اليابان إبعاد الأسطول الأمريكي في المحيط الهادي عن الحرب التي كانت تخطط اليابان لشنقها في جنوب شرق آسيا ضد بريطانيا وهولندا والولايات المتحدة الأمريكية بهدف تدمير الأسطول والطيران الأمريكي، وشل قدرة القيادة الأمريكية على التدخل أو التحرك، وانتزاع السيطرة البحرية والجوية على المحيط<sup>(2)</sup>، ومن ثم كانت تهدف إلى السيطرة على القواعد الحربية وكافة الموارد الطبيعية التي تحتاج إليها صناعتها في مناطق توسعاتها في جنوب شرق آسيا والمحيط الهادي كالفلبين وبورما والملايو وتايلاند وسنغافورة وسومطرة وجاوة وغيرها من الجزائر<sup>(3)</sup>.

### أحداث القصف وتطوراتها:

بدخول اليابان الحرب العالمية الثانية في 07 ديسمبر 1941 بسبب حادثة قصفها للقاعدة الأمريكية بيرل هاريس بجزر هاواي بالمحيط الهادي أصيب الحلفاء بنكبات حربية خلال الأشهر الأولى، حيث نجد انه في الوقت الذي كانت فيه الغارات الجوية اليابانية تمطر الأسطول الأمريكي في ميناء بيرل هاربر، وأدت إلى تعطيله عن العمل، ساهمت حاملات الطائرات اليابانية بالإضافة إلى عدة غواصات قزمية يابانية في ضرب الأسطول الأمريكي وتدمير الطائرات الحربية الأمريكية، مما تسبب في إغراق أربع بواجح حربية من البحرية

(1) - Marton louis, Op.Cit,p62.

(2) - ج.ب.دروزيل، التاريخ الدبلوماسي، ص73.

(3) - ه، أ، ل فيشر، المرجع السابق، ص688.

## الحرب البحرية اليابانية على القواعد الأمريكية بالمحيط الهادي خلال الحرب العالمية الثانية

الأمريكية، وتدمير أربع بوارج أخرى، زيادة على إغراق اليابانيون لثلاثة طرادات وثلاثة مدمرات، وتدمير 188 طائرة، كما أسفرت الهجمات عن مقتل 2402 شخص وجرح أكثر من 1282 آخرين<sup>(1)</sup> كانت في الوقت نفسه قواتها البرية تنزل في سيام التي لم تصمد مقاومتها أكثر من أربع وعشرين لتفتح بسقوطها في يد الجيش الياباني الطريق إلى الملايو.<sup>(2)</sup>

وفي 10 ديسمبر أغرقت الطائرات اليابانية في هجمة جوية فجائية البارجتين البريطانيتين The Requelle و The prince of Wales مؤكدة على فشل فعالية السلاح البحري البريطاني في الشرق الأقصى، وأمام الفشل البريطاني نجح اليابانيين في تحقيق جميع أهدافهم في جنوب شرق آسيا، حيث سقطت في أيديهم هنج كونغ في 25 ديسمبر 1942، ومرفاً رابول في فبراير 1942.

الذي قاموا باحتلاله باعتباره القاعدة التي كانت تحمي أستراليا، ومن خلالها يمكن إبعاد أن خطر يهدد كاليدونيا الجديدة، وأستراليا والذي كان يعني على الصعيد الهجومي تحطيم حاجز جزر "سيمارك" والوصول من خلاله إلى حزام المياه الحرة الذي يمتد على جانبي خط الاستواء والالتفاف حول جزر مارشال غربا وحول الفلبين شرقا، ثم تهديد جزر الكارولين والشروع بفتح ثغرة باتجاه اليابان<sup>(3)</sup>.

وتبعت سقوط رابل في يد اليابانيون التي بذل الأمريكيين الغالي في سبيل استرجاعها، في 15 فبراير 1942 سنغافورة التي هي الأخرى قد أنفق البريطانيون على تشييد حصونها ملايين الجنيمات، وذلك بعد قصفها بالقنابل لمدة يومين، ثم تلتها مناطق أخرى الواحدة تلو الأخرى كسومطرة وجاوة وبالي وجزر تيمور

(1) - ريمون كارتية، الحرب العالمية الثانية، 1942-1945، ط العربية الثانية، ج2، بيروت: مؤسسة نوفل، (1983)، ص44.

(2) - ه، أ، ل فيشر، المرجع السابق، ص689.

(3) - ريمون كارتية، المرجع السابق، ج3، ص45.

## الحرب البحرية اليابانية على القواعد الأمريكية بالمحيط الهادي خلال الحرب العالمية الثانية

الشرقية وغيرها من جزر الهند الشرقية الغنية بثرواتها السطحية والباطنية من أبار بترولية ومزارع كبيرة للمطاط والأرز والأهله بالسكان<sup>(1)</sup>.

وبانهيار جاوا في مارس 1942 انهار حاجز الملايو انهيارا تاما، وأصبح الطريق البحري إلى استراليا مفتوحا في وجه اليابان، وبعد سقوط الملايو، توجه جزء من القوات اليابانية نحو بورما<sup>(2)</sup>.

وبالرغم من المقاومة التي لقيتها اليابان من مقاتلين الحلفاء بمساعدة بعض الكتائب الصينية، إلا أن القوات اليابانية استطاعت أن تبلغ وفي وقت وجيز خليج مرتبان « Martaban »، وأجبروا ببسالتهم رد القوات البريطانية ودخول رانجون عاصمة بورما، ومندلاي، وخليج البنغال<sup>(3)</sup>.

غير أن هذا الانتصار الياباني لم يدم طويلاً، فسرعان ما أصيب اليابانيين في مطلع شهر ماي بهزيمة كبيرة في معركة بحر المرجان « Oral Sea »، حينما كانوا يحاولون الاستيلاء على ميناء مورسي « Moreo by »، وهو قاعدة ذات موقع استراتيجي هام في غينيا الجديدة والتي اتخذها الجنرال ماك أرثر نقطته التي سيبدأ منها طريق العودة، وتعد معركة بحر المرجان هذه المعركة البحرية الأولى في تاريخ العالم التي قامت فيها الطائرات المحمولة على حاملات الطائرات بتدمير جوائح للخصم، وذلك بعد صنع غواصات قادرة على حمل طائرات هدفها الأول والأخير تدمير معدات العدو من دون أن تشاهد أية سفينة من سفن الأسطولين في المعركة سفن العدو<sup>(4)</sup>.

(1)-ريمون كارتيه، المرجع السابق، ج3، ص47.

(2)- ه، أ، ل فيشر، المرجع السابق، ص692.

(3)-المرجع نفسه، ص693.

(4)- نور الدين حاطوم، تاريخ عصرنا، الكويت: دار الفكر، (1972)، ص14.

## الحرب البحرية اليابانية على القواعد الأمريكية بالمحيط الهادي خلال الحرب العالمية الثانية

كما أحرز الحلفاء بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية انتصاراً وفوزاً بحرياً آخر في أوائل شهر جويلية من 1942 في معركة ميدواي، حيث أغرقوا فيه أربع حاملات طائرات كبيرة يابانية على إثر الهجوم الياباني على جزيرة ميدواي، وهو ما حال دون تنفيذ اليابانيين خططهم في الاستيلاء على جزر المحيط الهادي كجزيرة كاليدونيا الجديدة، وجزر فيجي، صاموا وغيرها<sup>(1)</sup>.

وقد توالى انتصارات الحلفاء أمام اليابان في معارك أخرى، ومن ذلك معركة مليتا باي في 5 سبتمبر 1942، ومعركة جزر سانتا كروز ما بين 25-27 أكتوبر سنة 1942.

ومع سنة 1944، شهدت منطقة المحيط الهادي تصعيداً كبيراً، بسبب الصراع البحري بين اليابانيين والحلفاء، والذي دفع بالقائد ماك آرثر وأمام المقاومة الضاربة والباسلة التي كان يبذلونها اليابانيون إلى تغيير إستراتيجية خطته أمام أعدائه والمتمثلة في تسديد ضربته في قلب المحيط باتجاه الماريان وطوكيو، بدل من تخمينات اليابانيين التي كانت تريد الزج به في شباك معارك جنوب غربي الهادي، وبذلك أوشك أن يخترق حزام الأمان الوطني الياباني، وأصبح يشكل خطراً على اليابان نفسها<sup>(2)</sup>. أن خطر يهدد كاليدونيا الجديدة وأستراليا

وأمام رفض اليابانيين لمسألة احتلال الحلفاء للماريان، دخلوا في صراع بحري لم يبدوا فيه سوى مقاومة محتشمة انتهت بخسائر على مستوى الغواصات والبوارج والمدمرات التابعة للأسطول الياباني، وفي المقابل احتل الأمريكيين من خلاله للعديد من الجزر كجزيرة انجي في ميكرونيزيا سنة 1944.

(1) - المرجع نفسه، ص 20.

(2) - نور الدين حاطوم، المرجع السابق، ص 22.

## الحرب البحرية اليابانية على القواعد الأمريكية بالمحيط الهادي خلال الحرب العالمية الثانية

وتعود أسباب الخسائر في البحرية اليابانية في هذه الفترة إلى وجود ثغرة في معداتها التي أعيد بناؤها، حيث لم يكن قد طرأ على أجهزة الرادار أي تحسن، كما كانت وسائلها الدفاعية المضادة لغواصات الأمريكية بدائية، ولم تكن الطائرات مزودة بالخزانات<sup>(1)</sup>، وهو ما أدى أمام تعنتها وإصرارها على مواصلة القتال في نهاية الحرب العالمية الثانية على قصفها بالقنابل النووية في كل من مدينة هيروشيما وناغازاكي، كانت قد كلفتها خسائر فادحة على جميع الأصعدة والجوانب، وكانت أعظمها على الصعيدين البشري والاقتصادي، مما أجبرها على توفيق القتال والاستسلام ونهاية الحرب العالمية الثانية<sup>(2)</sup>.

### 3. نتائج القصف الياباني بالمحيط الهادي:

لقد ألحقت المعارك البحرية في المحيط الهادي العديد من الخسائر البحرية بالطرفين المتصارعين.

#### 1.3. الخسائر البحرية الأمريكية:

لقد منيت البحرية الأمريكية خلال الحرب العالمية الثانية بالعديد من الخسائر، ومن هذه الخسائر نذكر بارجتين و5 حاملات طائرات و6 حاملات حراسة و7 طائرات ثقيلة، و3 طرادات خفيفة، و71 مدمرة، و11 مدمرة حراسة، و52 غواصة، 3 زارعات ألغام، 24 كاسحة ألغام، و18 مطاردة غواصات، و12 زوقا مسلحا و15 سفينة حراسة سواحل، و3 سفن إصلاح طائرات مائية و29 زورقا طوربيد و40 سفينة إنزال دبابات و9 سفن إنزال متوسطة و27 مركب إنزال إمدادات و10 قاطرات و6 ناقلات نفط و21 ناقلة جنود و36

(1)- نور الدين حاطوم، المرجع السابق، ص 17.

(2)- ه، أ، ل فيشر، المرجع السابق، ص 697.

## الحرب البحرية اليابانية على القواعد الأمريكية بالمحيط الهادي خلال الحرب العالمية الثانية

مركبا إنزال إقليمي و152 مركبا إقليميا من مختلف الأنواع و4 سفن سخن بضائع و22 سفينة مساعدة من مختلف الأنواع<sup>(1)</sup>.

### 2.3. الخسائر البحرية البريطانية:

أما فيما يخص الخسائر البحرية البريطانية فكانت تتمثل في 5 سفن رئيسة عبارة عن بوارج وطرادات ثقيلة، و8 حاملات طائرات و26 طرادا و128 مدمرة و27 غواصة و16 سفينة تجارية مسلحة، و41 سفينة حراسة كبيرة، و51 كاسحة ألغام، و240 قارب صيد و48 صندلا و6 زراعات ألغام و10 يخوت، و70 قارباً مسلحاً و3 مراكب صغيرة، سفينة حربية مدرعة واحدة، و63 قاربا صغيرا مساعداً.

كما خسرت دول الكومنولث 3 طرادات، و10 مدمرات و14 سفينة حربية كبيرة و10 كاسحات ألغام، وقاربي صيد، بالإضافة إلى 7 مراكب صغيرة من مختلف الأنواع<sup>(2)</sup>.

### 3.3. الخسائر البحرية اليابانية:

أما اليابان، فبالإضافة لخسارة 13.000 طن من السفن التجارية فقد خسر أسطولها الحربي: 11 بارجة و15 حاملة طائرات، و5 حاملات طائرات حراسة، و16 طراد ثقيلًا، و30 طرادا خفيفا، وطرايدي تدريب، و135 مدمرة<sup>(3)</sup>.

أما فيما يخص الخسائر البحرية المتعلقة بالدول المحايدة، فقد بلغت 1420.000 طن، كما أصيب حوالي 930.000 طن منها عن طريق سلاح الغواصات ومنها حوالي 270.000 طن بواسطة الألغام<sup>(4)</sup>.

(1) - موسى محمد آل طويرش، المرجع السابق، ص72.

(2) - المرجع نفسه، ص75.

(3) - المرجع نفسه، ص80.

(4) - ه، أ، ل فيشر، المرجع السابق، ص699.

## الحرب البحرية اليابانية على القواعد الامريكية بالمحيط الهادي خلال الحرب العالمية الثانية

---

خاتمة:

وفي الأخير ومن خلال دراستنا لهذا الموضوع والمتعلق بالصراع في منطقة المحيط الهادي، يمكننا القول بأن هذا الصراع كانت تحكمه المصالح الاستراتيجية، فبعض أطرافه كان همها من ورائه توسيع مساحتها الجغرافية، والحصول على الثروات الطبيعية التي تفتقدها في أراضيها كاليابان، ومن حاولت التوسع على حساب الدول والجزر المجاورة واحتلالها ضاربة عرض الحائط بالمعاهدات الدولية وعلى رأسها معاهدة فرساي، ومنها من كان يهتمها الحفاظ على مصالحها في المنطقة وهو ما ساهم في احتدام الصراع بينهما في المنطقة، وقد كلفت معاركه هذا الصراع البحرية الطرفين خسائر فادحة، وكذلك بالنسبة للعالم سواء بشريا واقتصاديا واجتماعيا وسياسياً.

## الحرب البحرية اليابانية على القواعد الامريكية بالمحيط الهادي خلال الحرب العالمية الثانية

### مراجع البحث:

- فيشره، أ، ل، تاريخ أوروبا في العصر الحديث (1789-1950)، تعريب: أحمد نجيب هاشم ووديع الصبغ، ط6، القاهرة: دارالمعارف.
- دروزيل ج.ب. التاريخ الدبلوماسي، تعريب الدكتور: نور الدين خاطوم، ط2، دمشق: دار الفكر، 1978.
- كارتيه ريمون، الحرب العالمية الثانية، 1942-1945، ط العربية الثانية، ج2، بيروت: مؤسسة نوفل، 1983.
- حاطوم نور الدين، تاريخ عصرنا، الكويت: دار الفكر، 1972.
- آل طويرش موسى محمد، العالم المعاصر من الحرب العالمية إلى الحرب الباردة 1914-1991، أفكار للدراسات والنشر، 2012.
- Gild, Cherman, *Australia in the of 1939-1945*. K Series 2 1957, tone 1.
- Morton louis, *Japan's Decision For War*, US Army Centre of Military history, 2018.

أسرى الحروب البحرية في اتفاقية جنيف الثانية

Prisoners of Naval Warfare in the Second Geneva  
Convention

د. بن زيد فتحي

جامعة سطيف 2 – الجزائر

---

ملخص:

منذ فجر التاريخ حتى الوقت الحاضر، والبشرية تعيش أهوال الحرب وما تخلفه من رعب، معاناة ودمار، تعجز الكلمات والألفاظ عن وصفه، أصابت الملايين من البشر من مقاتلين ومدنيين على حد سواء. وتعرضت أجيال كاملة للتشويه والصدمة جراء العنف والفقْد والحرمان، والانتهاك. وتمزقت الأسر وانفصمت عراها، ودمرت موارد الرزق، وكانت مجالات الحياة مسرحاً لها من بر وبحر وجو، وكانت البحار ساحات للقتال لما تمثله من مناطق القوة والسيطرة، والحرب البحرية تخلف خسائر في الأرواح والمعدات، وأوضاعاً مرتبطة بأسرى الحرب البحرية، لذا جاءت اتفاقية جنيف الثانية والثالثة لتنظيم أحوال أسرى الحرب.

كلمات مفتاحية: الحرب، البحر، السفينة، الأسرى، اتفاقية جنيف

summary:

Since the dawn of history until the present time, mankind has been living through the horrors of war and the horror, suffering and destruction that results from it, which words and expressions fail to

describe, affecting millions of people, both combatants and civilians. Entire generations have been maimed and traumatized by violence, loss, deprivation and abuse. Families were torn apart, their livelihoods were destroyed, and the fields of life were their theater of land, sea and air, and the seas were arenas for arguments because they represented areas of power and control, and naval warfare left losses in lives and equipment, and conditions related to prisoners of war at sea, so the Second and Third Geneva Conventions came To regulate the conditions of prisoners of war.

**Keywords:** war, sea, ship, prisoners, Geneva Convention

مقدمة:

الحرب البحرية هي التي يقوم بها طرف محارب في البحر مستخدماً قواته البحرية، وتتميز بأنها مليئة بالصعوبات في مسائل القانون، لأن ميدان العمليات لا ينتمي لأحد، أو بالأحرى ملك للجميع، والمتحاربون هناك على اتصال مع المحايدين كما هو الحال مع بعضهم البعض. منافسة المصالح المالية.

العلاقات بين المتحاربين بسيطة: القتال والدمار بين السفن الحربية. مطاردة السفن التجارية والاستيلاء عليها، وفقاً لحق الجائزة، المقبولة في البحر كوسيلة لإضعاف العدو وإفساده، مما يؤدي إلى معاملة السفينة كأرض معادية، بل وتوسيع نطاق غزوها ليشمل حمولتها.

من أهداف الحروب البحرية، ليس فقط إنزال الأضرار الجسمية بالقوات البحرية، وبالمرافق وبسواحل العدو، وليس فقط التفوق العسكري في البحر بل في خلق حواجز وعراقيل أمام العدو لمنع الإمدادات التجارية عنه، عبر

## أسرى الحروب البحرية في اتفاقية جنيف الثانية

الطرق البحرية (..) حيث يحتل النقل البحري أهمية كبرى " ويصل الأمر إلى الحصار البحري والإستيلاء على تجارة العدو.

ولا تخلو الحروب من ظاهرة الأسر كونها ملازمة لجميع الحروب القديمة والحديثة، ويرتبط نظام الأسر بالشخص المقاتل الذي يقع في قبضة العدو من أفراد القوات المسلحة المعادية أو الأفراد التابعين لها، وعلى هذا الأساس فإن اندلاع الحروب البحرية تفضي لا محالة إلى وقوع أسرى بين طرفي العلاقة الحربية البحرية.

على هذا الأساس أبرمت اتفاقية جنيف الثانية لتحسين حال جرحى ومرضى وغرقى القوات المسلحة في البحار هي إحدى المعاهدات الأربع لاتفاقيات جنيف، اعتمدت اتفاقية جنيف لتحسين حال جرحى ومرضى وغرقى القوات المسلحة في البحار لأول مرة في عام 1906 بعد الحرب الروسية اليابانية ولكن تم تحديثها بشكل ملحوظ لتحل محلها اتفاقية جنيف الثانية لعام 1949. تتكيف الحماية الرئيسية لاتفاقية جنيف الأولى مع مكافحة البحر.

تهدف هذه الاتفاقية إلى تحسين حال جرحى ومرضى وغرقى القوات المسلحة في البحار، إذ إنها وسعت ونظمت الحماية التي كانت معطاة لهم في الاتفاقيات السابقة، فهي توفر الحماية للجرحى والمرضى والغرقى من القوات العسكرية، كما توفر الحماية للطواقم الطبية وطواقم الإغاثة والمنشآت ومعدات هذه الطواقم كالسفن- المستشفيات وزوارق الإنقاذ الساحلية والسفن المحايدة والسفن التجارية المحمولة مستشفيات والطائرات الطبية.

وعلى هذا الأساس نطرح الإشكالية المرتبطة بهاته الورقة البحثية: كيف نظمت اتفاقية جنيف الثانية قضية أسرى الحروب البحرية وحماية حقوقهم في ظل تواجدهم في يد العدوان من كل أشكال الاعتداء عليهم؟

## أسرى الحروب البحرية في اتفاقية جنيف الثانية

المحور الأول: اتفاقية جنيف الثانية لأسرى الحرب.

تعد اتفاقية جنيف الثانية لتحسين حال جرحى ومرضى وغرقى القوات المسلحة في البحار هي إحدى المعاهدات الأربع لاتفاقيات جنيف، اعتمدت اتفاقية جنيف لتحسين حال جرحى ومرضى وغرقى القوات المسلحة في البحار لأول مرة في عام 1906 بعد الحرب الروسية اليابانية، ولكن تم تحديثها بشكل ملحوظ لتحل محلها اتفاقية جنيف الثانية لعام 1949. تتكيف الحماية الرئيسية لاتفاقية جنيف الأولى مع مكافحة البحر.

### 1. ظروف إبرام اتفاقية جنيف الثانية:

فقبل سبعين عامًا، وعلى الرغم من العزلة التي عاشتها بعد الحرب العالمية الثانية بسبب علاقاتها مع دول المحور، تمكنت سويسرا من تحقيق اختراق على الصعيد الدبلوماسي بعقدها لمؤتمر نوعي في عام 1949 هدف إلى تجديد اتفاقيات جنيف، باعتبارها خطوة أساسية في تطوير القانون الدولي الإنساني. إذ أن طريق تعديل اتفاقية جنيف لم يكن خاليا من العقبات، وإذا كان اتفاق هولندا، الدولة الراعية لاتفاقية لاهاي، لم يتسبب في إثارة أي مشاكل، فإن الانتقادات التي وُجّهت للجنة الدولية للصليب الأحمر من جانب الصليب الأحمر الأمريكي والسويدي كانت مقلقة بشكل كبير.

وعلى الرغم من الصعوبات، أو "بالرغم من الأحيان عميقة" وفق تعبير ماكس بيتيت بيير الذي ترأس المؤتمر، كان مؤتمر جنيف الدبلوماسي الذي عُقد في 12 أغسطس 1949 ناجحًا، فقد وقعت جميع الوفود الحاضرة على القرار النهائي، ومباشرة وقّعت 17 دولة، من بينها سويسرا، على الاتفاقيات الأربع رابط خارجي بصيغتها المقدّمة من قبل المؤتمر.

## أسرى الحروب البحرية في اتفاقية جنيف الثانية

ويوم 8 ديسمبر 1949، أقيم حفل التوقيع الثاني في جنيف، وبعد أربعة أيام، قام الوفد السوفياتي، الذي وصل إلى سويسرا في وقت متأخر بسبب الأحوال الجوية السيئة، بتوقيع الوثائق التي تمخض عنها المؤتمر.

وقبل ذلك بوقت قصير، كان ماكس بيتيت بيرقد كتب إلى بول روجريقول: "أعتقد مثلك، بأن المؤتمر كشف عن قيمة الحياد الدائم لبلدنا"<sup>(1)</sup>.

### 2. مفهوم أسير الحرب وفق الاتفاقية:

يحق لهم التمتع بوضع أسرى الحرب<sup>(2)</sup>:

تُعرّف اتفاقية جنيف الثالثة فئات الأشخاص الذين أسرى الحرب هم الأشخاص الذين ينتمون إلى إحدى الفئات التالية، ويقعون في قبضة العدو: - أفراد القوات المسلحة لأحد أطراف النزاع، والمليشيات أو الوحدات المتطوعة التي تشكل جزءاً من هذه القوات المسلحة،

- أفراد الميليشيات الأخرى والوحدات المتطوعة الأخرى، بمن فيهم أعضاء حركات المقاومة المنظمة، الذين ينتمون إلى أحد أطراف النزاع ويعملون داخل أو خارج إقليمهم.

بعد أن يقع أسرى الحرب في قبضة العدو، يصبحون عرضة لأعمال الانتقام والضغط والإذلال على وجه الخصوص. ويحدّد وضع أسرى الحرب بالتفصيل في الموادّ المائة والثلاث والأربعين التي تتألف منها اتفاقية جنيف

(1) - أرشيف الوثائق الدبلوماسية السويسرية (DODIS)، وثيقة رقم <https://dodis.ch/54069>

(2) - القاموس العملي للقانون الإنساني، أسرى الحرب، بالموقع:

<https://ar.guide-humanitarian-law.org/content/article/5/sr-lhrb/>

تاريخ آخر زيارة: 2007/10/12، تاريخ الاطلاع: 2023/03/01

## أسرى الحروب البحرية في اتفاقية جنيف الثانية

الثالثة، والتي تنظم حماية المقاتلين الذين يقعون في قبضة القوة المعادية وظروف احتجازهم.

### 3. مفهوم الحرب البحرية:

وهي المنازعات التي تدور رحاها بين قوات مسلحة بحرية تابعة لجيوش نظامية أو غير نظامية، تمارس العمليات العدائية فيها على سطح الماء وتحتة وفي فضاءه الخارجي، بواسطة سفن وغواصات حربية، على أن توجه العمليات العدائية فقط ضد الأهداف العسكرية دون تلك التي تتمتع بحماية القانون الدولي الإنساني<sup>(1)</sup>. تتكون القوات البحرية من مجموعة من السفن الحربية والتي يتولى قيادتها والعمل فيها ضباط وجنود عسكريين يتمتعون بصفة المحاربين، ويصطلح على مجموع هذه السفن بالأسطول البحري، ويميزها عن غيرها من سفن الدولة خالف مظهرها الخارجي أنها ترفع العلم الحربي لدولتها وشارتها العسكرية<sup>(2)</sup>.

ومنه فالسفينة البحرية هي: " سفينة تابعة للقوات المسلحة لدولة ما وتحمل العلامات الخارجية المميزة للسفن الحربية التي لها جنسية هذه الدولة، وتكون تحت إمرة ضابط معين رسمياً من قبل حكومة تلك الدولة ويظهر اسمه في قائمة الخدمة المناسبة أو فيما يعادلها، ويشغلها طاقم من الأشخاص خاضع لقواعد الانضباط في القوات المسلحة النظامية"<sup>(3)</sup>.

وتتجسد مهام القوات البحرية للأطراف المتحاربة في جانبين رئيسيين:

(1) - د. أمل يازجي، "القانون الدولي الإنساني وقانون النزاعات المسلحة بين النظرية والواقع"، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية المجلد 29، العدد الأول، (2004)، ص: 124.

(2) - د. علي صادق أبو هيف، القانون الدولي العام، الإسكندرية: منشأة المعارف، (1999)، ص 133.

(3) - المادة 29 من اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار (1982).

## أسرى الحروب البحرية في اتفاقية جنيف الثانية

الأول: يتمثل في حماية المواصلات البحرية لدولتها مع العالم الخارجية وممتلكاتها عبر البحار إبان الحرب؛

الثاني: يتمثل في تسديد ضربات مدمرة للقوات العسكرية للعدو وخطوط إمداداته<sup>(1)</sup>.

وبذلك يتضح أن الأغراض الأساسية من الحرب البحرية، تتلخص في هزيمة القوات البحرية المعادية وتدمير الأسطول التجاري للعدو، وتحصيناته الشاطئية، والسيطرة على خطوط المواصلات الحيوية التي تربطه بالدول الأخرى، ومنع وصول الإمدادات أو تقديم المساعدات، فضالاً للعدو، ومعاونة القوات البرية في عملياتها العسكرية للدفاع عن المصالح الوطنية<sup>(2)</sup>.

المحور الثاني: حقوق أسرى الحرب البحرية في ظل اتفاقية جنيف الثانية

تعتبر اتفاقية جنيف الثانية لتحسين حال جرحى ومرضى وغرقى القوات المسلحة في البحار هي إحدى المعاهدات الأربع لاتفاقيات جنيف.

اعتمدت اتفاقية جنيف لتحسين حال جرحى ومرضى وغرقى القوات المسلحة في البحار لأول مرة في عام 1906 بعد الحرب الروسية اليابانية،

تم تحديثها بشكل ملحوظ لتحل محلها اتفاقية جنيف الثانية لعام 1949.

ويترتب عن حالات النزاع المسلح عادة على احتجاز أو اعتقال الألوف بل والملايين من الجنود والمدنيين من جانب الأطراف المتحاربة. ويعيش الأشخاص المحرومون من حريتهم لأسباب ترتبط بالنزاع المسلح عادة في

(1) - د.مطفى سالم عبد بخيت - أ. م هادي نعيم الملكي، " النطاق المكاني للعمليات الحربية في النزاعات المسلحة الدولية"، مجلة العلوم القانونية بغداد، مجلد 31، العدد 04، (2019)، ص: 31 و 32.

(2) - محمد محمود أمين، قواعد الحرب البحرية وتطبيقاتها في النزاع العراقي - الإيراني المسلح، رسالة ماجستير، كلية القانون، جامعة بغداد، 1988، ص 16.

## أسرى الحروب البحرية في اتفاقية جنيف الثانية

ظروف بالغة الصعوبة ويتعرضون لعدم التيقن والقلق والتوتر، وفي أسوأ الحالات، الانتهاك، بعد أن تفرقوا عن عائلاتهم ووقعوا في قبضة السلطات المعادية. وقد ارتكبت بعض من أشد الفظائع في تاريخ الحروب ضد أشخاص محتجزين في معسكرات التركيز في الحرب العالمية الثانية والأماكن التي لا حصر لها التي تعرض فيها السجناء للتعذيب والانتهاكات والقتل، وأفلت المجرمون من العقاب. وبالتالي من غير المثير للدهشة أن قسما كبيرا من القانون الدولي الإنساني ينصرف إلى حماية أرواح وكرامة أسرى الحرب والمعتقلين المدنيين وغيرهم من الأشخاص المحرومين من حريتهم لأسباب تتصل بالنزاع المسلح<sup>(1)</sup>.

### 1. الأساس القانوني لحماية أسرى الحرب البحرية:

إن التطور الذي عرفته أساليب ووسائل القتال البحرية البحر خاصة أثناء الحرب العالمية الثانية، دفع باللجنة الدولية للصليب الأحمر لإدراج فئات أخرى ضمن هذه الاتفاقية بهدف منحها الحماية، فأدرجت فئة الغرقى في البحار لغرض إسعاف ضحايا الحروب<sup>(2)</sup>، وأكدت المادة 12 من اتفاقية جنيف الثانية على ضرورة حماية ومعاملة هذه الفئات البحرية معاملة إنسانية دون تمييز على أساس: الجنس، العرق،،،،<sup>(3)</sup>.

### 2. الأحكام الأساسية لاتفاقية جنيف الثانية الخاصة بالحرب البحرية:

المعاهدة هي وثيقة طويلة تتألف من 63 مادة، أهم الأحكام الأساسية للمعاهدة هي<sup>(4)</sup>:

(1) - نيلس ميلزر، القانون الدولي الإنساني، مقدمة شاملة، اللجنة الدولية للصليب الأحمر، (2016)، ص: 164.

(2) - عمر سعد الله، تطور تدوين القانون الدولي الإنساني، الطبعة الأولى، لبنان: دار الغرب الأطلسي، (1997)، ص: 64.

(3) - تنص المادة (12) من اتفاقية جنيف الثانية على: " يجب في جميع الأحوال احترام وحماية الجرحى والمرضى

والغرقى ممن يكونون في البحر من أفراد القوات المسلحة".

(4) - اتفاقية جنيف الثانية لتحسين حال جرحى ومرضى وغرقى القوات المسلحة في البحار مؤرخة في 12 آب

/أغسطس 1949.

## أسرى الحروب البحرية في اتفاقية جنيف الثانية

- المواد 12 و 18 تطلب من جميع الأطراف حماية ورعاية الجرحى والمرضى والغرقى.

- توضح المادة 14 أنه على الرغم من أنه لا

يمكن التقاط الطاقم الطبي في سفينة المستشفى فإنه يمكن أن يضموا الجرحى والمرضى والغرقى كأسرى حرب.

- تسمح المادة 21 للسفن المحايدة المساعدة في جمع ورعاية الجرحى والمرضى والغرقى، ولا يمكن القبض على السفن المحايدة.

- تنص المادة 22 أن لا يستخدم أي مستشفى في أي غرض عسكري ونظراً لمهمتهم الإنسانية لا يمكن أن يتعرضوا للهجوم أو الأسر.

- المواد 36 و 37 تخدم رجال الدين والأطباء على متن سفينة قتالية.

### 3. حقوق أسرى الحرب البحرية وفقاً لاتفاقية جنيف الثالثة:

نظمت اتفاقية جنيف الثالثة حقوق أسرى الحرب، ومنهم أسرى الحرب البحرية كما يلي:

أ. الحق في المعاملة الإنسانية: تنص المادة (13) من اتفاقية جنيف الثالثة على القواعد الأساسية لمعاملة أسرى الحرب على أنه: "يجب معاملة أسرى الحرب معاملة إنسانية في جميع الأوقات، ويحظر أن تقترب الدولة الحائزة أي فعل أو إهمال غير مشروع يسبب موت أسير في عهدها، ويعتبر انتهاكاً جسيماً لهذه الاتفاقية".

ب. حقوق الأسير أثناء التفتيش: ففي لحظة وقوع الأسير في يد القوات المقاتلة سواء فرد أو وحدة عسكرية أو وقوعه في يد المدنيين وتعتبر الدولة مسئولة دولياً عن الأسير، إذ يحرم على أي طرف من الأطراف المتحاربة، قتل

## أسرى الحروب البحرية في اتفاقية جنيف الثانية

المقاتلين الشرعيين التابعين للخصم بمجرد كفهم عن القتال سواء رغما عنهم بالقوة، أو بسبب ما أصابهم من عجز مرض، جرح، غرق، أو باختيارهم الاستسلام للعدو<sup>(1)</sup>.

ج. الحق في احترام شخصية وشرف الأسير: يتمتع أسرى الحرب في جميع الأوقات والظروف بحق الاحترام لأشخاصهم وشرفهم، ويحتفظون بأهليتهم المدنية التي كانت لهم عند وقوعهم في الأسر، بحيث يستمر تمتعهم بالحقوق المدنية<sup>(2)</sup>.

وأكدت على ذلك المادة (14) والتي نصت على: " لأسرى الحرب حق في احترام أشخاصهم وشرفهم في جميع الأحوال. ويجب أن تعامل النساء الأسيرات بكل الاعتبار الواجب لجنسهن، ويجب على أي حال أن يلقين معاملة لا تقل ملائمة عن المعاملة التي يلقاها الرجال. يحتفظ أسرى الحرب بكامل أهليتهم المدنية التي كانت لهم عند وقوعهم في الأسر. ولا يجوز للدولة الحائزة تقييد ممارسة الحقوق التي تكفلها هذه الأهلية، سواء في إقليمها أو خارج إلا بالقدر الذي يقتضيه الأسر". وأن لا تضع قيود لممارسة هذه الحقوق، إلا بالقدر الذي يتطلبه الأسر<sup>(3)</sup>.

د. الحق في العناية الصحية والطبية: توجب المادة (15) من اتفاقية جنيف الثالثة على الدولة الحائزة أن توفر للأسرى العناية الطبية اللازمة لحالتهم الصحية، وتلزم المادة (29) الدولة الحائزة باتخاذ كافة التدابير الصحية الضرورية لتأمين نظافة المعسكرات وملائمتها للصحة والوقاية من

(1) - ميلود بن عبد العزيز، حماية ضحايا النزاعات المسلحة في الفقه الإسلامي الدولي والقانون الدولي الإنساني، الجزائر: دارهومة للطبع والنشر، (2009)، ص45.

(2) - سلسلة القانون الدولي الإنساني رقم (6)، أسرى الحرب والمعتقلين في النزاعات المسلحة، (2008).

(3) - ميلود بن عبد العزيز، المرجع السابق، ص332.

## أسرى الحروب البحرية في اتفاقية جنيف الثانية

الأوبئة. و اتخاذ الإجراءات الوقائية لحماية الأسرى داخل المعسكر، مع توفير الدواء المناسب لكل أسير حرب في قبضتهم<sup>(1)</sup>.

هـ. الحق في المساواة في المعاملة : توجب المادة (16) من اتفاقية جنيف الثالثة على الدولة الحاجزة بأن تعامل الأسرى بمساواة دون تمييز على أساس النوع أو الجنسية أو العقيدة الدينية أو السياسية أو لأي سبب آخر، مع إقرار ضرورة التمييز بين الرجال والنساء والتميز لذوي الرتب العسكرية<sup>(2)</sup>.

و. الحق في ممارسة الشعائر الدينية تفرض اتفاقية جنيف الثالثة على الدولة الحاجزة أن تترك للأسرى حرية ممارسة شعائرهم الدينية، في إطار مراعاة النظام التي تضعه السلطات العسكرية، وعلمها أن تعد أماكن مخصصة لممارسة الشعائر الدينية للأسرى وفقاً لنص المادة (34) والتي تنص على: " يتمتع أسرى الحرب في الحرية الكاملة لممارسة شعائرهم الدينية. ويجب إعداد أماكن مناسبة لإقامة الشعائر الدينية"<sup>(3)</sup>.

هذه الالتزامات الملقاة على عاتق الدولة الحاجزة يعد ذلك بمثابة موازنة بين الالتزامات التي تقع على عاتق كل من الأسرى والقائمين على معسكر الأسر<sup>(4)</sup>.

ي. حق في الحماية من التعذيب: يعد التعذيب من أبرز الممارسات اللإنسانية، والتي لطالما اتبعتها وانتهجتها الجهات الرسمية، وكذلك غير الرسمية،

(1) -علاء تريكي، جرائم الاعتداء على الدولة جرائم القسم الخاص في قانون العقوبات، الطبعة الأولى،، لبنان: المؤسسة الحديثة للكتاب، (2014)، ص 58.

(2) - د. ورنيني محمد - ورنيني شريف، " أسرى الحرب في القانون الدولي الإنساني والشريعة الإسلامية"، مجلة الدراسات الإسلامية المجلد 02، الأغواط، العدد 02، (2013)، ص: 244.

(3) - المادة (34) من اتفاقية جنيف الثالثة 1949.

(4) - موات مجيد، آليات حماية أسرى الحرب، مذكرة ماجستير حقوق قانون دولي إنساني، كلية الحقوق، جامعة باتنة، 2010، ص 113.

## أسرى الحروب البحرية في اتفاقية جنيف الثانية

لأجل تحصيل المعلومات والإعترافات من شخص مقبوض عليه، أو بغية السيطرة على جماعة معارضة تشكل خطرا على السلطة لغرض تخويفهم وإهانة الكرامة الإنسانية، وإفشال عزمهم في تغيير واقع يعارضونه أو استبداد كانوا يواجهونه<sup>(1)</sup>.

فلا يجوز للدولة الآسرة ممارسة أي تعذيب بدني أو معنوي أو أي إكراه على أسرى الحرب أثناء استجوابهم لاستخلاص المعلومات منهم، ولا يجوز تهديدهم إذا ما امتنعوا عن الإجابة، أو تعريضهم لأي معاملة سيئة.

خاتمة:

شكلت خسائر الحروب اهتمام قادة العالم بسبب فأتورتها القاسية على الأرواح والممتلكات، فالعالم عاش ولا يزال يعيش أهوال الحروب والافتتال، وكان لأسرى الحرب مكانة عندهم وكان لزاما عليهم البحث عن آليات قانونية لحمايتهم حين نشوب هاته النزاعات المسلحة، اتفاقيات جنيف الثانية والثالثة، التي رسمت قواعد ونصوص تلزم الدول الموقعة عليها احترامها حماية لأسرى الحرب من كل انتهاك يظالمهم، والعمل على صون كرامتهم إلى غاية إعادتهم إلى أوطانهم.

(1) - روان محمد الصالح، " جريمة التعذيب قراءة قانونية في اتفاقية مناهضة التعذيب وقانون العقوبات الجزائري"، مجلة الدراسات القانونية و السياسية، المجلد11، العدد11، الجزائر، 2018، ص 185.

### قائمة المصادر والمراجع:

#### الكتب:

- 1- علي صادق أبو هيف، القانون الدولي العام، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1999.
- 2- نيلس ميلزر، القانون الدولي الإنساني، مقدمة شاملة، اللجنة الدولية للصليب الأحمر، 2016.
- 3- عمر سعد الله، تطور تدوين القانون الدولي الإنساني، الطبعة الأولى، لبنان، دار الغرب الأطلس، 1997.
- 4- ميلود بن عبد العزيز، حماية ضحايا النزاعات المسلحة في الفقه الإسلامي الدولي والقانون الدولي الإنساني، دار هومة للطبع والنشر، الجزائر، 2009.
- 5- علاء تريكي، جرائم الاعتداء على الدولة- جرائم القسم الخاص- في قانون العقوبات، الطبعة الأولى، لبنان، المؤسسة الحديثة للكتاب، 2014.

#### المقالات:

- 1- أمل يازجي، القانون الدولي الإنساني وقانون النزاعات المسلحة بين النظرية والواقع، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 29، العدد الأول، 2004.
- 2- مصطفى سالم عبد بخيت - أ.م هادي نعيم الملكي، النطاق المكاني للعمليات الحربية في النزاعات المسلحة الدولية، مجلة العلوم القانونية، بغداد، مجلد 31، العدد 04، 2019.
- 3- ورنيني محمد- ورنيني شريف، أسرى الحرب في القانون الدولي الإنساني والشريعة الإسلامية، مجلة الدراسات الإسلامية، المجلد 02، العدد 02، الأغواط، 2013.

## أسرى الحروب البحرية في اتفاقية جنيف الثانية

4- روان محمد الصالح، جريمة التعذيب قراءة قانونية في اتفاقية مناهضة التعذيب وقانون العقوبات الجزائري، مجلة الدراسات القانونية والسياسية، المجلد 11، العدد 11، الجزائر، 2018.

### المذكرات:

1- موات مجدي، آليات حماية أسرى الحرب، مذكرة ماجستير حقوق، القانون الدولي الإنساني، كلية الحقوق، جامعة باتنة، الجزائر، 2010.

2- محمد محمود امين، قواعد الحرب البحرية وتطبيقاتها في النزاع العراقي- الإيراني، مذكرة ماجستير، كلية القانون، جامعة بغداد، العراق، 1988.

### النصوص القانونية:

1- اتفاقية جنيف الثانية لتحسين حال جرحى ومرضى وغرقى القوات المسلحة في البحار، مؤرخة في 12 أوت 1949.

2- اتفاقية جنيف الثالثة، بشأن معاملة أسرى الحرب، مؤرخة في 12 أوت 1949.

3- سلسلة القانون الدولي الإنساني رقم 06، أسرى الحرب والمعتقلين في النزاعات المسلحة، 2008.

### المواقع الالكترونية:

1- القاموس العملي للقانون الدولي الانساني، أسرى الحرب، الموقع:

<https://ar.guide-humanitarian-law.org/content/article/5/sr-lhrb>

### الأرشيف:

أرشيف الوثائق الدبلوماسية السويسرية، (DODIS)، وثيقة رقم 54069،

<http://dodis.ch/54069>



## الأستاذ الدكتور عبد العزيز شهبى

- من مواليد عام 1950 في ولاية بسكرة.
- تخرج في جامعة الجزائر- قسم التاريخ.
- أستاذ بقسم التاريخ في جامعة الجزائر-2 ابو القاسم سعد الله
- أشغل فترة طويلة في المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، الجزائر ( قسم التاريخ والجغرافيا )، حتى التقاعد.
- تولى وظيفة التدريس ومهام بيداغوجية عديدة.
- ساهم في نشاطات علمية مختلفة، منها: الإشراف على الرسائل الجامعية ومناقشتها (ماجستير ودكتوراه). وكذا عضوية هيئات علمية مختلفة، وطنية ودولية.
- شارك في فرق بحث بالمدرسة العليا للأساتذة وخارجها.
- شارك بمحاضرات في ملتقيات عديدة وطنية ودولية.
- نشر كثيرا من المقالات في المجلات، داخل الوطن وخارجه.

### من مؤلفاته:

- كتاب تاريخ صدر الإسلام والخلافة الأموية.
- كتاب الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر.
- التاريخ العسكري للجزائر من الفتح الإسلامي إلى القرن 16م، كتاب جماعي.
- كتاب مساجد أثرية في منطقتي الزاب ووادي ريغ.
- كتاب تاريخ المغرب الإسلامي.

أ/د. عبد العزيز شهبى